



# المبداء خلف إلى العلوم والاسلامية

دراسات جمعها وحزبها وألف بيدها

أحمد سالم





## المداخل إلى العلوم الإسلامية

وفي ديننا دين الإسلام تتمثل رسالة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام في نصين أساسيين وهما القرآن، كلام الله الذي أوحاه على نبيه ليلغنا إياه آية وتبيانًا، فليس هو مجرد كتاب للرسالة فحسب، بل فوق وظيفة القرآن التعليمية التي يشبه فيها النصوص السابقة كالتوراة والإنجيل (قبل تحريفها) فإنه أيضًا كتاب تحدى الله العرب والناس من ورائهم أن يأتوا بمثله في بيانه وروعة بلاغته. ومع القرآن وحى آخر ولكن لم يُقصد به أن يكون آية بيانية، وإنما المقصد الأساسي منه أن يكون تركيبة وتعليلًا للمؤمنين، فهو امتداد للوحي القرآني الأول، وهو السنة النبوية التي يتكلم بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لكن بدون أن ينسب نصوصه لله عز وجل لكنه تكلم بها بوحي من الله.

وقد قام علماء المسلمين بتأسيس مجموعة كبيرة من الحقول المعرفية والتخصصات العلمية المتعلقة بالرسالة التي جاء بها النبي صل الله عليه وسلم، فكان من هذه الحقول والتخصصات تخصص يعني بتفسير القرآن، وتخصص يعني بشرح الحديث، وتخصص يعني ببيان موضوعات العقيدة والأصول الكبرى للدين، وتخصص يعني بالأحكام العملية المتعلقة بالتصرفات اليومية للفرد المسلم من ناحية الحلال والحرام، وهذا التخصص الأخير هو علم الفقه.

فديننا يرتكز معرفيًا بصورة أساسية على نصوص، وحقيقة الفقه فيه أنه فقه في هذه النصوص وتفسيرها وتعيين مراد المتكلم بها، ثم اتباع هذا المراد، تصديقًا بأخباره، وفعلًا لأوامره وتركًا لنواهيه.



المبتدئين  
إلى العلوية الإسلامية



المَدِخَلُ  
الحِجَابُ الْعُلُومِ وَالْإِسْلَامِ

دِرَاسَاتٌ جَمَعَهَا وَحَرَّرَهَا وَأَلْفَ بَيْنَهَا

أَحْمَدُ سَالِمٌ



الكتاب: المدخل إلى العلوم الإسلامية  
تأليف: أحمد سالم  
عدد الصفحات: 439  
سنة الطباعة: 1444 هـ / 2022 م  
بلد الطباعة: مصر  
الطبعة: الأولى

جميع حقوق الملكية الفكرية محفوظة



عالم الأدب للترجمة والنشر

مؤسسة عربية تعتني بنشر النصوص المترجمة والعربية  
في مجالات الثقافة العامة والأدب والعلوم الإنسانية

البريد الإلكتروني: [info@aalamaladab.org](mailto:info@aalamaladab.org)  
الموقع: [www.aalamaladab.com](http://www.aalamaladab.com)

Exclusive rights by ©

الفهرسة أثناء النشر - إعداد دار عالم الأدب  
المدخل إلى العلوم الإسلامية - أحمد سالم  
439 صفحة  
24x17 سم  
١. المدخل إلى العلوم الإسلامية  
ISBN: 978-977-6911-27-7  
رقم الإيداع: 2022/25712 م



لطلبات الشراء البريدية  
الرجاء الاتصال على:

٠٠٢٠١٢٧٢٦٣٢٩٢١  
[info@kutubkom.com](mailto:info@kutubkom.com)

حقوق الطبع محفوظة

يمنع طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب  
كاملاً أو أي جزء منه أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو  
إدخاله على الحاسب أو نسخه على أسطوانات ليزيرية إلا  
بموافقة خطية من الناشر.

## المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	١٥
تمهيد	١٧
الله والرسول والرسالة	١٩
دين الإسلام وعلومه	٢٥
١- التفسير وعلوم القرآن	٢٥
٢- التجويد والقراءات	٣٥
* تعريف علم التجويد	٣٥
* فائدة علم التجويد	٣٦
* واضح علم التجويد	٣٦
* حكم علم التجويد	٣٧
(١) الدراسة النظرية	٣٧
(٢) الدراسة التطبيقية	٣٧
* الراجع	٣٨
* المصنفات في علم التجويد	٣٩
* تعريف علم القراءات	٤١
* مصدر القراءات	٤١
* الفرق بين علمي التجويد والقراءات	٤٢
* شروط القراءة الصحيحة، وأنواع القراءات	٤٣
* نشأة علم القراءات والمراحل التي مرَّ بها	٤٥

- ٥١ ..... \* القراءات القرآنية في عصرنا الحاضر
- ٥٤ ..... أشهر مصطلحات كتب القراءات
- ٥٧ ..... \* التعريف بالقرء العشرة
- ٥٨ ..... - راويًا نافع
- ٥٩ ..... - راوي ابن كثير المكي
- ٦١ ..... - راوي أبي عمرو البصري
- ٦٢ ..... - راوي ابن عامر الشامي
- ٦٤ ..... - راوي عاصم الكوفي
- ٦٥ ..... - راوي حمزة الكوفي
- ٦٧ ..... - راوي الكسائي
- ٦٨ ..... - راوي أبي جعفر المدني
- ٦٩ ..... - راوي يعقوب البصري
- ٧٠ ..... - راوي خلف
- ٧١ ..... ٣- علوم الحديث والسنة النبوية
- ٧١ ..... ( ١ )
- ٧١ ..... معنى السُّنَّة
- ٧١ ..... \* والسُّنَّة في الاصطلاح يختلف معناها باختلاف مناهج العلماء
- ٧٢ ..... \* تعريف علم الحديث
- ٧٣ ..... \* تاريخ تدوين السُّنَّة
- ٧٤ ..... ( ٢ )
- ٧٤ ..... وكانت أهم مدارس الحديث في ذلك الوقت
- ٧٧ ..... ( ٣ )
- ٨٢ ..... ( ٤ )
- ٨٥ ..... ومن أهم المؤلفات في هذا العصر بعد كتاب ابن الصلاح
- ٨٧ ..... \* أمّا في القرن الثالث عشر فمن أشهر علمائه
- ٨٨ ..... ( ٥ )
- ٨٨ ..... أنواع المصنفات في الحديث النبوي
- ٨٨ ..... أولاً: الكتب المصنفة على الأبواب
- ٩٠ ..... ثانياً: الكتب المرتبة على أسماء الصحابة
- ٩١ ..... ومن أشهر كتب الأطراف
- ٩١ ..... ثالثاً: المعاجم



٩١	رابعاً: الكتب المرتبة على أوائل الأحاديث .....
٩٢	خامساً: المصنفات الجامعة «المجامع» .....
٩٣	سادساً: مصنفات الزوائد .....
٩٤	سابعاً: كتب التخريج .....
٩٤	ثامناً: الأجزاء .....
٩٥	تاسعاً: المشيخات .....
٩٥	عاشراً: العلل .....
٩٧	<b>٤- العقيدة</b> .....
٩٧	مفهوم العقيدة بين اللغة والاصطلاح .....
٩٨	١- عقيدة، مبدأ: Dogme .....
٩٨	٢- مذهب، عقيدة مبدأ: Croyance .....
٩٨	٣- إيمان، معتقد، عقيدة، تصديق: Doctrine .....
٩٨	أ- مفهوم كلمة عقيدة في اللغة العربية .....
١٠٣	ب- مفهوم العقيدة في الاصطلاح .....
١٠٩	أهمية العقيدة في الإسلام ومكانتها بين العلوم الشرعية .....
١١٩	حاجة الفرد والمجتمع إلى العقيدة .....
١١٩	أولاً: حاجة الفرد الدينية والروحية إلى العقيدة .....
١٢٢	ثانياً- حاجة الفرد المعرفية والعلمية إلى العقيدة الدينية .....
١٢٥	ثالثاً- حاجة الفرد النفسية والوجدانية إلى العقيدة الدينية .....
١٢٩	رابعاً- حاجة المجتمع الخلقية والاجتماعية إلى العقيدة الدينية .....
١٣٤	مصادر العقيدة الإسلامية .....
١٣٤	أولاً- مسائل العقيدة في القرآن الكريم .....
١٤١	ثانياً: منهج القرآن في معالجة قضايا العقيدة .....
١٤٢	القرآن يقص علينا تاريخ رجال العقيدة .....
١٤٣	القرآن يخاطب الكينونة الإنسانية مكتملة .....
١٤٤	القرآن يستخدم أساليب إقناعية متعددة .....
١٤٥	القرآن يستبدل طريقة التلقين بأسلوب التربية بالمواقف العملية .....
١٤٦	ثالثاً: مسائل العقيدة في السنة النبوية .....
١٤٧	١- أحاديث في الإيمان بالله تعالى .....
١٤٨	٢- أحاديث في الإيمان بالملائكة .....
١٤٨	٣- أحاديث في الإيمان بالكتب المنزللة .....

١٤٩	٤- أحاديث في الإيمان بالنبوة .....
١٤٩	٥- الإيمان باليوم الآخر .....
١٥٠	٦- الإيمان بالقدر .....
١٥٠	رابعاً- المنهج النبوي في معالجة قضايا العقيدة .....
١٥٠	١- البراعة في الدعوة إلى الإيمان والتبشير بعقائده بين كافة الناس .....
١٥١	٢- تعهد الأتباع بالتربية والتعليم .....
١٥٢	أ- البيان دون سؤال أحد .....
١٥٢	ب- الإجابة عن أسئلة السائلين .....
١٥٣	ج- النهي عن الجدل والخلاف في الدين والتعمق في بحث حقائق الغيب، ومسائله الصعاب .....
١٥٤	٣- السعي نحو الربط الوثيق بين العقيدة والعمل .....
١٥٧	سمات العقيدة الإسلامية .....
١٥٧	أولاً- سمات تتعلق بطبيعة العقيدة الإسلامية .....
١٥٧	١- الوسطية .....
١٦٠	٢- الشمول .....
١٦٠	٣- الوضوح .....
١٦١	ثانياً- سمات تتعلق بمرجعية العقيدة الإسلامية .....
١٦١	١- الربانية .....
١٦٣	٢- التوافق مع العقل السليم والفتوة السوية .....
١٦٥	ثالثاً: سمات تتعلق بتطبيق العقيدة الإسلامية في الواقع .....
١٦٥	١- التكامل .....
١٦٦	٢- الإيجابية .....
١٦٧	٣- التسامح .....
١٦٨	٤- الواقعية .....
١٦٩	٥- <b>الفقه</b> .....
١٦٩	* تعريف الفقه .....
١٧٠	* موضوع علم الفقه .....
١٧٠	* مصادر التشريع .....
١٧١	* تعلّم الفقه .....
١٧١	* فضل الفقه .....
١٧٢	* نشأة الفقه .....

أطوار الفقه الإسلامي .....	١٧٢
الأول: (العصر النبوي) .....	١٧٢
الثاني: (في زمن الصحابة) .....	١٧٣
الثالث: (عصر ما بعد الخلفاء الراشدين إلي أوائل القرن الثاني الهجري) .....	١٧٧
الرابع: من أوائل القرن الثاني الهجري إلى منتصف القرن الرابع (عصر الفقه الذهبي، أو عصر التدوين، أو عصر المجتهدين) .....	١٧٨
- المذهب الحنفي .....	١٧٩
- المذهب المالكي .....	١٧٩
- المذهب الشافعي .....	١٧٩
- المذهب الحنبلي .....	١٨٠
- مذاهب أخرى غير مشهورة أو منقرضة .....	١٨٠
الخامس: (عهد التقليد) .....	١٨١
السادس: (عهد الجمود) .....	١٨١
السابع: (العصر الحديث) .....	١٨١
* أنواع التأليف الفقهي .....	١٨٢
* تقنين الفقه .....	١٨٥
(١) مجلة الأحكام العدلية .....	١٨٦
(٢) أعمال قدرى باشا .....	١٨٦
* اختلاف الفقهاء .....	١٨٧
أولاً: (خلاف التنوع) .....	١٨٧
ثانياً: (خلاف التضاد) .....	١٨٨
* أسباب اختلاف الفقهاء .....	١٨٩
(١) عدم بلوغ الدليل .....	١٩٠
(٢) تعارض الأدلة .....	١٩١
(٣) عدم المعرفة بدلالة ألفاظ الأدلة .....	١٩٢
(٤) الاختلاف في القواعد الأصولية .....	١٩٢
* الفقه في المجتمع .....	١٩٣
(١) القضاء .....	١٩٣
(٢) الفتوى .....	١٩٤
(٣) الحسبة .....	١٩٦
-٦ أصول الفقه .....	١٩٩

- \* تعريف علم أصول الفقه وموضوعه ..... ١٩٩
- \* أصول الفقه والفقه والقواعد الفقهية ..... ٢٠٢
- \* فائدة أصول الفقه ..... ٢٠٣
- \* تاريخ أصول الفقه ..... ٢٠٥
- أولاً: مرحلة النشأة ..... ٢٠٥
- (أ) عهد النبي ﷺ ..... ٢٠٥
- (ب) عصر الصحابة ..... ٢٠٦
- (ج) عصر التابعين ..... ٢٠٨
- (د) عصر الأئمة المجتهدين ..... ٢٠٨
- ثانياً: مرحلة التدوين ..... ٢٠٩
- ثالثاً: مرحلة المدارس الأصولية ..... ٢١١
- الاتجاه الأول: طريقة الشافعية أو المتكلمين ..... ٢١٢
- الاتجاه الثاني: طريقة الحنفية ..... ٢١٣
- اتجاه المتأخرين ..... ٢١٥
- اتجاه الاهتمام بالمقاصد ..... ٢١٦
- رابعاً: مرحلة التجديد ..... ٢١٦
- \* العلاقة بين أصول الفقه وعلم الكلام ..... ٢١٩
- ٧- القواعد الفقهية ..... ٢٢٣
- ماذا نعني بقولنا: (القواعد الفقهية)؟ ..... ٢٢٣
- أهمية العلم بالقواعد الفقهية ..... ٢٢٤
- تاريخ علم القواعد الفقهية ..... ٢٢٥
- الفرق بين القاعدة والضابط ..... ٢٢٦
- الفرق بين القواعد الأصولية والقواعد الفقهية ..... ٢٢٨
- أنواع القواعد الفقهية ..... ٢٣٠
- مصادر القواعد الفقهية ..... ٢٣١
- القسم الأول: قواعد فقهية مصدرها النصوص الشرعية من كتاب وسنة ..... ٢٣١
- القسم الثاني: ما كان من غير النصوص، وهو أنواع ..... ٢٣١
- ٨- علم مقارنة الأديان: أصله، ونشأته، وتطوره ..... ٢٣٣
- مقدمة ..... ٢٣٥
- المبحث الأول: علم مقارنة الأديان: الأهمية والفوائد ..... ٢٣٨
- المبحث الثاني: علم مقارنة الأديان: علم إسلامي أصيل ..... ٢٤٠

٢٤٥	المبحث الثالث: علم مقارنة الأديان: النشأة والتطور .....
٢٤٦	المرحلة الأولى: مرحلة النشأة .....
٢٤٧	المرحلة الثانية: مرحلة التدوين .....
٢٤٧	المرحلة الثالثة: مرحلة التطور والازدهار .....
٢٤٧	المرحلة الرابعة: مرحلة التدهور والانحطاط .....
٢٤٨	المرحلة الخامسة: مرحلة انتقال علم مقارنة الأديان إلى الغرب .....
٢٤٩	المرحلة السادسة: مرحلة العودة إلى الساحة الإسلامية .....
٢٥١	خاتمة .....
٢٥٣	المصادر والمراجع .....
٢٥٥	٩- المِلَل والنَحْل والفرق .....
٢٥٥	* علم المِلَل والنَحْل والفرق .....
٢٥٥	* تعريفه .....
٢٥٥	* أهميته .....
٢٥٧	* فروع هذا العلم .....
٢٥٨	* موجز اختلاف فرق المسلمين .....
٢٥٨	- الخوارج .....
٢٥٩	(٢) الأزارقة .....
٢٥٩	(٣) الصفرية .....
٢٥٩	(٤) النجدات .....
٢٦٠	(٥) الإباضية .....
٢٦١	* الشيعة .....
٢٦١	- تعريف الشيعة والتشيع .....
٢٦١	أولاً: في اللغة .....
٢٦١	ثانياً: في الاصطلاح .....
٢٦٤	* نشأة التشيع .....
٢٦٩	* فرق الشيعة .....
٢٦٩	أولاً: الغلاة .....
٢٧١	ثانياً: الزيدية .....
٢٧٢	ثالثاً: الإمامية الاثنا عشرية .....
٢٧٤	* فرق الشيعة الإمامية .....
٢٧٥	(١) الأخبارية .....

٢٧٨	..... (٢) الأصولية
٢٨٠	..... * من أبرز عقائد الشيعة
٢٨٠	..... * تحريف القرآن عند الشيعة
٢٨٣	..... * فقه الشيعة الإمامية
٢٨٤	..... * المعتزلة
٢٨٦	..... * مؤسساً مذهب الاعتزال
٢٨٦	..... (١) واصل بن عطاء
٢٨٦	..... (٢) عمرو بن عبيد
٢٨٧	..... * أصول مذهبهم
٢٨٨	..... * أبرز رموزهم
٢٨٩	..... * الفرق الأساسية
٢٨٩	..... (١) الواصلية
٢٨٩	..... (٢) العمروية
٢٨٩	..... (٣) الهذلية
٢٩٠	..... (٤) النظامية
٢٩٠	..... (٥) الثمامية
٢٩١	..... (٦) المعمرية
٢٩١	..... (٧) البشرية
٢٩٢	..... (٨) الجاحظية
٢٩٢	..... (٩) الجبائية
٢٩٢	..... * الأشعرية
٢٩٣	..... تطور المذهب الأشعري عبر الترجمة لأهم الرموز
٢٩٣	..... (١) المؤسس أبو الحسن الأشعري (ت ٣٢٠-٣٣٠)
٢٩٣	..... (٢) أبو الحسن الطبري (ت ٣٨٠)
٢٩٤	..... (٣) الباقلاني (ت ٤٠٣)
٢٩٥	..... (٤) ابن فورك (ت ٤٠٦)
٢٩٦	..... (٥) عبد القاهر البغدادي (ت ٤٢٩)
٢٩٦	..... (٦) البيهقي (٤٥٨)، والقشيري (٤٦٥)، والجويني (٤٧٨)، يمثلون مرحلة تالية، وقد أخذ التطور في هذه المرحلة أبعاداً أخرى
٢٩٧	..... (٧) أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)
٢٩٧	..... (٨) فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)

٢٩٩	..... (٩) أبو الحسن الآمدي (٦٣١)
٣٠٢	..... * تطور الماتريديّة
٣٠٤	..... * المقارنة بين الأشعرية والماتريديّة
٣٠٥	..... * الصوفيّة
٣٠٥	..... (١) التصوف السلوكي
٣٠٦	..... (٢) التصوف الفلسفي
٣٠٦	..... (٣) التصوف القبوري
٣١٣	..... ١٠- التاريخ
٣١٣	..... * مُصطلحُ التاريخ والتطورات التي لحقت به
٣١٥	..... * موضوع التاريخ
٣١٥	..... * مضمون التاريخ
٣١٦	..... * كيف يعمل المؤرخون؟
٣١٦	..... * انتقاء وتقويم المصادر
٣١٧	..... * تفسير الحوادث التاريخية
٣١٨	..... * التاريخ عند العرب
٣١٩	..... * فنون الكتابة التاريخية عند العرب
٣٢٣	..... * مراحل التدوين التاريخي
٣٢٥	..... * المدارس التاريخية
٣٢٦	..... * ظهور كبار المؤرخين
٣٢٨	..... * ومن المؤرخين الذين أَلَّفوا في التاريخ العام
٣٣٠	..... * التواريخ المحلية والإقليمية
٣٣١	..... * التواريخ الإقليمية
٣٣٣	..... ١١- المنطق: مقدمات مهمة لدارسي علم المنطق
٣٣٥	..... المقدمة الأولى: نشأة المنطق
٣٤٠	..... المقدمة الثانية: الحاجة إلى دراسة علم المنطق
٣٤١	..... تنبيه
٣٤٢	..... المقدمة الثالثة: مبادئ علم المنطق
٣٤٣	..... وجه الحاجة إلى الوقوف على المبادئ العشرة
٣٤٤	..... (١) تعريف علم المنطق
٣٤٥	..... شرح التعريف
٣٤٦	..... (٢) موضوعه

٣٤٧	.....	٣) فائدته
٣٤٨	.....	٤) أسمائه
٣٤٩	.....	٥) فضله
٣٤٩	.....	٦) نسبه إلى غيره من العلوم
٣٤٩	.....	٧) واضعه
٣٥٠	.....	٨) استمداده
٣٥٠	.....	٩) حكم تعلمه
٣٥٠	.....	١٠) مسائله
٣٥١	.....	القسم الثاني: المبادئ العشرة للعلوم الإسلامية
٣٥٣	.....	مقدمة
٣٥٥	.....	تمهيد عن مفهوم المبادئ العشر
٣٦١	.....	للؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري
٣٦٥	.....	آفات العلم
٣٨١	.....	رسالة مبادئ العلوم
٣٨٤	.....	مقدمة
٣٨٨	.....	المبادئ العشرة للعلوم الأربعة
٣٨٩	.....	المبدأ الأول: في الحدّ
٣٩١	.....	المبدأ الثاني: في الموضوع
٣٩٣	.....	المبدأ الثالث: في الثمرة
٣٩٦	.....	المبدأ الرابع: في الفضل
٣٩٧	.....	المبدأ الخامس: في النسبة
٣٩٨	.....	المبدأ السادس: في الواضع
٤٠١	.....	المبدأ السابع: في الاسم
٤٠٣	.....	مبادئ العلوم الشرعية



## مُقَدِّمَةٌ

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه  
ومن وآله وبعد . .

فهذا مدخل إلى العلوم الإسلامية، يعتني بتاريخ هذه العلوم ونشأتها وأهم  
المصنفات في كل علم منها، مضمناً أعلام الفن وحلقاته المحورية.

وهذا المدخل كنت قد أعدته منذ نسخة السبل التي صدرت من سبع  
سنوات لكن لم أنشره لتضخم الكتاب، ولما اتخذت قراري بفصل أجزاء كتاب  
السبل ليسهل حملها والنظر فيها، عدت إلى هذا الجزء فزدت فيه قليلاً وضممته  
للكتاب.

وليس لي فضل في هذا الجزء فمعظمه تلخيص من مصادر أخرى عدا  
مواضع كتبت فيها ما تحرر عندي كالذي تراه في التمهيد وعند الكلام عن البداية  
بالفقه قبل الأصول، وبعض التحريات في فصل الملل والنحل.

وقد ساهم معي في صياغة وتلخيص هذا المدخل صاحبي الشيخ  
محمد محمود عبد الهادي.

ومدخل التجويد والقراءات كتبه الدكتور ضيف الله الشمراني، ومدخل  
التفسير وعلوم القرآن كتبه الشيخ عمرو الشرقاوي

ومدخل العقيدة استلثته من كتاب جماعي ألفه بعض أساتذة دار العلوم، هم  
الأستاذ الدكتور العلامة حسن الشافعي والأستاذ الدكتور محمد عبد الله  
الشرقاوي، وما يتعلق بالشيعة كتبه عمرو بسيوني.

وهذه المفاتيح العشرة للعلوم الإسلامية كفيلاً إتقانها بفتح طرق النظر في مسائل وقضايا هذه العلوم بصورةٍ تفوق من اكتفى بالقضايا والمسائل مع مداخل كحسو الطائر.

هذا والحمد لله رب العالمين.

تمهيد



## الله والرسول والرسالة

هذا الكون الذي يقع الإنسان في نقطة قصية محدودة منه = مخلوق كائن بعد أن لم يكن، أوجده وأبدع تصويره خالق قدير عليم، لطيف خبير حكيم. ومن جملة المخلوقات خلق الله آدم ليخلف من سبقه من خلق خلقهم الله، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، فعبادة الله سبحانه هي المقصد الأساسي من خلق الله لعباده، فلم يخلق الله الناس ويتركهم بلا تكليف أو مسؤولية.

واختار الله للتكليف واسطة تكون بينه وبين خلقه في إبلاغ التكليف وتعليمها للناس وهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

والرسالة الإلهية التي يحملها النبي ليلبغها للناس ويعلمهم إياها ليعملوا بها هي التي يُطلق عليها اسم: الدين.

وبعمر الإنسانية وتتابع الناس = تتابع عليهم الرسل يبلغونهم رسالات الله، وجميعها رسالات تشترك في جزء ثابت لا يتغير وهو المعلومات والموضوعات المتعلقة بالله سبحانه والتي تعرف الناس بالهيم، والمعلومات المتعلقة بالموضوعات الأخلاقية الكبرى، والمتعلقة بمصير الناس بعد انتهاء الدنيا.

وتختلف هذه الرسالات في بعض أجزاء الحلال والحرام التي ليست من أصول الأخلاق وكميات القيم الكبرى وإنما تتعلق بما تختلف ظروفه وأحكامه بتغير الزمان والمكان.

ووفقاً لما تقدم فإن دين الأنبياء الذي جاؤوا به هو واحد في الموضوعات الكبرى، ويختلف في موضوعات أخرى، وما نراه اليوم من اختلاف بين الأديان في الموضوعات الكبرى هو ناتج من تحريف هذه الأديان على أيدي أتباعها. ورسالات الأنبياء تأتي في صورة نصوص، يبلغها النبي بلسانه وأحياناً يبلغها بنصوص مكتوبة بالإضافة للبيان اللساني، وبالتالي فإن فهم وتفسير الدين هو عملية فهم وتفسير للكلام الذي يتكلم به النبي مبلغاً إياه عن ربه، ويسبق عملية التفسير هذه عملية التوثق من صحة نسبة الكلام للمتكلم به.

وأول مراحل التوثق من النسبة أن نتوثق من آيات نبوة النبي الحامل للرسالة المبلغ عن ربه؛ لأن نسبة الكلام إلى الله غير ممكن التوثق منها إلا عبر التوثق من صحة دلائل نبوة النبي المبلغ للكلام عن الله.

وإثبات وجود الله وحتمية التدين وصحة نبوة النبي هي مهام يقوم بها علم الكلام، ويتطرق علم الكلام لمقارنة الأديان ودراسة الفرق الإسلامية.

## دين الإسلام وعلومه

وفي ديننا دين الإسلام تتمثل رسالة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام في نصين أساسيين وهما القرآن، كلام الله الذي أوحاه على نبيه ليبلغنا إياه آية وتبياناً، فليس هو مجرد كتاب للرسالة فحسب، بل فوق وظيفة القرآن التعليمية التي يشبه فيها النصوص السابقة كالطورا والإنجيل (قبل تحريفهما) فإنه أيضاً كتاب تحدى الله العرب والناس من ورائهم أن يأتوا بمثله في بيانه وروعة بلاغته. ومع القرآن وحي آخر ولكن لم يُقصد به أن يكون آية بيانية، وإنما المقصد الأساسي منه أن يكون ترقية وتعليماً للمؤمنين، فهو امتداد للوحي القرآني الأول، وهو السنة النبوية التي يتكلم بها نبينا محمد ﷺ لكن بدون أن ينسب نصوصه لله ﷻ لكنه تكلم بها بوحي من الله.

وقد قام علماء المسلمين بتأسيس مجموعة كبيرة من الحقول المعرفية والتخصصات العلمية المتعلقة بالرسالة التي جاء بها النبي ﷺ، فكان من هذه الحقول والتخصصات تخصص يعتني بتفسير القرآن، وتخصص يعتني بشرح الحديث، وتخصص يعتني ببيان موضوعات العقيدة والأصول الكبرى للدين، وتخصص يعتني بالأحكام العملي المتعلقة بالتصرفات اليومية للفرد المسلم من ناحية الحلال والحرام، وهذا التخصص الأخير هو علم الفقه.

والفقه في النصوص على هذا الوجه يستلزم القيام بخطوتين أساسيتين:

الأولى: التحقق من ثبوت هذه النصوص للمتكلم بها.

الثاني: التحقق من تفسير النص تفسيرًا مطابقًا لمراد المتكلم به.  
تقوم بالوظيفة الأولى؛ وظيفة التثبت من صحة النصوص = علوم القرآن  
وعلوم الحديث.

وتقوم بالوظيفة الثانية؛ وظيفة التفسير: علوم العربية وأصول الفقه وأصول  
التفسير.

وكل من ليس متقنًا لهذه العلوم: علوم القرآن، علوم الحديث، أصول  
الفقه، النحو والصرف والدلالة والمعاني والبيان والبدیع = فليس مؤهلًا  
لا للاجتهد ولا للفتوى.

ولأن هذا التفقه في النص لا زال الناس يكتبون فيه من قرون = كان  
الوقوف على تراث هذه القرون والتمكن فيه مفتاحًا مهمًا من مفاتيح فقه  
النصوص، وهو مفتاح يؤمنك الزلل في استعمال هذه الأدوات، ويريك عمل  
العلماء قبلك في الوصل بينها وبين النص؛ لتتهدي بهم، فكان الإمام بما أنتجه  
فقهاء المسلمين عبر القرون = أداة تضاف للأدوات السابقة.

ولأن هذه العلوم السابق ذكرها، تتناول تفسير النص فقد وجدت علوم  
أخرى تعنى بصحة النص ودقة تفسيره، فلدينا نصاب، الأول هو القرآن، وعملية  
الاستيثاق وصحة النسبة فيه تتعلق بمراحل تلاوة النبي له والذين حفظوه عنه  
والذين جمعوه ودونوه، ويشغل بذلك من فروع المعارف الإسلامية: علوم  
القرآن.

أما السنة النبوية فهي أوسع ميادين التحقق من صحة النسبة، وتقوم بتلك  
المهمة علوم الحديث والسنة النبوية.

ويقوم علم التفسير ببيان معاني القرآن الكريم، ويقوم علم شرح الحديث  
ببيان معاني حديث النبي ﷺ، بالإضافة لتدخل علماء الاعتقاد والفقه والسلوك  
والأخلاق كل يبين معاني النصوص التي تتعلق بمجاله المعرفي.

وعمليات التفسير هذه لها مناهج متبعة يختلف فيها العلماء ويتفقون،  
ومناهج تفسير النص هي التي يهتم بها علم أصول الفقه.



وعلم أصول الفقه يعتني بتحديد القواعد التي على أساسها تتم عملية تفسير القرآن والسنة من أجل استخراج الأحكام العملية التي تتعلق بالحلال والحرام، ومعنى اسم تخصص أصول الفقه، أنه يعتني بمعرفة وتحديد القواعد التي على أساسها يتم تفسير النص تفسيراً له غرض معين هو معرفة أحكام الحلال والحرام. والحق أن هذه القواعد الخاصة بتفسير النص ليست محصورة في أنها تُستخدم من أجل استخراج أحكام الحلال والحرام فهي قواعد لتفسير النص الإسلامي في مختلف مجالاته وأغراضه، ولكن العناية بتحديد هذه القواعد بدأت أولاً بين علماء الفقه؛ نظراً لمركزية العمل اليومي في البناء الإسلامي؛ فمن أجل ذلك نسبت هذه القواعد للفقه، وكانت في موضوعات علم أصول الفقه مواضيع خاصة بنصوص الإسلام التي تتعلق بالفقه والأحكام العملية.

وفي المنطقة الواقعة بين الفقه والأصول تقع القواعد الفقهية ومباحث مقاصد الشريعة.

ويعتني علم التاريخ برصد الرحلة الزمنية لرسالة الإسلام وعلاقة المسلمين بالعالم، وللتاريخ فوائد شتى تتقاطع مع باقي العلوم الإسلامية.

وفي الفصول القادمة نتناول مقدمات تعريفية مختصرة بهذه العلوم السابق ذكرها، ولا شك أن التصور الكامل لخارطة العلوم الإسلامية لا يكتمل دون إلمام بعلوم العربية وآدابها وسيكون هذا موضوع كتاب آخر يصدر قريباً بإذن الله.



## ١- التفسير وعلوم القرآن

**علمُ القرآن العظيم:** هو أرفعُ العلوم قدرًا، وأجلُّها خطرًا، وأعظمُها أجرًا، وأشرفُها ذكرًا، وإنَّ أحقَّ ما صُرِّفت إلى علمه العناية، وبلغت في معرفته الغاية، ما كان لله في العلم به رضا، وللعالم به إلى سبيل الرشاد هُدًى، وإنَّ أجمعَ ذلك لباعيه، كتابُ الله الذي لا ريب فيه، وتنزيلُه الذي لا مِرْيَةَ فيه، الفائزُ بجزيل الذخر وسننِ الأجر تاليه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد<sup>(١)</sup>.

هناك فرق بين المصطلحات الثلاثة: (علوم القرآن - التفسير - أصول التفسير)، فعلم القرآن أوسع هذه المصطلحات، ويطلق على جملة من أنواع المعلومات المضبوطة ضبطًا خاصًا المتعلقة بالقرآن الكريم من حيث نزوله وجمعه وقراءته ومكيَّه ومدنيَّه وأسباب نزوله، وما إلى ذلك.

ويدخل تحته علوم التفسير والتي تختص بكل ما يتصل بتفسير القرآن وبيان معانيه.

وأخص من علوم التفسير أصول التفسير التي تعنى بالأصول التي ينبغي على من يرغب في فهم التفسير أو التأليف فيه الالتزام بها.

وقد ظهرت العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم حين نزل على النبي ﷺ، وبدأ النبي ﷺ بتبليغ معانيه كما بلغ ألفاظه.

(١) مقدمة «جامع البيان»، للطبري، (٧/١)، و«تفسير الإمام ابن جزي»، (١٠/١).

\* نشأ التفسير في عهد النبي ﷺ، وكان هذا التفسير على أنواع:

(١) فمنه ما يقع ابتداءً من النبي ﷺ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨]، فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ، فَبَدَّلُوا، وَقَالُوا: حِطَّةٌ، حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ»<sup>(١)</sup>.

(٢) ومنه ما يقع جواباً لسؤال أو إشكال يقع عند الصحابة -رضوان الله عليهم-، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ -تعالى-: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس: ٣٨]؟ قَالَ: «مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ»<sup>(٢)</sup>.  
وفي هذا العصر ظهر الكلام في علوم القرآن، تبعاً للكلام في التفسير، كالكلام عن: الناسخ والمنسوخ، والكلام في المكي والمدني، وكذلك في عصر الصحابة رضي الله عنهم.

\* وكان للتفسير في عصر الصحابة رضي الله عنهم، عدة ملامح، يُمكننا إجمالها في الآتي:

- (١) كان التفسير علماً مستقلاً قائماً بذاته.
- (٢) كان التفسير قائماً على الرواية، وكان لبعض الصحابة مجالس خاصة للتفسير، كعمر وابن مسعود.
- (٣) لم يظهر تدوين خاص بالتفسير.
- (٤) ظهور الاجتهاد في التفسير، وبروز القول بالرأي المحمود.
- (٥) ظهور الوجوه المتعدد للنصّ القرآن، وبروز اختلاف التنوع في تفسيراتهم.
- (٦) تمازج علوم القرآن في نصوص التفسير الواردة عن الصحابة، كالناسخ والمنسوخ والمبهمات ومشكل القرآن وغيرها.
- (٧) وقوع سؤالات من الصحابة لبعض أهل الكتاب أو من عنده علم بالكتب السابقة.

(١) أخرجه البخاري: (٤٤٧٩)، ومسلم: (٣٠١٥).

(٢) أخرجه البخاري: (٤٨٠٣)، ومسلم: (١٥٩).

(٨) ظهور بعض الأساليب التي يُستفاد منها في تأصيل أصول التفسير، كالاستدراك الذي وقع من بعضهم على بعض.

(٩) ظهور الانحراف في التفسير في آخر عهد الراشدين.

(١٠) كانت تفسيراتهم متنوعة، وشاملة لمعلومات القرآن من المبهمات، والغريب، وأسباب النزول، وغيرها<sup>(١)</sup>.

وقد بدأ التدوين في علوم القرآن بنوعين:

**الأول:** كتابة النسخ التفسيرية، فظهرت الكتابات الجزئية للتفسير، وذلك إمّا أن تكون رواية لتفسير أحد أعلام المفسرين؛ كمجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) الذي كتب تفسير شيخه ابن عباس رضي الله عنهما (ت: ٦٨هـ)، وإمّا أن تكون لعدد من المفسرين؛ كتفسير سفيان الثوري (ت: ١٦١هـ).

وفي هذين النوعين لم يصلنا تفسير كامل لجميع القرآن.

**والثاني:** الكتابة الشاملة لجميع القرآن، وقد نُسب هذا التصنيف على هذا الأسلوب للضحك بن مزاحم (ت: ١٠٥هـ)، ومنه كذلك تفسير مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ)، وهو كامل مطبوع، وتفسير يحيى بن سلام البصري (ت: ٢٠٠هـ)، وتفسيره لجميع القرآن، والموجود منه بعضه.

\* وهذه الكتابات في التفسير تشتمل في ثناياها على مسائل منثورة من أنواع علوم القرآن؛ كالناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، وبيان الغريب، والمكي والمدني، والقراءات، وغيرها من المسائل.

وليست هذه الأنواع في هذه الكتب على تصنيف معيّن، بل تأتي ضمن الكلام عن تفسير الآية؛ حيث يُذكر ما فيها من تفسير وبيان غريب، وذكر سبب نزول... إلخ.

\* وظهرت في هذه الفترة كذلك الكتابة الجزئية في علوم القرآن، كالمكي والمدني: فقد كتب فيه أعلام هذا العصر تحت عنوان (نزول القرآن)، وممن كتب

(١) مستفاد من محاضرات الشيخ مساعد الطيار حول تاريخ التفسير.

فيه: الضحاك بن مزاحم (ت: ١٠٥هـ)، وعكرمة (ت: ١٠٥هـ)، والحسن البصري (ت: ١١٠هـ)، والزهري (ت: ١٢٤هـ)، والناسخ والمنسوخ: كتب فيه قتادة (ت: ١١٧هـ)، والزهري (ت: ١٢٤هـ)، والوجوه والنظائر: ككتاب مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ)، وكتاب هارون الأعور (ت: ١٧٠هـ)، وكتاب يحيى بن سلام (ت: ٢٠٠هـ) بعنوان «التصريف».

\* وكذلك دخلت علوم القرآن في تدوين الحديث النبوي، ولو تفحصنا الكتب الستة وجدناها تحتوي جملة جيدة من أنواع علوم القرآن.

\* ومع تدوين علم أصول الفقه على يد الشافعي رحمته الله دخلت علوم القرآن كمباحث ضمن مباحث الأصول، كالمجمل، والعموم والخصوص، والناسخ والمنسوخ.

\* وقد استمرت الكتابة في التفسير، والكتابة في نوع من أنواع علوم القرآن في هذه المرحلة، وبعدها، وفيها كتابات كثيرة تفوق الحصر، وهو ليس مقصداً هنا، لكن يمكن التمثيل لبعضها على سبيل التذكير، فمن كتب التفسير: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، للطبري (ت: ٣١٠هـ)، و«المحرر الوجيز»، لابن عطية (ت: ٥٤٢هـ)، و«الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي (ت: ٦٧١هـ)، و«البحر المحيط»، لأبي حيان (ت: ٧٤٥هـ)، و«تفسير القرآن العظيم»، لابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، وغيرها كثيرٌ جداً جداً.

ومن كتب علوم القرآن المفردة: «فضائل القرآن»، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ)، و«تأويل مشكل القرآن»، لابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ)، و«أحكام القرآن»، للطحاوي (ت: ٣٢١هـ)، و«الناسخ والمنسوخ»، لأبي جعفر النحاس (ت: ٣٣٨هـ)، و«التبيان في إعراب القرآن»، للعكبري (ت: ٦١٦هـ)، و«البرهان في ترتيب سور القرآن»، لأبي جعفر بن الزبير الغرناطي (ت: ٧٠٨هـ)، وغيرها كثيرٌ جداً جداً.

ويمكن أن نقول: إنَّ هذه المرحلة تميَّزت بميزتين من جهة كتابة علوم القرآن عمَّا سبقها:

الأولى: وجود كتب التفسير التي قصد مؤلفوها بها أن تكون على ترتيب موضوعات علوم القرآن، حيث رتَّب كتابه على الموضوعات: التفسير، القراءات، الإعراب، الأحكام . . . إلخ. وبعضهم وإن لم يرتبها؛ فإنَّه نصَّ على الاعتناء بجملة من علوم القرآن، ومن هذه التفاسير:

(١) كتاب «الاستغناء في تفسير القرآن»، لمحمد بن علي بن أحمد، المعروف بالأذفوي (ت: ٣٨٨هـ).

(٢) كتاب «البرهان في تفسير القرآن»، لعلي بن إبراهيم بن سعيد، المعروف بالحوفي (ت: ٤٣٠هـ).

(٣) كتاب «الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه»، لمكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ).

الثانية: ظهور مجموعة من الكتب التي جمعت أنواعًا من أنواع علوم القرآن، ومن المطبوع من هذه الكتب:

(١) «فهم القرآن»، للحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣هـ).

(٢) «التنبيه على فضل علوم القرآن»، لأبي القاسم الحسن بن محمد بن الحسن بن حبيب (ت: ٤٠٦هـ).

(٣) «فنون الأفنان في علوم القرآن»، لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ).

(٤) «جمال القراء، وكمال الإقراء»، لعلم الدين السخاوي (ت: ٦٤٣هـ).

(٥) «المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز»، لأبي شامة المقدسي (ت: ٦٦٥هـ).

\* ويلاحظ في رصد ما كُتِب في علوم القرآن في هذه المرحلة أمور:

الأول: إنَّ بعض كتب التفسير عُنوت من قِبَل مؤلفيها بعلوم القرآن أو أحد مرادفاته، فهي وإن كانت لا تخلو من علوم القرآن، لكنَّها سارت على منهاج كتابة

التفسير المعروفة، وهي تفسير الآيات آية آية، وهي بهذا تكون في علم التفسير الذي هو جزء من علوم القرآن.

ومن هذه الكتب التي سارت على هذه الطريقة مع أن عنوان الكتاب في علوم القرآن:

(١) «الجامع لعلم القرآن»، لعلي بن عيسى الرماني المعتزلي (ت: ٣٨٤هـ)، وهو مخطوط، والموجود منه جزء صغير.

(٢) «التسهيل لعلوم التنزيل»، لابن جزي الكلبي (ت: ٧٤١هـ)، وهو مطبوع.

الثاني: إن إدخال كتاب في علوم القرآن لا يلزم أن يكون من أجل تسميته بهذا الاسم، بل الصحيح أن يُنظر إلى محتواه؛ لذا يُعدُّ كتاب «فهم القرآن»، للحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣هـ)، وكتاب «جمال القراء وكمال الإقراء»، لعلم الدين السخاوي (ت: ٦٤٣هـ) من كتب علوم القرآن لقيام الكتّابين على جملة من علوم القرآن، أما لو كانت علوم القرآن جزءًا من موضوع الكتاب، وليست قصدًا كما في كتاب «الرسالة»، للشافعي (ت: ٢٠٤هـ) = فإنه لا يُعدُّ من كتب علوم القرآن.

وعلى هذا التصنيف؛ فإن أول كتاب وصل إلينا في علوم القرآن هو كتاب الحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣هـ).

الثالث: إنه اتسعت الكتابة وكثرت في مجال كتب التفسير، والكتب المفردة في علوم القرآن، لكن لم يصلنا كتاب متكامل يقصد جمع كل علوم القرآن.

\* بعد ذلك؛ ظهر الجمع الكلي لمسائل علوم القرآن، فظهر كتاب «البرهان»، للزرکشي (ت: ٧٩٤هـ)، إلى كتاب «الإتقان»، للسيوطي (ت: ٩١١هـ)، والذي صار عمدة في كتب علوم القرآن، مع استحضار أنه لا زال التصنيف في التفسير مستمرًا، ومن ذلك: «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، لبرهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، وهو مطبوع، ولا زال التصنيف في علوم القرآن المفردة مستمرًا، ومن ذلك:



(١) «العجاب في بيان الأسباب»، لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، وهو مطبوع.

(٢) «مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور»، لبرهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، وهو مطبوع.

ومن الكتب التي ظهرت في تلك الفترة، وتسم بالجمع الكلي، كتاب: «مواقع العلوم من مواقع النجوم»، للبلقيني (ت: ٨٢٤هـ)، ويعدُّ تصنيفه لأنواع علوم القرآن من أجود أنواع التصانيف لها، وكتاب «التحبير في علوم التفسير»، للسيوطي (ت: ٩١١هـ).

وبالنظر إلى أنواع علوم القرآن التي كتبها الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) في «البرهان في علوم القرآن»، والبلقيني (ت: ٨٢٤هـ) في «مواقع العلوم من مواقع النجوم»، والسيوطي (ت: ٩١١هـ) في «التحبير في علم التفسير»، وفي «الإتقان في علوم القرآن» = يظهر أثر بعض العلوم في منهج كتابة أنواع علوم القرآن، فتجد جملة من مسائل علم الأصول، وعلوم البلاغة العربية، وعلوم الحديث قد دخلت في تصنيف أنواع علوم القرآن، حتى صارت كأنها منه عند قوم، ومُنْتَقَدَةٌ بكونها من هذه العلوم عند آخرين، وقد سبقت الإشارة إلى شيءٍ من سبب دخولها في كتب علوم القرآن.

\* وبعد كتاب «الإتقان» يكاد يكون التأليف في علوم القرآن قد توقف سوى بعض كتبٍ ظهرت، إمَّا تشقيقًا لما ذكره السيوطي (ت: ٩١١هـ)، كما فعل محمد بن أحمد بن عقيلة المكي (ت: ١١٥٠هـ) في كتابه «الزيادة والإحسان في علوم القرآن»، وإمَّا كتابةً لبعض أنواع علوم القرآن، كما فعل طاهر الجزائري (ت: ١٣٣٨هـ) في كتابه «التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان».

ولما دخلت مادة (علوم القرآن) في مناهج الجامعات ظهرت مجموعة من كتب علوم القرآن لأعضاء هيئة التدريس الذين درَّسوا هذا المنهج، فكان منها ما هو عالي الجودة في التأليف، وكان منها ما هو نقل بلا زيادة ولا تحقيق.

وفي العصر الحاضر ظهرت عدة مراكز بحثية اهتمت بالدراسات القرآنية، وأحدثت تجديدًا حقيقيًا في مسائل علوم القرآن<sup>(١)</sup>.

ولم تتوقف الكتابة في تفسير القرآن قديمًا ولا حديثًا، بل يجد الباحث في كل عصر من الأعصار عدة كتب في تفسير القرآن، وتبين معانيه للأمة.

من نافلة القول: إنَّ علوم القرآن لم تحظْ بما حظيت به العلوم الأخرى من اهتمام ملحوظ بنوع الكتابة المتننية، فكان رسم منهج يقوم على الفصل بين الدراسة بطريقة المتون، والدراسة بطريقة الكتب، فسيقوم هذا المنهج على مقارنة تقوم على المزج بين الطريقتين<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر في تاريخ علوم القرآن:

- ١- «علوم القرآن... تاريخه وتصنيف أنواعه»، د. مساعد الطيار، مجلة معهد الإمام الشاطبي.
  - ٢- «علوم القرآن بين الإتيان والبرهان»، د. حازم حيدر: (ص/٦٩-١٢٠).
  - ٣- «مناهل العرفان.. دراسة وتقويم»، د. خالد السبت.
  - ٤- «إسهامات المعاصرين في تجديد علوم القرآن»، عمرو الشرقاوي.
- (٢) تنبيه: هذا المنهج موضوع بالأساس لطلبة العلم، أمَّا مريد معرفة معاني كلام الله -تعالى-، فنوصيه بالتالي:

المرحلة الأولى: القراءة عن الكتاب:

وذلك بشحذ الهمة بقراءة الكتب التي تحدثت عن عظمته، وشوقته إليه، ورغبت فيه، والنصيحة: ألاَّ يستغرق الإنسان في قراءة هذه الكتب وينسى المقصود، وهو الكتاب نفسه. ومن الكتب المقترحة:

- ١- «هذه رسالات القرآن»، و«بلاغ الرسالة القرآنية»، للأستاذ الشيخ: فريد الأنصاري.
- ٢- «مدخل إلى التعريف بالمصحف الشريف»، للدكتور: حازم حيدر.
- ٣- «الطريق إلى القرآن»، للأستاذ: إبراهيم السكران.
- ٤- «المشوق إلى القرآن»، للأستاذ: عمرو الشرقاوي.

بعد ذلك: لا بُدَّ من جرد كتاب من كتب التفسير المناسبة لمستوى القاري، ومختصرات التفسير كثيرة جدًّا، والتفضيل بينها ليس بالأمر اليسير، وأغلبها متقاربة، وهذا السؤال معيق عن القراءة عند كثير من السائلين؛ لذلك: فإنَّ الإنسان لن يعدم فائدة إن اختار من الكتب التي يُنصح بها، ولن يفوته شيء كثير في الكتب التي تركها.

ويمكن مراجعة هذه الكتب في كتاب المشوق إلى القرآن.

= ولغير المتخصص فسأرشده إلى منهج يقترب ممّا يبحث عنه أكثر الناس من معاني تحتوي على لطائف وملح، وقبل ذلك فلا بُدّ من التنبيه على أنّه لا يوجد كتاب من كتب التفسير مُحضت لذكر اللطائف والملح، وتلك اللطائف لا يصح أصلاً أن تكون بمعزل عن أصل المعنى الذي أخذت منه.

١- لا بُدّ عليه أن يعرف المعنى الذي دلّت عليه الآية، ومن الكتب المعينة: (المعين لمجد مكي، وتفسير السعدي)، وسبب اختيار هذين الكتابين، يسرهما واعتناؤهما بشيء من اللطائف، وممّا يمكن أن يلحق بهما: المختصر في التفسير.

٢- اعتنى مركز تدبر بنشر لطائف الآيات في إصدارات متميزة تحت عنوان: «ليدبروا آياته»، ويُمكن أن يُحرص عليها، مع كتاب «أفياء»، للشيخ: عبد الله بلقاسم، ومتابعة جوال تدبر، وكتاب: «ليتفكروا»، للشيخ: عبد الله القرشي، وكتاب الشيخ: عبد العزيز الطريفي، ولهم جميعاً استنباطات لطيفة جداً، مع التزامهم بأصول البيان، والبعد عن التكلف والإغراب -غالبًا-.

٣- الاعتناء بقراءة كتب الشيخ: فريد الأنصاري، والاستماع إلى تفسير الصوتي والمنشور على الشبكة، وكذلك كتب الأستاذ: السكران، وغيرهم ممّن له عناية بهذا الباب.

٤- القراءة في كتب التفسير التي تعتنى باللطائف، ك«محاسن التأويل»، للقاسمي، و«الظلال»، لسيد قطب.

٥- القراءة عن مقاصد السور والآيات معين على استخراج كثير من اللطائف، وقليلة هي المصادر العامة والخاصة لهذا العلم، وهو باب يحتاج إلى كتابة، وتيسير للناس، وممّا يصلح لهذا الأمر:

- «أغراض السور في التحرير والتنوير»، د. محمد الحمد.

- «أسماء السور وفضائلها»، د. منيرة الدوسري، فقد تعرضت لشيء من ذلك.

- «جنى القلب الهائم»، لعدنان عبد القادر.

٦- الاهتمام بالاستماع للبرامج القرآنية، ومنها: (برنامج بينات على قناة المجد، وبرنامج التفسير المباشر على قناة دليل، وتفسير الشيخ الشعراوي).

٦- والباقي يعتمد على الإنسان نفسه في تثوير القرآن، شريطة ألا يتعجل نشر ذلك إلا بعد عرضه للتصويب أو التخطئة.



## ٢- التجويد والقراءات

### \* تعريف علم التجويد:

لغةً: يُطلق التجويدُ ويُراد به في اللغة التحسين والإتقان، والتجويد مصدر جوّده: أي صيّرَه جيّدًا، والجيد ضد الرديء<sup>(١)</sup>، ومعناه: انتهاء الغاية في إتقانه، وبلوغ النهاية في تحسينه، ولذلك يُقال: جوّد فلان في كذا، إذا فعل ذلك جيّدًا، والاسم منه الجودة، فتجويد القرآن: هو إعطاء الحروف حقوقها، وترتيبها مراتبها، وردُّ الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره وشكله، وإشباع لفظه، وتمكين النطق به على حال صيغته وهيئته، من غير إسراف ولا تعسف، ولا إفراط ولا تكلف، وليس بين التجويد وتركه إلا رياضة من تدبره بفكّه<sup>(٢)</sup>.

اصطلاحًا: إخراج كلِّ حرف من مخرجه، مع إعطائه حقه ومستحقه، فعلم التجويد يشتمل على ثلاثة أمور:

الأول: مخارج الحروف، وهو إخراج كل حرف من مخرجه.

الثاني: صفات الحروف الملازمة للحرف، أي: التي لا تنفك عنه كالجهر والشدة والاستفال والاستعلاء وغيرها ممّا يصحب في النطق متى ما قرأنا

(١) ينظر: «لسان العرب»، و«المعجم الوسيط»، مادة: (جود).

(٢) ينظر: «التحديد لأبي عمرو الداني»، (ص/٦٨).

الحرف، وهذا النوع من الصفات يوجد مع كل الحروف، وهذا ما تقرّر في التعريف بقولنا مع إعطائه حقه .

الثالث: وهي الصفات غير اللازمة، أي: الطارئة على الحرف، وهذه الصفات لا نجدها مع كل الحروف، بل مع بعضها، مثل صفة الترقيق الطارئة على حرف الراء الذي الأصل فيه التفخيم، وصفة التخليط الطارئة على اللام الذي الأصل فيه الترقيق، فهي صفات تتواجد عند النطق بالحرف إذا وجدت أسبابها وشروطها ولا توجد على الدوام.

**فالتجويد هو:** إخراج كل حرف من مخرجه مع إعطائه الصفات الملازمة له والصفات الطارئة عليه متى ما وجدت أسبابها وشروطها، وفقاً وابتداءً، من غير تكلف ولا تعسف، طبقاً لما قد نُقل إلينا بالتلقي من قراءة النبي ﷺ.

### \* فائدة علم التجويد:

صيانة اللسان من الوقوع في الخطأ واللحن في كتاب الله ﷻ، سواء كان هذا اللحن جلياً أو خفياً.

**واللحن الجلي:** هو الخطأ الذي يطرأ على الألفاظ، ويُخل بالمعنى المقصود للآية، ومثاله: استبدال حرف مكان آخر، أو تغيير حركة بأخرى، وهذا اللحن مُحَرَّم باتفاق العلماء.

**أما اللحن الخفي:** فهو الخطأ الذي لا يُغيّر المعنى، ولكن يُخالف قواعد التجويد، مثل: ترك الغنة، أو تقصير المد، أو غيره من الأحكام الفنيّة التي لا يُخل تركها بالمعنى، وهذا اللحن قد تنازع العلماء فيه، فقال البعض إنّه مكروه، وقيل: إنّه حرام، كما سيأتي تفصيل ذلك في حكم التجويد.

### \* واضح علم التجويد:

ينقسم وضع علم التجويد إلى قسمين:

(١) علم الدراية: وهو القواعد النظرية التي وضعها أئمة القراءة؛ فإنه لما انتشر الإسلام، وكثر الداخلون فيه من شتى بقاع الأرض إبان الفتوحات

الإسلامية، وحصل اللّحن عند بعضهم؛ وضع العلماء قواعد التجويد، وقد اختلف العلماء في تحديد أول من وضع هذه القواعد، وذكر ابن الجزري رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ أوَّل من أَلَّف فيه أبو مزاحم الخاقاني رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) علم الرواية: أيُّ التلاوة الصحيحة، وهذا مصدره الوحي المنزل على النبي ﷺ.

## \* حُكْمُ عِلْمِ التَّجْوِيدِ:

### (١) الدَّرَاسَةُ النَّظَرِيَّةُ:

أي معرفة قواعده وأحكامه ممَّا قد دون في كتب العلماء، فهذا فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط التكليف عن الآخرين، ويأثم الجميع لو ضاع بالكلية.

### (٢) الدَّرَاسَةُ التَّطْبِيقِيَّةُ:

وهذه تنقسم إلى قسمين:

الأول: التجويد بمعنى عدم الإخلال بالإعراب بما يُغيِّر مبنى الكلمة، أو يُغيِّر معناها وأحياناً يفسده - أي: ما يتعلَّق بالحركات الإعرابية، وهي الفتحة والضمة والكسرة والسكون، والإتيان بالمقدار الأصلي للمد، والحفاظ على النطق الصحيح والإفصاح عند نطق الحروف، فهذا لا خلاف بين العلماء في وجوبه، وأنَّه فرض عين على كل مُسلم حتى لا يختل المعنى.

الثاني: وهو التجويد بمعناه الاصطلاحي، أي ما يتعلَّق بالأمر الفني ممَّا لا علاقة له بالمعنى، ويشمل الأحكام التي وضعها علماء التجويد مثل أحكام النون الساكنة، وأحكام الميم الساكنة، والمدود وبقية الأحكام، وهذا القسم اختلف العلماء في حكمه على قولين:

القولُ الأوَّلُ: ذهب بعض أهل العلم إلى القول بالاستحباب وعمدتهم في ذلك أنَّ الأصل في التلاوة إبقاء المعنى سليماً، فمتى ما حصل ذلك حصل

المقصود من القراءة، أمّا سائر الأحكام التي لا يُخَلُّ تركُّها بالمعنى؛ فلا يلزم القارئ بها، وإنّما يستحب له الإتيان بها.

كذلك قالوا: إنّ من الأحكام ما يعسر على كبار القراء والمتمرسين في التلاوة، فكيف يجب ذلك على المبتدئ، والقاعدة الفقهية رفع المشقة عن المُكَلِّفِينَ.

كما قد علمنا أنّ قراءة الرسول ﷺ وصحابته كانت سهلة خالية من التكلّف.

**القول الثاني:** الوجوب والإلزام بشرط القدرة على التعلّم، فإذا تهاون المسلم عن التعلّم مع القدرة؛ أثم، وهذا مذهب جماهير أهل الأداء<sup>(١)</sup>.

أمّا من بذل الوسع واجتهد، وما أصاب حُسن التلاوة؛ فهذا لا يلزم إلاّ بالمثابرة والمداومة، بدليل قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

واستدلوا على ذلك بالكتاب والسنة، فمن القرآن قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾، وقوله ﷺ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، وقوله جلّ وعلا: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾، والترتيل وحقّ التلاوة هو التجويد كما ذكروا.

ومن السنة قالوا: لم يُعهد لا عن النبي ﷺ، ولا أحد من صحابته -رضوان الله عليهم- أنْ قد قرأ بدون أحكام التلاوة، فامتنع وجود القرينة الصارفة لمدلول ظاهر الآيات القرآنية ألا وهو الوجوب.

### \* الرجوع:

أنّ قراءة القرآن مُرتلاً بأحكامه الأصلية والفنية واجب وجوباً عينياً على كل مسلم قادر، فمن اجتهد، وأصاب حُسن الأداء؛ فقد أصاب السنة، وله الأجر، ولا إثم عليه، ومن لم يجتهد، فلم يُصِبْ حُسن الأداء؛ فعليه الإثم، ومن اجتهد

(١) ينظر: «الفصول المؤيدة»، (ص/٨٠)، و«غنية الطالبين»، (ص/٤٥)، و«الفوائد المسعدية»، (ص/٥٤)، و«نهاية القول المفيد»، (ص/٢١، ٢٢)، و«العقد الفريد»، (ص/٢١)، و«القول السديد في بيان حكم التجويد»، (ص/٤٠)، و«هداية المستفيد في أحكام التجويد»، (ص/٦)، و«منحة ذي الجلالين في شرح تحفة الأطفال»، (ص/٢١).



وثابر من أجل تحصيل حُسن الأداء ولم يُتقن؛ فلا شيء عليه إن شاء الله، لكن ينبغي عليه الاستمرار والمداومة، والله أعلم.

### \* المصنفاتُ في علم التجويد<sup>(١)</sup> :

بدأ علم التجويد منشورًا مُتفرِّقًا في كتب القراءات، كما أن مباحثه وأصوله ومسائله كانت متداخلةً في ثنايا كتب اختلاف القُرَّاء، ثم أُفرد هذا العلم بمصنفات خاصة به، وقد صُنِّفَت في هذا الفن مصنفات كثيرة، وفيما يلي تعدادٌ لأهمِّ هذه المصنفات دون حصر لها، وذلك على النحو التالي:

(١) «رَأْيَةُ أَبِي مزاحم الخاقاني» (ت ٣٢٥هـ)، وهو أوَّل مَنْ صَنَّفَ في علم التجويد، وهي أول ما نُظِمَ في هذا العلم، وعلى ذلك؛ فيكون بداية النظم في هذا العلم في أواخر القرن الثالث الهجري تقريبًا.

وقد استقصى الدكتور عبد العزيز عبد الفتاح القارئ ما نُظِمَ في علم التجويد؛ فلم يعثر على أقدم من هذا النص.

(٢) «نُويَّةُ عَلم الدين السخاوي» (ت ٦٤٣هـ)، والمسماة: «عُمدة المُفيد، وعُدَّة المَجيد في معرفة التجويد».

(٣) «الرَّعايةُ لتجويدِ القراءة وتحقيقِ لفظِ التلاوة»، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني، ثم القرطبي (ت ٤٣٧هـ).

(٤) «التحديدُ في الإِتقان والتجويد»، لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ).

(٥) «الموضُحُ في التجويد»، لعبد الوهاب بن محمد القرطبي (ت ٤٦١هـ).

---

(١) قام باستقصاء المصنفات والمؤلفات في علم التجويد الدكتور/غانم قدوري الحمد في أطروحته للدكتوراه، والتي كانت بعنوان: «الدراسات الصوتية عند علماء التجويد»، وقد أوصل المصنفات القديمة إلى تسعة وأربعين مصنفاً ما بين مطبوع ومخطوط، وقيد ذلك ما بين القرن الرابع، وهو بداية التأليف في هذا العلم، وأواخر القرن الثالث عشر من الهجرة النبوية الشريفة، وذكر كذلك جملة من المصنفات الحديثة ذكرًا سريعًا.

[انظر: الدكتور/غانم قدوري الحمد، «الدراسات الصوتية عند علماء التجويد»، (ص/٢٣-٥٩).]

(٦) «التمهيدُ في معرفة التجويد»، لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمداني  
العطار (ت ٥٦٩هـ).

(٧) «التمهيدُ في علم التجويد»، لإمام الحُفَّاظ وخاتمة المحققين،  
محمد بن محمد ابن محمد بن الجزري الشافعي (ت ٨٣٣هـ).

(٨) «المُقدِّمة فيما على قارئ القرآن أن يعلمه»، وتُعرف بـ «المُقدِّمة  
الجَزْرِيَّة»، وهي نظمٌ يتألَّف من (١٠٧) أبيات، وهي من أشهر كتب التجويد في  
العصور المتأخرة، وأكثرها تداولاً، وقد شُرحت شروحاً عدَّة، من أهمها:

(أ) «الحواشي المُفهِمة في شرح المُقدِّمة»، لأبي بكر أحمد بن محمد  
الجزري، ولَدِ المُؤَلِّف (ت ٨٣٥هـ).

(ب) «الحواشي الأزهرية في حلِّ ألفاظ المُقدِّمة الجَزْرِيَّة»، للشيخ خالد بن  
عبد الله الأزهري (ت ٩٠٥هـ).

(ج-) «الدقائقُ المُحكِّمة في شرح المُقدِّمة»، للقاضي زكريا بن محمد  
الأنصاري (ت ٩٢٦هـ).

(د) «المِنْحُ الفِكْرِيَّة على متن الجَزْرِيَّة»، لعلي بن سلطان محمد القاري  
(ت ١٠١٤هـ).

(٩) «جُهْدُ المُقِلِّ»، لمحمد بن أبي بكر الملقب بساجقلي زاده  
(ت ١١٥٠هـ).

(١٠) «نهاية القول المُفيد في علم التجويد»، لمحمد مكي نصر.

(١١) «أحكامُ قراءة القرآن الكريم»، لمحمود خليل الحصري (ت ١٤٠١هـ).

(١٢) «حَقُّ التَّلَاوَةِ»، لحسني شيخ عثمان.

(١٣) «هدايةُ القارئ في تجويدِ كلامِ الباري»، للشيخ السيد عجمي  
المرصفي (ت ١٤٠٨هـ).

(١٤) «تنقيحُ الوسيط في علمِ التجويد»، للدكتور محمد خالد منصور.

والتأليف متتابع في هذا الفنِّ ما بين مطول ومتوسط ومختصر.

## \* تعريف علم القراءات:

لغة: جمعُ قراءةٍ، وهي في اللُّغة مصدر قرأ، يُقال: قرأ، يقرأ، قراءة، وقرآناً، بمعنى تلا، فهو قارئ، والقرآن متلوٌّ<sup>(١)</sup>.

أمَّا علم القراءات: «فهو العلمُ الذي يُعنى بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم، واختلافها معزواً إلى ناقله»<sup>(٢)</sup>.

وقال بعض العلماء: «هو علمٌ بكيفيات أداء كلمات القرآن الكريم من تخفيف وتشديد، واختلاف ألفاظ الوحي في الحروف»<sup>(٣)</sup>.

وموضوع هذا العلم هو: كلمات القرآن من حيث أحوال النطق بها وكيفية أدائها، واستمداده من النقول الصحيحة المتواترة عن علماء القراءات الموصولة إلى رسول الله ﷺ.

والمُقرئ: مَنْ عَلِمَ بها أداءً، ورواها مشافهةً، فلو حَفِظَ كتاباً؛ امتنع إقراؤه بما فيه إن لم يشافهه من شيوخه مشافهة.

والقارئ المبتدئ: من أفرد إلى ثلاث روايات، والمنتهي: من نقل منها أكثرها.

## \* مصدر القراءات<sup>(٤)</sup>:

القراءات القرآنية المتواترة هي جملة ما بقي من الأحرف السبعة التي نزلت على النبي ﷺ، ومصدرها الوحيد هو الوحي الرباني الذي نزل به جبريل الأمين ﷺ على النبي ﷺ عن طريق النقل الصحيح المتواتر.

وليست القراءات القرآنية مأخوذة من خط العرب، أو رسم المصحف، أو اجتهاد الصحابة أو التابعين، فلا مجال للرأي والاجتهاد في تحديد قرآنية

(١) الفيروز آبادي، «القاموس المحيط»، (ص/٦٢).

(٢) ابن الجزري، «منجد المقرئين ومرشد الطالبين»، (ص/٣).

(٣) د/ محمد سالم محيسن، «القراءات وأثرها في علوم العربية»، (ص/١٦).

(٤) الدكتور/ عبد الهادي الفضلي، «القراءات القرآنية، تاريخ وتعريف»، (ص/٧٩، ١٠٥).

الرواية، ونسبة القراءات للقرّاء هي نسبة اختيار ودوام ولزوم ورواية واشتهار، لا نسبة اختراع ورأي واجتهاد.

### \* الفرق بين علمي التجويد والقراءات<sup>(١)</sup>:

علم التجويد يعتني بتحسين وتجويد الألفاظ القرآنية، من حيث إخراج كل حرف من مخرجه، وردّه إلى أصله، وترتيبه، وإعطاؤه حقه ومستحقه من الصفات، وبعض المسائل التجويدية المتعلقة بتحسين اللفظ، إضافة إلى الوقف الصحيح والابتداء الصحيح، وخلاصة القول: «إنّ العلم الذي يعتني بتصحيح النطق بالكلمات القرآنية بلا تعسّف ولا إفراط ولا تكلف».

والتجويد وإن كان صناعة علمية لها قواعد التي تعتمد على إخراج الحروف من مخرجها مع مراعاة صلة كل حرف بما قبله وما بعده في كيفية الأداء؛ فإنّه لا يكتسب بالدراسة بقدر ما يكتسب بالممارسة والمران ومحاكاة من يجيد القراءة.

أمّا علم القراءات فهو «العلم الذي يُعنى بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها معزّواً إلى ناقله»، وهو العلم الذي يُعنى بنقل الروايات القرآنية المروية عن النبي ﷺ.

وهذا لا يعني أنّ علم القراءات منفصل عن علم التجويد، بل إنّ علماء القراءات ينقلون هذه الروايات ويعلمونها طلابهم على وفق الكيفية الموجودة المروية عنه ﷺ، ولكنّ جُلّ اهتمامهم هو الاعتناء بهذه الروايات ونقلها، وضبطها؛ وإن كانت تُروى موجودة.

ويُمكن القول بأنّ علمي التجويد والقراءات يشتركان فيما يلي:

(١) أنّ كليهما يرتبط بألفاظ القرآن من جهة يختلف فيها عن الآخر.

(١) ينظر: متاع القطان، «مباحث في علوم القرآن»، (ص/١٨٨-١٩٠)، غانم قدوري الحمد،

«الدراسات الصوتية عند علماء التجويد»، (ص/٢٠، ٢١).

(٢) أنَّ القراءات القرآنية المعزوة إلى ناقلها لا يُمكن قراءتها منفكة عن الكيفية الموجودة التي أنزل القرآن بها، بمعنى أنَّ الأوجه المنقولة نُقلت مجودة.

\* ويختلفان في أمرين:

**الأمرُ الأوَّلُ:** من حيث الموضوع؛ فإنَّ علم التجويد لا يُعنى باختلاف الرواة، وعزو الروايات لناقلها، بقدر عنايته بتحقيق الألفاظ وتجويدها وتحسينها، وهو ممَّا لا خلاف في أكثره بين القُرَّاء؛ فإنَّ القُرَّاء عموماً متفقون على موضوعات مخارج الحروف والصفات، والقضايا الكلية للمد والقصر، وأحكام النون الساكنة والتنوين، والميم الساكنة، وغيرها.

**الأمرُ الثاني:** من حيث المنهج؛ فإنَّ منهج كتب القراءات هو المنهج النقلية؛ فإنَّ كتب القراءات كتب رواية، بخلاف كتب التجويد؛ فلا تعني بالرواية، ولكنَّها كتب دراية، تعتمد على درجة مقدرة القارئ في ملاحظة أصوات اللغة، وتحليلها، ووصفها حال أفرادها أو تركيبها.

\* **شُرُوطُ القِراءَةِ الصَّحيحةِ، وأنواعُ القِراءاتِ:**

تنقسم القراءات القرآنية عند القراء إلى قسمين في الجملة<sup>(١)</sup>:

(١) **القِسْمُ الأوَّلُ:** «القراءة المتواترة»، وهي القراءة التي توقَّرت فيها ثلاثة شروط، وهي شروط القراءة الصحيحة المقروء بها، وقد تناول ابن الجزري هذه الشروط في منظومته، فقال:

فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوِ      وَكَانَ لِلرَّسْمِ اِحْتِمَالًا يَحْوِي  
وَصَحَّ إِسْنَادًا هُوَ الْقُرْآنُ      فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَرْكَانُ<sup>(٢)</sup>

**الشُرْطُ الأوَّلُ:** «السند المتواتر»، يرى جمهور العلماء من الأصوليين، وفقهاء المذاهب الأربعة، والمُحدِّثين، والقُرَّاء أنَّ شرط القراءة الصحيحة هو التواتر، ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتواتر، والقراءة التي تُكتب بسند غير

(١) ابن الجزري، «مُجد المقرئين»، (ص/١٥)، وما بعدها.

(٢) «طيبة النشر في القراءات العشر»، لابن الجزري، (ص/٣) طبعة الحلبي بالقاهرة.

متواتر لا تُسمَّى قرآنًا ولا يقرأ بها؛ لأنَّ من تعريف العلماء للقرآن قولهم: «المنقول إلينا بالتواتر»<sup>(١)</sup>.

والتواتر: هو نقل جماعة عن جماعة تُحيل العادة تواطؤهم على الكذب من أوَّل السند إلى منتهاه.

وبناءً عليه؛ قَسَم العلماء القراءات ثلاثة أقسام:

أولاً: قسم متفق على تواتره، ولا خلاف عليه بين العلماء، وهو قراءات الأئمة السبعة.

ثانياً: وقسم مختلف فيه، والصحيح المشهور أنَّه متواتر، وهو قراءات الأئمة الثلاثة: أبو جعفر، ويعقوب، وخلف العاشر.

ثالثاً: وقسم متفق على شدوذه، وهو ما زاد على العشرة<sup>(٢)</sup>.

الشرط الثاني: «موافقة العربية»، أن يكون للقراءة وجهٌ شائع في العربية، بمعنى أن توافق وجهها مشهوراً، ومُعتدّاً به، ممَّا قاله النحاة، سواء أكان هو الوجه الأصح أم الصحيح؛ لأنَّ القراءة متى ثبتت بالسند المتواتر وموافقة رسم المصحف؛ فلا ينبغي أن تُردَّ، بل تُصبح هي حجة على قواعد النحو لا أن تكون قواعد النحو حجة عليها. وقد أحسن الكوفيون باحتجاجهم بقراءات حمزة: ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي سَاءَ لُونُ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾، بجرِّ الأرحام على أنه يجوز العطف على المجرور دون إعادة الجار، والبصريون المعارضون لهذا يقولون: إنَّ الأرحام جُرَّت على القسم تعظيماً لها، وحثاً على صلتها<sup>(٣)</sup>.

الشرط الثالث: «موافقة خطِّ المصحف»، وهذا الشرط يكاد يجمع عليه القُرَّاء؛ لأنَّهم يرون أنَّ مصاحف عثمان تَمَّت بإجماع الصحابة الذين قرَّروا إحراق ما عداها، ومن هنا كان الأخذ بأيِّ قراءةٍ مخالفةٍ يعني مخالفةً هذا الإجماع.

(١) «إرشاد الفحول»، للشوكاني، (ص/٢٩).

(٢) «إتحاف فضلاء البشر»، (ص/٧).

(٣) «إتحاف فضلاء البشر»، (ص/٧٥).

(٢) القسم الثاني: «القراءات الشاذة»، وهي التي فقدت الأركان الثلاثة أو واحدًا منها، بأن فقدت شرط التواتر، أو خالفت رسم المصحف تمامًا، أو خالفت وجوه اللغة العربية، وحينئذ لا يقرأ بها، ولا تُسمَّى قرآناً.

### \* نشأة علم القراءات والمراحل التي مرَّ بها<sup>(١)</sup>:

القراءات القرآنية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بنزول القرآن الكريم، وقد نزل القرآن على سبعة أحرف، وكان النبي ﷺ يُقرئ الصحابة رضي الله عنهم بهذه الأحرف، وكل واحد منهم يأخذ القراءة، ويقرأ ويُقرئ بحسب ما تعلّم، وانتشر الصحابة في الأمصار، وتلقّى منهم التابعون هذه الأحرف، وأخذ الأئمة عن التابعين، حتى وصلت إلى زمن التدوين.

ويمكن إجمال المراحل التي مرَّ بها هذا العلم الجليل على النحو التالي:

المرحلة الأولى: «القرآن والقراءات في زمن النبوة»، ويمكن إجمال هذه المرحلة بالنقاط التالية:

(١) تعليم جبريل عليه السلام النبي ﷺ القرآن والقراءات، وكان هدفها حفظ النبي ﷺ ما كان يلقاه من القرآن.

(٢) تعليم النبي ﷺ الصحابة القرآن الكريم، امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾.

(٣) تعليم بعض المسلمين بعضاً آي القرآن وسوره، وكان ذلك بأمر النبي ﷺ وإقراره، فأول من قدم إلى المدينة لتعليم المسلمين القرآن الكريم من أصحاب رسول الله ﷺ مصعب بن عمير، وإنه نزل دار القراء، وكان يُسمَّى بالمقرئ، وعبد الله بن أم مكتوم، ثم بلال، وعمار رضي الله عنهم، ولما فتح النبي ﷺ مكة ترك فيهم معاذ بن جبل رضي الله عنه لتعليم المسلمين القرآن.

(١) هذا المبحث مُستفاد من كتاب: «مقدمات في علم القراءات»، محمد مفلح القضاة، أحمد خالد شكرى، محمد خالد منصور (ص/٥٢، وما بعدها)، دار عمار (الأردن)، (٢٠٠١م).

(٤) ظهورُ طائفة من الصحابة يتدارسون كتاب الله ﷻ يُسمون بـ (القراء)، وهو بداية نشوء هذا المصطلح، وكانوا سبعين رجلاً شبيهة كانوا إذا أمسوا أتوا ناحية المدينة فتدارسوا القرآن، وهم الذين قتلوا في غزوة بدر معونة.

(٥) تصدي بعض الصحابة لحفظ القرآن عن ظهر قلب في زمن النبي ﷺ، ومنهم: أبو بكر الصديق، وأبي بن كعب (ت ٢٠هـ)، وعبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ)، وأبو الدرداء (ت ٣٢هـ)، وعثمان بن عفان (ت ٣٥هـ)، وعلي بن أبي طالب (ت ٤٠هـ)، وأبو موسى الأشعري (ت ٤٤هـ)، وزيد بن ثابت (ت ٤٥هـ) ﷺ، قال الذهبي عنهم: «فهؤلاء الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن في حياة النبي ﷺ، وأخذ عنهم عرضاً، وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة»<sup>(١)</sup>.

هذا؛ وكون هؤلاء الذين حفظوا القرآن على النبي ﷺ لا يعني أن غيرهم من الصحابة لم يحفظوا القرآن، ولكن هؤلاء هم الذين اشتهروا في الأخذ عنه.

المرحلة الثانية: «القرآن والقراءات في زمن الصحابة والتابعين»، ويمكن إجمال هذه المرحلة بالنقاط التالية:

(١) تلمذة جماعة من الصحابة والتابعين على جماعة من الصحابة ﷺ، فقد قرأ أبو هريرة، وابن عباس، وعبد الله بن السائب، وعبد الله بن عياش، وأبو العالية الرياحي على أبي بن كعب، وقرأ المغيرة بن أبي شهاب المخزومي على عثمان بن عفان، وقرأ الأسود بن يزيد النخعي على عبد الله بن مسعود.

(٢) بدأ أخذ بعض وجوه القراءة المختلفة، ونقلها بالرواية، وهذه النقطة لم تتعد القرن الأول الهجري، وبدأت تشيع ظاهرة اختلاف القراءات في النصف الأول من القرن الأول، كما يؤخذ من وفيات الصحابة ﷺ.

(٣) تعيين الخليفة عثمان بن عفان ﷺ مقرئاً خاصاً لكل مصر من الأمصار التي بعث إليها بمصحف، وتوافق قراءته قراءة أهل المصر المرسل إليهم في الأكثر الأغلب، وقد كتبت المصاحف على وفق العرضة الأخيرة، والمشهور أن

(١) الذهبي، «معرفة القراء الكبار»، (١/٣٩).



المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأمصار خمسة، وفي هذه المرحلة بدأ التمييز بين القراءات الصحيحة المعتبرة، والقراءات الأحادية والشاذة، وبدأت تنتشر الروايات الشاذة، وهذا التمييز أساسه التلقي وموافقة الرسم العثماني.

(٤) إقبال جماعة من كل مصر على المصحف العثماني؛ لتلقي القراءات وفق ما تلقاه الصحابة عن النبي ﷺ، وذلك على النحو التالي<sup>(١)</sup>:

(أ) في المدينة: معاذ بن الحارث، المعروف بمعاذ الفارسي (ت ٦٣هـ)، وسعيد ابن المسيب (ت ٩٤هـ)، وعروة بن الزبير (ت ٩٥هـ)، وعمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ) وعطاء بن يسار (ت ١٠٣هـ)، وسالم بن عبد الله بن عمر (ت ١٠٦هـ)، وغيرهم.

(ب) في مكة: عبيد بن عمير (ت ٧٤هـ)، ومجاهد بن جبر (ت ١٠٣هـ)، وطاووس بن كيسان (ت ١٠٦هـ)، وعطاء بن أبي رباح (ت ١١٥هـ)، وعبد الله بن أبي مليكة (ت ١١٧هـ)، وعكرمة مولى ابن عباس (ت ٢٠٠هـ)، وغيرهم.

(ج) في الكوفة: عمرو بن شراحيل (ت بعد ٦٠هـ)، وعلقمة بن قيس (ت ٦٢هـ)، ومسروق بن الأجدع (ت ٦٣هـ)، وعبيدة بن عمرو السلماني (ت ٧٢هـ)، وأبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي (ت ٧٤هـ)، وإبراهيم بن يزيد النخعي (ت ٩٦هـ)، وغيرهم.

(د) في البصرة: عامر بن عبد قيس (ت حوالي ٥٥هـ)، ويحيى بن يعمر العدواني (ت ٩٠هـ)، ونصر بن عاصم الليثي (ت قبل المائة هـ-)، وأبو رجاء العطاردي (ت ١٠٥هـ)، والحسن البصري (ت ١١٠هـ)، ومحمد بن سيرين (ت ١١٠هـ)، وغيرهم.

(هـ) في الشام: المغيرة بن أبي شهاب المخزومي (توفي نيف وسبعين من الهجرة)، وخليفة بن سعد صاحب أبي الدرداء، وغيرهم، وشملت هذه النقطة النصف الثاني من القرن الأول الهجري والنصف الأول من القرن الثاني الهجري.

(١) ابن الجزري، «النشر في القراءات العشر»، (٧/١)، وما بعدها.

(٤) تجرد قوم للقراءة والأخذ واعتنوا بضبط القراءة حتى صاروا أئمة يُقتدى بهم في القراءة، وقد أجمع أهل بلدهم على تلقي القراءة منهم بالقبول، ولتصديهم للقراءة نسبت القراءة إليهم، ومنهم:

(أ) بالمدينة: أبو جعفر يزيد بن القعقاع (ت ١٣٠هـ)، وشيبة بن نصاح (ت ١٣٠هـ)، ونافع بن أبي نعيم (ت ١٦٩هـ).

(ب) بمكة: عبد الله بن كثير (ت ١٢٠هـ)، وحميد بن قيس الأعرج (ت ١٣٠هـ)، ومحمد بن محيصة (ت ١٢٣هـ).

(ج) بالكوفة: يحيى بن وثاب (ت ١٠٣هـ)، وعاصم بن أبي النجود (ت ١٢٩هـ)، وسليمان بن مهران الأعمش (ت ١٤٨هـ)، وحمزة الزيات (ت ١٥٦هـ)، والكسائي (ت ١٨٩هـ).

(د) بالبصرة: عبد الله بن أبي إسحاق (ت ١٢٩هـ)، وعيسى بن عمر (ت ١٤٩هـ)، وأبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ)، وعاصم الجحدري (ت ١٢٨هـ)، ويعقوب الحضرمي (ت ٢٠٥هـ).

(هـ) بالشام: عبد الله بن عامر (١١٨هـ)، وعطية بن قيس الكلابي (ت ١٢١هـ) وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر، ويحيى بن الحارث الذماري (ت ١٤٥هـ)، وشريح بن يزيد الحضرمي (ت ٢٠٣هـ).

وكانت هذه الفترة تمهيداً للمرحلة التي بعدها، وهي فترة التدوين لروايات القراءات مع توفرها وبروزها ووضوحها.

**المرحلة الثالثة:** «بدء التأليف في القراءات والتدوين وتنامي هذا الاتجاه حتى نضوج علم القراءات، ونضوج التأليف فيه، واستقراره»، وذلك ضمن النقاط التالية:

(١) بدء التأليف في علم القراءات، وبدء عملية التدوين، وقد اختلف المؤرخون في أول من ألف في علم القراءات، فذهب الأكثر إلى أنه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، وذهب ابن الجزري إلى أنه أبو حاتم

السجستاني (ت ٢٢٥هـ)، وقيل غير ذلك، ولكن الذي يبدو أن يحيى بن يعمر (ت ٩٠هـ) هو أول من ألف في علم القراءات ثم تتابع التأليف من بعده.

(٢) تسبيع السبعة والاختصار على جمع مؤلفاتهم في مؤلف خاص، وذلك في كتاب «السبعة في القراءات»، لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي (ت ٣٢٤هـ)، وبدء ظهور شروط القراءة الصحيحة، وتمييز الصحيح من الشاذ؛ فإن اختيار ابن مجاهد السبعة يشعر بأن ما سواها شاذ، وقد قال بعد أن ترجم للسبعة: «فهؤلاء سبعة نفر من أهل الحجاز والعراق والشام، خلّفوا في القراءة التابعين، وأجمعت على قراءتهم العوام من أهل كل مصر من هذه الأمصار التي سميت، وغيرها من البلدان التي تقرب من هذه الأمصار، إلا أن يستحسن رجل لنفسه حرفاً شاذاً، فيقرأ به من الحروف التي رويت عن بعض الأوائل منفردة، فذلك غير داخل في قراءة العوام، ولا ينبغي لذي لب أن يتجاوز ما مضت عليه الأئمة والسلف بوجه يراه جائزاً في العربية أو ممّا قرأ به قارئ غير مجمع عليه»<sup>(١)</sup>.

والذي يُمعن نظره في هذا النصّ يجد أن ابن مجاهد يُعدُّ قراءة هؤلاء السبعة هي القراءات المجمع عليها، وما سواها ليس كذلك، وقد كان للعلماء في صنيع ابن مجاهد رأيان؛ فذهب جماعة منهم إلى لومه وتخطئته، وذهب آخرون إلى التماس العذر له، وبيان أنه لم يقصد أن هذه القراءات السبع هي المقصودة بالحديث، وأياً كان الأمر؛ فإنّ هناك أمراً مهمّاً دعا ابن مجاهد إلى القيام بهذا العمل.

قال مكّي: «إنّ الرواة عن الأئمة من القُرّاء كانوا في العصر الثاني والثالث كثيراً في العدد كثيراً في الاختلاف، فأراد الناس في العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التي توافق المصحف على ما يسهل حفظه، وتنضبط به القراءة، فنظروا إلى إمام مشهور بالثقة والأمانة وحسن الدين وكمال العلم، قد طال عمره واشتهر أمره، وأجمع أهل مصره على عدالته وثقته وعلمه، فأفردوا من كل مصر وجهه إليه

(١) ابن مجاهد التميمي، «السبعة في القراءات»، (ص/٨٧).

عثمان مصحفًا إمامًا هذه صفته، فكان هؤلاء السبعة في الأمصار، ومع ذلك لم تترك القراءة بقراءة غيرهم، كأبي جعفر ويعقوب وغيرهما»<sup>(١)</sup>.

وقد اشتهرت هذه القراءات السبع وتداولها الناس، وكان لمكانة ابن مجاهد العلمية أثرٌ كبيرٌ في هذه الشهرة، فضلًا عمَّا يتمتع به أصحاب القراءات السبع من مكانة علمية رفيعة.

(٣) بعد تسبيع السبعة، وتشذيد القراءات الشواذ، جاءت مرحلة الاحتجاج للقراءات في جوانبها اللغوية من صوتية و صرفية ونحوية.

(٤) توالى التأليف في القراءات السبع، ومن أبرز هذه الكتب «التيسير» لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)، ونظمه للإمام الشاطبي (ت ٥٩٠هـ)، وقد زادت شروحها عن (٢٩) شرحًا، وتُعد هذه النقطة هي الفاصلة للتفرقة بين القراءات الصحيحة والقراءات الشاذة، باشتهار كتاب «التيسير» ونظمه للشاطبي.

(٥) ثم جاءت مرحلة تفريد القراءات، وتسديسها، وتثمينها، وتعشيرها؛ دفعًا لما علق في أذهان كثيرين من أن الأحرف السبعة الواردة في الحديث الشريف هي القراءات السبع التي جمعها ابن مجاهد، قال أبو الفضل الرازي: «إنَّ الناس إنَّما ثمنوا القراءات وعشروها، وزادوا على عدد السبعة الذين اقتصر عليهم ابن مجاهد - لأجل هذه الشبهة - وإنِّي لم أقتف أثرهم تثمينًا في التصنيف أو تعشيرًا أو تفريدًا إلاَّ لإزالة ما ذكرته من الشبهة، وليُعلم أن ليس المُراعى في الأحرف السبعة المنزلة عددًا من الرجال دون آخرين، ولا الأزمنة ولا الأمكنة، وأنَّه لو اجتمع عدد لا يُحصى من الأمة، فاختار كل واحد منهم حروفًا بخلاف صاحبه، وجرَّد طريقًا في القراءة على حدة في أي مكان كان، وفي أي أوان أراد بعد الأئمة الماضين في ذلك - بعد أن كان ذلك المختار بما اختاره من الحروف بشرط الاختيار-؛ لما كان بذلك خارجًا عن الأحرف السبعة المنزلة، بل فيها متسع إلى يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

(١) مكِّي، «الإبانة»، (ص/٤٧، ٤٨).

(٢) ابن الجزري، «النشر»، (١/٤٣، ٤٤).

والمقصود بالتفريد؛ أفراد قراءة واحدة بالتأليف، والتسديس: ذكر ست قراءات في مؤلف واحد وهكذا.

والهدف من ذلك أمران:

الأول: إزالة ما توهمه كثيرون من أنّ القراءات السبع هي الأحرف السبعة.

الثاني: بيان أنّ هناك قراءات أخرى غير السبع مقبولة وصحيحة.

### \* القراءات القرآنية في عصرنا الحاضر:

كانت قراءات الأئمة العشرة منتشرة في الأمصار الإسلامية، يقرأ أهل كلِّ مصر وما حوله بقراءة إمامهم، واستمر الحال على ذلك قروناً، وذكر الداني أنّ إمام الجامع الكبير في البصرة لا يقرأ إلاّ بقراءة يعقوب<sup>(١)</sup>، وكان أهل مصر يقرؤون برواية ورش حتى القرن الخامس الهجري، ثم انتشرت بينهم قراءة أبي عمرو البصري<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أنّ الأمر استمر على هذا الحال زمنًا بعد ذلك، حتى امتد حكم الدولة العثمانية للبلاد العربية في القرن العاشر الهجري، فانتشرت رواية حفص عن عاصم في معظم العالم الإسلامي منذ ذلك الوقت بسبب اعتماد الدولة العثمانية لها، ثم طباعة المصحف بها، وازدادت انتشارًا في زماننا هذا بسبب كثرة المصاحف المطبوعة بها، وانتشار التسجيلات بها، وعبر الإذاعات ووسائل الإعلام المتعددة، فرواية حفص عن عاصم يقرأ بها معظم المسلمين في الدول الإسلامية وغيرها.

ويقرأ برواية قالون عن نافع، في ليبيا وأجزاء من تونس والجزائر.

وبرواية ورش عن نافع في غرب مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا وتشاد والكاميرون ونيجيريا وأغلب البلاد الأفريقية الغربية، وفي شمال وغرب السودان.

(١) عبد الرازق موسى، تحقيق: «الإيضاح على متن الدرّة»، (ص/٢٧).

(٢) الضباع، «الإضاءة»، (ص/٥٧).

ويقرأ برواية الدوري عن أبي عمرو في السودان والصومال، وحضرموت في اليمن.

أمّا المصاحف فنظراً لانتشار رواية حفص عن عاصم بين معظم المسلمين؛ فإنّ غالبية المصاحف تُطبع وفق روايته، وتأتي بعد ذلك المصاحف المطبوعة برواية ورش عن نافع، حيث طبعت في مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة وفي بلاد المغرب العربي وسوريا وقطر، وطبعت مصاحف برواية قالون في ليبيا وتونس والجزائر، ورواية الدوري في السودان والمدينة المنورة.

ويلاحظ القارئ في هذه المصاحف وجود اختلافات يسيرة بينها في الضبط وفي الحركات المثبتة على الألفاظ المُختلف فيها بين هذه الروايات، كما تختلف هذه المصاحف في رسم بعض الألفاظ تبعاً للمذهب الذي رسم به المصحف، وتختلف في عدد آياتها حسب العدد المعتمد لبلد القارئ، وهذه أشهر المصطلحات المستخدمة في المصاحف المطبوعة برواية غير رواية حفص عن عاصم:

#### (١) الدائرة المطموسة: لها أكثر من دلالة فهي:

(أ) تدلُّ على الهمزة المسهلة بين بين، نحو: ﴿كُلِّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾. (ب) تدلُّ على الهمزة المبدلة واوًا أو ياء، وتميز عن الدالة على الهمزة المسهلة بإثبات الحركة معها هنا دون المسهلة، مثل: ﴿السُّفَهَاءُ الْآلَاءُ﴾، وفي بعض المصاحف يُوضع بدلاً من الدائرة المطموسة ياء صغيرة تدلُّ على الهمزة المبدلة ياء، وواو صغيرة تدلُّ على الهمزة المبدلة واوًا.

(ج) تدلُّ على الإمالة أو التقليل، وفي بعض المصاحف تُستخدم علامة الشكل المعين للإمالة، وعلامة المثلث للتقليل.

(د) تدلُّ على الاختلاس في الألفاظ التي ورد فيها الاختلاس من بعض القراء مثل: ﴿لَا تَعْدُوا﴾ على رواية قالون، ومن وافقه.

(هـ) تدلُّ على الإشمام في الألفاظ التي ورد فيها الإشمام عن بعض القراء مثل: ﴿سَيِّءٌ بِهِمْ﴾ عند نافع، ومن وافقه.

(٢) تستخدم بعض المصاحف عددًا من علامات الضبط الأخرى المعمول

بها عند المغاربة مثل:

(أ) علامة السكون: دائرة مغلقة تشبه علامة الحرف المزيد رسمًا.

(ب) الضمة: واو صغيرة حذف رأسها (د).

(ج) عدم نقط أربعة حروف إذا وقعت متطرفة أي في آخر الكلمة، وهي

الحروف المجموعة بكلمة: ينفق.

(د) علامة الإدغام الناقص: بإثبات السكون على الحرف المدغم وتشديد

الحرف المدغم فيه.

(هـ) علامة الوقف: رأس صاد، مأخوذ من كلمة: «صه».

وبعد أن مرت مدة من الزمن، قلَّ فيها متلقو علم القراءة والباحثون في

دقائقه، واكتفى أكثر الناس بتعلم الرواية المشتهرة، وهي رواية حفص عن

عاصم، ظهرت بحمد الله نهضة علمية في هذا العلم الجليل، وبدأ طلبة العلم

يقبلون على علم القراءات، وعاد الاعتناء بالتلقي والإجازة يأخذ موقعه المتميز،

ورافق ذلك إنشاء عدد من المعاهد والأقسام العلمية والكلية والجمعيات تُعنى

بتعليم القراءات، ومنها:

أولاً: (معهد القراءات بالقاهرة)، أنشئ سنة (١٣٦٥هـ-١٩٤٦م)، وتُدرس

فيه القراءات العشر من طريقي الشاطبية والدُّرّة، ثم من طريق الطيِّبة، وقد تولَّى

التدريس فيه نخبة من كبار علماء القراءات أمثال: محمد بن محمد جابر

المصري، محمود حافظ برانق، محمد سليمان صالح، عامر السيد عثمان،

عبد العظيم الخياط وغيرهم.

ثانياً: (كلية القرآن الكريم بالمدينة المنورة)، أنشئت عام (١٣٩٤هـ)،

وتُدرس فيها القراءات العشر من طريقي الشاطبية والدُّرّة، ومواد التفسير، وعلوم

القرآن، ورسم المصحف وضبطه، وعدُّ الآي، وتوجيه القراءات، ومناهج

المفسرين، والتوحيد، والسيرة، والإعجاز وغيرها من المواد.

**ثالثاً:** (جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بالسودان)، أنشئت سنة (١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، وتضم ست كليات، ولها فروع متعددة في مدن السودان، وتُعنَى كلية القرآن الكريم بتعليم القراءات العشر وغيرها من علوم القرآن الكريم والعلوم الشرعية.

**رابعاً:** (الكلية العليا للقرآن الكريم باليمن)، أنشئت عام (١٩٩٤م)، وتمنح درجة البكالوريوس، والإجازة بالسند في القراءات.

**خامساً:** (قسم القراءات القرآنية بجامعة البلقاء التطبيقية بالأردن)، وهو حديث الإنشاء، حيث التحق الفوج الأول به في العام الدراسي (٢٠٠٠/٢٠٠١م)، وقد وضعت له خطة دراسية يتقن الطالب من خلالها القراءات العشر من طريقي الشاطبية والدرة، ويتعرّف إلى طيبة النشر، والقراءات الشاذة، وأعلام القراء، وتوجيه القراءات، والإعجاز القرآني، ورسم المصحف إلى غير ذلك من العلوم الشرعية.

ويوجد كثير من المدارس والمعاهد وحلقات العلم والمراكز في جميع أنحاء العالم الإسلامي وخارجه حيث يوجد مسلمون، يُدرّس فيها أحكام تلاوة القرآن الكريم، وعلومه المتعددة، كما تُجرى المسابقات العالمية في أقطار متعددة بين حفظة القرآن الكريم، والمقبلين على تعلمه برواياته المتعددة وقراءاته العشر المتواترة.

### أشهر مصطلحات كتب القراءات<sup>(١)</sup>:

- (القراءة، والرواية، والطريق): يُقال: قراءة فلان إذا نُسبت لأحد القراء السبعة أو العشرة، أو غيرهم ممن تتوافر لقراءتهم شروط القبول التي ذكرناها كأن يُقال: قراءة نافع، أو قراءة ابن كثير، أو قراءة حمزة وهكذا، أو ممن لا تتوافر فيهم الشروط كأصحاب القراءات الشواذ.

(١) يُنظر: ابن الجزري، «النشر في القراءات العشر»، (١/٣٠٤-٣٣٨)، الضباع، «الإضاءة في بيان أصول القراءة»، (ص/٥-٥٦)، الحموي، «القواعد والإشارات في أصول القراءات»، (ص/٤٢-٥٤)، «إتحاف فضلاء البشر»، (ص/٨٨).



وأما الرواية: فهي التي تُنسب لأحد الرواة عن القارئ، كأن يُقال رواية حفص عن عاصم، أو رواية قالون عن نافع، أو رواية البزّي عن ابن كثير، ولا تلزم في الرواية المعاصرة للقارئ والطريق.

والطريق: يُطلق على ما ينسب للآخذ عن الراوي ولو سفل.

- (الأصول): مسائل علم القراءات التي لها قاعدة معينة تندرج فيها الجزئيات، مثل: الإدغام، والمد، والإمالة، ونحوها، وقد يُخالف بعض القراء القاعدة في كلمات يسيرة.

- (الفرش): الألفاظ القرآنية التي اختلف فيها القراء، والتي لا تندرج ضمن قواعد ومسائل أصول القراءة، وسميت بالفرش لانتشارها وتفرقها في السور؛ فإنَّ فرش الشيء: نشره وبثه.

- (الإبدال): هو قلب الهمزة حرف مدّ من جنس حركة ما قبلها، وأصل الإبدال للهمزة الساكنة، فتُبدل الساكنة بعد ألفاً نحو: «البأس»، وتبدل الساكنة بعد كسر ياءً نحو: «لبئس»، وتُبدل الساكنة بعد ضم واوًا نحو: «مؤمن»، وتُبدل الهمزة المتحركة حسب حركة ما قبلها، فتُبدل المفتوحة بعد ضم واوًا نحو: «مؤدّن»، وتُبدل المفتوحة بعد كسر ياءً نحو: «من السماء آية»، وتُبدل المفتوحة بعد الفتح ألفاً مثل: «ميساتة».

- (التسهيل): هو النطق بالهمزة بحالة متوسطة بين الهمزة المحققة، وبين حرف المدّ المجانس لحركتها، فتُسهل الهمزة المفتوحة بجعلها بين الهمزة والألف نحو: «أأنتم»، وتُسهل الهمزة المضمومة بجعلها بين الهمزة والواو نحو: «أبناؤكم»، وتُسهل الهمزة المكسورة بجعلها بين الهمزة والياء نحو: «اعلموا أنكم».

- (الإسقاط أو الحذف): هو إزالة الهمزة بحيث لا يبقى لها صورة ولا أثر، ويكون بحذف إحدى الهمزتين المتلاصقتين نحو: «جأ أمرنا»، وبحذف الهمزة في نحو: «جاء» عند الوقف بقصرها لهشام وحمزة، على وجه أنّ الهمزة أُبدلت ثم حُذفت.

- (النقل): تحريك الحرف الواقع قبل الهمزة بحركتها، ثم تحذف الهمزة من اللفظ، فالنقل يكون إلى حرف ساكن صحيح منفصل واقع قبل الهمزة نحو: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا»، «قُلْ أَوْحِي»، «بِالْإِيمَانِ»، فيُحْرَك الساكن بحركة الهمزة التي تُحذف لفظًا.

- (الإمالة): هي تقريب الفتحة من الكسرة، والألف من الياء، من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ فيه، وتُسمى: الإمالة الكبرى، والإضجاع، والبطح، والإمالة المحضنة.

- (التقليل): هو النطق بالألف بحالة بين الفتح والإمالة، وتسمى: بين بين، وبين اللفظين، والتلطيف، والتوسط والإمالة الصغرى.

- (الرَّوْم): هو تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها، أو: هو الإتيان ببعض الحركة بحيث يسمعها القريب المصغي دون البعيد، ويُقدَّر الباقي من الحركة بثلاثها، ويكون الرَّوْم في المرفوع والمجرور.

- (الإشمام): هو الإشارة بالشفيتين على هيئة من ينطق بالضممة بعيد تسكين الحرف، فهو إشارة بلا صوت، ويكون في المرفوع فقط.

وفائدة الوقف بالرَّوْم وبالإشمام: تبين حركة الحرف الموقوف عليه، وهي مهارةٌ تدلُّ على تمكُّن من النطق وإجادة له.

ويأتي الإشمام عند علماء القراءات بمعانٍ أخرى غير هذا، وهي:

(١) (خلط صوت الصاد بالزاي)، وذلك في نحو: الصُّرَاط، يُصْدِرَ عند مَنْ قرأ به.

(٢) (خلط الكسرة بالضممة): وذلك في نحو قِيلَ وَغِيضَ عند مَنْ قرأه بالإشمام، وكيفيته هنا أن يتلفظ القارئ بحركة مركبة من جزأين ضمة وكسرة، جزء الضمة أولاً وهو الأقل، يليه جزء الكسرة وهو الأكثر.

(٣) (ضم الشفتين مقارنةً لسكون الحرف المدغم)، وذلك في لفظ «تَأْمَنَّا» على أحد الوجهين فيه لمعظم القراء.

ويختلف الإشمام في هذه الحالات الثلاثة عنه في الحالة الأولى، ففي هذه الثلاثة يكون الإشمام حالة الوصل، بخلاف الحالة الأولى التي يكون الإشمام فيها وفقاً .

- (الاختلاس): هو النطق بمعظم الحركة، ويُقدَّر بثلاثيها، وكيفيته أن يسرع القارئ حال النطق بالحركة حتى يذهب شيء منها، على أن يكون الثابت منها أكثر من الذاهب، ويكون الاختلاس في الحركات الثلاث عند من وردت عنه القراءة به، كما في لفظ «تَعْدُوا» عند من اختلس فتحة العين و«يَخِصُّمُونَ» عند من اختلس كسرة الخاء، ويأْمُرُكُمْ عند من اختلس ضمة الراء.

### \* التعريف بالقراء العشرة<sup>(١)</sup>:

أولاً: (نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم)، أبو عبد الرحمن الليثي مولاهم، المدني إمام أهل المدينة في القراءة وأحد القراء السبعة الأعلام. أصله من أصبهان، وأخذ القراءة عرضاً عن جماعة من تابعي أهل المدينة: عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وأبي جعفر يزيد بن القعقاع، وشيبة بن نصاح، ويزيد بن رومان، ومسلم بن جندب، وصالح بن خوات، والأصبغ بن عبد العزيز النحوي، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، والزهري. قال نافع: «قرأت على سبعين من التابعين».

وروى القراءة عنه عرضاً وسماعاً إسماعيل بن جعفر، وعيسى بن وردان، وسليمان بن مسلم بن جماز، ومالك بن أنس وهم من أقرانه، وإسحاق بن محمد، وأبو بكر وإسماعيل ابنا أبي أويس، ويعقوب بن جعفر، وعبد الرحمن بن أبي الزناد، وعيسى بن مينا قالون، وسعد بن إبراهيم وأخوه يعقوب، ومحمد بن عمر الواقدي، وغيرهم من أهل المدينة.

وموسى بن طارق أبو قرعة اليماني، وعبد الملك بن قريب الأصمعي، وخالد بن مخلد القطواني، وأبو عمرو بن العلاء، وأبو الربيع الزهراني،

(١) هذه التراجم مُستفادَة من «غاية النهاية في طبقات القراء»، لابن الجزري.

وخارجة بن مصعب الخراساني، وعثمان بن سعيد (ورش)، وعبد الله بن وهب، والليث بن سعد، وغيرهم من أهل مصر.

وعتبة بن حماد الشامي، وأبو مسهر الدمشقي، والوليد بن مسلم، وعراك بن خالد، وخُوَيْلِد بن معدان، وهؤلاء من أهل الشام.

وكردم المغربي، وأبو الحارث، وعبد الله بن إدريس الأودي، والغاز بن قيس الأندلسي عرض عليه القرآن وضبط عنه اختياره.

أَقْرَأَ نافعُ الناسَ دهرًا طويلًا أكثر من سبعين عامًا، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالمدينة المنورة، ولما حضرته نافعًا الوفاة قال له أبناؤه: «أوصنا». قال: «اتقوا الله، وأصلحوا ذات بينكم، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين».

تُوفِيَ سنة (١٦٩هـ)، وقيل (١٧٠هـ)، وقيل غير ذلك.

#### - راويًا نافع:

(١) (قالون): واسمه عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى الزرقي (أبو موسى) مولى بني زهرة، ومُعلِّم العربية، وقارئ المدينة، ونحويها، لقبه نافع (قالون) لجودة قراءته؛ لأنَّ معناها بلغة الروم (جيد) قرأ على نافع سنة (١٥٠هـ)، وختم عليه ختمات عديدة، كما أخذ على آخرين منهم عيسى بن وردان أحد رواة أبي جعفر.

أما تلاميذه؛ فمنهم: ابنه إبراهيم وأحمد، وإبراهيم بن الحسين الكسائي، وإبراهيم بن محمد المدني، وأحمد بن صالح المصري، وأحمد بن يزيد الحلواني وغيرهم.

وكان قالون أصم شديد الصمم، وكان يقرأ عليه القرآن فينظر إلى شفتي القارئ، ويرد عليه اللحن والخطأ.

وتوفي سنة (٢٢٠هـ) بالمدينة المنورة.

(٢) (وَرش): اسمه عثمان بن سعيد بن عبد الله، أبو سعيد المصري، لقبه نافع (ورشًا) لبياضه، والورش شيء أبيض يصنع من اللبن، وقيل غير ذلك، وغلب عليه هذا اللقب حتى صار لا يعرف إلا به.

هو شيخ القراء والمحققين بمصر في زمانه، ولد بمصر سنة (١١٠هـ)، ورحل إلى نافع بالمدينة، فعرض عليه القرآن عدة ختمات، وذلك سنة (١٥٥هـ). وعرض عليه القرآن كثيرون، منهم: أحمد بن صالح، وداود بن أبي طيبة، وأبو الربيع داود بن سليمان المهري، وأبو الأشعث عامر بن سعيد الجرشي، وعبد الصمد بن عبد الرحمن، وأبو يعقوب الأزرق وغيرهم. تُوفي ورش رَضِيَ اللهُ بِمُصْرَ سنة (١٩٧هـ).

**ثانياً: (ابن كثير المكي)**، عبد الله بن كثير، أبو معبد المكي الداري، وفي هذه النسبة أقوال: منها أنه كان عَطَّارًا، والعطار تسمية العرب داريًا؛ لأنَّ العطر إثمًا يجلب من دارين بالبحرين، ومنها أنه من بني الدار رهط تميم الداري، ومنها أنه الذي لا يبرح داره ولا يطلب معاشًا، والصواب الأول.

ولد بمكة عام (٤٥ للهجرة)، ولقي كثيرًا من الصحابة منهم: عبد الله بن الزبير، وأبو أيوب الأنصاري، وأنس بن مالك، كما لقي مجاهد، ودرباس مولى ابن عباس، وروى عن هؤلاء، وأخذ القراءة عرضًا عن عبد الله بن السائب، ومجاهد، ودرباس.

وروى القراءة عنه: إسماعيل بن عبد الله القسط، وإسماعيل بن مسلم، وجريير بن حازم، والحارث بن قدامة، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وخالد بن القاسم، والخليل بن أحمد، وسليمان بن المغيرة، وعبد الملك بن جريج، وابن أبي فديك، وابن أبي مليكة، وسفيان بن عيينة، والرحال، وأبو عمرو بن العلاء، وغيرهم.

وكان فصيحًا بليغًا مَفْوَّهًا، ذا سكينه ووقار، عالما بالعربية، ولم يزل هو الإمام المجتمع عليه في القراءة بمكة حتى مات سنة (١٢٠هـ).

- راويا ابن كثير المكي:

(١) (البزي): أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة، مقرئ مكة ومؤذن المسجد الحرام ولد سنة (١٧٠هـ)، وقرأ على أبيه، وعبد الله بن زياد وعكرمة بن سليمان ووهب بن واضح.

وقرأ عليه إسحاق بن محمد الخزاعي، والحسن بن الحباب، وأحمد بن فرح، وأبو ربيعة محمد بن إسحاق، ومحمد بن هارون، وموسى بن هارون، ومضر بن محمد الضبي، وأبو علي الحداد، وغيرهم.

تُوفي البزي سنة (٢٥٠هـ) بمكة وله ثمانون سنة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) (قُنبل): هو محمد بن عبد الرحمن بن خالد المخزومي مولاهم، أبو عمر المكي، شيخ القراء بالحجاز في زمانه، لقبه (قنبل)؛ لأنه من أهل بيت بمكة يعرفون بالقنابلة، ولد سنة (١٩٥هـ).

أخذ القراءة عرضاً عن أحمد بن محمد بن عون النبال، وروى عن البزي، أما تلاميذه فمنهم أبو ربيعة محمد بن إسحاق، ومحمد بن عبد العزيز بن عبد الله ابن الصباح، وإسحاق بن أحمد الخزاعي، ومحمد بن حمدون، والعباس بن الفضل، وأحمد بن محمد بن هارون، وأحمد بن موسى بن مجاهد، ومحمد بن أحمد بن شنبوذ... وغيرهم.

انتهت إليه رئاسة الإقراء بالحجاز، ورحل الناس إليه من الأقطار. توقف عن الإقراء قبل وفاته بسبع سنين، حيث طعن في السنّ وشاخ، وتُوفي سنة إحدى وتسعين ومائتين بمكة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن ست وتسعين سنة.

ثالثاً: (أبو عمرو البصري)، زبّان بن العلاء ابن العريان بن عبد الله التميمي المازني البصري أبو عمرو.

وُلد بمكة سنة ثمان وستين للهجرة، وبدأ يطلب العلم يافعاً، فقرأ بمكة والمدينة والكوفة والبصرة، ولقي كثيراً من العلماء والشيوخ، وحظي بالسماع من بعض الصحابة، كأَنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقرأ على الحسن البصري، وسعيد بن جبير، وعاصم بن أبي النجود، وابن كثير المكي وغيرهم.

وكان يُقرئ الناس القرآن في مسجد البصرة، وروى القراءة عنه عرضاً وسماعاً أحمد بن محمد بن عبد الله الليثي، وإسحاق بن يوسف بن يعقوب الأزرق، والأصمعي، وعبد الوارث بن سعيد، ويحيى اليزيدي وغيرهم.

وبقي أبو عمرو يُقَرَأُ الناس ويعلمهم حتى كانت وفاته سنة أربع وخمسين ومائة بالكوفة.

### - راويا أبي عمرو البصري:

(١) (الدوري): حفص بن عمر بن عبد العزيز، أبو عمر الدوري النحوي، والدوري نسبة إلى الدور، موضع ببغداد، إمام القراءة وشيخ الناس في زمانه، ثقة ثبت كبير ضابط . . . رحل في طلب القراءات، وقرأ بسائر الحروف السبعة، وبالشواذ وسمع من ذلك شيئاً كثيراً.

قرأ على إسماعيل بن جعفر عن نافع، وعلى أخيه يعقوب بن جعفر عن ابن جمار عن أبي جعفر، وسليم عن حمزة، ومحمد بن سعدان عن حمزة، وعلى الكسائي لنفسه، ولأبي بكر عن عاصم، وحمزة بن القاسم عن أصحابه، ويحيى اليزيدي، وشجاع بن أبي نصر البلخي.

وقرأ عليه وروى القراءة عنه أحمد بن حرب شيخ المطوعي، وأحمد بن يزيد الحلواني، وأحمد بن مسعود السراج، وإسحاق بن إبراهيم العسكري، وإسماعيل بن أحمد، وإسماعيل بن يونس بن ياسين، وعبد الرحمن بن عبدوس، ومحمد بن حمدون القطيعي.

توفي سنة (٢٤٦هـ) رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) (السوسي): صالح بن زياد بن عبد الله الرستبي، أبو شعيب السوسي الرقي.

أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن يحيى اليزيدي، وهو من أجل أصحابه، وروى القراءة عنه ابنه محمد (أبو المعصوم)، وموسى بن جرير النحوي، وأبو الحارث محمد بن أحمد الطرسوسي الرقي، وأحمد بن محمد الرافقي، وأحمد بن حفص المصيبي، ومحمد بن سعيد الحراني، وعلي بن محمد السعدي، وأحمد بن يحيى الشمشاطي، ومحمود بن محمد الأديب الأنطاكي، وموسى بن جمهور، وأحمد بن شعيب النسائي الحافظ، وجعفر بن سليمان المشحلائي وغيرهم.

تُوفي في أول سنة (٢٦١هـ) وقد قارب السبعين .

رابعًا: (عبد الله بن عامر الشامي)، عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبي، أبو عمران، إمام أهل الشام وشيخ القراء بها، وُلد في السنة الثامنة للهجرة وفي ضيعة يقال لها (رحاب)، وهي اليوم بلدة صغيرة تابعة لمحافظة المفرق في شمال الأردن .

وقد أخذ القراءة عرضًا عن أبي الدرداء، والمغيرة بن أبي شهاب المخزومي، وفضالة بن عبيد، وصار رأسًا وإمامًا في القراءة والإقراء، وعاش بين أهل دمشق دهرًا طويلًا، نذر نفسه للقرآن والعلم والدعوة، وتولى عددًا من المناصب، حيث كان إمام الجامع بدمشق، وهو الذي كان ناظرًا على عمارته حتى فرغ، كما ولي القضاء بدمشق بعد أبي إدريس الخولاني .

وقد أخذ القراءة عنه يحيى بن الحارث الذماري، وإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، وخلاّد بن يزيد بن صبيح المري، ويزيد بن أبي مالك، بالإضافة إلى مئات ممّن أخذوا عنه وأفادوا من علمه .

تُوفي ابن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بدمشق يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة ومائة، بعد أن بلغ مائة وعشر سنوات .

#### - راويا ابن عامر الشامي :

(١) (هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة)، أبو الوليد السلميّ، الدمشقي، إمام أهل دمشق وخطيبهم، ومقرئهم ومفتيهم ومحدثهم .

أخذ القراءة عرضًا عن أيوب بن تميم، وعراك بن خالد وسويد بن عبد العزيز، والوليد بن مسلم، وصدقة بن خالد، ومدرك بن أبي سعد، وعمر بن عبد الواحد .

وروى القراءة عنه أبو عبيد القاسم بن سلام، وأحمد بن يزيد الحلواني، وأحمد بن أنس، وإبراهيم بن دحيم، وإسحاق بن أبي حسان، وإسماعيل بن الحويرس، وموسى بن جمهور، والعباس بن الفضل، وأبو زرعة عبد الرحمن بن عمر، وهارون بن موسى الأخفش وغيرهم .



وكان فصيحًا علامة واسع الرواية، خطيبًا مفوهًا، رزق كبر السن وصحة العقل والرأي، ارتحل الناس إليه في القراءات والحديث، وتوفي سنة (٢٤٥هـ) بدمشق.

(٢) (ابن ذكوان): عبد الله بن أحمد بن بشر بن ذكوان، أبو عمرو القرشي الفهري الدمشقي، شيخ الإقراء بالشام وإمام جامع دمشق.

أخذ القراءة عرضًا عن أيوب بن تميم، وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة بدمشق، وقرأ على الكسائي حين قدم الشام، وروى الحروف عن إسحاق المسيبي عن نافع.

وروى القراءة عنه ابنه أحمد، وأحمد بن أنس، وأحمد بن المعلى، وأحمد بن يوسف التغلبي، وأبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي، وهارون بن موسى الأخفش وغيرهم.

وتوفي رحمته الله سنة (٢٤٢هـ) بدمشق.

خامسًا: (عاصم الكوفي)، عاصم بن -بهذلة- أبي النّجود (بفتح النون)، أبو بكر الأسدي مولاهم الكوفي الحنّاط، شيخ الإقراء بالكوفة وأحد السبعة، أخذ القراءة عن زر بن حبيش، وأبي عبد الرحمن السلمي، وأبي عمرو الشيباني.

وروى القراءة عنه أبان بن تغلب، وأبان بن يزيد العطار، وإسماعيل بن مجالد، والحسن بن صالح، وحفص بن سليمان، وحمّاد بن سلمة، وحماد بن زيد، وأبو بكر شعبة بن عياش، وشيبان بن معاوية، والضحاك بن ميمون، ونعيم بن يحيى، وغيرهم كثير، وروى عنه حروفًا من القرآن أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، وحمزة الزيات، وغيرهم.

وكان قارئ أهل الكوفة ومقرئهم بعد أبي عبد الرحمن السلمي -في مسجده- وإمامهم الذي تمسّكوا بقراءته واقتدوا به فيها بعد التابعين إلى وقتنا هذا.

قال أبو بكر بن عياش: دخلت على عاصم وقد احتضر، فجعلت أسمعه يردد هذه الآية يحققها حتى كأنه يصلي: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾، فعلمت أنّ القراءة منه سجية.

تُوفي آخر سنة (١٢٧هـ) بالكوفة وقيل بالسماوة وهو يريد الشام، وُدُن بها.

### - راويا عاصم الكوفي:

(١) (شعبة): أبو بكر بن عياش بن سالم الكوفي الأسدي الحنَّاط، عرض القرآن على عاصم ثلاث مرات، وعلى عطاء بن السائب، وأسلم المنقري. وعرض عليه يعقوب بن خليفة الأعشى، وعبد الرحمن بن أبي حماد، وعروة بن محمد الأسدي، ويحيى بن محمد العليمي، وسهل بن شعيب، وروى عنه الحروف سماعاً إسحاق بن عيسى، وإسحاق بن يوسف الأزرق، وأحمد بن جبير والكسائي، وأبو عمر الدوري وغيرهم. عمّر طويلاً، ولكنّه قطع الإقراء قبل موته بسبع سنين، وكان إماماً كبيراً عالماً عاملاً، وكان من أئمة السُّنة، وتُوفي سنة (١٩٣هـ)، وقيل: سنة (١٩٤هـ) بالكوفة.

(٢) (حفص بن سليمان بن المغيرة)، أبو عمر الأسدي الكوفي الغاضري البزاز، يعرف بـ «حفص»، وهو الذي أخذ قراءة عاصم على الناس تلاوة، ونزل بغداد فأقرأ بها، وجاور بمكة فأقرأ بها أيضاً.

أخذ القراءة عرضاً وتلقيناً عن عاصم، وكان ربيبه، ابن زوجته، وروى القراءة عنه عرضاً وسماعاً حسين بن محمد المرودي، وحمزة بن القاسم الأحول، وسليمان بن داود الزهراني، وحمدان بن أبي عثمان الدقاق، وعمرو بن الصباح، وعبيد بن الصباح، وأبو شعيب القواس وغيرهم. تُوفي سنة (١٨٠هـ)، وقيل غير ذلك، وكان قد ناهز التسعين من العمر.

سادساً: (حمزة بن حبيب الزيات الكوفي)، أبو عمارة الكوفي، التيمي مولاهم، قال فيه سفيان الثوري: «غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض». وُلد حمزة سنة (٨٠ هجرية)، ونشأ بالكوفة، وأخذ العلم على علماء الكوفة وقرائها، فأقرأ على حمران بن أعين، وأبي إسحاق السبيعي، والأعمش، وجعفر الصادق، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، ومغيرة بن مقسم، وغيرهم.

وعرف حمزة بلقب الزيات؛ لأنه كان تاجرًا، يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان، ويجلب من حلوان الجبن والجوز.

أمّا تلاميذه الذين أخذوا عنه؛ فقد كانوا كثيرين جدًا منهم إبراهيم بن أدهم، وإسحاق بن يوسف الأزرق، وبكر بن عبد الرحمن، وخالد بن يزيد، وأبو الأحوص سلام بن سليم، وسفيان الثوري، والكسائي، ويحيى بن زياد الفراء، ويحيى بن المبارك وغيرهم.

وبقي حمزة يُقرئ القرآن، ويُعلّم الناس حتى لقي ربه مرضيًا، سنة (١٥٦هـ)، بمدينة حلوان، في آخر سواد العراق.

### - راويا حمزة الكوفي:

(١) (خلف بن هشام بن ثعلب البزار، أبو محمد الأسدي البغدادي)، أصله من (فم الصلح)، وُلد سنة (١٥٠هـ) وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، وابتدأ بطلب العلم وهو ابن ثلاث عشرة. كان ثقة كبيرًا زاهدًا عابدًا عالمًا.

أخذ القراءة عرضًا عن سليم بن عيسى وعبد الرحمن بن أبي حماد عن حمزة، ويعقوب بن خليفة الأعشى، وأبي زيد سعيد بن أوس، عن المفضل الضبي، وروى الحروف عن إسحاق المسيبي، وإسماعيل بن جعفر، وعبد الوهاب بن عطاء ويحيى بن آدم، وعبيد بن عقيل، وروى رواية قتيبة عنه من طريق ابن شنبوذ والمطوعي أداء وسماعًا، وسمع من الكسائي الحروف، ولم يقرأ عليه القرآن، وسمعه يقرأ القرآن إلى خاتمته، وضبط ذلك عنه بقراءته عليهم، وروى عنه قراءة الأعشى عن زائدة بن قدامة.

وروى القراءة عنه عرضًا وسماعًا أحمد بن إبراهيم ورّاقة، وأخوه إسحاق بن إبراهيم، وإبراهيم بن علي القصار، وأحمد بن يزيد الحلواني، وإدريس ابن عبد الكريم الحداد، وأحمد بن زهير، وغيرهم.

توفي رحمته الله ببغداد سنة (٢٢٩هـ) وهو مختف من الجهمية.

(٢) (خلاد بن خالد)، أبو عيسى الشيباني مولاهم، الصيرفي الكوفي. إمام في القراءة ثقة عارف محقق أستاذ.

أخذ القراءة عرضًا عن سليم، وهو من أضبط أصحابه وأجلّهم، وروى القراءة عن حسين بن علي الجعفي، عن أبي بكر، وعن أبي بكر نفسه، عن عاصم، وعن أبي جعفر محمد بن الحسن الرؤاسي.

وروى القراءة عنه عرضًا أحمد بن يزيد الحلواني، وإبراهيم بن علي القصار، وإبراهيم بن نصر الرازي، وحمدون بن منصور، وسليمان بن عبد الرحمن الطلحي، والقاسم بن يزيد الوزان، وهو أنبل أصحابه، ومحمد بن شاذان الجوهري، وهو من أضبطهم، ومحمد بن عيسى الأصبهاني وغيرهم. تُوفي بالكوفة سنة (٥٢٠هـ).

**سابعًا: (الكسائي)،** علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي مولاهم، وهو من أولاد الفرس من سواد العراق. أبو الحسن الكسائي، نسبة إلى كساء أحرم فيه.

أخذ القراءة عرضًا عن حمزة الزيات، عرض عليه أربع مرات، ومحمد بن أبي ليلى، وعيسى بن عمر الهمداني، وروى الحروف عن أبي بكر بن عياش، وإسماعيل ويعقوب ابني جعفر عن نافع، والمفضل بن محمد الضبي، وزائدة بن قدامة عن الأعمش، ورحل إلى البصرة فأخذ اللغة عن الخليل.

وأخذ عنه القراءة عرضًا وسمايًا، إبراهيم بن زاذان، وإبراهيم بن الحريش، وأحمد بن جبير، وأحمد بن منصور البغدادي، وأحمد بن واصل، وإسماعيل بن مدّان، وحفص بن عمر الدوري، وحمدويه بن ميمون، وحميد بن ربيع الخزاز، وزكريا بن وردان، وسريج بن يونس، وسورة بن المبارك، وأبو حمدون الطيب بن إسماعيل، وعبد الرحمن بن واقد، والمفضل بن إبراهيم، وفورك بن شبويه، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وقتيبة بن مهران، وأبو إياس هارون بن علي الكسائي (ابن الكسائي نفسه)، ويحيى بن زياد الخوارزمي، فهؤلاء المكثرون عن الكسائي، وغيرهم كثير.

ألّف الكسائي كُتُبًا كثيرة منها: كتاب «معاني القرآن»، وكتاب «القراءات»، و«العدد واختلافهم فيه»، و«النوادر الكبير»، و«النوادر الأوسط»، و«النوادر

الأصغر»، وكتاباً في النحو، وكتاب الهجاء، ومقطوع القرآن وموصوله، والمصادر، والحروف، والهيات، وكتاب أشعار.

تُوفي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سنة (١٨٩هـ) بقرية (أرنبوية) من قرى الري، وكان بصحبة هارون الرشيد، متوجهين إلى خراسان، ومات معه أيضاً محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة، فأسف الرشيد لذلك وقال: دفنا الفقه والنحو بالري، وكان الكسائي قد بلغ السبعين عند وفاته.

### - راويا الكسائي:

(١) (أبو الحارث الليث بن خالد البغدادي)، عرض على الكسائي، وهو من جلة أصحابه، وروى الحروف عن حمزة بن القاسم الأحول، وعن اليزيدي. وروى القراءة عنه عرضاً وسماعاً سلمة بن عاصم صاحب الفراء، ومحمد بن يحيى الكسائي الصغير، والفضل بن شاذان، ويعقوب بن أحمد التركماني، وتُوفي سنة (٢٤٠هـ).

(٢) (حفص بن عمر الدوري)، وهو الراوي عن أبي عمرو البصري، تقدمت ترجمته.

ثامناً: (أبو جعفر يزيد بن القعقاع)، المخزومي المدني القارئ، أحد القراء العشرة، تابعي مشهور كبير القدر.

عرض القرآن على مولاه عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، وعبد الله بن عباس، وأبي هريرة، وروى عنهم.

وروى القراءة عنه نافع بن أبي نعيم، وسليمان بن مسلم بن جمّاز، وعيسى بن وردان، وأبو عمرو، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وإسماعيل ويعقوب ابناه، وميمونة بنته.

وهو من التابعين، أتى به إلى أم سلمة وهو صغير، فمسحت على رأسه ودعت له بالبركة، أقرأ الناس في المدينة قبل وقعة الحرّة، والحرّة سنة (٦٣هـ)، وكان إمام أهل المدينة في القراءة، كان ثقة قليل الحديث.

قال سليمان بن جَمَّاز: شهدت أبا جعفر حين حضرته الوفاة، وجاء أبو حازم الأعرج، ومشيخة معه كانوا من جلسائه، فانكبُّوا عليه يصرخون فلم يجبههم، قال شيبه (وكان ختنه على ابنته): ألا أريكُم منه عجبًا؟ قالوا: بلى. قال: فكشف عن صدره وإذ دوّارة بيضاء مثل اللبن. فقال أبو حازم وأصحابه: هذا والله نور القرآن.

وروى المسيبيُّ عن نافع أنه قال: لما غسل أبو جعفر القارئ نظروا فإذا ما بين نحره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف، فما شك أحد أنه نور القرآن. توفي رحمته الله بالمدينة في خلافة مروان سنة ثلاثين ومائة، وقيل غير ذلك.

### - راويا أبي جعفر المدني:

(١) (عيسى بن وردان المدني)، أبو الحارث الحذاء، عرض على أبي جعفر وشيبه، ثم عرض على نافع، وهو من قدماء أصحابه، وجلتهم، وقد شاركه في الإسناد.

وعرض عليه إسماعيل بن جعفر، وقالون، ومحمد بن عمر الواقدي، وتوفي بالمدينة في حدود سنة (١٦٠هـ).

(٢) (ابن جَمَّاز): سليمان بن مسلم بن جَمَّاز، أبو الربيع الزهري، مولاهم المدني، عرض على أبي جعفر وشيبه، ثم عرض على نافع، وأقرأ بحرف أبي جعفر ونافع، وعرض عليه إسماعيل بن جعفر، وقتيبة بن مهران، وتوفي بالمدينة بعد سنة (١٧٠هـ).

تاسعًا: (يعقوب بن إسحاق الحضرمي)، أبو يوسف، وأبو محمد قارئ أهل البصرة، ومقرئهم، وإمامهم الذي تمسكوا بقراءته بعد أبي عمرو بن العلاء. قارئ مُعَمَّر عاش ثمانينًا وثمانين سنة، ومن عجيب الموافقات أن أباه، وجدّه، وجدَّ أبيه عاش كلُّ منهم ثمانينًا وثمانين سنة.

قضى زمانه في طلب العلم وتعليمه، فكان وجود بوقته في تعلم مسائل العلم، وتتبع دقائقه، وأخذه عن الشيوخ والعلماء، فقرأ القرآن على أبي المنذر

سلام بن سليمان الطويل، كما قرأ على ابن محيصر، ومجاهد، ومهدي بن ميمون، وشعيب بن الحبحاب، وأبي الأشهب العطاردي ويونس بن عبيد وغيرهم، وروى عن حمزة والكسائي كذلك.

وكثر تلاميذ يعقوب الذين أخذوا عنه العلم، ونقلوا عنه القراءات بالسند المتصل إلى رسول الله ﷺ، فكان منهم: زيد ابن أخيه أحمد، وكعب بن إبراهيم، وروح بن عبد المؤمن، ومحمد بن المتوكل المعروف برويس، وأبو حاتم السجستاني، وحميد بن الوزير، والمنهال بن شاذان، وأبو بشر القطان، ومسلم بن سفيان المفسر، ومحمد بن وهب الفزاري وغيرهم، كما وجد في تأليف الكتب وتدوين العلم وسيلة نافعة؛ لأن الطلبة يحرصون على نسخها وحفظها ونشرها بين الناس، وفي ذلك إحياء للعلم، وإيقاظ للهمم، فألف كتابه «الجامع»، الذي ذكر فيه اختلاف وجوه القراءات، ونسب كل حرف إلى من قرأ به، وكتاب «وقف التمام» وغير ذلك.

تُوفي يعقوب سنة (٢٠٥هـ)، وله من العمر ثمان وثمانون سنة.

#### - راويا يعقوب البصري:

(١) (رؤيس): محمد بن المتوكل اللؤلؤي، أبو عبد الله البصري، المعروف برويس، أخذ القراءة عرضاً عن يعقوب الحضرمي، وهو من أحذق أصحابه، ختم عليه عدة ختمات.

وروى القراءة عنه عرضاً محمد بن هارون التمار، والزيبر بن أحمد الزبيري الشافعي، وتوفي بالبصرة سنة (٢٣٨هـ).

(٢) (روح بن عبد المؤمن)، أبو الحسن الهذلي، مولاهم، البصري النحوي، عرض على يعقوب، وهو من جلة أصحابه، وروى الحروف عن أحمد بن موسى، ومعاذ بن معاذ، وابنه عبيد الله بن معاذ، ومحجوب، كلهم عن أبي عمرو، وحماد بن شعيب صاحب خالد بن جبلة، وعن محمد بن صالح المري صاحب شبلى.

وعرض عليه الطيب بن الحسن بن حمدان القاضي، وأبو بكر محمد ابن وهب الثقفي، ومحمد بن الحسن بن زياد، وأحمد بن يزيد الحلواني، وأحمد بن يحيى الوكيل، والزيبر بن أحمد الزبيري، وغيرهم، وسمع منه الحروف حسين بن بشر بن معروف الطبري، وروى عنه البخاري في صحيحه، وتوفي سنة (٢٣٤هـ)، أو (٢٣٥هـ).

عاشراً: (خلف بن هشام البزار)، وقد تقدمت ترجمته في راويي حمزة.

#### - راويا خلف :

(١) (إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله)، أبو يعقوب المروزي ثم البغدادي، ورآق خلف وراوي اختياره عنه، قرأ على خلف اختياره وقام به بعده، وقرأ على الوليد بن مسلم.

وقرأ عليه محمد بن عبد الله بن أبي عمر النقاش، والحسن بن عثمان البرصاطي، وعلي بن موسى الثقفي، وابنه محمد بن إسحاق بن إبراهيم، وابن شنبوذ، وتوفي سنة (٢٨٦هـ).

(٢) (إدريس بن عبد الكريم الحداد)، أبو الحسن البغدادي، قرأ على خلف روايته واختياره، وعلى محمد بن حبيب الشموني، وقرأ على خلف عن قتيبة. وروى القراءة عنه سماعاً ابن مجاهد، وعرضاً ابن شنبوذ، وابن مقسم، وموسى بن عبيد الله الخاقاني، وأحمد بن بويان، والحسن بن سعيد المطوعي، وأبو بكر النقاش وغيرهم، وتوفي يوم الأضحى سنة (٢٩٢هـ).



## ٣- علوم الحديث والسنة النبوية

( ١ )

معنى السُّنَّة:

السُّنَّة لغةً: «الطريقة والسَّيرة، حسنةٌ كانت أم سيئةً، وعند الإطلاق تنصرف إلى السُّنَّة الحميدة»<sup>(١)</sup>.

\* والسُّنَّة في الاصطلاح يختلف معناها باختلاف مناهج العلماء:

فالسُّنَّة عند المُحدِّثين: «هي أقوال النبي ﷺ وأفعاله، وتقريراته، وصفاته الخلقية والخُلُقِيَّة، وسيرته، ومغازيه، سواء قبل البعثة مثل تحنُّته في غار حراء، وحسن سيرته، وأنه كان أمياً لا يقرأ، وما إلى ذلك من صفات الخير، وكذلك ما كان بعد البعثة»<sup>(٢)</sup>، وتعريفهم هذا مبنيٌّ على عنايتهم بإثبات وتصحيح كل ما يتصل بالنبي ﷺ، سواء أثبتت أحكاماً شرعية أم لا<sup>(٣)</sup>.

وعند الفقهاء: «هي كل ما ثبت عن النبي ﷺ من غير افتراضٍ ولا وجوبٍ، وتقابل الواجب وغيره من الأحكام الخمسة»<sup>(٤)</sup>.

(١) «النهاية»، لابن الأثير، و«لسان العرب»، لابن منظور؛ مادة: (س ن ن).

(٢) «السُّنَّة ومكانتها في التشريع»، (ص/٤٧).

(٣) «المستشرقون والسُّنَّة»، (ص/٢٦).

(٤) «السُّنَّة ومكانتها في التشريع»، (ص/٤٨).

وعند الأصوليين: «هي ما صدر عن النبي ﷺ غير القرآن الكريم من الأقوال والأفعال والتقرير»<sup>(١)</sup>، وتعريفهم هذا مبني على عنايتهم بالدليل ومن السنّة التي أمرنا باتباعها<sup>(٢)</sup>.

وعند علماء العقيدة والوعظ والإرشاد: «هي ما وافقت الكتاب والحديث وإجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات، وتقابلها البدعة»<sup>(٣)</sup>، وتعريفهم هذا مبني على عنايتهم بالأعمال التعبدية وموافقتها للدليل، وردّ ما خالف ذلك، وهكذا نرى أنّ أوسع الإطلاقات هو إطلاق المحدثين.

### \* تعريف علم الحديث:

ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول (علم الحديث رواية): هو علمٌ يشتمل على أقوال النبي وأفعاله وتقريراته وصفاته وروايتها وضبطها وتحليل ألفاظها، ويبحث في هذا العلم عن رواية الأحاديث وضبطها ودراسة أسانيدها، ومعرفة حال كلّ حديث من حيث القبول والرد ومعرفة شرحه ومعناه، وما يُستنبط منه من فوائد.

القسم الثاني (علم الحديث دراية): ويُطلق عليه مصطلح الحديث، أو أصول الحديث، أو علوم الحديث.

وهو العلم بقواعد يُعرّف بها أحوال السند والتمن من حيث القبول أو الرد، أو هو القواعد المعرفة بحال الراوي والمروي، وعلم الحديث دراية يُوصّل إلى معرفة المقبول من المردود بشكل عام، أي: بوضع قواعد عامة، فأما علم رواية الحديث؛ فإنه يُبحث في هذا الحديث المُعيّن الذي تريده، فيبيّن بتطبيق تلك القواعد أنّه مقبول أو مردود ويضبط روايته وشرحها، فهو إذن؛ يبحث بحثاً جزئياً تطبيقياً، فالفرق بينهما كالفرق بين النحو والإعراب، وكالفرق بين أصول الفقه وبين الفقه.

(١) «الحديث والمحدثون»، (ص/٩).

(٢) «المستشرقون والسنّة»، (ص/٢٧).

(٣) «الحديث والمحدثون»، (ص/١٠).

## \* تاريخ تدوين السنة<sup>(١)</sup> :

استعمل النبي ﷺ الكتابة في تدوين ما ينزل من القرآن، واتخذ لذلك كُتَّابًا من الصحابة، فكان القرآن يُكتب كله بين يدي رسول الله ﷺ على الرِّقَاع والأضلاع والحجارة والسعف (أغصان النخيل)، وكانت الآية من القرآن تنزل على رسول الله ﷺ فيأمر كاتب الوحي بكتابتها في موضع كذا من سورة كذا، واستمر الأمر على هذه الحال حتى وفاة النبي ﷺ فلم يُقبض رسولُ الله ﷺ إلا والقرآن محفوظ مكتوب لا ينقصه إلا الجمع في مصحف واحد.

أمَّا السنة؛ فلم يكن شأنها كذلك حيث إنَّها لم تُدَوَّن جميعها تدوينًا رسميًا في عهد النبي ﷺ كما دُوِّن القرآن، ولم يأمر النبي ﷺ أصحابه بذلك.

وقد ذكر العلماء أسبابًا عديدة لعدم تدوين السنة في العهد النبوي :

منها: أنَّ النبي ﷺ عاش بين أصحابه بعد البعثة ثلاثًا وعشرين سنة، فكان تدوين كل كلماته وأقواله وأفعاله وكتابتها فيه من العسر والمشقة الشيء الكثير، لما يحتاجه ذلك من تفرُّغ كثير من الصحابة لهذا العمل الجليل، ونحن نعلم أنَّ الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا جميعًا يُحسنون الكتابة، بل كان الكاتبون منهم أفرادًا قلائل، وكان تركيز هؤلاء الكتبة من الصحابة على كتابة القرآن دون غيره من السنة حتى يؤديه لمن بعدهم تامةً مضبوطًا لا يُنقص منه حرف.

ومن الأسباب أيضًا: الخوف من حدوث اللبس عند عامة المسلمين، فيختلط القرآن بغيره من الحديث، وخصوصًا في تلك الفترة المبكرة التي لم يكتمل فيها نزول الوحي، وكان القرآن ينزل فيها مُفَرَّقًا حسب الوقائع والأحداث، إضافة إلى أنَّ العرب كانوا أمة أمية، وكانوا يعتمدون على الذاكرة فيما يُودون حفظه واستظهاره، ولذلك؛ عُرفوا بقوة الذاكرة وسرعة الحفظ، وكان نزول القرآن مُفَرَّقًا على آيات وسور صغيرة أدعى للتفرُّغ لحفظه واستذكاره والاحتفاظ به في صدورهم، أمَّا السنة؛ فكانت كثيرة الوقائع متشعبة النواحي شاملة لأعمال

(١) يُنظر: «تاريخ علوم الحديث في المشرق والمغرب»، للدكتور محمد المختار ولد أباه، و«تدوين

السنة النبوية لمحمد حسن نور الدين إسماعيل، و«تدوين السنة النبوية لمحمد بن مطر الزهراني.

الرسول، وأقواله منذ بدء الرسالة إلى أن توفاه الله ﷺ، فلو دُوِّنت كما دُوِّن القرآن؛ لَلَزِمَ أن يَنكَبَ الصحابة على حفظ السُّنَّة مع حفظ القرآن، وفيه من الحرج والمشقة ما فيه، فكان لابد من توفرهم -في تلك الفترة- على كتاب الله حفظًا ودراسة وتفهمًا.

وهذا لا يعني أنَّ السُّنَّة لم يُكتب منها شيء في عهد الرسول ﷺ، فقد وردت آثار صحيحة تدلُّ على أنَّه قد وقع كتابة شيء من السُّنَّة في العصر النبوي، ولكن ذلك كان بصفة خاصة، فقد أمر النبي ﷺ أصحابه في فتح مكة أن يكتبوا لأبي شاة، وكتب ﷺ كتبًا إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى الإسلام، كما ثبت أنَّ بعض الصحابة كانت لهم صحف خاصة يدونون فيها بعض ما سمعوه من رسول الله ﷺ كصحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص، وكانت عند علي رضي الله عنه صحيفة فيها أحكام الدية وفكك الأسير، كما ثبت أنَّ النبي ﷺ كتب لبعض أمرائه وعمَّاله كتبًا حدَّد لهم فيها الأنصبة ومقادير الزكاة والجزية والديات، إلى غير ذلك ممَّا يدل على وقوع الكتابة في عهد النبي.

## ( ٢ )

وكانت أهم مدارس الحديث في ذلك الوقت:

المدينة المنورة: وهي مهاجر رسول الله ﷺ، وأكثر التشريع كان فيها، وهي الموطن الأول للصحابة رضي الله عنهم، ومركز الخلافة الإسلامية الراشدة، وأشهر علماء المدينة: أبو هريرة، وعائشة، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وقد تخرَّج على أيديهم كبار التابعين؛ كسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير.

مكة المكرمة: لما فتحها النبي ﷺ خلَّف فيها معاذ بن جبل رضي الله عنه يُفقه الناس في دينهم، ثم تزعم دار الحديث بمكة المكرمة ابن عباس رضي الله عنهما، وتخرَّج

على أيدي الصحابة رضي الله عنهم تابعون أجلاء؛ من أشهرهم: مجاهد بن جبر، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، وغيرهم، وكان هناك مؤتمر علمي سنوي في موسم الحج يجمع كل طلبة العلم من كل الأقطار الإسلامية.

**الكوفة:** وقد نزل بها عدد كبير من الصحابة رضي الله عنهم؛ أشهرهم: علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد رضي الله عنهم، فعلموا وفقهوا طلبة العلم، وتخرج على أيديهم الكثير؛ من أشهرهم: عامر بن شراحيل، وإبراهيم النخعي، وعبيدة السلماني، وغيرهم.

**البصرة:** نزل بها عدد كبير من الصحابة رضي الله عنهم منهم أنس بن مالك، وكان إماماً في الحديث، وأبو موسى الأشعري، وابن عباس، وكان والياً عليها من قبل علي بن أبي طالب رضي الله عنه لفترة قصيرة، وأشهر من تخرج منها الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وأيوب السختياني، وقتادة بن دعامة.

**الشام:** لما فتح المسلمون الشام في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، دخل كثير من أهلها الإسلام، فأرسل إليهم عمر رضي الله عنه معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبا الدرداء، ثم أرسل عبد الرحمن بن غنم، وقد تخرج على أيدي هؤلاء علماء الشام من التابعين؛ كأبي إدريس الخولاني، وقبيصة بن ذؤيب، ومكحول بن أبي مسلم الشامي، ورجاء بن حيوة، وغيرهم.

**مصر:** لما فتح المسلمون مصر في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ووُلِّي عليها عمرو بن العاص، انتشرت رواية الحديث، فكان من أبرز علمائها عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو من المُكثَرين في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما نزل بمصر عُقبه بن عامر الجهني، وخارجة بن حذافة، وعبد الله بن حارث بن جزء، وتخرج على أيدي هؤلاء: يزيد بن أبي حبيب، وأبو الخير المرثد بن عبد الله اليزني، ثم تابعت مدارس الحديث في الانتشار والازدهار في اليمن، والمغرب، والأندلس، وخراسان وغيرها من البلدان.

ثم جاء عهد الخلفاء الراشدين، فلم يُدوّنوا الحديث في الصحف كراهة أن يتخذها الناس مصاحف يضاهاون بها القرآن، وأحجموا عن كتابة السُنّة وتدوينها

مدة خلافتهم، حتى إنَّ عمر رضي الله عنه فكر في أول الأمر في جمع السُّنة، فاستفتى أصحاب النبي صلى الله عليه وآله في ذلك؛ فأشاروا عليه بأن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال: «إني كنت أريد أن أكتب السنن، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً، فأكُتِّبوا عليها، وتركوا كتاب الله، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً»<sup>(١)</sup>، وكان هذا الرأي من عمر متناسباً مع حالة الناس في ذلك الوقت؛ فإنَّ عهدهم بالقرآن لا يزال حديثاً، وخصوصاً مَنْ دخل في الإسلام من أهل الآفاق، ولو أنَّ السُّنة دُوِّنت ووُزِّعت على الأمصار وتناولها الناس بالحفظ والدراسة؛ لزاحمت القرآن، ولم يؤمَّن أن تلتبس به على كثير منهم، ولم يكن في هذا الرأي تضييع للأحاديث؛ فقد كان الناس لا يزالون بخير، ولا تزال ملكاتهم قوية، وحوافظهم قادرة على حفظ السنن وأدائها أداءً أميناً، وقد تتابع الخلفاء على سنة عمر رضي الله عنه، فلم يُعرَف عنهم أنَّهم دَوَّنوا السنن أو أمروا الناس بذلك.

وهكذا انقضى عصر الصحابة ولم يُدوَّن من السُّنة إلا القليل، حتى جاء الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز، فأمر بجمع الحديث لدواع اقتضت ذلك، بعد حفظ الأمة للقرآن، وأمنها عليه أن يشتهه بغيره من السنن.

كاد القرن الأول الهجري أن ينتهي، وكان مرور هذا الزمن الطويل كفيلاً بأن يذهب بكثير من حملة الحديث من الصحابة والتابعين في الحروب والفتوحات، وأن يتفرقوا في الأمصار، ممَّا هيأ لأهل الأهواء والبدع -الذين ظهروا في هذه الفترة- أن يزيدوا في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وأن يُدخلوا فيه ما ليس منه ممَّا يؤيد بدعتهم، ويلبي انحرافهم، كما أن انتشار الإسلام وتوسُّع الدولة الإسلامية جعل العرب يختلطون بغيرهم من الأعاجم في البلدان المختلفة ممَّا نتج عنه قلة الضبط في نقل حديث رسول الله صلى الله عليه وآله بسبب ضعف ملكة الحفظ عند الناس.

(١) أخرجه معمر بن راشد في جامعه (١١/٢٥٧)، (٢٠٤٨٤).

وفي العام التاسع والتسعين للهجرة تولَّى الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه خلافة المسلمين، فرأى أنَّ عليه البدء بكتابة الحديث وتدوينه حفظًا له من الضياع والتحريف، حيث إنَّ المانع الذي كان يمنع تدوين الحديث قد زال، وأن مصلحة المسلمين باتت تستدعي جمع الحديث وتدوينه، فكتب إلى عمَّاله وولاته يأمرهم بذلك، حيث أرسل إلى أبي بكر ابن حزم -عامله وقاضيه على المدينة- قائلاً له: «انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه، فإنِّي خفت دروس العلم وذهاب العلماء»، وطلب منه أن يكتب ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وكتب إلى علماء المسلمين في الأمصار المختلفة «انظروا إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه»<sup>(١)</sup>، وكان ممَّن كتب إليهم الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أحد الأئمة الأعلام، وعالم أهل الحجاز والشام المتوفى سنة (١٢٤هـ)، حيث استجاب لطلب عمر بن عبد العزيز، فجمع حديث أهل المدينة وقدمه له، فبعث عمر إلى كلِّ أرض دفترًا من دفاتره، وكانت هذه هي المحاولة الأولى لجمع الحديث وتدوينه بشمول واستقصاء، وكان تدوين الإمام الزهري للسُّنة عبارة عن جمع ما سمعه من أحاديث الصحابة من غير تبويب على أبواب العلم، وربما كان مُختلِّطًا بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين، وهذا ما تقتضيه طبيعة البداءة في كل أمر جديد، وبذلك مهَّد الإمام الزهري الطريق لمن أعقبه من العلماء والمصنفين، ووضع حجر الأساس في تدوين السُّنة في كتب خاصة.

### ( ٣ )

ثم نشطت حركة التدوين بعد ذلك، وأخذت في التطور والازدهار، وتعاون الأئمة والعلماء في مختلف الأمصار، فظهرت مصنفات منها:

(١) أخرجه مالك في «الموطأ»: (٩٣٦، رواية محمد بن الحسن)، وأخرجه البخاري مُعلِّقًا: (١٠٠).

(١) «كتاب عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج» (١٥٠هـ)، فقد جمعه بمكة في الآثار وشيء من التفسير، عن عطاء بن أبي رباح (١١٤هـ) وغيره من أصحاب ابن عباس، ومع أن كتاب ابن جريج لم يصل إلينا إلا أن تلميذه عبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١هـ) قد جمع كثيراً من مروياته في كتابه «المُصنّف» حيث أكثر من إيراد رواياته عن ابن جريج باعتباره شيخاً له، كما ذكر عنه كثيراً من المسائل الفقهية التي وقعت بين ابن جريج وشيخه عطاء.

(٢) وهناك «جامع مَعْمَر بن راشد اليماني» (١٥١هـ)، ويقع في عشرة أجزاء، وصل إلينا منها الخمسة الأجزاء الأخيرة وهي مخطوطة في تركيا.

(٣) و«موطأ محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب» (١٥٨هـ) بالمدينة، وكان أكبر من «موطأ الإمام مالك بن أنس».

(٤) و«جامع سفيان بن عيينة الهلالي» (١٩٨هـ) في السُّنن والآثار وشيء من التفسير، وقد بقي منه أوراق قليلة نحو ست ورفقات.

(٥) و«مسند الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت» (١٥٠هـ)، وله خمسة عشر مسنداً، وقد أوصلها الإمام أبو الصبر أيوب الخلوّتي إلى سبعة عشر مسنداً كلها تنسب إليه؛ لكونها من حديثه، وإن لم تكن من تأليفه، وقد جمع الخوارزمي (٦٥٥هـ) بين خمسة عشر منها في كتاب سماه: «جامع المسانيد» رتبته على ترتيب الأبواب الفقهية بحذف المعاد، وترك تكرير الإسناد، وهو مطبوع في مجلدين بمطبعة مجلس دائرة المعارف بالهند (١٣٣٢هـ).

(٦) و«كتاب الآثار لمحمد بن الحسن الشيباني» (١٩٩هـ)، وهو مرتب على الأبواب الفقهية.

(٧) و«مسند الإمام الشافعي» (٢٠٤هـ)، وليس هو من تصنيفه، وإنما هو عبارة عن الأحاديث التي أسندها الإمام الشافعي مرفوعها وموقوفها، وقد جمعها بعض أصحابه النيسابوريين من كتابه «الأم» وغيره من مسموعات أبي العباس الأصم التي كان انفرد بها عن الربيع.



وممن اشتهر بوضع المصنفات في الحديث في هذا القرن الإمام مالك بن أنس بالمدينة، فقد وضع كتابه «الموطأ»، وقد رُوي «الموطأ» بروايات مختلفة، ويختلف عددها لتباين روايات «الموطأ» عن الإمام مالك، وكان دائم التهذيب والتنقيح لموطئه، وأشهر رواياته: رواية يحيى بن يحيى الأندلسي، وعدد أحاديثها ألف وثمانمائة وخمسة وخمسين حديثاً، وإذا أُطلق «موطأ مالك»؛ فالمقصود به رواية يحيى، ومنها رواية عبد الله بن مسلمة القعنبي وهي من أكبرها.

ومن أكثر الروايات زيادات رواية أبي مصعب الزهري، ومن جملة روايات محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة، وفيها أحاديث يسيرة يرويها عن غير مالك، وأخرى زائدة على الروايات المشهورة وهي أيضاً خالية من عدة أحاديث ثابتة في سائر الروايات.

وفي هذه المرحلة أيضاً توسع العلماء في الجرح والتعديل ونقد الرجال؛ لكثرة شيوع الضعف من جهة الحفظ، ومن جهة انتشار الأهواء والبدع، فتفرغ جماعة من الأئمة؛ لنقد الرجال واشتهروا به، كشعبة بن الحجاج، وسفيان الثوري، وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهم.

كما تتبعوا الأحاديث لكشف خباياها، ووضعوا لكل صورة جديدة قاعدة تعرفها وتبين حكمها، فتكاملت أنواع الحديث، واتخذت اصطلاحاتها الخاصة بها، ووجدت العناية بسبر الروايات وتتبعها لكشف علل الحديث، وشهد هذا القرن نشاطاً زائداً في الرحلة من أجل هذا الغرض، حتى اعتبرت الرحلة من ضرورات التحصيل لطالب الحديث، فلا تعلم مُحدثاً له شأنه إلا وقد رحل في البلاد في طلب الحديث، وأفاد العلماء من رحلاتهم هذه فوائد كثيرة، حيث اطلعوا على ما نشره الصحابة في شتى الآفاق، ووازنوا بين الأسانيد والمتون، مما تفرغ عنه كثير من الفوائد، واحتل الرحالون في سبيل العلم مكانة مرموقة في المجتمع العلمي، حتى صار لقب الرحال، والرحالة، والجوال، وإليه كانت الرحلة . . شعاراً على كبار المحدثين، وطوف كثير منهم بالشرق وبالغرب أكثر من مرة، وتناقل الناس أخبار رحلاتهم، وما صادفهم من المشاق والعجائب بالإكبار والإجلال.

لكن تلك العلوم والضوابط التي وُجدت حتى عصرهم، كانت محفوظة في صدور الرجال لم يدون شيء منها في كتاب -فيما نعلم فضلاً عن أن يجمعها ويضبط قواعدها مصنف خاص- اللهم إلا ما وجدنا للشافعي رحمته الله من فصول وأبحاث متفرقة لها أهميتها في هذا الفن.

فقد تكلم في «الرسالة» عن الحديث الذي يحتج به، وشرط فيه شروط الصحيح، وتكلم في شرط حفظ الراوي، والرواية بالمعنى، والمدلس وقبول حديثه، كما أنه ذكر في «الأم» الحديث الحسن، وتكلم في الحديث المرسل، وناقش الاحتجاج به بقوة، وبحث في غير ذلك من علوم الحديث، فكان ما كتبه الشافعي أول ما بلغنا من علوم الحديث مُدَوَّنًا في كتاب.

ثم جاء القرن الثالث؛ فحدث طور آخر من أطوار تدوين السنَّة تجلَّى في إفراد حديث رسول الله صلى الله عليه وآله بالتصنيف دون غيره من أقوال الصحابة والتابعين، فألفت المسانيد التي جمعت أحاديث كل صحابي على حدة، من غير مراعاة لوحدة الموضوع، كـ «مسند الإمام أحمد»، و«مسند إسحاق بن راهويه»، و«مسند ابن أبي شيبة» وغيرها، ولم تقتصر هذه المسانيد على جمع الحديث الصحيح، بل احتوت على الصحيح وغيره ممَّا جعل الإفادة منها والوقوف على أحاديث مسألة معينة من الصعوبة بمكان إلا على أئمة هذا الشأن، خصوصًا وأنَّها لم تُرتَّب على أبواب الفقه، ممَّا حدا بإمام المحدثين في عصره محمد بن إسماعيل البخاري أن ينحو بالتأليف منحى جديدًا، اقتصر فيه على الحديث الصحيح فحسب دون ما عداه، فألَّف كتابه «الجامع الصحيح» المشهور بـ «صحيح البخاري»، وجرى على منواله معاصره وتلميذه الإمام مسلم بن الحجاج القشيري، فألَّف صحيحه المشهور بـ «صحيح مسلم»، وقد رتَّبًا صحيحيهما على أبواب الفقه تسهيلًا على العلماء والفقهاء عند الرجوع إليهما لمعرفة حكم معين، فكان لهذين الإمامين الفضل -بعد الله صلى الله عليه وآله- في تمهيد الطريق أمام طالب الحديث؛ ليصل إلى الحديث الصحيح بأيسر الطرق.

وقد تابعهما في التأليف على أبواب الفقه أئمة كثيرون، سواء ممَّن عاصروهم أو ممَّن تأخر عنهم، فألَّف بعدهما السنن الأربعة المشهورة، وهي سنن

أبي داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه، إلا أن هؤلاء الأئمة لم يلتزموا الصحة كما التزمها البخاري ومسلم، فوجد في هذه المؤلفات الصحيح وغيره، وتبع الشيخين في اشتراط الصحة ابن خزيمة، ثم ابن حبان.

وقد اعتبر العلماء القرن الثالث الهجري أزهى عصور السنة، ففيه دُوت الكتب الستة التي اعتمدها الأمة فيما بعد، وفيه ظهر أئمة الحديث وجهابذته، وفيه نشطت رحلة العلماء في طلب الحديث، ولذلك؛ جعل كثير من أهل العلم هذا القرن الحدّ الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين من نقاد الحديث.

وبانتهاء هذا القرن كاد أن ينتهي عصر الجمع والابتكار في التأليف، فقد اقتصر دور العلماء في القرون التالية على الاختصار والتهديب والترتيب، والاستدراك والتعقيب، وانصبَّ اهتمامهم على الكتب المدونة، وقلَّت بينهم الرواية الشفهية.

وفي هذا العصر أصبح كلُّ نوع من أنواع الحديث علمًا خاصًا، مثل علم الحديث الصحيح، وعلم المُرسَل، وعلم الأسماء والكنى، وهكذا، فأفرد العلماء كل نوع منها بتأليف خاص.

وكتب يحيى بن معين في تاريخ الرجال، ومحمد بن سعد في الطبقات، وأحمد بن حنبل في العلل ومعرفة الرجال والناسخ والمنسوخ، ونبغ في التأليف والكتابة الإمام العَلَم علي بن عبد الله المدني شيخ البخاري، فقد ألّف في فنون كثيرة جدًّا، حتى بلغت مؤلفاته المائتين، وكان له السبق في تصنيف كثير منها، حتى قيل: إنّه ما من فنٍّ من فنون الحديث إلا ألف فيه كتابًا.

وأصبح التصنيف أمرًا متبعًا لا ينفك عنه إمام في الحديث، والأئمة أصحاب الكتب الستة كلهم لهم تأليف كثيرة في علوم الحديث، وكذلك فعل غيرهم وكانت تأليفهم تحمل اسم العلم الذي دوت فيه، حتى شمل التدوين كل نوع من أنواع علوم الحديث، وجُعِل في كتاب مفرد، وصار يُقال لهذه العلوم المتفرقة: «علوم الحديث».

واستوفى العلماء المتون والأسانيد دراسة وبحثاً، واشتهرت الاصطلاحات الحديثية لكل نوع من أنواع الحديث، واستقرت بين العلماء، كما يُلاحظ ذلك من كتاب الترمذي وغيره.

لكن لم يوجد في هذا العصر أبحاث تضم قواعد هذه العلوم، وتذكر ضوابط تلك الاصطلاحات، اعتماداً منهم على حفظهم لها وإحاطتهم بها، سوى تأليف صغير هو كتاب «العلل الصغير»، للإمام الترمذي؛ فإنه وإن جعله مؤلفه خاتمة لكتاب «الجامع»، فقد أفرده بالتحديث، وحمله عنه العلماء جزءاً مستقلاً، لما اشتمل عليه من الفوائد، وهو كتاب جامع لمهمات من المسائل في الجرح والتعديل، ومراتب الرواة، وآداب التحمل والأداء، والرواية بالمعنى، والحديث المرسل، وتعريف الحديث الحسن، وتعريف الحديث الغريب وشرح هذا التعريف.

#### ( ٤ )

ومع القرن الرابع الهجري بدأت مرحلة التأليف الجامعة، وظهور فن علوم الحديث مُدَوَّنًا، ففي هذه الفترة أكبَّ العلماء على تصانيف السابقين التي كانت تجربة أولى في التدوين، فجمعوا ما تفرق في مؤلفات الفن الواحد، واستدركوا ما فات السابقين، معتمدين في كل ذلك على نقل المعلومات عن العلماء بالسند إليهم كما فعل سابقوهم، ثم التعليق عليها والاستنباط منها.

\* فُوجِدَتْ كِتَابٌ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ لَا تَزَالُ مَرَاجَعًا لَا يُغْنِي عَنْهَا غَيْرُهَا،

وَمِنْ أَهْمِهَا:

(١) «المُحَدَّثُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الرَّوَايِ وَالْوَاْعِي»، أَلْفَهُ الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ الرَّامَهْرَمَزِي الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَلَادٍ، الْمَتَوَفَى سَنَةَ (٣٦٠هـ)، وَهُوَ أَكْبَرُ كِتَابٍ وُضِعَ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ حَتَّى ذَلِكَ الْعَصْرِ، اسْتَوْفَى فِيهِ مَوْلَفُهُ الْبَحْثَ فِي

آداب الراوي والمحدث، وطرق التحمل والأداء، واجتهاد المُحدِّثين في حمل العلم، وما يتعلَّق بهذا الفنِّ من الأمور، فهو في الحقيقة من كتب علوم الحديث بمعناه الإضافي لا باعتبار كونه اسمًا ولقبًا للعلم الخاصِّ المعروف.

(٢) «الكفاية في علم الرواية»، للخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي، المتوفى سنة (٤٦٣هـ)، وقد استوفى فيه البحث في قوانين الرواية، وأبان فيه عن أصولها وقواعدها الكلية، ومذاهب العلماء فيما اختلفت آراؤهم فيه، ولا يزال حتى يومنا أعظم كتاب في هذا الباب.

(٣) «الإلماع في أصول الرواية والسماع»، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، المتوفى سنة (٥٤٤هـ)، وهو كتاب مفيد جدًا.

فهذه المراجع وسواها ممَّا صنَّف في ذلك العصر في كل نوع من أنواع علوم الحديث أصبحت المراجع الأصلية في هذه الفنون، بنى عليها اللاحقون بأن حذفوا أسانيدَها وتلافوا أوها مَّا يسيرة فيها، واستدركوا زيادات أضافوها إليها.

\* وفي هذا العصر أيضًا وُضعت التآليف الجامعة لأنواع الحديث، ونما التدوين في فنِّ علوم الحديث، ومن أهم ما صنّف في ذلك:

(١) «معرفة علوم الحديث»، للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، المتوفى سنة (٤٠٥هـ)، بحث فيه اثنين وخمسين نوعًا من علوم الحديث.

(٢) «المستخرج»، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، المتوفى سنة (٤٣٠هـ)، زاد فيه على الحاكم أشياء فاتته، ولذلك؛ سماه مستخرجًا، ومع ذلك فقد تركا أشياء للمتعب.

(٣) «ما لا يسع المُحدِّث جهله»، للميانجي أبي حفص عمر بن عبد المجيد، المتوفى سنة (٥٨٠هـ)، وهي رسالة مختصرة.

وكان أبرز الأعلام الذين شيّدوا بنيان علوم الحديث في هذا العصر واعتمد عليهم من جاء بعدهم: الحاكم النيسابوري والخطيب البغدادي.

أمَّا الحاكم؛ فقد شقَّ الطريق لَمَن بعده بوضع كتابه المذكور، قال ابن خلدون: «ومن فُحول علمائه (يعني: علوم الحديث) وأئمتهم أبو عبد الله الحاكم وتأليفه فيه مشهورة، وهو الذي هذبه وأظهر محاسنه».

وأمَّا الخطيبُ؛ فإنَّه قد صنَّف في كل فنٍّ من فنون الحديث كتابًا مفردًا جامعًا مُستوفيًا، حتى أضحت كتبه ملاذ الأئمة في فنون الحديث، كما قال الحافظ أبو بكر بن نقطة: «كُلُّ مَنْ أَنْصَف؛ عَلِمَ أَنَّ الْمُحَدِّثِينَ بَعْدَ الْخَطِيبِ عِيَالٌ عَلَى كِتَابِهِ»

وكان طابع الجمع في هذه التآليف بارزًا ظاهرًا، فقد عمد المصنفون إلى نقل أقوال أئمة الفنِّ في كل مسألة بأسانيدهم، ووضعوا لكل مجموعة منها عنوانًا يدلُّ على مضمونها، معتمدين على القارئ في فهمها، سوى شيء يسير من الإيضاح أو المناقشة.

ومع بداية القرن السابع الهجري بدأت مرحلة جديدة من مراحل تدوين علوم الحديث، وفيه بلغ التصنيف لهذا العلم كماله التام، فوضعت مؤلفات استوفت أنواع هذا العلم، وجمعت إلى ذلك تهذيب العبارات وتحضير المسائل بدقة، وكان أصحاب تلك التصانيف من الأئمة الكبار الذين أحاطوا بالحديث حفظًا، واضطلعوا من فنونه وأحوال أسانيدِهِ ومتونه دراية وعلمًا، على غرار الأئمة السابقين الكبار.

وكان رائد هذا التحول العظيم في تدوين هذا الفنِّ الإمام المُحدِّث الحافظ الفقيه الأصولي أبو عمرو عثمان بن الصلاح المتوفى سنة (٦٤٣هـ)، في كتابه المشهور «علوم الحديث»، فقد جمع فيه ما تفرق في الكتب السابقة، واستوفى أنواع علوم الحديث، وامتاز عما سبقه بما يلي:

(١) الاستنباط الدقيق لمذاهب العلماء وقواعدهم من أقوالهم المأثورة عنهم.

(٢) أنه ضبط التعاريف التي سبق بها وحررها، وأوضح تعاريف لم يُصرِّح بها من قبله.

(٣) أنه عقب على أقوال العلماء بتحقيقاته واجتهاداته .

وهكذا جاء كتابه متكاملًا في فنّ التصنيف، وكان فتحًا في تدوين هذا العلم، وابتداء عهد جديد له، نال من العلماء حظوة، وطارَت شهرته في الآفاق، وعم الثناء عليه، حتى صار صاحبه يُعرَف به فيقال: «صاحب كتاب علوم الحديث» .

وقد أصبح الكتاب إمامًا يُحتذى، ومرجعًا يُقتدى به، فعول عليه كلُّ مَنْ جاء بعده، فمنهم من اختصره، ومنهم من نظمه شعرًا، ومنهم من شرحه وعلّق عليه، لكنّ المصنفين في هذا الدور، كانوا -كما قدمنا- أئمة أجلة، فلم يقلدوه في القواعد العلمية، بل اجتهدوا رأيهم وكثيرًا ما ناقشوه أو خالفوه فيما قرره .

### ومن أهم المؤلفات في هذا العصر بعد كتاب ابن الصلاح:

(١) «الإرشاد»، للإمام يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة (٦٧٦هـ)، لخص فيه كتاب ابن الصلاح، ثم لخصه في كتاب «التقريب والتيسير لأحاديث البشير النذير» .

(٢) «التبصرة والتذكرة»، وهي منظومة في ألف بيت للإمام الحافظ عبد الرحيم بن الحسين العراقي المتوفى سنة (٨٠٦هـ)، ضمنها كتاب ابن الصلاح وتعقبه، وزاد عليه مسائل نافعة، ثم شرحها شرحًا قيمًا .

(٣) «التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح»، وهو شرح للحافظ العراقي أيضًا وضعه على كتاب ابن الصلاح، ويسمى أيضًا: «النكت» .

(٤) «الإفصاح على نكت ابن الصلاح»، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة (٨٥٢هـ) .

(٥) «فتح المغيث شرح ألفية العراقي في علم الحديث»، للحافظ شمس الدين محمد السخاوي المتوفى سنة (٩٠٢هـ)، وقد امتاز بالتحقيق والتتبع للمسائل في كتب السنة وعلوم الحديث .

(٦) «تدريب الراوي شرح تقريب النواوي»، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ)، ويغلب عليه طابع الجمع، وإن كان لا يخلو من مناقشات مفيدة.

(٧) «نخبة الفكر»، وشرحه «نزهة النظر»، كلاهما للحافظ ابن حجر. وغير ذلك من التأليف التي جاءت بعد ابن الصلاح، والتي يصعب حصرها وقد بُني كثير منها على كتابه.

ومع بداية القرن العاشر الهجري اتسم البحث في علوم الحديث بالركود والجمود، وتوقف فيه الاجتهاد في مسائل العلم والابتكار في التصنيف، وكثرت المختصرات في علوم الحديث شعراً ونثراً، وانشغل الكُتّاب بمناقشات لفظية لعبارات المؤلفين، دون الدخول في عمق الموضوع تحقيقاً أو اجتهاداً، ومن أبرز المؤلفات:

(١) «المنظومة البيقونية»، لعمر بن محمد بن فتوح البيقوني الدمشقي، المتوفى سنة (١٠٨٠هـ)، في ست وثلاثين بيتاً، وتمتاز عن غيرها من المنظومات المختصة بعدوبة النظم وسهولة العبارة، حتى إنها لتصلح مذكرة للطالب في هذا العلم، وقد وضعت لها شروح كثيرة.

(٢) «توضيح الأفكار»، للصنعاني محمد بن إسماعيل الأمير، المتوفى سنة (١١٨٢هـ)، وهو كتاب حافل مفيد.

(٣) «شرح نزهة النظر على نخبة الفكر»، للشيخ علي بن سلطان الهروي القارئ، المتوفى سنة (١٠١٤هـ)، ويُعرف كتابه هذا باسم: «شرح الشرح»، ولم يخلُ من فوائد في أبحاثه لغزارة علم مؤلفه رحمته الله.

وقد شهدت هذه الفترة نهضة للحديث في ديار الهند، كانت على مستوى عالٍ في البحث والعلم وذلك على يد العلامة الإمام المُحدِّث شاه ولي الله الدهلوي المتوفى سنة (١١٧٦هـ)، ثم على يد أولاده وأحفاده، ومن تخرَّج على طريقته ومدرسته، فاشتغلوا بعلم السُّنة عن غيره من العلوم.



\* أمّا في القرن الثالث عشر فمن أشهر علمائه:

(١) القاضي الشوكاني (١٢٥٥هـ)، ومن مصنفاته «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار» شرح فيه كتاب «منتقى الأخبار» لمجد الدين ابن تيمية، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، وقد ذكر فيه كثيرًا من الأحاديث التي لم تبلغ درجة الوضع.

(٢) العلامّة محمد بن محمد بن عبد الرزاق أبو الفيض المصري المشهور بمرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ)، ومن مصنفاته: «التعليقات الجليّة على مسلمات ابن عقيلة»، و«الإسعاف بالحديث المسلسل بالأشرف»، يعني: حديث: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي»، و«المرقاة العلية في شرح الحديث المسلسل بالأولية».

\* أمّا القرن الرابع عشر فمن أشهر علمائه:

(١) العلامّة أبو الحسنات عبد الحي بن محمد اللكنوي (١٣٠٤هـ)، ومن مصنفاته: «الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة»، و«ظفر الأمانى في شرح مختصر الجرجاني»، و«الرفع والتكميل في الجرح والتعديل»، و«الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة».

(٢) العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني (١٣٤٥هـ)، ومن مصنفاته كتاب: «الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة».

(٣) العلامة أحمد محمد شاكر (١٣٧٩هـ)، قام بتحقيق عديد من كتب السنّة تحقيقًا علميًا متميزًا مع الكلام على الأحاديث تصحيحًا وتضعيفًا منها مسند الإمام أحمد، وقد خرج منه بتحقيقه ستة عشر جزءًا طبعة دار المعارف، وهي تعدل ثلث المسند ولم يتمه، وقام أيضًا بتحقيق سنن الترمذي، وصدر منها بتحقيقه مجلدتان تشملان ستمائة حديث، وقام أيضًا بتحقيق أجزاء من تفسير جامع البيان لابن جرير الطبري بالاشتراك مع أخيه محمود محمد شاكر وله شرح على مختصر الحافظ ابن كثير لمقدمة ابن الصلاح سماه الباعث الحثيث بشرح مختصر الحديث.

أنواع المصنفات في الحديث النبوي<sup>(١)</sup>:

أولاً: الكتب المصنفة على الأبواب:

وطريقة هذا التصنيف: أن تُجمع الأحاديث ذات الموضوع الواحد إلى بعضها البعض، تحت عنوان عام يجمعها، مثل كتاب الصلاة، كتاب الزكاة، كتاب البيوع . . . . ثم تُوزَّع الأحاديث على أبواب يضم كل باب حديثاً أو أحاديث في مسألة جزئية، ويوضع لهذا الباب عنوان يدلُّ على الموضوع، مثل: «باب مفتاح الصلاة الطهور»، ويُسمَّى المحدثون العنوان «ترجمة».

وفائدة هذا النوع من الكتب سهولة الرجوع إليه، حيث إنه أول ما يتبادر لطالب العلم، والباحث عن الحديث أن يرجع إليه؛ وذلك لأنه إن كان يريد الاطلاع على أحاديث في مسألة معينة؛ فإنَّ موضوع هذه الأحاديث يُحتمُّ عليه الرجوع للأبواب، وإن كان يريد البحث عن حديث رآه ليخرجه من مصادر السنة، فموضوع الحديث يحدد له الباب الذي يبحث فيه عن الحديث المطلوب.

وللتصنيف على الأبواب طرق متعددة نذكر منها ما يلي:

(١) «الجوامع»:

«الجامع في اصطلاح المحدثين»، هو كتاب الحديث المرتب على الأبواب الذي يوجد فيه أحاديث في جميع موضوعات الدين وأبوابه، وعددها ثمانية أبواب رئيسية هي العقائد والأحكام، والسير، والآداب، والتفسير، والفتن، وأشراط الساعة، والمناقب، وكتب الجوامع كثيرة، أشهرها: «الجامع الصحيح»، للإمام

(١) يُنظر: «منهج النقد في علوم الحديث»، د/ نور الدين عتر.

البخاري، و«الجامع الصحيح»، للإمام مسلم، و«الجامع للإمام»، الترمذي المشتهر بـ«سنن الترمذي»، وسُمِّي سنننا لاعتنائه بأحاديث الأحكام.

## (٢) «السنن»:

كتب السنن هي الكتب التي تجمع أحاديث الأحكام المرفوعة مرتبة على أبواب الفقه، وأشهر كتب السنن: «سنن أبي داود»، و«سنن الترمذي»، وهو «جامع الترمذي» كما ذكرنا، و«سنن النسائي»، و«سنن ابن ماجه»، ويطلق على هذه السنن السنن الأربعة، وإذا قالوا: الثلاثة فمرادهم هذه ما عدا ابن ماجه، وإذا قالوا الخمسة فمرادهم السنن الأربعة و«مسند أحمد»، وإذا قالوا: الستة فمرادهم الصحيحان والسنن الأربعة.

## (٣) «المصنفات»:

وهي كتب مرتبة على الأبواب، لكنّها تشتمل على الحديث الموقوف والحديث المقطوع، بالإضافة إلى الحديث المرفوع، ومن أشهر المصنفات: «مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني»، و«مصنف أبي بكر ابن أبي شيبة».

## (٤) «المستدركات»:

«الاستدراك في اصطلاح أهل الحديث»، هو جمع الأحاديث التي تكون على شرط أحد المصنفين ولم يخرجها في كتابه، ومعلوم أنّ الشيخين البخاري ومسلم لم يستوعبا الصحيح في كتابيهما، ولا التزما ذلك، إذن فهناك أحاديث هي على شرطهما أو على شرط أحدهما لم يخرجها في كتابيهما، وقد عنى العلماء بالاستدراك عليهما، وألّفوا في ذلك المصنفات، وأطلقوا عليها اسم المستدركات، وأشهرها المستدرك للحاكم.

## (٥) «المستخرجات»:

معنى الاستخراج: هو أن يعمد حافظ من الحفاظ إلى كتاب من كتب الحديث كـ«صحيح البخاري»، أو «صحيح مسلم»، أو غيرها من الكتب فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب، فيجتمع معه في شيخه أو من فوقه، ولو في الصحابي مع رعاية ترتيبه ومتونه وطرق أسانيدته، وشرطه ألا

يصل إلى شيخ أبعد حتى يفقد سنداً يوصله إلى الأقرب ما لم يكن هناك عذر من علو في السند أو زيادة مهمة في المتن، وربما أسقط المستخرج أحاديث لم يجد له بها سنداً يرتضيه، وربما ذكرها من طريق صاحب الكتاب الذي يستخرج عليه، وأشهرها الكتب المخرجة على الصحيحين أو أحدهما.

### ثانياً: الكتب المرتبة على أسماء الصحابة:

وهي كتب تجمع الأحاديث التي يرويها كل صحابي في موضع خاصّ يحمل اسم راويها الصحابي، وهذه الطريقة مفيدة لمعرفة عدد مرويات الصحابي عن النبي ﷺ وطبيعتها، وتسهيل اختبارها، فضلاً عن كونها إحدى الطرق المفيدة في استخراج الحديث بمعرفة الصحابي الذي يرويه، وما يتبع ذلك من سهولة درسه، والكتب المرتبة على أسماء الصحابة نوعان:

#### (١) «المسانيد»:

والمسند هو الكتاب الذي تذكر فيه الأحاديث على ترتيب الصحابة ﷺ، بحيث يوافق حروف الهجاء، أو يوافق السوابق الإسلامية، أو شرف النسب، والمسانيد كثيرة جداً أشهرها وأعلىها «مسند الإمام أحمد بن حنبل»، ثم «مسند أبي يعلى الموصلي».

#### (٢) «الأطراف»:

الأطراف جمع طرف، وطرف الحديث الجزء الدال على الحديث، أو العبارة الدالة عليه، مثل حديث الأعمال بالنيات، وحديث سؤال جبريل. وكتب الأطراف: كتب يقتصر مؤلفوها على ذكر طرف الحديث الدال عليه، ثم ذكر أسانيده في المراجع التي ترويه بإسنادها، وبعضهم يذكر الإسناد كاملاً، وبعضهم يقتصر على جزء من الإسناد، لكنّها لا تذكر متن الحديث كاملاً، كما أنّها لا تلتزم أن يكون الطرف المذكور من نص الحديث حرفياً، ولهذه الطريقة من الفوائد سوى ما ذكرناه:

(١) تسهيل معرفة أسانيد الحديث، لاجتماعها في موضع واحد.

(٢) معرفة من أخرج الحديث من أصحاب المصادر الأصول، والباب الذي أخرجوه فيه، فهي نوع من الفهارس متعدد الفوائد.

### ومن أشهر كتب الأطراف:

(١) «تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف»، للحافظ الإمام أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزني المتوفى سنة (٧٤٢هـ).

(٢) «ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث»، تصنيف الشيخ عبد الغني النابلسي المتوفى سنة (١١٤٣هـ).

### ثالثاً: المعاجم:

«المعجم في اصطلاح المُحدِّثين»، كتاب تذكر فيه الأحاديث على ترتيب الشيوخ، والغالب عليها اتباع الترتيب على حروف الهجاء، فيبدأ المؤلف المعجم بالأحاديث التي يرويها عن شيخه أبان، ثم إبراهيم، وهكذا.

وأشهر مصنفات هذا النوع المعاجم الثلاثة للمحدث الحافظ الكبير أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المتوفى سنة (٣٦٠هـ)، وهي:

- «المعجم الصغير»، و«المعجم الأوسط»، وكلاهما مرتب على أسماء شيوخه.

- «المعجم الكبير»، وهو على مسانيد الصحابة، مرتبة على حروف المعجم، وهو مرجع حافل، ويعد أكبر المعاجم، حتى صار لشهرته إذا أطلق قولهم «المعجم»، أو أخرجه الطبراني كان المراد هو «المعجم الكبير».

### رابعاً: الكتب المرتبة على أوائل الأحاديث:

وهي كتب مرتبة على حروف المعجم، بحسب أول كلمة من الحديث، تبدأ بالهمزة، ثم بالباء وهكذا، وهذه الطريقة سهلة جداً للمراجعة، لكن لا بد لها من معرفة الكلمة الأولى من الحديث بلفظها معرفة أكيدة، وإلا ذهب الجهد في البحث عن الحديث هنا دون جدوى، وهذه المصنفات لها طريقتان:

(أ) كتب مجامع: تجمع أحاديث كتب حديثية متعددة ممَّا سنذكره في النوع التالي.

(ب) كتب في الأحاديث المشتهرة على الألسنة: أي الأحاديث التي تتداولها ألسنة العامة، عني العلماء بجمعها في كتب خاصة لبيان حالها، ونذكر من أشهر هذه الكتب وأهمها كتابين:

(١) «المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة»، للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٩٠٢هـ).

(٢) «كشف الخفاء، ومزيل الإلباس عما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس»، للعلامة المحدث إسماعيل بن محمد العجلوني (١١٦٢هـ).

ويلحق بهذا النوع من المصنفات ما وضعه العصريون من مفاتيح لكتب حديثية، أو فهارس ألحقوها بكتاب من هذه الكتب على ترتيب حروف المعجم، ومن هذه المفاتيح مفتاح الصحيحين للتوقادي، ومن الفهارس «فهارس صحيح مسلم»، و«فهارس سنن ابن ماجه» التي وضعها محمد فؤاد عبد الباقي.

#### خامساً: المصنفات الجامعة «المجامع»:

وهي كتب تجمع أحاديث عدة كتب من مصادر الحديث، وهي مرتبة على طريقتين:

الطريقة الأولى: التصنيف على الأبواب، وأهم مراجعها:

(١) «جامع الأصول من أحاديث الرسول»، لابن الأثير المبارك ابن محمد الجزري (٦٠٦هـ)، جمع فيه أحاديث الصحيحين، والموطأ، والسنن الثلاثة، وجردها من الأسانيد، وأردفها بكلام موجز على غريب الألفاظ، لكنّه أغفل بيان درجة أحاديث السنن، حتى أنه لم يذكر كلام الترمذي على أحاديثه، فأعوز القارئ البحث عن هذا الجانب، وقد ذيلت طبعة الكتاب بتخريج مفصل للأحاديث، يعزو كل حديث إلى الكتب مع بيان الباب، والجزء والصفحة، فسهل بعض فائدته بذلك.

(٢) «كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال»، للشيخ المحدث علي بن حسام المتقي الهندي (٩٧٥هـ)، وهو أجمع كتب هذا الفن، جمع أحاديث كتب كثيرة، فجاء كتابه حافلاً لا مثيل له في الجمع، إلا أنه أغفل بيان حال الأحاديث، كما أن فيه إغواً في التخريج حتى إنه ربما عزى الحديث لمرجع من المراجع البعيدة عن التناول وعن الاعتماد، وهو موجود في الصحاح، بل في أصحها.

الطريقة الثانية: ترتيب الأحاديث على أول كلمة فيها حسب ترتيب حروف المعجم، وأهم المراجع فيها:

(١) «الجامع الكبير»، أو «جمع الجوامع»، للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، وهو أصل كتاب «كنز العمال» الذي عرفنا به.

(٢) «الجامع الصغير لأحاديث البشير النذير»، للإمام السيوطي أيضاً، اقتضبه من «الجامع الكبير»، وحذف منه التكرار، وزاد فيه أحاديث، فبلغ عدد أحاديثه عشرة آلاف وواحدًا وثلاثين حديثاً، وقد نال الحظوة عند العلماء، وكثرت حوله الشروح.

### سادساً: مصنفات الزوائد:

وهي مصنفات تجمع الأحاديث الزائدة في بعض كتب الحديث على أحاديث كتب أخرى، دون الأحاديث المشتركة بين المجموعتين، وقد أكثر العلماء من تصنيف الزوائد، ومن أهمها:

(١) «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧هـ)، جمع فيه ما زاد على الكتب الستة من ستة مراجع مهمة، وهي: «مسند أحمد»، و«مسند أبي يعلى الموصلي»، و«مسند البزار»، والمعاجم الثلاثة للطبراني، كما عني ببيان حال الأحاديث صحة وضعفاً، واتصلاً وانقطاعاً، وأفاد غاية الفائدة.

(٢) «المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية»، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، جمع فيه الزوائد على الكتب الستة من ثمانية مسانيد،

وهي: لأبي داود الطيالسي، والحُميدي، وابن أبي عمر، ومسدد، وأحمد بن منيع، وأبي بكر ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والحارث بن أبي أسامة، وأضاف زيادات من مسند أبي يعلى، ومسند إسحاق بن راهويه ليست في مجمع الزوائد.

### سابعاً: كتب التخرّيج:

وهي كتب تؤلف لتخرّيج أحاديث كتاب معين، ونعرّف بأهمها فيما يلي:

(١) «نصب الراية لأحاديث الهداية»، تأليف الإمام الحافظ جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي الحنفي (٥٧٦٢هـ)، خرج فيه أحاديث كتاب الهداية في الفقه الحنفي لمؤلفه علي بن أبي بكر المرغيناني من كبار فقهاء الحنفية.

(٢) «المغني عن حمل الأسفار في تخرّيج ما في الإحياء من الأخبار»، تأليف الحافظ العراقي (٨٠٦هـ)، وقد خرج في كتابه هذا أحاديث كتاب «إحياء علوم الدين»، للإمام الغزالي، وذلك بأن يذكر طرف الحديث من أحاديث الأحياء، ثم يُبيّن مَنْ أخرجها، وصحابيه الذي رواه، ويتكلم عليه درجته بالصحة أو الضعف.

(٣) «التخليص الحبير في تخرّيج أحاديث الرافعي الكبير»، للحافظ ابن حجر، وخرج فيه أحاديث «الشرح الكبير للرافعي» الذي شرح به كتاب «الوجيز في فقه الشافعي»، للإمام الغزالي، ولخصّ في تخرّيجه هذا كتباً عدة صنفت قبله في تخرّيج أحاديث الشرح الكبير، وأفاد كذلك من نصب الراية للزيلعي، فجاء كتابه حافلاً جامعاً لما تفرق في غيره من الفوائد.

### ثامناً: الأجزاء:

«الجزء في اصطلاح المحدثين»، هو تأليف يجمع الأحاديث المروية عن رجل واحد، سواء كان الرجل من طبقة الصحابة أو مَنْ بعدهم كجزء حديث أبي بكر، وجزء حديث مالك.

كما أنّه يطلق الجزء على التأليف الذي يدرس أسانيد الحديث الواحد، ويتكلم عليه، مثل: «اختيار الأولي في حديث اختصاص الملاء الأعلى»، للحافظ



ابن رجب، كما أن الأجزاء الحديثية قد توضع في بعض الموضوعات الجزئية، مثل: «جزء القراءة خلف الإمام»، للبخاري، و«الرحلة في طلب الحديث»، للخطيب البغدادي.

وقد يجمع في الجزء أحاديث انتخبها المؤلف لما وقع لها في نفسه، كالعشاريات، والعشرينات والأربعينات، والخمسينات، والثمانينات.

ويتفاوت حجم الأجزاء من بضع أوراق إلى العشرات، والغالب أن تكون صغيرة، وتمتاز بأنها تبرز علم الأئمة، لما أن أفراد الموضوع الجزئي بالبحث يتطلب استقصاء وعمقا.

### تاسعا: المشيخات:

وهي كتب يجمع فيها المحدثون أسماء شيوخهم، وما تلقوه عليهم من الكتب أو الأحاديث مع إسنادهم إلى مؤلفي الكتب التي تلقوها.

ولهم فيها مسالك عديدة في ترتيبها، ومنها ما يُسمَّى فهرسا أو ثبتا، ومن أشهرها «برنامج شيوخ الرعيني» المسمى: «الإيراد لنبذة المستفاد من الرواية والإسناد»، و«فهرست الإمام أبي بكر محمد بن خير».

### عاشرا: العلل:

وهي الكتب التي يجمع فيها الأحاديث المُعلَّة، مع بيان عللها، والتصنيف على العلل يأتي في الذروة من أعمال المحدثين، لما يحتاج إليه من الجهد الحثيث، والصبر الطويل في تنبع الأسانيد، وإمعان النظر، وتكراره فيها لاستنباط خفي أمرها الذي يستره الطلاء الظاهري الموهم للصحة.



## ٤- العقيدة

### مفهوم العقيدة بين اللغة والاصطلاح

العقيدة هي الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، وهي كلمة مُؤلَّدة يقصد بها الرؤية النظرية التي تعبر عن حقيقة أساسية غير قابلة للنقاش أو الرد في ميادين الفكر والدين والفلسفة، وهي غالبًا ما ترد للدلالة على المعتقد النظري في الدين في مقابل السلوك العلمي؛ كعقيدة وجود الله وإرسال الرسل، وتجمع على عقائد، ويستخدم للدلالة على هذا المفهوم أيضًا كلمات أخرى تشترك في أصل المادة من مثل: اعتقاد واعتقادات ومعتقد ومعتقدات.

ويعبر عن هذه المفاهيم في الإنجليزية بكلمات من مثل:

١- Dogma = عقيدة، مبدأ

٢- Doctrine = مذهب، عقيدة، مبدأ

٣- Belief = إيمان، معتقد، عقيدة، تصديق

وقريب من ذلك ما جاء في اللغة الفرنسية من كلمات للدلالة على ما سبق

من مثل:

## ١ - عقيدة، مبدأ: Dogme

وهي كلمة تشترك مع الإنجليزية في الأصل اللاتيني والإغريقي dogma ومعناها في الفرنسية: opinion، croyance = رؤية اعتقادية موضوعة بحيث ينظر إليها على أنها حقيقة أساسية غير قابلة للنقاش incontestable في دين أو مدرسة فلسفية معينة كما في قولهم: les dogmes du christianisme أي المبادئ أو العقائد المسيحية، ومن معاني كلمة dogme أيضًا، الرأي المعبر عنه باعتباره يقينًا أو حقيقة غير قابلة للجدل، ويدخل فيها المعتقدات السياسية، والرؤى الأدبية، والآراء العلمية، ومن ذلك قول الكاتب والأديب الفرنسي «فيكتور هوجو» Victor Hugo (١٨٨٥م): الحرية والمساواة والإخاء تلك هي مبادئ السلام والانسجام (يعني بين أفراد المجتمع)، «Ce Sont des dogmes de paix et d'harmonie» وفي النهاية تستخدم كلمة Dogme أيضًا للدلالة على مجموعة الاعتقادات لدين من الأديان = L'ensemble des dogmes d'une religion .

## ٢ - مذهب، عقيدة مبدأ: Croyance

إيمان واعتقاد راسخ ويقين لا يزعزعه شك كما في قولهم: الإيمان بالله أو الاعتقاد في الله = Croyance en Dieu، والاعتقادات الدينية = Croyances religieuses .

## ٣ - إيمان، معتقد، عقيدة، تصديق: Doctrine

عقيدة، مذهب، ومن ذلك قولهم: Une bonne doctrine أي عقيدة صحيحة، وقولهم عقيدة سياسية: doctrine Politique .

## أ- مفهوم كلمة عقيدة في اللغة العربية:

وبالعودة إلى نظام الاشتقاق في الصرف العربي سنجد أن كلمة «عقيدة» على وزن فعيلة، من الفعل عقد، تأتي بمعنى مفعولة أي معقودة، فإذا راجعنا معاجم اللغة العربية للوقوف على المعاني الدلالية لمادة عقد وللمواد المأخوذة منها، فإننا سنضع أيدينا على مجموعة من الملاحظات التي نلخصها فيما يلي:

١- الفعل «عقد» يأتي أحياناً ذا دلالة معنوية كما في قولهم: عقد العهد واليمين يَعْقُدُهُ عَقْدًا وَتَعْقُدًا وَعَقْدَهُ، ومن ذلك «عقدة النكاح» كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْرَمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكَرْبُ أَجَلَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥] وكقوله تعالى في عقد اليمين: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَأَتَوْهُم بِمَا نَاصِبُهُمْ﴾ [النساء: ٣٣] وفي قراءات أخرى: عاقدت وعقدت، ما يفيد التوكيد والتغليظ بهدف حفظ الإيمان والعهود والمواثيق، وإلى هذا المعنى تشير الآية الأخرى، ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩]، بل إن الله تعالى أمر المؤمنين أمراً لازماً لا مناص عنه، بالوفاء بالعهود والالتزامات والعقود التي أبرموها والتزموا بأدائها كما في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] وهي العقود التي عقدها الله تعالى عليهم سلفاً ومنها عقد الميثاق في عالم الذر يوم (ألست)، والعقود التي يعقدها بعضهم مع بعض على ما يوجبه الدين.

ومن ذلك أيضاً قولهم: عَقَدَ فلان كلامه أي أعوصه وعمّاه، وكلام معقّد أي غامض عسير على الفهم ويدخل في ذلك قولهم للساحر: مُعَقِّدٌ لما يحتويه كلامه وتتضمنه طقوسه من أمور معقّدة عويصة على الفهم والإدراك أو لما يقوم به من عقد عقد السحر للإفساد وهو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤]، ويقال عَقَدَ قلبه على الشيء: لزمه، وفي الحديث: «الخيال معقود في نواصيها الخير»، أي ملازم لها كأنه معقود فيها، وعقدة النكاح والبيع: وجوبهما، كما أن عقدة كل شيء إبرامه واستحكامه، كقولنا: تعقّد الإخاء بيننا أي استحکم واشتد، ويقال للرجل إذا سكن غضبه: قد تحللت عقده، وإذا اعتقد أحد رأياً بقلبه فأصبح معقوداً له صار ذا عقد ورأي، ويقال: عقد قلبه على شيء: لم ينزع عنه.

٢- غالباً ما يأتي الفعل عقد ومشتقاته ذا دلالة حسية كما في قولهم: فلان لا يعقد الحبل أي أنه يعجز عن هذا على هوانه وخفته. ويقال: عقدت الحبل فهو معقود، وحجم العقد من الحبل يسمى عقدة، ولا شك أن العقدة هي أشد وأوثق وأمتن من غيرها من المواضع في الحبل. وكذا يسمى موضع جبر العظم المكسور -إذا لم يستو- عقدة لتمييزه وبروزه عن موضعه، وكذلك تسمى القلادة

عقدة. ويسمى الخيط الذي ينتظم الخرز وحبّات الجوهر عقداً ويقال: إن الخيط قد اعتقد الدر والخرز إذا أُلّف بينها وجمعها معاً في موضع واحد، ويقال أيضاً: عقد التاج فوق رأسه واعتقده أي عصبه به، وعقد البناء بالجص يعقده عقداً: الرزقه، وتعقد القوس في السماء إذا صار كأنه قوس مبنى، وكذلك قولهم: تعقد السحاب. وعقد العسل والرُب (عصير التمر المطبوخ) يعقد، وانعقد وأعقدته فهو مُعقد وعقيد: غلظ قوامه نتيجة تقارب جزيئاته وقلة الماء فيه، ويقال: عقد فلان ناصيته إذا غضب وتهياً للشر، واعتقد الشيء: صلب واشتد، واعتقد أرضاً: اشتراها؛ لأن العقدة هي الضيعة أو الأرض الكثيرة الشجر والمعنى هنا اعتقدها أي ضمها لملكه واقتناها.

٣- المعنى الكلبي الذي تدور حوله دلالة الفعل «عقد» في شقيها الحسي والمعنوي هو معنى الشدّ وشدة الوثوق والقوة والإحكام والترابط وضم الأشياء بعضها إلى بعض، والإلزام والإبرام والثبات والتمكن والاستقرار، يقول ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): العين والقاف والبدال أصل واحد يدل على شد وشدة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها.

٤- يشير استعمال الفعل عقد في «عقود» البيع والنكاح والشركة ونحو ذلك، إلى حدوث تطور لغوي، يبقى فيه المعنى العام ذو الدلالات المادية والحسية مضافاً إليه دلالات معنوية جديدة تفيدها الطبيعة القانونية لتلك العقود من إيجاب وقبول وقصد وشهود وتوثيق وحقوق مترتبة عليها، فضلاً عن توافر الضوابط اللازمة لإقامة تلك العقود كالأهلية والحرية والعقل وغيرها، يقول صاحب تاج العروس: «عقد الحبل: شدّه، وأصل العقيد نقيض الحل... ثم استعمل في أنواع العقود من البيوعات، والعقد بفتح فسكون الضمان والعهد جمعه العقود».

٥- حوت المعاجم العربية القديمة إشارات دالة على إمكانية استعمال كلمة عقد ومشتقاتها للدلالة على المعنى الاصطلاحي الذي ظهر في مراحل متأخرة حيث نجد الخليل بن أحمد (ت سنة ١٧٥هـ) يذكر في معجمه (العين) -وهو من أقدم معاجم اللغة العربية إن لم يكن أقدمها على الإطلاق- واحدة من

تلك الإشارات في قوله: «عقد قلبه على شيء: لم ينزع عنه». وهو ما نجده أيضًا عند ابن فارس فيما بعد-: «عقد قلبه على كذا فلا ينزع عنه»، ثم عند ابن منظور (ت سنة ٧١١هـ): «وعقد قلبه على الشيء: لزمه . . . واعتقد كذا بقلبه، وليس له معقود أي عَقْدُ رأي . . .»، إلى أن تحولت الإشارة إلى عبارة واضحة لدى الزبيدي (ت سنة ١٢٠٥هـ) حيث يقول: «ثم استعمل (أي لفظ عقد ومشتقاته) في التصميم والاعتقاد الجازم . . . واعتقد كذا بقلبه».

٦- لم ترد كلمة «عقيدة» بتلك الصورة الاشتقاقية، وكذا جمعها عقائد، واعتقاد ومعتقد في أي من معاجم اللغة العربية القديمة التي اطلعت عليها، حيث اقتصر استخدام تلك المعاجم على كلمات قريبة من ذلك من مثل:

عقيد: وهو السائل (كالعسل والرُّبِّ وغيرهما) الذي نعقده (بالتقليب والتسخين وما شابه) فينعقد أي يغلظ قوامه فيصبح مُعَقَّدًا ويسمى عقيدًا بمعنى معقود.

اعتقد كما في قولهم: اعتقد الشيء: صَلَّب واشتد، واعتقد أرضًا اقتناها، واعتقد كذا بقلبه. على حين تورد المعاجم العربية الحديثة كلمة «عقيدة» هكذا مشيرة إلى حدوثها كما في المعجم الوسيط مثلاً.

وفي إطار المعنى اللغوي لكلمة «عقيدة» يلاحظ اتساع مجال الاستخدام اللغوي للكلمة للتعبير عن كل فكرة أو مبدأ أو منهج في الدين والحياة ليشمل: العقائد الدينية باختلاف دروبها وتنوع مصادرها فيقال: العقيدة الإسلامية، والعقيدة المسيحية، والعقيدة اليهودية، كما يقال: العقيدة الهندوسية والبوذية . . . إلخ، بل إن الكلمة قد تطلق أحيانًا مقترنة بإنكار الدين والكفر بالألوهية كأن يقال: عقيدة الإلحاد، أو عقيدة الكفر وإنكار عالم الغيب، كأولئك الذين ينكرون وجود الله ويرون ذلك خدعة كرسنها الطبقيّة الاجتماعية ويقولون: «لا إله والحياة مادة» مما يمكن أن يسمى بالعقيدة الماركسية أو الشيوعية.

وفي القرآن الكريم إشارات لمثل ذلك النمط من أنماط الاستخدام اللغوي حيث وصف القرآن صنفًا من الناس بأنهم يؤمنون بالباطل وبالآوثان والأصنام،

ويتخذون من ذلك عقيدة لهم يدافعون عنها ويضحون لأجلها، بل إنه وصف كفر المخالفين من المشركين بأنه دين وإن كان باطلاً؛ فقال: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عٰبِدُ مَا عٰبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكاٲرُونَ: ١-٦].

بل إن الاستخدام اللغوي العام لكلمة «عقيدة» يتسع ليتجاوز العقائد الدينية إلى مناهج وطرائق السياسة والاجتماع والاقتصاد والحرب، فيقال: العقيدة السياسية، والعقيدة العسكرية بمعنى الفكر السياسي والأسلوب العسكري.

ولذا كان من الطبيعي أن توصف كلمة العقيدة بوصف محدد لطبيعتها ومميز لها عما سواها من العقائد الدينية أو غيرها كما هو الحال بالنسبة للاعتقادات الكبرى ومبادئ الإسلام الأساسية والتي تعرف بالعقائد الإسلامية، وهي مجموع ما يجب الإيمان به إيماناً ثابتاً والتصديق بصحته تصديقاً جازماً لا يقبل الشك، والتي لا يصح الدين إلا بها كالإيمان بالله ووحديته وكمالاته، والإيمان بعالم الغيب وما فيه من مخلوقات روحانية طيبة سماها الشرع ملائكة ومخلوقات خبيثة شريرة عرفت بالشياطين، والإيمان بمن اصطفاهم الله من بين خلقه من الأنبياء والمرسلين ليحملوا رسالة الله وهدايته إلى الناس، والإيمان بالكتب التي أنزلها الله على أنبيائه وخاتمهم محمد ﷺ وبكتابه القرآن الكريم، والإيمان بالبعث بعد الموت وبالآخرة بعد انقضاء الدنيا للحساب والجزاء والثواب والعقاب إما بالنعيم المقيم وإما بالعذاب الأليم، والإيمان بما حواه علم الله تعالى من أقدار ومقادير وأحكام وأقضية يعبر عنها بعقيدة الإيمان بالقضاء والقدر.

وتلك هي أصول العقيدة الإسلامية الكبرى التي لا يمكن التساهل فيها ولا يجوز الجهل بها ولا يصح الاختلاف حول أي منها، فالإيمان بها واجب وإنكار شيء منها ناقض للدين وطاعن في أصله: ﴿ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلٰٓئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفِرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلٰٓئِكَةِ وَالْكِتٰبِ وَالنَّبِيِّنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وفي حديث جبريل: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره...».



## ب- مفهوم العقيدة في الاصطلاح:

ظلت العقيدة الإسلامية وقضاياها مثار اهتمام وعناية العلم الذي اختصّه المسلمون ببيان مسائل تلك العقيدة والبرهنة على صحتها من خلال الأدلة العقلية، والدفاع عنها أمام هجمات المناوئين والمشككين، ذلك العلم الذي تعددت أسماؤه وكثرت ألقابه فسمي «علم الكلام» و«علم أصول الدين» و«علم التوحيد» و«علم الفقه الأكبر» و«علم الإيمان» و«علم الأسماء والصفات»، و«علم أصول السنة» فضلاً عن تسميته الجديدة نسبياً بعلم «العقيدة» أو «العقائد الإسلامية».

وقد غطت شهرة بعض تلك الأسماء - قديماً - ك «علم الكلام» و«علم التوحيد» و«علم أصول الدين» على بقية الأسماء حيث ظهرت معظم مؤلفات فترة بواكير نشأة هذا العلم تحمل عناوين ترتبط بهذه الأسماء الثلاثة، وعليه فقد حظيت تلك الأسماء بكثير من الشرح والتعريف ضمن قوائم المصطلحات الخاصة بهذا العلم، وفي سياق معالجة مسائله وقضاياها في دواوين مؤلفاته الكثيرة، بينما لم تنل مصطلحات «عقيدة» واعتقاد ما تستحقه من عناية في مجال التعريف الاصطلاحي.

وربما يرجع السبب وراء قلة العناية من جانب علماء الكلام والتوحيد بالتعريف بمثل تلك المصطلحات إلى ما يلي:

١- عدم التزام المتقدمين بتعريف هذا المصطلح في مقدمة كتبهم خلافاً لما حدث مع غيره من المصطلحات.

٢- عدم شيوع هذا المصطلح في المراحل الأولى لهذا العلم.

٣- أن غالبية المؤلفات التي حملت اسم عقيدة أو عقائد أو اعتقاد أو معتقدات كانت تميل نحو تقرير العقائد الدينية دون الخوض في أساليب البرهنة العقلية والجدل المنطقي وطرق الدفاع أو الهجوم ضد أو على العقائد المخالفة، وعليه فلم تشعر تلك المؤلفات بالحاجة إلى الوقوف أمام المصطلحات الواردة

فيها وقوفاً فنياً قائماً على الشرح والتحليل والتعريف بها، وبخاصة مصطلحات «عقيدة» أو «اعتقاد».

٤- أن كلمة عقيدة لم ترد في النصوص العربية والإسلامية الأولى، وهو ما لاحظناه في النصوص المعجمية القديمة، وكذا في القرآن الكريم والسنة النبوية ودواوينها.

ومن ثم قلت التعريفات المخصصة لمصطلح عقيدة وعقائد وانحصرت في معظمها في إطار المتكلمين المتأخرين، ومن ذلك تعريف الإيجي (ت ٧٥٦هـ) للعقائد بأنها «ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل». وهو التعريف نفسه الذي ذكره الجرجاني (ت سنة ٨١٦هـ) في كتابه التعريفات: «ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل»، فالمراد بالعقيدة هنا هو عين المعتقد الحاصل في القلب وذلك في مقابل الأحكام العملية والتطبيقات الشرعية التي تهتم بها علوم الشريعة والفقه والنظم الإسلامية.

وهذا لا ينفي وجود إشارات قليلة في كتب الجيلين الأول والثاني من علماء الكلام في مدارسه المختلفة سواء كانوا من المعتزلة أو أهل السنة (بالمفهوم الواسع للمصطلح الذي يضم علماء الاتجاه السلفي من أصحاب الحديث، وعلماء المدرسة الأشعرية والمدرسة الماتريدية) أو حتى لدى بعض الفرق الإسلامية الأخرى.

حيث وردت لدى كثير من أصحاب تلك المدارس كلمات عَقَد واعتقاد ومعتقد فضلاً عن إطلاق اسم عقيدة على بعض المؤلفات التي تضم مجمل الاعتقادات الدينية التي ارتضتها هذه المدرسة أو تلك، والتي يعود بعضها إلى فترات مبكرة من تاريخنا تصل إلى القرن الأول الهجري كما سنذكر ذلك تفصيلاً في موضعه.

ونكتفي هنا بذكر بعض الأمثلة من النصوص التي وردت فيها بعض تلك الكلمات، والتي تشمل كذلك محاولات أولية للتعريف بمصطلح عقيدة أو اعتقاد ومن ذلك:

١- كلمات مأثورة تنسب إلى جيل الصحابة والتابعين تم توظيف مادة عَقَدَ فيها للدلالة عما ينعقد في القلب ويستقر فيه من حقائق الدين وأصول الإيمان، كالذي ينسب مثلاً إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في قوله: «الإيمان قول باللسان وعقد بالقلب وعمل بالأركان». وهو ما اشتهر من بعد لدى علماء السلف وأئمة السنة من أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح. وحكاه ابن تيمية عن جم غفير من الفقهاء وأهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر منهم مالك بن أنس، والليث بن سعد، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو عبيد القاسم ابن سلام، وداود بن علي، والطبري، ومن سلك سبيلهم. وفي أحيان كثيرة ترد كلمة تصديق بدلاً من كلمة اعتقاد، كما ذكر ابن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٢هـ) في شرحه لعقيدة أبي جعفر الطحاوي (ت سنة ٣٢١هـ) حيث ذكر عدداً من هؤلاء الأئمة وأخبر عن قولهم في الإيمان بأنه «تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان».

٢- نصوص لعلماء ومتكلمين في مراحل مبكرة استخدمت كلمة عَقَدَ ومشتقاتها للدلالة على اليقين والتصديق القلبي كما نجد مثلاً عند:

• أبي الحسين الخياط المعتزلي (ت نحو سنة ٣٠٠هـ) في كتابه «الانتصار» حيث يقول: «... لأن الأمة بأسرها تصدق المعتزلة في أصولها التي تعتقدها وتدين بها وهو أن الله واحد ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ ولا تحيط به الأقطار وأنه لا يحول ولا يزول». ويذكر في موضع آخر نقلاً عن بعض أئمتهم أن من اظهر الإسلام فهو مسلم ومن اعتقد ذلك بقلبه فهو مؤمن إن كان باطنه كظاهره، وإلا فلا.

• أبي الحسن الأشعري (ت سنة ٣٢٤هـ) في رسالته إلى أهل الثغر، حيث يقول في وصف حال النبي ﷺ بين قومه: إنه «بلغ الرسالة وأدى الأمانة وأوضح الحججة في فساد جميع ما نهاهم عنه مما كانوا عليه ودلهم على صحة جميع ما دعاهم إلى اعتقاده وفعله بحجج الله وبياناته».

• الحارث المحاسبي (ت سنة ٢٤٣هـ) في كتابه «الرعاية»؛ حيث كتب تحت باب رعاية حقوق الله تعالى عند الخطرات في اعتقاد القلوب؛ ويعني بها ما تنطوي عليه القلوب من نيات وإرادات وهمم واعتقادات، يقول المحاسبي: «والراعون لحقوق الله ﷻ في منازل شتى، قد ينتقل كل راع منهم في تلك المنازل على قدر قوته وضعفه، فأول منزلة من الرعاية، وأهلها أقوى الخلق في الرعاية لحقوق الله ﷻ: الرعاية عند الخطرات بعد اعتقاد جمل حقوق الله ﷻ، فلا تخطر بقلبه خطرة من أعمال قلبه، إلا جعل الكتاب والسنة دليلين عليها فلم يقبلها باعتقاد الضمير وبتركها يسكن قلبه . . .».

ربما كان لتلك الإشارات ومثيلاتها الكثيرة جدًّا في مؤلفات علم الكلام في مراحلها الأولى، أثرها فيما عرضناه من تعريفات لمصطلح «عقيدة» لدى متأخري المتكلمين، حيث أكدت تلك الإشارات على العلاقة الوثيقة بين المعتقد ودور القلب في حمله واستظهاره، كما أكدت على المقابلة بين الاعتقاد والعمل مع مراعاة كونهما متلازمين مفترضين، لكل منهما دوره في تحقيق أصل الإيمان واستكمال شعبه وأركانه.

ولكن تجدر الإشارة هنا إلى ما فطن إليه بعض متكلمي المعتزلة، ومتأخري الأشاعرة من وجود فروق دقيقة بين مصطلح «اعتقاد» ومصطلحات «تصديق» و«علم» و«معرفة»؛ حيث ذكر هؤلاء أن التصديق بأمر من الأمور إما أن يكون جازمًا مع المطابقة للواقع وسكون الخاطر إليه وهو ما أسموه بالعلم، وإما أن يكون بدونها (أي بدون مطابقة وبدون سكون خاطر) وهو ما يسمى عندهم بالاعتقاد الفاسد أو الجهل المركب، وإما أن يكون الجزم مع مطابقة الواقع ولكن بدون سكون الخاطر وهو ما سموه بالاعتقاد الصحيح، أما إذا كان التصديق غير جازم، فهو إما أن يكون راجحًا وسموه ظنًّا وإما أن يكون مرجوحًا وسموه وهمًّا، وإما أن يكون في حالة تساوٍ بين الراجح والمرجوح وسموه شكًّا، والظن والوهم والشك لا تدخل في ضروب الاعتقادات.

وعليه، فالاعتقاد الصحيح عندهم يكون في درجة أدنى من درجة العلم والمعرفة والتصديق. وقد ذكر بعضهم في بيان ذلك أن الاعتقاد هو التسليم بشيء

ما أولاً بلا دليل، فإذا قام عليه الدليل صار علمًا. ولذا فالاعتقاد الذي يقع على سبيل التقليد، وهو ما لا يقتضي سكون النفس، لا يجوز أن يكون علمًا.

هذا وقد فرق القاضي عبد الجبار شيخ المعتزلة (ت سنة ٤١٥هـ) في كتابه «المغني» بين الاعتقاد والعلم من زاوية سكون النفس حيث قال: «إذا علمنا أن بين أن تسكن نفس المعتقد إلى معتقده، وبين ألا تسكن نفسه إليه، فرقًا، صح أن نصف الأول بأنه عالم والثاني بأنه معتقد وليس العالم...». وحكى ابن حزم قول طوائف من المتكلمين من الأشعرية وغيرهم، ممن ذهبوا إلى أن كل علم ومعرفة اعتقاد، وليس كل اعتقاد علمًا ولا معرفة، لأن العلم والمعرفة بالشيء إنما يعبر بهما عن تيقن صحته، قالوا: وتيقن الصحة لا يكون إلا ببرهان».

إلا أنه ينبغي التأكيد في هذا المقام على أن الاعتقادات الإسلامية - حسبما ورد في نصوص القرآن والسنة والروح العامة للإسلام - لا يمكن أن تؤسس على تقليد أو دعوى بلا دليل أو ظن أو وهم أو شك، بل إن أصولها جاءت مؤسسة على الدليل القطعي والبرهان العقلي، ولذا فهي اعتقادات وعلم ومعرفة وتصديق وإيقان، وليس هناك مجال للقول بأن أصول الاعتقادات الإسلامية جاءت بلا دليل يقطع الحجة ويرفع العذر ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١، التوبة: ٦٤] ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

فإذا انتقلنا إلى العصر الحديث وجدنا اهتمامًا أكبر من قبل الباحثين والدارسين لقضايا علم الكلام وأصول الدين بمصطلح «العقيدة»؛ حيث ألفت في ذلك عشرات الأبحاث والدراسات التي تحمل اسم «العقيدة» أو «العقائد الإسلامية» كما أطلق اسم العقيدة على عدد غير قليل من المؤسسات والأقسام العلمية بالجامعات والكليات الإسلامية.

ومن ثم نال هذا المصطلح حظًا أوفر من التعريف، فوجد التعريف التقليدي الذي نحا فيه أصحابه منحى السابقين من متكلمي الأشاعرة المتأخرين كما وجدنا عند الإيجي والجرجاني والدواني، من مثل تعريفات الشيخ محمد المطيعي والشيخ عليش، كما وجدت تعريفات أخرى اتجه أصحابها وجهات مستحدثة

كتعريف الشيخ محمود شلتوت للعقيدة بأنها: «الجانب النظري الذي يطلب الإيمان به أولاً قبل كل شيء، إيماناً لا يرقى إليه شك ولا تؤثر فيه شبهة، ومن طبيعتها تضافر النصوص الواضحة على تقريرها، وإجماع المسلمين عليها من يوم أن ابتدأت الدعوة».

وتعريف الأستاذ حسن البنا للعقائد بأنها: «الأمر التي يجب أن يصدق بها قلبك وتطمئن إليها نفسك وتكون يقيناً عندك لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك». والناس -عنده- بإزائها أقسام، فمنهم من تلقاها واعتقدتها عادة، وهذا لا يؤمن عليه من أن يتشكك إذا عرضت له الشبهات، ومنهم من نظر وفكر، فازداد إيمانه وقوى يقينه، ومنهم من أدام النظر وأعمل الفكر، واستعان بطاعة الله تعالى وامثال أمره وإحسان عبادته، فأشرقت مصابيح الهداية في قلبه، فرأى بنور بصيرته ما أكمل إيمانه وأتم يقينه، وثبت فؤاده ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ وَقُولَهُمْ﴾ [مُحَمَّدًا: ١٧].

وتعريف الشيخ أبي بكر الجزائري للعقيدة بأنها: «مجموعة من قضايا الحق البدئية المسلمة بالعقل، والسمع، والفطرة، يعقد عليها الإنسان قلبه ويثني عليها صدره جازماً بصحتها، قاطعاً بوجودها وثبوتها، لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبداً...».

والمتمأمل لهذه المجموعة الأخيرة من التعريفات يلاحظ أنها تكاد تتفق مع اختلاف مشارب أصحابها الفكرية- على عدد من النقاط منها:

١- أن العقيدة تمثل للمسلم الجانب النظري أو القاعدة المعرفية المتصورة في العقل والمركوزة في القلب.

٢- أن العقيدة الحققة ينبغي ألا تكون في نفوس معتنقيها محلاً للشك أو مثاراً للشبهة.

٣- أن مصدر العقيدة هو النص الديني الصحيح المدعوم بالموافقة العقلية والانسجام مع الفطرة الإنسانية فضلاً عن الإجماع الإسلامي العام منذ الجيل الأول وإلى يومنا هذا على الأصول والكليات الكبرى المتفق عليها فيما يتعلق بتلك العقيدة.

## أهمية العقيدة في الإسلام ومكانتها بين العلوم الشرعية

لا شك أن العقيدة الإسلامية تحتل مكان الصدارة وموضع الريادة بين أصول الدين وأركان الإسلام وشعب الإيمان، وذلك باعتبارها أصل الدين وأساسه وحجر الزاوية في بنائه العظيم الشامخ، كما أنها هي باب الإسلام وعموده وعمدته التي بدونها لا يصح إسلام ولا يتحقق إيمان.

ودين الإسلام المتمثل في نظام خلقي راق، ومنهج تعبدي شامل، وتشريع قانوني محكم، ونظم إسلامية نافعة، ليحتاج إلى أساس ثابت وقاعدة راسخة من الاعتقاد القلبي واليقين العقلي والإحساس النفسي والروحي بعقائد الإسلام الخالدة وحقائقه الثابتة التي لا يتطرق إليها شك ولا يساورها ريب.

ولقد جاءت نصوص الإسلام الخالدة لتؤكد هذا المعنى، ولتضع أصول الإيمان والاعتقاد في المقام الأول قبل غيرها من الأعمال والأقوال، يقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، بل إن أخص وصف جاء للمؤمنين في القرآن لينص على أولوية وأسبقية العقيدة الإيمانية بين سائر الصفات التي يوصف بها المؤمنون وذلك كما في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

ثم إن القرآن ليؤكد على ضرورة تحقق الإيمان قبل العمل الصالح ومعه، كي يكون مقبولاً ومرضياً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا

يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿طَلَبًا: ١١٢﴾، ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غَفَلًا: ٤٠].

وقد جاءت السنة النبوية الصحيحة لتؤكد على تلك المكانة العالية لأصول الإيمان والاعتقاد، حيث ذكر النبي ﷺ في حديث شعب الإيمان المعروف أن: «الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق». «فكان في ذلك تنبيه على أن أفضلها هو التوحيد المتعين على كل أحد، والذي لا يصح شيء من الشعب إلا بعد صحته...».

ولقد تعرض علماء السنة وشراحها لهذا الحديث بالبيان والإيضاح، حيث ألفت في شرحه مصنفات جليلة كان من أعظمها كتاب «المنهاج في شعب الإيمان» للإمام أبي عبد الله الحلبي (ت سنة ٤٠٣هـ) حيث حصر الشعب في سبع وسبعين شعبة وقام بترتيبها على نسق مخصوص، نالت فيه شعب الإيمان المتعلقة بالاعتقاد مكان الصدارة في هذا الترتيب، حيث الشعب من الأولى إلى التاسعة.

وفي حديث الشعب المذكور آنفًا، إشارة واضحة إلى أعظم ما يتصف به الإسلام من خصائص وميزات، وأعني بذلك مفهوم الشمول والعموم الذي وجدناه في القرآن الكريم في آية البر التي سبق ذكرها، وفي غيرها من الآيات الكثيرة التي جمعت خصال الخير وازعة شئون الدنيا إلى جانب قضايا الدين، دونما فصل أو إهمال أو تقصير أو غلو، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُٗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

ومن ثم يتضح لنا أن الإسلام والإيمان ميدان واسع لكل معاني البر من الفرائض والسنن والأصول والفروع الاعتقادية والأخلاقية والتعبدية والتشريعية، وأن الجانب الاعتقادي في تلك المنظومة يحتل موضع الأساس من البناء والجذر الضارب في الأعماق لشجرة الإسلام: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ٢٤].



وإذا كان هذا الدين يقوم على مفهوم الشمول والعموم، فإنه يضم إلى جانب ذلك خصيصة لا تقل أهمية عما سبق، ألا وهي صفة الانسجام والتناغم بين أصول هذا الدين وأركانه الكبرى، فالعقيدة تأتي مقترنة بالشرعية، والعبادة تأتي ثمرة للعقيدة ووعاء للشرعية، والأخلاق تظهر كإطار سلوكي ثابت ودائم مع كل من العقيدة والعبادة والشرعية.

ومن مظاهر هذا الارتباط الوثيق بين العقيدة والأخلاق أن نصوصاً دينية كثيرة أوقفت صحة الإيمان وتمام الإسلام على مدى الانضباط الأخلاقي والسلوكي للمسلم، ومن ذلك ما ورد عنه ﷺ في قوله: «والله لا يؤمن -ثلاثاً- الذي لا يأمن جاره بوائقه».

وقوله: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

وقوله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

وقوله: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً...».

وهذا ما نجده أيضاً فيما يتعلق بالصلة الوثيقة بين العقيدة والشرعية حيث جاءت الآيات القرآنية لتؤكد على وجود ما يشوب الإيمان من عوامل الضعف والنقص في حالة غياب الشريعة وأحكامها ونظمها عن حياة المسلم ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيْ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ٦٥]، ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النُّور: ٥١]، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الْأَحْزَابُ: ٣٦].

وأما على مستوى الصلة ما بين العقيدة والعبادات فإننا نجد كثيراً من الآيات والأحاديث التي تشي على أهل الإيمان من خلال التزامهم بالعبادات والشعائر الدينية، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ

الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿الْإِنْفَاقَ: ٢-٤﴾، وقوله: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٤].

وقد تضافرت مجموعة من المظاهر -بالإضافة إلى ما سبق- للدلالة على أهمية العقيدة في الإسلام ومكانتها بين علومه الأساسية ومن ذلك:

١- أن القرآن أفرد لمسائل الاعتقاد ومناهج الاستدلال عليها مساحة كبيرة من آياته وسوره حيث نجد سوراً كاملة تختص بقضية من قضايا الاعتقاد أو أصل أو أكثر من أصول الإيمان، ويكفي أن نذكر في هذا السياق ما أورده فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) في تفسيره الكبير «مفاتيح الغيب» من إحصاء آيات الأحكام التي لا تزيد عنده على ستمائة آية، في مقابل آيات أصول الإيمان والأخلاق التي تقترب من ستة آلاف آية بمعدل [١ : ١٠].

بل إننا نجد أن سور القرآن الكبرى التي اهتمت بمسائل الأحكام وأفردت لقضايا التشريع والعبادات النصيب الأوفر من مساحتها، لم تخل من حديث يربط قلب المؤمن المخاطب بتلك التشريعات والأحكام بأصول الإيمان والاعتقاد، تلك التي تدفع معتنقها دفعا نحو ضرورة التسليم ووجوب الانقياد لأمر الله، وهو ما نراه في سور مدنية كثيرة كسورة البقرة، وسورة النساء، وسورة المائدة، فسورة البقرة مثلاً -وهي أكبر سورة في القرآن على الإطلاق، وأكثرها إماماً بالأحكام والتشريعات- تستهل آياتها بحديث عن مسائل الاعتقاد وصفات المؤمنين، وأحوال المنافقين، وأهل الكتاب من اليهود، قبل أن تخوض في حديث طويل حول أحكام القبلة والصلاة والحج والعمرة والمحرمات من المطاعم وأحكام القصاص والوصية والصيام والقتال وأحكام الأسرة من زواج وطلاق ورضاع وميراث ثم حديث مفصل حول الإنفاق في سبيل الله وفضله وجزائه وبعض أحكامه، وما يتعلق ببعض المعاملات المالية كالربا والدين، يتخلل ذلك كله مقاطع تثوب بقلب المكلف وعقله نحو أساس التكليف ومبده وهو الإيمان

والاعتقاد ﴿وَاللَّهُمُّ لِلَّهِ وَحْدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، إلى أن تختتم السورة بختام يكسوه جلال الإيمان وعظمة الاعتقاد والإيقان ﴿اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٢٨٤] ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءَ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَ لَا نَفَرُوا بَيْنَ بَيْتٍ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ءَ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ءَ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿ [البقرة: ٢٨٤-٢٨٥].

ومن ثم يمكن القول بأنه: «لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم من حديث عن العقيدة في جانب من جوانبها، وينطبق ذلك على السور المكية والمدنية، والسور القصار والطوال، وهي تتناول أمور العقيدة في صورة متنوعة: تعريفًا بها، أو عرضًا للبراهين الدالة على صدقها، أو مناقشة للمخالفين لها، أو بيانًا لما يترتب على التصديق بها أو التكذيب لها من جزاء...».

٢- أن المنهج النبوي في الدعوة إلى الإسلام اعتنى عناية بالغة بتأسيس اليقين وتأسيس الاعتقاد السليم في نفوس المؤمنين الأول، حيث مكث النبي ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو أصحابها إلى كلمة واحدة إذا قالوها دانت لهم العرب والعجم وهي كلمة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وقد ظهر ذلك جليًا منذ بداية جهره بالدعوة حيث خطب في قومه خطبته الشهيرة والتي قال فيها: «الحمد لله أحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون وإنها الجنة أبدًا أو النار أبدًا».

وقد بقيت هذه المرتكزات الثلاثة: الإيمان بالله الواحد، والإيمان بمحمد نبيًا ورسولًا، والإيمان باليوم الآخر، أساسًا للدعوة في مكة ومنطلقًا للدين

الجديد إلى كل بقاع الأرض، حيث ظل النبي محمد ﷺ يثبت تلك الأصول في نفوس أصحابه ويدعو إليها غير المؤمنين من مشركي العرب وأهل الكتاب، فزاد عدد المؤمنين وازداد الذين آمنوا إيماناً فكانت المواجهة وكانت المحنة التي طالت يدها أهل الإيمان جميعاً فزادتهم إيماناً مع إيمانهم وقوة إلى قوتهم، ومن ثم كان قيام دولتهم في الواقع أمراً يسيراً بعدما قامت في نفوسهم وعقولهم.

وعندما رسخت العقيدة في القلوب، وتهيأت النفوس لإقامة أحكام الله وأوامره، بدأ التشريع، وفرضت العبادات، ونزلت الأحكام، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «إنما نزل أول ما نزل منه -أي من القرآن الكريم- سورة من المُفَصَّل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً...».

ويؤكد شيخ الإسلام ابن تيمية على هذا المعنى بقوله: «الدين أول ما يبني من أصوله، ويكمل بفروعه، كما أنزل الله بمكة أصوله من التوحيد والأمثال، التي هي المقاييس العقلية، والقصص والوعد والوعيد، ثم أنزل بالمدينة -لما صار له قوة- فروعه الظاهرة من الجمعة والجماعة...».

ولا يمكن أن يفهم مما سبق أن الاهتمام بأمر العقيدة قد تقلص حجمه أو قلت العناية به في المدينة، حيث تنزلت الأحكام وكثرت المواجهات العسكرية مع الأعداء، بل ظلت مسائل العقيدة محتفظة بمكانتها كأساس للتشريع، وضابط للتنفيذ، ومقوم أساس من مقومات النصر في ساحات القتال، ولذا وجدنا سوراً كاملة تنزلت على النبي محمد ﷺ في المدينة، إلا أنها تختص بمعالجة قضايا الإيمان والاعتقاد، كسور الرعد والرحمن والحديد والتغابن والإنسان، وذلك فضلاً عن الإشارات والالتفاتات التي تزخر بها بقية سور القرآن المدنية التي صرفت جل اهتمامها لقضايا التشريع والأحكام، وبناء على ذلك ظلت عناية المنهج النبوي بأمر العقيدة في المدينة كما كانت عليه في مكة.

ولم يكن هذا المنهج النبوي سوى امتداد لمنهج الرسل في دعوة أقوامهم إلى الله تعالى، حيث اعتنوا عناية خاصة بأمور الإيمان وقضايا الاعتقاد، وهذا ما حكاه لنا القرآن عن عدد كبير من الأنبياء والمرسلين مع أقوامهم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْبِئُوا اللَّهَ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّغُوتَ﴾ [الفرقان: ٣٦]، ﴿يُنزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [الفرقان: ٢]، وذلك ما أفرد له القرآن حديثًا مطولًا في سياق ذكره لقصص الأنبياء مع أقوامهم.

٣- أن وجود أصل الإيمان مع التقصير في شيء من العمل أمر قد يكون معفوًا عنه، حيث يقع صاحبه في مشيئة الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه على تقصيره، أما العكس فليس بممكن ولا متصور، حيث إن الأعمال الصالحة مع فساد أصل الإيمان، أو عدم وجوده تصبح كالهشيم الذي تذروه الرياح، وكالسراب الخادع ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَوْثًا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّيْهُ حِسَابَهُ﴾ وعليه فمهما عظم الذنب مع أصل الإيمان فهو في محل المغفرة والعفو، أما الإيمان المدخول والعقيدة المضطربة والمختلطة بمكدرات الشرك والنفاق فلا نصيب لصاحبها في مغفرة الله ورحمته ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النسأ: ٤٨]، ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا بَعِيدًا﴾ [النسأ: ١٤٨]، ومن ذلك ما روى أيضًا عن عبادة بن الصامت أنه قال: كنا عند النبي ﷺ في مجلس فقال: «بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا... فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به فهو كفارته، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله عليه، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه».

ومن خلال هذه الاعتبارات ومثيلاتها استقر لدى علماء المسلمين قديمًا وحديثًا ما لعلم العقائد الإسلامية من مكانة عالية بين علوم الدين، فإذا كان مفهوم الفقه في الدين يتسع ليشمل علوم الشريعة كلها سواء منها ما يتعلق بالأحكام العملية أو الاعتقادات النظرية، انطلاقًا من قوله تعالى ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ

فَرَقَهُ مِنْهُمْ طَائِفَةً لِيَنْفَقَهُوا فِي الدِّينِ وَيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿[التَّوْبَةِ: ١٢٢]﴾، فإن العلم المنوط به معرفة الله وتوحيده والإيمان بما دعانا إليه سيحل بين تلك العلوم في المرتبة الأعلى والدرجة الأعلى. ولا يفهم من ذلك مطلقاً التقليل من شأنه بقية العلوم الشرعية أو التهوين من أمر الاشتغال بها.

وقد أرجع بعض فلاسفة الإسلام ما ناله علم العقائد من مكانة سامية بين علوم الشريعة إلى كونه معدوداً من حيز العلم، بينما تعد علوم الشريعة الأخرى المتعلقة بالأحكام من حيز العمل، ولا شك أن نسبة العلم إلى العمل تضاهي نسبة العلة إلى المعلول أو نسبة البدء إلى التمام، «والشيء متى فسدت علته واختل بدؤه لم يلحقه الصلاح أبداً». ومن المعلوم بدهة أن العلم لازم للعمل وسابق له ومقدم عليه.

وبينما يشير واحد من متأخري المتكلمين إلى عنصر آخر يعتمد عليه في تقديم هذا العلم على ما سواه وهو النظر إلى العقائد باعتبارها أساس الأحكام الشرعية، فبدونها لا يقع التكليف ولا يلزم العمل، يذهب واحد من شراح العقيدة الطحاوية إلى القول بأنه: «لَمَّا كَانَ شَرَفُ الْعِلْمِ إِنَّمَا يَعْرِفُ بِشَرَفِ الْمَعْلُومِ كَانَ الْعِلْمُ الْمُخْتَصُّ بِدِرَاسَةِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَشْرَفَ الْعُلُومِ بِإِطْلَاقٍ، وَذَلِكَ لِأَنَّ حَاجَةَ الْعِبَادِ إِلَيْهِ هِيَ فَوْقَ كُلِّ حَاجَةٍ، وَضُرُورَتُهُمْ إِلَيْهِ فَوْقَ كُلِّ ضُرُورَةٍ، لِأَنَّهُ لَا حَيَاةَ لِلْقُلُوبِ، وَلَا نَعِيمَ وَلَا طَمَئِينَةَ، إِلَّا بِأَنْ تَعْرِفَ رَبَّهَا وَمَعْبُودَهَا وَفَاطَرَهَا». ثم على هذه المعرفة تبني الرسالة كلها من أولها إلى آخرها ويتبع ذلك أصلاً كبيراً أولهما: تعريف الطريق الموصل إلى مرضاة الله وما ذلك سوى شريعته المتضمنة لأوامره ونواهيها. وثانيهما: معرفة العاقبة التي تنتظر أولئك السالكين من النعيم المقيم، أما الناكبون عنه فجزاؤهم الخزي والخسران والعذاب الأليم.

وقد عقد أبو طالب المكي (ت سنة ٣٨٦هـ) باباً في كتابه «قوت القلوب» تحت عنوان «باب تفضيل علم الإيمان واليقين على سائر العلوم والتحذير من الزلل فيه»، حيث يقرر أن: «كل علم من العلوم قد يتأتى حفظه ونشره لمنافق أو مبتدع أو مشرك إذا رغب فيه وحرص عليه، لأنه نتيجة الذهن وثمره العقل إلا

علم الإيمان واليقين؛ فإنه لا يتأتى ظهور مشاهدته والكلام في حقائقه إلا لمؤمن موقن، من قبل أن ذلك تقرير مزيد الإيمان وحقيقة العلم والإيقان، فهو آيات الله تعالى وعهده عن مكاشفة قدرته وعظمته، وآيات الله تعالى لا تكون للفاستقين، وعهده لا ينال الظالمين، وعظمته وقدرته لا تكون شهادة للزائغين، ولا وجدًا للمبطلين . . . وهذا من أدل الدليل على فضل علم المعرفة على غيره».

١- أن الاختلاف في سائر العلوم الظاهرة رحمة، بينما الاختلاف في أصول التوحيد ضلال وبدعة.

٢- إن الخطأ في علوم الظاهر مغفور وربما أجر المخطئ إذا اجتهد، أما الخطأ في علم التوحيد فكفر.

٣- أن العباد لم يكلفوا حقيقة العلم فيما يتعلق بعلم الظاهر، إلا أنهم مطالبون بموافقة الحقيقة عند الله في التوحيد.

٤- أن العلم بالله تعالى عوض من كل العلوم وليس في سائر العلوم عوض من العلم بالله ﷻ.

ومن سياق تعليق المكي على الحديث الصحيح: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»، ينقل عن بعض السلف قولهم: إنما معناه طلب علم ما لم يسع جهله من علم التوحيد وأصول الأمر والنهي. ثم يقرر أن العلم المفروض في الحديث هو علم الفرائض الخمس التي بني الإسلام عليها، من حيث لم يفترض على المسلمين غيرها، ثم إن العمل لا يصح إلا بعمله، فأول العمل العلم به، فصار علم العمل فرضًا من حيث افترض العمل، فلما لم يكن على المسلمين فرض من الأعمال إلا هذه الخمس، فصار طلب علم هذه الخمس فرضًا لأنه فرض الفرض وعلم التوحيد داخل فيها.

وفي الوقت الذي اهتم فيه العلماء بتقسيم العلوم إلى محمودة ومذمومة، ثم تقسيم المحمودة إلى نوعين عيني وكفائي، فقال بعضهم إن العلوم تسعة، أربعة منها سنة معروفة من الصحابة والتابعين وخمسة محدثة لم تكن تعرف فيما سلف، والأربعة المعروفة هي: علم الإيمان، وعلم القرآن وعلم السنن والآثار وعلم

الفتاوي والأحكام، وأما الخمسة المحدثّة: فالنحو والعروض، وعلم المقاييس، والجدل في الفقه، وعلم المعقول بالنظر، وعلم علل الحديث. قسم بعضهم العلوم التي هي فرض عين إلى مجالات ثلاثة: اعتقادات وأفعال وتروك، والعلوم التي هي فرض كفاية إلى: علوم شرعية وغير شرعية، فأمان العلوم الشرعية فمنها ما هو أصول وهي أربعة: معرفة كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وإجماع الأمة وآثار الصحابة، ومنها ما هو فروع كالفقه وعلم أحوال القلوب، ومنها ما هو مقدمات كعلوم اللغة والنحو والخط، ومنها ما هو متممات كتعلم القراءات ومخارج الحروف والتفسير والناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وعلم أصول الفقه وكذلك علوم السنة والآثار ومعرفة الرجال والجرح والتعديل، وهذه العلوم كلها محمودة بل هي من فروض الكفايات.

ومن ثم يتضح من خلال هذه التقسيمات المكانة المتميزة التي نالها علم العقيدة بين العلوم الشرعية بل بين سائر العلوم.



## حاجة الفرد والمجتمع إلى العقيدة

أولاً: حاجة الفرد الدينية والروحية إلى العقيدة:

حرصت العقائد الدينية عامة، وعقيدة الإسلام على وجه الخصوص، على تلبية احتياجات النفس الإنسانية، والاستجابة لتطلعاتها نحو عالم الغيب، واستشرافها لحقائقه، وأشواقها للتواصل معه، ومن ثم كان للعقيدة الإسلامية أهدافها على المستوى الديني والروحي، والمتمثلة في إشباع نهم الإنسان نحو فطرة التدين واحتياجاته الروحية التي لا يمكن إهمالها أو تعويضها على المستوى المادي.

لقد ذهب الفلاسفة إلى القول بأن الإنسان حيوان ناطق، ورآه علماء الاجتماع كائنًا مدنيًا بطبعه، بينما ينظر علماء الأديان إلى الإنسان عبر تاريخه الطويل باعتباره كائنًا متدينًا بفطرته، حيث إن التدين، والعقيدة جوهره، هو فكرة مشاعة لم تخل منها أمة من الأمم في القديم والحديث، رغم تفاوتهم في مدارج الرقي ودركات الهمجية، بل إن ظاهرة الدين هي أقدم في المجتمعات من كل حضارة مادية دون أن يكون لوجودها أسباب طارئة أو ظروف خاصة بل إنها تعبر عن نزعة أصيلة مشتركة بين الناس جميعًا.

ومن ثم يصح أن نقول: إن التدين والاعتقاد الإيماني أمر فطري جبلي مركوز في أعماق الإنسان، لا يملك منه فكاكًا، ولا عنه بديلًا؛ إذ هو مفطور على أن يؤمن ويعتقد، وفي القرآن والسنة ما يدعم ذلك حيث جاءت آية الميثاق لبيان العهد الذي أخذه الله على الإنسان في عالم الذر حيث قال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَلْهِيَكُمَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الإعراف: ١٧٢-١٧٣].

كما جاء في السنة أنه: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

كما ورد عنه ﷺ فيما يرويه عن رب العزة تبارك وتعالى في الحديث القدسي: «... وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً».

وعلى هذا الأساس «فلست واجداً أحداً - كما يقول ابن قتيبة - إلا وهو مقر بأن له صانعاً ومدبراً، وإن سماه بغير اسمه أو عبد شيئاً دونه أو وصفه بغير صفته . . فكل مولود في العالم على ذلك العهد والإقرار وهي الحنيفية التي وقعت في أول الخلق، وجرت في فطر العقول». ومن ثم فلا يصح أن تصير العقيدة الإيمانية موضع شك، ما دامت تعبر عن حاجة الإنسان إلى الاعتقاد والتدين، وهو ما عبرت عنه الرسل في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِ اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ١٠].

وإلى مثل هذا المعنى ذهب كثير من علماء الغرب الذين توقفوا أمام الحالة الدينية منذ القدم ورأوا فيها ظاهرة إنسانية عامة وجدت مع وجود الإنسان وتبقى ببقائه غير متأثرة بمظاهر الحضارة وترف المدنية، يقول شاشاوان: «مهما يكن تقدمنا العجيب في العصر الحاضر . . . علمياً وصناعياً واقتصادياً واجتماعياً، ومهما يكن اندفاعنا في هذه الحركة العظيمة للحياة العملية وللجهاد والتنافس في سبيل معيشتنا ومعيشة ذوبنا، فإن عقلنا في أوقات السكون والهدوء (عظماً كنا أو متواضعين، اختياراً كنا أو أشراراً) يعود إلى التأمل في هذه المسائل الأزلية، لم وكيف كان وجودنا ووجود هذا العالم، وإلى التفكير في العلل الأولى أو الثانية وفي حقوقنا وواجباتنا».

وعلى الرغم من أن كثيراً من المغتربين بالمدينة الحديثة والثورة العلمية والتكنولوجية الهائلة، ذهبوا إلى القول بعدم احتياج الإنسان المعاصر إلى الدين، حيث استنفذ الدين أغراضه في الزمن الغابر ليحل محله العلم، إلا أن الزمن قد

أثبت خطأ هذا الظن، فلا زال للدين دوره وما زالت البشرية تحتاج إليه، وستظل كذلك أبداً، يقول سالمون ريناك: «وليس أمام الديانات مستقبل غير محدود فحسب، بل لنا أن نكون على يقين من أنه سيبقى شيء منها أبداً، ذلك لأنه سيبقى في الكون دائماً أسرار ومجاهيل، ولأن العلم لن يحقق أبداً مهمته على وجه الكمال».

ويقول ماكس نوردوه: «ستبقى الديانات ما بقيت الإنسانية، وستتطور بتطورها، وستجاوب دائماً مع درجة الثقافة العقلية التي تبلغها الجماعة». ويصرح أرنست رينان في كتابه «تاريخ الأديان» بأنه «من الممكن أن يضمحل كل شيء نحبه، وأن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة، ولكن يستحيل أن ينمحي التدين، بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي، الذي يريد أن يحصر الفكر الإنساني في المضائق الدنيئة للحياة الأرضية».

«إن العلم لن يكون بديلاً للدين، بل على العكس فإن ازدياد العلم ونمو المعرفة يؤدي حتماً إلى نمو غريزة التدين المبنية على طلب الغيب المجهول، حيث تلتقي العلوم العقلية والطبيعية العملية منها والنظرية، على الاعتراف بأنها في استقصاء البحث عن أصول الأشياء ومبادئها تنتهي دائماً بالانتصار لقضية الغيب وتفسح بيدها المجال لبقاء الأديان وخلودها...».

ثم إن النفس الإنسانية كانت قديماً، وستظل دائماً، تشعر بالفقر والحاجة والضعف الشديد نحو قوة عليا، تتوجه إليها بالتضرع والتعبد والصلاة والدعاء والخوف والرجاء، لتطلب الخيرات والبركات المادية والمعنوية، تركز إليها في لحظات اليأس والقنوط، وتدعوها عند حلول البلاء ونزول البأساء والضراء، ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [التكوير: ٦٢]، بل إن القرآن ليعبر أفضل تعبير عن حاجة الإنسان مؤمناً كان أو غير مؤمن إلى ربه وخالقه في لحظات الشدة، فقال مصوراً حاجة موسى الكليم إلى ربه: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القَصَص: ٢٤]، وقال واصفاً حال من تقاذفتهم أمواج البحر الهادر بريحه العاصفة، فظنوا أنهم أحيط بهم، وأيقنوا بالهلاك غرقاً ولم

يجدوا إلا ربًا واحدًا يدعى، وإلهًا واحدًا يرجى، وبابًا واحدًا يقصد ﴿دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أُنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يُونُسَ: ٢٢]، وقد ورد في السنة أن الرسول ﷺ قال لرجل قبل إسلامه: «كم لك من إله؟ قال: عشرة، قال: فمن لعمرك وكربك، ودفع الأمر العظيم إذا نزل بك من جملتهم؟ قال: الله. فقال عليه الصلاة والسلام: ما لك من إله إلا الله».

وهذا ما سيظل الإنسان يشعر به، فهو مهما أصاب من وسائل الضمان والأمان، وأدرك من إمكانيات الحماية والرعاية، سيبقى عرضة لخطر المرض والموت والكوارث الطبيعية التي لا يملك معها حيلة سوى اللجوء إلى الله تعالى.

### ثانيًا- حاجة الفرد المعرفية والعلمية إلى العقيدة الدينية:

إذا كان الإنسان يحتاج إلى الدين والعقيدة الدينية لإشباع حاجته إلى التدين وتلبية نداء الفطرة في داخله، فإنه يشعر بالرغبة الملحة في التحصيل العلمي والإدراك المعرفي، والبحث عن إجابات شافية لكثير من الأسئلة المطروحة على عقله، حول الوجود والحياة والمبدأ والمصير والحكمة والغاية من الخلق، وانطلاقًا من شعور الإنسان بالعجز عن الوصول لتلك الإجابات وإدراكه أن خالق هذا الوجود ومدبره هو العالم به، الخبير بما فيه، والمحيط بتفاصيله ودقائقه ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الْأَنْعَامَ: ٥٩]، ومن ثم لا يجد الإنسان وسيلة للتعرف على رب هذا الوجود وما أبدع من خلق، سوى أن يتوجه إليه طالبًا العلم، باحثًا عن إدراك المعرفة، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] لأنه ﷻ ﴿وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨] وما علم الناس جميعًا إلا فيض علمه، ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الْبَنَارِ: ٨٥] ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يُوسُفَ: ٧٦] ومن ثم استقر في نفوس المؤمنين أن أصول علومهم ترجع إلى مصدر الإلهام والتعليم وهو الله تبارك وتعالى، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١].



وأنا السائر في الدرب أم الدرب يسير؟  
وأنا السائر في الدرب أم الدرب يسير؟  
أم كلانا واقف، والدهر يجري؟  
لــت أدري  
أتراني قبلما أصبحت إنساناً سوياً  
كنت محوًّا ومحالًّا أم تراني كنت شيئاً؟  
ألهذا اللغز حل، أم سيبقى أبدياً؟  
لست أدري . . . ولماذا لست أدري؟  
لــت أدري

إن المؤمن، من خلال إيمانه البسيط العميق الذي جاء به الوحي، وأيَّده العقل، واقتضته الفطرة، وشهد له كل سطر في كتاب الوجود المفتوح، ينجو من مهاوي الشك والاضطراب، ويستريح من أزمت البلبلة والحيرة الذهنية والنفسية التي يتجرع غصصها الجاحدون والمرتابون. من خلال هذا الإيمان الواضح القريب من العقل والوجدان والفطرة، يحل المؤمن ألغاز الوجود الكبرى حين يعرف عن طريقه مبدأه ومصيره، وغاياته ومهمته، بل ويعرف مبدأ الوجود كله ومنتهاه، وغاياته وهدفه فتتحل عقد الشك من نفسه، وتزول علامات الاستفهام الكبرى من حياته.

إن الإجابات الفلسفية والعلمية التي يصل إليها الإنسان بعد عناء وجهد كبيرين، تظل -وإن صحت أحياناً- تفتقر إلى برد اليقين ونور الإيمان، وتبقى حبيسة النظر العقلي المجرد أو الاحتمال العلمي غير المؤكد، وشتان بين علم يقيني جاء به الوحي ووافقه عليه العقل، وشهدت له الفطرة، وعلم هو محل للظن أو الفرض العلمي، يقول «ول ديورانت»: «إلى أي نجم بعيد ذهبت نظرية السديم، وقوانين «نيوتن» التي قلبتهما قوانين «أينشتاين» في «النسبية»؟ وأين نظرية «بقاء الطاقة وعدم فنائها» في الطبيعيات الحديثة؟ وأين «إقليدس» من الرياضيين المحدثين الذين يصوغون الرياضيات ويتحدثون عن لا نهائيات؟ وأين علم الأجنة

وقوانين التطور؟ وأين «دارون» . . . إلخ. ثم يقول: فماذا أصاب علمونا؟ هل فقدت -فجأة- قداستها وما فيها من حقائق أزلية؟ أيمن أن تكون قوانين الطبيعة ليست سوى فروض إنسانية؟ ألم يعد هناك يقين أو استقرار في العلم».

### ثالثاً- حاجة الفرد النفسية والوجدانية إلى العقيدة الدينية:

عاش الإنسان عبر العصور باحثاً عن السعادة راغباً في تحقيقها، حيث كانت بالنسبة له الفردوس المفقود، والأمل المنشود، والحياة الهادئة الناعمة، وجنة الأحلام، التي ظل يحدث بها نفسه من جيل إلى جيل، يستوي في ذلك الفيلسوف في قمة تجريده وتفكيره، والعامي في وهدة بساطته وسذاجته، المتطلع إلى المال ليستغنى به، والمتطلع إلى الجاه ليعتز به، والمتطلع إلى الذرية ليستند إليها، إلا أن الجميع عاينوا أن ليست السعادة في شيء من ذلك وحده.

لقد عرف الناس أن كثرة المال، وسطوة السلطة، وهيبة الملك والجاه، ووفرة الأولاد، وتحقيق الرفاهية، وزيادة الترف الحاصل من مأكّل ومشرب فاخرين، وملبس ومركب ناعمين، وتسلية وترفيه دائمين، لم تستطع وحدها أن تحقق السعادة والراحة والطمأنينة والسكينة للأفراد والمجتمعات، وخير مثال على ذلك ما ينقل في وصف البؤس والشقاء الذي يعاني منه إنسان الحضارة الغربية المعاصرة سواء في أوروبا الغربية أو أمريكا.

فعلى الرغم من أن المواطن السويدي سجل أعلى مستوى في الحياة الاقتصادية وارتفاع مستوى الدخل في ظل الضمان الاقتصادي والاجتماعي الشامل؛ فلا خوف من فقر أو شيخوخة أو بطالة أو أية كارثة من كوارث الحياة؛ إذ الدولة تضمن لكل فرد يصيبه شيء من ذلك، إعانات دورية ضخمة؛ فكل مواطن سويدي يستحق معاشاً وإعانة، فهناك إعانة للمرض، وأخرى في مواجهة غلاء المعيشة، وهكذا الأمر بالنسبة للسكن ورعاية الأمومة والطفولة، ومواجهة إصابات العمل، وحالات البطالة، والأعباء الدراسية، وتكاليف الزواج، والإحالة إلى التقاعد، فعلى الرغم من ذلك كله نجد الناس هناك يحيون حياة قلقة مضطربة، كلها ضيق وتوتر، وشكوى وسخط وتبرم ويأس، والنتيجة الحتمية لذلك

كله هي الانتحار، الذي يلجأ إليه الألوفا من الناس، تخلصاً مما يعانونه من عذاب نفسي أليم، والسر وراء ذلك الأمر إنما يرجع إلى شيء واحد وهو فقدان الإيمان، والفراغ الروحي الذي يعاني منه إنسان العصر الحديث بعيداً عن رحاب الدين.

وأمریکا أغنى بلد في العالم، لم يحقق الغني فيه لأبنائه السعادة على الرغم مما لديهم من ترف ونعيم، ومن ثم نجد من المفكرين من يقول عن إحدى مدنها الكبرى، نيويورك: إن الحياة فيها غطاء جميل لحالة من التعاسة والشقاء، إن نيويورك ثقيلة الوطأة على الإنسان، مدينة ينبض قلبها بسرعة أكبر من سرعة سكانها، والواقع أن الأزمة التي يعانيها سكان نيويورك أزمة عاطفية.

إن السعادة إحساس داخلي وشيء معنوي لا يرى بالعين، ولا يقاس بالكم، ولا تحتويه الخزائن، ولا يشتري بالمال، لا وجود للسعادة إلا بين جوانح الإنسان فهي صفاء النفس، وطمأنينة القلب، وانسراح الصدر، وراحة الضمير، وبرد اليقين، وهذه المعاني لا يملكها بشر فيعطئها ولا سلطة فتمنعها، إنها الكنز الدفين، والسر المكين، الذي يطلبه الجميع فلا يجدونه إلا عند أصحابه، يقول أحد المؤمنين السعداء بإيمانهم: «إننا نعيش في سعادة لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف»، ويقول آخر وهو ثمل بتلك اللذة الروحية التي تغمره: إنه لتمر عليّ ساعات أقول فيها لو كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه الآن لكانوا إذن في عيش طيب. إن الذين رزقوا هذه النعمة ليرون حوادث الدهر وتقلبات الزمان بعين أخرى، فيسخرن منها وإن أبرقت وأرعدت وبيتسمون لها وإن كشرت عن نابها، يفسفون المحن فتستحيل عندهم إلى منح تستوجب الشكر على حين هي عند غيرهم مصائب تستوجب الصراخ والشكوى والاكئاب والحزن.

إن حاجة الإنسان إلى سكينه النفس وطمأنينة القلب وراحة الضمير، من الأزم الحاجات النفسية والروحية التي نبحت عنها جميعاً ونسعى إلى تحقيقها في حاضرنا ومستقبلنا، يذكر أحد الأطباء المشهورين في أمريكا تجربته الشخصية فيما يتعلق بالبحث عن اللذة والمتعة، حيث قام بعمل إحصاء بالمتع والشهوات الدنيوية، ثم قام بعرضه على صديق له يعرف بالحكمة والخبرة، فما كان من هذا



الصديق إلا أن كشف له عن زيف تلك المتع وحقارة تلك الملذات بدون وجود العنصر الحاسم واللاعب الأساسي في الميدان ألا وهو سكينه النفس، تلك الهبة التي يدخرها الله لأصفيائه، إن الله يعطي الكثيرين الذكاء والصحة، والمال كثيرًا ما نجده مبتدلاً في أيدي الحمقى والجهال، وليست الشهرة بشيء نادر، أما سكينه النفس وطمأنينة القلب فهي ما قال عنها الحكماء قديماً: خل يا رب نعم الحياة الدنيا تحت أقدام الحمقى، وأعطني قلباً غير مضطرب.

وقد حاول هذا الطبيب أن يختبر تلك الحكمة، فثبت لديه صحتها بعد مرور نصف قرن من التجربة الشخصية والملاحظة الدقيقة، حيث أدرك أن رغائب الحياة لا تفيد بالضرورة سكينه النفس، «فهي تزهو بغير عون من المال، وبغير مدد من الصحة، وفي طاقة السكينه أن تحول الكوخ إلى قصر رحب، أما الحرمان منها فإنه يحيل قصر الملك قفصاً وسجنًا».

وما سكينه النفس وطمأنينة القلب وراحة الضمير إلا ثمرة من ثمرات الإيمان العميق الذي لا يكدره شك ولا يفسده ريب ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: جزء من الآية: ٤] وسكينه الإيمان هي ألزم ما يحتاج إليه المؤمن في وقت الشدة ﴿إِلَّا نَضْرِبُوهُ فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِينَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠].

ثم إن العقيدة الدينية الحققة تمنح صاحبها من المعاني النفسية والقوى الروحية، ما يقوى به في مجالدة الصعاب ومواجهة الشدائد والمحن، فهي تعطيه العزة والكرامة والحرية والسيادة، يقول عمر الفاروق رضي الله عنه: لقد كنا أذلة فأعزنا الله بالإسلام، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، إن المؤمن الذي يركن إلى ربه ويؤمن به يقوى بقوته، يقول الله تعالى في حديثه القدسي واصفاً حال المؤمن المحب المتقرب إليه بالنوافل بعد الفرائض: «... كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه...».

والعقيدة فضلاً عن ذلك كله تحقق للمؤمن لونا من ألوان التوازن النفسي في مواجهة تقلبات الحياة وصروف الدهر، فهو بين الخوف والرجاء راغباً راهباً، وهو بين الصبر والشكر راضياً حامداً، كما هو بين الاستغناء عن الناس والافتقار إلى الله قانعاً مطمئناً: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وليس ذلك إلا للمؤمن».

وعلى الجهة الأخرى من أهل الإيمان، نجد أن أكثر الناس قلقاً وضيقاً واضطراباً وشعوراً بالتفاهة والضياع هم أولئك المحرومون من نعمة الإيمان وبرد اليقين، فحياتهم لا طعم لها ولا مذاق، وإن حفلت باللذائذ والمرفهات، وذلك لأنهم لا يدركون لها معنى ولا يعرفون لها هدفاً ولا يفهمون لها سراً، فكيف يظفرون مع ذلك بالراحة والإيمان والسكينة واليقين.

إن غير المؤمن بائس محروم حقاً. يقال دائماً عن من فاته شيء مهم من مسرات الحياة الدنيا: لقد فاته نصف عمره، فكيف بمن فاته روح الحياة وحياة الروح؟ كيف بمن حرم قلبه بشاشة الإيمان ونور اليقين؟ لقد خسر هذا المسكين نفسه، خسر وجوده، خسر الحياة وما بعدها، خسر الوجود وكل شيء لأنه خسر الإيمان، فما أصدق ما جاءت به بعض النصوص الدينية القديمة من أن الله يقول لعبده: «عبدني اطلبني تجدني، فإن وجدتنني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء» ورحم الله من قال: «إلهي ماذا وجد من فقدك؟ وماذا فقد من وجدك؟ لقد خاب من رضي دونك بدلاً، وخسر من بغى عنك حولاً».

ثم إن الإيمان والاعتقاد الحق هما الوسيلة الناجحة لتخليص النفس الإنسانية مما يعترئها من علل القلق والحيرة والتعاسة، ومن أمراض الاكتئاب والاضطراب النفسي التي قد تؤدي بحياة الإنسان همًا وكمداً ويأساً وقنوطاً، وخير ما يثبت ذلك ويؤكد ما نجده من شدة الطلب في عصرنا الحديث على عيادات ومصحات الطب النفسي التي يعني روادها من أزمات نفسية طاحنة نتيجة البعد عن الإيمان والتخلي عن الدين.

ونختم هذه الفكرة ببعض الأبيات التي تلخص لنا رؤية صاحب العقيدة الحية وما ينطوي عليه ذلك من إحساس عميق بالسعادة والسكينة والطمأنينة، يقول الشاعر تحت عنوان السعادة:

أمل .. إليه هفت قلو	ب الناس في الزمن التليد
أمل .. له غور القديم	كماله سحر الجديد
أمل .. إليه سعى الملو	ك كما إليه رنا العبيد
قالوا: السعادة في الغنى	فأخو الثراء هو السعيد
قالوا: السعادة في النفوذ	وسلطة الجاه العتيد
قالوا: السعادة في الغرا	م الحلو في خصر وجيد
قالوا: السعادة في السكون	وفي الخمول وفي الخمود
قل للذي يبغى السعادة	هل علمت من السعيد
إن السعادة أن تعيش	لفكرة الحق التليد
لعقيدة كبرى تحل	قضية الكون العتيد
قل للذي نشد السعاد	ة دونك النبع الفريد
إن السعادة منك لا	تأتيك من خلف الحدود
هي بنت قلبك بنت عق-	لك ليس تشرى بالنقود
فاسعد بذاتك أو فدع	أمر السعادة للسعيد

رابعًا- حاجة المجتمع الخلقية والاجتماعية إلى العقيدة الدينية:

لا شك أن في إصلاح الأفراد صلاحًا للمجتمعات، وذلك لأن الفرد هو اللبنة الأساسية في الصرح الاجتماعي المنشود، ومع أن العقيدة تحقق للفرد احتياجاته العلمية والمعرفية والروحية والدينية والنفسية والوجدانية إلا أن المجتمع يظل في ميسس الحاجة للوفاء باحتياجاته الخلقية والاجتماعية، والتي التزمت العقيدة بالعمل على تلبيتها وتحقيقها لخيري الفرد والمجتمع معًا.

ولذلك نجد الإسلام يؤكد على الصلة الوثيقة بين كل من أصول العقيدة وأصول العبادة من جانب والقيم الخلقية من الجانب الآخر. إن المتأمل ليجد النصوص الدينية تربط بصورة مؤكدة بين مسائل العقيدة والإيمان، وجوانب

السلوك الخلقي، حيث توقف كمال الإيمان وتمام الإسلام على استقامة الأخلاق، بل إننا نجد النبي محمدًا ﷺ يحصر الغاية والهدف من وراء بعثته الشريفة في إقامة غايات خلقية، «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، الأمر الذي أكد عليه القرآن حينما وصف النبي الخاتم بالوصف المختصر الدقيق المعبر عن حقيقة الدين وروح الإسلام ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [الْقَائِمَةِ: ٤] وذلك باعتبار أن الخلق القويم هو ثمرة الإسلام الطيبة اليانعة.

ومن بين هذه النصوص التي تؤكد على تلك الصلة القوية بين العقيدة والأخلاق قوله تعالى في وصف المكذبين يوم الدين: ﴿قَالُوا لَوْلَا نُكِرَ مِنَّا الْمُصَلِّينَ﴾ ٤٣ ﴿وَلَوْلَا نُكِرَ مِنَّا الْمُصَلِّينَ﴾ ٤٤ ﴿وَكُنَّا نَحُوسُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ ٤٥ ﴿وَكُنَّا نَكُذِبُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ٤٦ ﴿حَتَّىٰ أَتَنَّا الْيَقِينَ﴾ [المَكَاثِرُ: ٤٣-٤٧]، وقوله أيضًا: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّبْرِ﴾ ١ ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ ٢ ﴿وَلَا يُحِصُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [المَائِدَةُ: ١-٣]، ومن ذلك أقوال النبي ﷺ في أحاديث كثيرة تنفي كمال الإيمان على من اختلت أخلاقه واضطرب سلوكه فلم يحسن إلى الناس كما أمر ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٥٢]، ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البَقَرَةُ: ٨٣] ومن ذلك قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، وقوله: «والله يا يؤمن ﴿ثلاثًا﴾، قالوا: من؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه»، وقوله: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»، وقوله: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» و«آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان».

وأما عن الارتباط الوثيق بين العبادة والأخلاق، فيكفي في ذلك أن نعلم أن الإسلام جعل الخلق القويم والسلوك المستقيم ثمرة للعبادة الصحيحة المؤسسة على الإيمان العميق، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [الْعَنْكَبُوتُ: ٤٥] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَةُ: ١٨٣] ﴿حُذِّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التَّوْبَةُ: ١٠٣] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطَلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ [البَقَرَةُ: ٢٦٤] ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ وُضِعَ فِيهَا الْحَجُّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي﴾

الْحَجَّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ حَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكَرَّرُوا فَإِنَّ حَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى وَأَنْتَقُونَ يَتَأُولِي  
الْأَلْبَبِ ﴿ [البقرة: ١٩٣]، ومن ثم كان الإيمان بدون الأخلاق ناقصاً: «أكمل  
المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»، وكانت العبادة بدون الأخلاق لا طائل من ورائها  
ولا جدوى... «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع  
طعامه وشرابه»، وحينما سئل ﷺ عن امرأة صوامة قوامة غير أنها تؤذي جيرانها  
بلسانها فقال: «لا أجر لها».

وهذا الاهتمام من الإسلام بتأسيس القيم الخلقية على أصول الإيمان  
يعكس عناية الرسالة الخاتمة بإقامة مجتمعات مدنية صالحة، إذ القيم الخلقية هي  
القاعدة الصلبة التي تقوم عليها الأمم وتستند إليها الحضارات.

فإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهب أخلقهم ذهبوا  
فالأخلاق ملاك الفرد الفاضل، وقوام المجتمع الراقى، يبقى ويستقر ما  
بقيت، ويذهب ويتلاشى إن ذهب، بل لا حياة له غيرها، يقول الشاعر:

وإن أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مائماً وعويلاً  
وغني عن البيان أن الحياة الاجتماعية لا قيام لها إلا من خلال رباط  
اجتماعي وعقد تعاوني بين أعضاء جماعتها، وهو ما لا يتم إلا بقانون ينظم  
العلاقات ويحدد الحقوق والواجبات، ثم إن هذا القانون لا غنى له عن سلطان  
نازع وازع يكفل مهابته في النفوس ويمنع انتهاك حرماته، وليس هناك قوة تكافئ  
قوة التدين أو تدانيتها في كفالة احترام القانون وضمان تماسك المجتمع واستقرار  
نظامه، والتتام أسباب الراحة والطمأنينة فيه.

إن قوانين المجتمعات وسلطان الحكومات لا تكفي لإقامة مدينة فاضلة،  
تحترم فيها الحقوق وتؤدي فيها الواجبات على الوجه الأكمل، فإن الذي يؤدي  
واجبه رهبة من السوط، أو خوفاً من السجن أو هرباً من العقوبة المالية لا يستمر  
في ذلك طويلاً متى أمن واطمأن.

إن الإيمان والعقيدة الدينية تكسب القانون سلطاناً أدبياً به يأمر وينهي، كما  
تلهب المشاعر بالحياء من الله والمحبة له والخشية منه، ولا ريب أن هذا الإيمان

هو الأقوى تأثيراً في النفس الإنسانية والأشد مقاومة لأعاصير الهوى وتقلبات العواصف، والأسرع نفاذاً في قلوب الخاصة والعامة.

ولقد كان التدين خير ضمان لقيام التعامل بين الناس على قواعد العدالة والنصفة، وكان ذلك ضرورة اجتماعية كما هو فطرة إنسانية، وما من شك في مدى حاجة المجتمعات في مختلف الأمم والشعوب إلى الروح الدينية مغترًا في ذلك ببعض الدول الكبرى التي أسست نهضتها بمعزل عن الدين، فعليه أن يستمع إلى شهادة أقطاب العلم وزعماء السياسة وقادة الحروب في بعض الدول.

يقول روبرت ميلليكان Robert Millikan عالم الطبيعة الأمريكي: «إن أهم أمر في الحياة هو الإيمان بحقيقة المعنويات وقيمة الأخلاق، ولقد كان زوال هذا الإيمان سبباً للحرب، وإذا لم نجتهد الآن لاكتسابه أو لتقويته فلن يبقى للعلم قيمة، بل يصير العلم نكبة على البشرية».

ويقول ويلسون Wilson الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية: «إن حضارتنا إن لم تنقذ بالمعنويات، فلن تستطيع المثابرة على البقاء بماديتها، وإنها لا يمكن أن تنجو إلا إذا سرى الروح الديني في جميع مسامها، ذلك هو الأمر الذي يجب أن تتنافس فيه معابدنا، ومنظماتنا السياسية، وأصحاب رؤوس أموالنا، وكل فرد خائف من الله محب لبلده».

ويقول الماريشال فيليب بيتان Le Marechal Philippe Petian رئيس الدولة الفرنسية في خطابه عقب توقيع الهدنة التي التمسها من زعيم ألمانيا المنتصرة في هذا الوقت من سنة ١٩٤٠م: «إنني أدعوكم أول كل شيء إلى نهوض أخلاقي».

أما الماريشال مونتجومري Montgomery فقد قال في خطبته سنة ١٩٥١م أمام جيشه: «إن أهم عوامل الانتصار في الحرب هو العامل الأخلاقي، ولا يمكن لقائد أن يدفع جنوده إلى بذل أقصى جهودهم في العمل إلا إذا كانت ضمائرهم مرتاحة إلى ما يعملونه، ويقيني أن الجيش إذا سار على غير مرضاة الله سار على غير هدى، إن خطر الانحطاط الخلقي في أفراد الجيش أعظم من خطر العدو، ولذلك لا نستطيع أن نتصر في معركة، إلا إذا انتصرنا على أنفسنا قبل كل شيء».

ويبقى قبل كل ذلك وبعده وظيفة إيجابية عميقة الأثر شديدة النفع يقدمها الدين لصالح المجتمع، وذلك أنه يربط بين قلوب معتنقيه برباط الإيمان والمحبة والتراحم، وهو رباط لا يعدله أي رباط آخر من جنس أو لغة أو قومية أو مصلحة مشتركة، فهذه العلاقات مجتمعة، مهما كان أثرها الظاهري من كف الأذى وبذل المعروف المتبادل، تظل صلات سطحية لا تقوى أمام المحن والهزات الاجتماعية والاقتصادية، إلى أن تظهر معاني الأخوة في العقيدة والوحدة الإيمانية فتحول الكثرة إلى وحدة، والأثرة على إثار، والفرقة إلى اجتماع.

إن الوحدة الإيمانية في مجتمعات العقيدة لتعلو فوق سائر دروب الوحدة المصطنعة فتتعد بها أقوى الوشائج وأدومها بين أفراد اختلفت أجناسهم، وتباينت لهجاتهم، وتباعدت ديارهم، وتفاوتت مصالحهم.

## مصادر العقيدة الإسلامية

### أولاً- مسائل العقيدة في القرآن الكريم:

أشرنا فيما مضى إلى العناية التي أولاها القرآن الكريم -بآياته وسوره المختلفة- لمسائل العقيدة ولقضايا الإيمان، حيث اتضح لنا أنه ما من سورة قصيرة أو طويلة إلا وأسهمت بدور ما في بيان حقيقة أو أكثر من حقائق الإيمان، أو تأصيل عقيدة أو أكثر من عقائد الإسلام، ومن ثم فممن أراد أن يقرأ عقيدة القرآن الكريم فعليه أن يقرأ القرآن كله.

ونحن إذا ذهبنا نبحث عن الأصل الأول من أصول الإيمان وهو المختص بمسائل الإيمان بالله تعالى، وهو درة التاج وواسطة العقد وأصل الأصول وغاية الغايات، وجدنا النص القرآني يحتفل بمسائل هذا الأصل أعظم احتفال، حتى إنك لن تجد صفحة واحدة من كتاب الله العزيز دون أن تربط المؤمن بربه وخالقه من خلال حديث متنوع الصور ومتعدد الأساليب، يسكب القرآن خلاله في النفس حقائق الإيمان بالله تعالى إليها واحداً، ورباً متفرداً، وملكاً حاكماً، وسيداً مطاعاً، له الأسماء الحسنی والصفات العلاء، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، مما يحبب الله إلى خلقه؛ فهو الرب المنعم المتفضل، الذي لا تحصى نعمه، ولا تتقطع أياديه، ولا تنحسر آلاؤه ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا﴾ [الفتح: ٢٠]، ﴿وَإِنْ نَعُدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وآيات القرآن فضلاً عن ذلك تثبت لله دائماً كل محمداً وكمال، وتنفي عنه كل نقيصة وعجز، فهو العلي العظيم، الكبير المتعال، القوي المتين، الحكيم الخبير، السميع البصير، العليم القدير، الغفور الودود، العزيز الحميد، البر الكريم، الرحمن الرحيم، وهو إلى جانب ذلك لا شريك له ولا شبيه له ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَكِّدْ﴾ [٣] ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤]، لم يتخذ صاحبة



ولا ولدًا، لا يغفل ولا ينام، ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

لقد جاء حديث القرآن عن الله تعالى في إطار إثبات وجوده وبيان وحدانيته ووصفه بكل كمال وتنزيهه عن كل نقص، وهو ما تعبر عنه أصدق تعبير كلمة الإخلاص وشهادة التوحيد «لا إله إلا الله»، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]. وهذه هي الكلمة التي دعا إليها نبينا محمد ﷺ قومه وجاهدهم في سبيل إعلانها وتبليغها وقد جاءت حاوية لكل معاني الإيمان بالله، ففيها:

١. إثبات وجود الله ﷻ في مقابل قول النفاة لوجوده، القائلين بقدم العالم، وعدم حاجته لخالق أو مدبر، حيث جاءت آيات القرآن الكثيرة التي تؤكد على وجوده سبحانه، وعلى وجوب حدوث الخلق، ثم على حاجة المخلوق للخالق، فلم يكن غريباً أن أول آية نزلت من الوحي على قلب النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَى بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العنكبوت: ١] ثم توالى الآيات لتناقش قضية الخلق، ولتلفت الأذهان إلى ما فيه من دلالة قاطعة على وجود الخالق العظيم ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) ﴿أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوفُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦]، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

٢. إثبات الوحدانية لله سبحانه، في مقابل دعوى القائلين بتعدد الآلهة والشركاء، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُرِيتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكُ بِهِ ۖ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَشَابِهُ﴾ [الزمر: ٣٦]، ﴿لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٨]، ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ كُمُ إِلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١] وقد

اهتم القرآن إلى جانب إثبات وحدانية الله تعالى، برد كل ما من شأنه أن يخلع معاني الألوهية على من سواه، فنفي أن يكون معه آلهة أخرى: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [الْمُتَمُتُونَ: ٩١]، ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا نَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنَّكَ فَارْهَبُونَ﴾ [الْفُرْقَانُ: ٥١]، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ رَبَّ اللَّهِ تَالُكُ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٧٣]، ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٠٠]، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذُنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشُّورَى: ٢١].

٣. تقديس الله تبارك وتعالى بإثبات كمالاته، وتنزيهه بنفي كل نقص أو عجز يمكن أن يوصف به، وذلك في مقابل فريقين؛ فريق استغرقتهم الصفات السلبية فنظروا إلى الله في إطار سلسلة طويلة من السلوب التي لم تترك لهم وصفاً إيجابياً يمكن أن يصفوا الله تعالى به، وفريق بالغوا في وصف الله بما يليق به وبما لا يليق به حتى أصبح الإله عندهم شبيهاً بخلقه متحيزاً محدوداً؛ يتعب فيستريح ويصارع فيصرع، وبين هذين الفريقين جاء تصور القرآن للذات الإلهية في إطار من الإثبات اللائق والتنزيه المجمل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشُّورَى: ١١]، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [١] ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [٢] ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [٣] ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإِخْلَاقُ: ١-٤]، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٢٥٥].

٤. إثبات أن وجود كل ما سوى الله سبحانه، إنما كان من جهة إبداعه واختراعه، ليكون ذلك براءة من القول بالعلة وتأثير الأسباب بذاتها، فإنه تبارك وتعالى أبداع كل ما سواه بإرادة ومشية وحكمة، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَواسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [١١] ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَدْكُرُونَ﴾ [١٢] ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ

وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٣﴾  
 أَمَّنْ يَدْعُوا لِحَاقِ تَمْرِ يُعِيدُهُ ۖ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلُوبٌ هَاكُوا  
 بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿النَّبَأُ: ٦١-٦٤﴾، وقال أيضًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ  
 وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَىٰ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَىٰ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ تُوَفَّكَونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ  
 الْأَصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ  
 الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ  
 ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ  
 ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ  
 مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ طَلحِهَا قِثْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَّانَ  
 مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُنْتَشِبِهِ ۗ أَنْظَرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ  
 ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَفُوا لَهُ ۖ بَيْنَ وَبَيْنَ وَعَبَدُوا ۗ وَعَلَىٰ عَمَّا  
 يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ يَكُونُ لَهُ ۖ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ ۖ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ  
 شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ  
 فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿الْاِنْعَامُ: ٩٥-١٠٢﴾.

ومن ثم تكون كلمة «لا إله إلا الله» قد جمعت كل هذه العقائد وما تحتها من أسماء وصفات إلهية، ومن ثم حُق أن تسمى كلمة التقوى، والكلمة الطيبة كما سماها الله تعالى، وأن تعصم الدماء والأموال والأعراض بها، وأن يدخل الجنة من كانت آخر كلامه، وأن يزحزح عن النار من قالها مخلصًا من قلبه كما أخبر النبي ﷺ.

أما الأصل الثاني من أصول الإيمان الوارد ذكر مسائله في القرآن الكريم، فهو الإيمان بالملائكة، حيث يجب على المؤمن أن يؤمن بالملائكة كخلق من خلق الله لهم طبيعتهم الخاصة ووظائفهم المحددة، وهم مع هذا عباد مكرمون، لا يستكبرون عن عبادة ربهم ولا يستحسرون، يسبحون بالليل والنهار، دون ملل أو فتور، منهم حملة العرش والحافون به، ومنهم الكتبة والحفظة، ومنهم ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، ومنهم قبضة الأرواح، ومنهم نافخ الصور، وصاحب الوحي، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمَنْ النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ

سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿الْمُلْحَمُ: ٧٥﴾، وقال أيضًا: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ ذَاتِةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [التَّحْوِيلُ: ٤٩]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَهُمْ لَا يَسْجُدُونَ﴾ [الْإِسْرَافِيُّ: ٢٠٦]. ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْطُرُونَ﴾ [الْبُنْيَانُ: ١٩، ٢٠]، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٣٠]، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿عَنْطَلُ: ٧﴾، ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمَكُرُونَ﴾ [يُونُسُ: ٢١]، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُوبُونَ﴾ [الزُّمَرُ: ٨٠]، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كَرَامًا كُنِينٌ﴾ [الْأَنْفِطَالُ: ١٠، ١١]، ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا لَوْ أَنَّ سَلَامًا مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءِ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التَّحْوِيلُ: ٣٢]، ﴿وَقَالَ لَهُمْ خِرْنِبًا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [النَّبِيُّ: ٧٣]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٩٣]، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَمَجَّعْتَهُمْ جَمَاعًا﴾ [الكَهْفُ: ٩٩]، ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ١٩٣، ١٩٥]، ﴿يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [التَّحْوِيلُ: ٢].

أما الأصل الثالث من أصول الإيمان وهو الإيمان بالكتب السماوية المنزلة، فقد اختصه القرآن بعدد كبير من آياته التي توجب على المؤمن ضرورة الإيمان بكتب الله المنزلة على أنبيائه ورسله، حيث جاء كل كتاب مصدقًا لما قبله من الكتب حاويًا الهداية والعلم والتزكية لمن نزل فيهم إلى أن ختمت هذه الكتب بآخرها، وخاتمتها المصدق لها والمهيمن عليها، قال تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [الشُّورَى: ١٥]، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [البقرة: ٤]، ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ

وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ  
بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿البقرة: ١٣٦﴾، ﴿أَفْتَوْمُنُونَ بَعْضُ الْكِتَابِ  
وَتَكْفُرُونَ بَعْضٌ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ  
أَلْفَيْمَةً يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ ﴿البقرة: ٨٥﴾، وقال تعالى على لسان عيسى ﷺ:  
﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّتْ يَدَىٰ رَبِّكَ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَحِثُّكُمْ  
بِنَايَةِ مَنْ رَبَّكُمْ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا﴾ [الغزلان: ٥٠]، وقال في شان محمد ﷺ:  
﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّتْ يَدَىٰ رَبِّكَ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم  
بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٨] ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ  
رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ  
الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الرحمن: ١٤-١٩].

أما الأصل الرابع وهو الإيمان بالرسول فقد تناول فيه القرآن عددًا من  
المسائل حيث ذكر وجوب الإيمان برسول الله جميعًا دون التفريق بينهم، مشيرًا  
إلى تفضيل بعضهم على بعض وإلى ذكر بعضهم على سبيل التفصيل وبعضهم على  
سبيل الإجماع، حيث ورد ذكر أسماء بعضهم، وذلك فضلًا عن بيان طبيعتهم  
ووظيفتهم ورسالتهم وخصائصهم، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُجْتَبَىٰ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ  
فَاتَّبِعُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الغزلان: ١٧٩]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا  
بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا  
رَحِيمًا﴾ [البقرة: ١٥٢]، ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ  
بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ﴿وَرُسُلًا قَدْ فَصَّصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ  
نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [البقرة: ١٦٤]، ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا  
إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [٨٣] وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ  
وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِن دُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ  
وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَرَكَبْنَا وَيْحَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ  
الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾  
[الرحمن: ٨٣-٨٦]، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ  
رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [الشورى: ٥١]، ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي

هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿ [الْأَنْعَامُ: ٩٣] ، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ . . [الْقُلُوبُ: ٣٦] ، ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَهَادِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشُّورَى: ٥٢] ، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٧٣] .

**والأصل الخامس من أصول الإيمان هو الإيمان باليوم الآخر، وما يتضمنه ذلك من مشاهد القيامة، وانقضاء الحياة الدنيا، وبداية البعث والنشور، والنفخ في الصور، والوقوف في عرصات القيامة للحساب والعرض وأخذ الكتب، وتطاير الصحف، والعبور على الصراط، والجزاء بالخلود المقيم في جنات النعيم، أو العذاب الأليم في دركات الجحيم، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يُنظَرُونَ﴾ [الزُّمَرُ: ٦٨] ، ﴿فَهَلْ يُنظَرُونَ إِلَّا الْأَسَاعِدَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَعْتَةٌ فَيَقُولُوا هَٰؤُلَاءِ نَارُهَا فَتَأْتِيهِمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ [مُحَمَّدٌ: ١٨] ، ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا أَنَا مُنظَرُونَ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٥٨] ، ﴿يَوْمَ تَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [الْبُرَاجُ: ٤٨] ، ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُدهَلُّ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الْمُلْحَمُ: ١ ، ٢] ، ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتَنَا ﴿٧﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النَّبَأُ: ١٧ ، ١٨] ، ﴿فَلَمَّا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [التَّارِكَاتُ: ١٣ ، ١٤] ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَقْرَأُ الرَّءُفُ مِنْ أَجِدٍ ﴿٢٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٢٥﴾ وَصَلْبِهِ وَبَيْتِهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُعْيِيهِ﴾ [عَبَسَ: ٣٣-٣٧] ، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿١٩﴾ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَإِنْ عَفَا عَنْكُمْ فَيُعَافَىٰ ۗ سَٰئِرًا ﴿٢٠﴾ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٢١﴾ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَطُوفُهَا دَائِمَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُّوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ﴿٢٥﴾ فَيَقُولُ يَا بَلِيغِي لِمَ أُوتِيَ كِتَابِي ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِي ﴿٢٦﴾ يَلَيِّتُهَا كَآتِبُهَا ﴿٢٧﴾﴾ [الْمُلْحَمُ: ١٨-٢٧]**

﴿وَأَن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَسِجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَدَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مَرْيَمَ: ٧١-٧٢] ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَنفٌ لُّطْفَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَاعَةٌ لِّلشَّوْىِٕ﴾ [المَعْلَج: ١٥، ١٦] ﴿سَاضِلِيهِ سَفَرٌ ﴿٢١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَفَرٌ ﴿٢٧﴾ لَا بُقْي وَلَا نَدْرُ ﴿٢٨﴾ لَوَاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ [المُنَازَلَةُ: ٢٦-٢٩] ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رُّزِقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البَقَرَةُ: ٢٥] ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النَّبِيَّةُ: ١٧].

والإيمان بالقدر خيره وشره هو الأصل السادس من أصول الإيمان، حيث تحدث القرآن كثيراً عن العلم الإلهي المطلق والشامل لما كان ولما يكون ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَةُ: ٣٠]، ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ ۖ وَءَاخِرُونَ يَصِرُونَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۖ وَءَاخِرُونَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المُنَازَلَةُ: ٢٠]، بل إننا نجد الله تعالى يصف ذاته المقدسة بوصف (عالم الغيب) في ثلاث عشرة مرة، وبوصف (علام الغيوب) في أربع مرات وذلك فضلا عما قررته آيات القرآن من أن الله تعالى قدر المقادير وحدد الآجال وصرف كل شيء وأودع ذلك في كتاب الوجود في اللوح المحفوظ ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۖ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الْاِنْعَامُ: ٥٩]، ﴿وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البَقَرَةُ: ١٨٧]، ﴿قُلْ لَن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التَّوْبَةُ: ٥١]، ﴿وَحَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الْفُرْقَانُ: ٢]، ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ۚ أُنْدَادًا ۚ ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسَىٰ مِن فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّالِبِينَ﴾ [فُضِّلَاتُ: ٩-١٠].

## ثانياً: منهج القرآن في معالجة قضايا العقيدة:

اتسم منهج القرآن في عرض العقيدة الإسلامية بأنه منهج متميز متكامل يستخدم أساليب إقناعية متنوعة، يوظف التاريخ والواقع المحسوس والأدلة العقلية البسيطة، ويلجأ إلى مخاطبة الفطرة الإنسانية ويستبدل أسلوب التلقين والإدراك

العقلي الرياضي البارد بأسلوب التربية واستثارة الوجدان والحماسة التي تحرك دواعي الإيمان وتثبت العقيدة واليقين، وذلك فضلاً عن المعالجة العملية الواقعية التي لم يُفوّت القرآن الفرص السانحة لاستغلالها والحديث عن حقائق الإيمان من خلال تفاعله معها:

### القرآن يقص علينا تاريخ رجال العقيدة:

كثرت سور القرآن وآياته التي تتحدث عن قصص السابقين من الأنبياء وأتباعهم، وما يعيننا في هذا المقام هو دور العقيدة الدينية في تلك القصص، حيث كانت عقيدة التوحيد القاسم المشترك والغاية والهدف عند كل نبي وفي كل قصة، فنوح عليه السلام، يقول لقومه ﴿عَبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأنعام: ٥٩] وذلك ما نجده عند هود [الأنعام: ٦٥] وصالح [الأنعام: ٧٣] وشعيب [الأنعام: ٨٥]، ولدى جميع الأنبياء والمرسلين [التكوير: ٣٦].

كما أشار القرآن إلى طرائق وأساليب اتباعها الأنبياء في دعوة أقوامهم إلى الإيمان بالله ومن ذلك ما ذكره القرآن عن نوح عليه السلام في قوله تعالى على لسانه ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [١٣] وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿نوح: ١٣-٢٠﴾، وهو ما نجده أيضاً عند هود عليه السلام [الشعراء: ١٣١-١٣٥]، وصالح عليه السلام [الشعراء: ١٤٦-١٥٠]، وموسى عليه السلام [الشعراء: ٢٣-٥١]، وشعيب عليه السلام [الشعراء: ١٨٤]، وإبراهيم عليه وعلى بينا أفضل الصلاة وأتم التسليم [الأنعام: ٧٤، ٨١].

وبالإضافة إلى تلك الشمس المضيئة في سماء الإيمان عبر تاريخه الطويل، لمعت نجوم براءة لقلوب مؤمنة تافت شوقاً للتشير بالحق والدعوة إلى الإيمان، دعوة قادها مؤمن آل فرعون ﴿وَيَقَوْمٍ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ [٤١] تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوُضُ



أَمَرَتْ إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿غَفَلَةً﴾: [٤١-٤٤]، وعلى هذا الدرب نفسه سار مؤمن آل ياسين [يَسِّنْ: ٢٢-٢٥]، وسحرة فرعون [ظَنَّنَا: ٧٢-٧٦] وهدده سليمان [الْقَمْرَانَ: ٢٣-٢٦].

### القرآن يخاطب الكينونة الإنسانية مكتملة:

خطاب القرآن بالعقيدة لم يقتصر على العقل وحده، وإنما نجده يخاطب العقل ويثير الوجدان ويوقظ الفطرة ويسلك في ذلك طرق الإدراك الحسي التي تنقل خلالها الصور والأفكار من دائرة الإحساس الظاهر إلى مرتبة التأمل والتفكير والوقوف على ما وراء المادة من حقائق الغيب.

إن الدعوة إلى السير في الأرض والنظر في الكون، في الليل والنهار وتعاقبهما، في الشمس والقمر وحركتهما، في السماء والأرض وعجيب صنعهما، في الماء والمطر وما فيهما من سر الحياة، وفي النبات والحيوان وما يعكسانه من تنوع وتعدد بديعين، لهي البوابة الكبرى التي فتحها القرآن على مصراعيها ليملاً العيون بمعاني الإعجاب والانبهار كخطوة أولى نحو استسلام العقول لحقائق الإيمان: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿الْعَاشِيَةَ﴾: ١٧-٢٢، ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَبْيْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَبًّا وَقَضًّا ﴿٢٨﴾ وَزَيُّونًا وَغُلًّا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلًّا ﴿٣٠﴾ وَفِكَهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَلْعَأَ لَكُمْ وَلَا تَعْلَمُونَ ﴿عَبَسْنَا﴾: ٢٤-٣٢.

وهذا اللون من التأمل والتفكير يصل بالعقل إلى الوقوف وجهًا لوجه امام قوانين السببية التي تقطع الطريق سريعاً نحو الإيمان ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِفُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿الطُّورِ﴾: ٣٥-٣٦ ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿الْقَمْرَانَ﴾: ١١.

وإلى جانب مخاطبة العقل بالحجة والبرهان، تأتي إثارة الوجدان وإيقاظ الفطرة كوسيلة ثانية يستخدمها القرآن في مخاطبة الكينونة الإنسانية، فالفطرة السليمة تشعر بالحاجة إلى الإيمان والافتقار إلى عالم الغيب الذي من خلاله

تطلب حوائجها وترجو دفع الضر عنها: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَغْفِرَ اللَّهُ لَنَقُونَ ﴿٥١﴾ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تَعْمَرُ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [التَّحْوِيلُ: ٥٢، ٥٣]، ﴿أَمَّن يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذْكُرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النَّمْلُ: ٦٢]، ﴿هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُكَ فِي الْبَرْحِ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتَ فِي أَلْفِكَ وَجَرِينَ ٣٣ بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُجِيبْنَا مِن هَدْيِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يُونُسَ: ٢٢].

### القرآن يستخدم أساليب إقناعية متعددة:

فهو يضرب الأمثال ليقرب المعاني و يقيم الحجة ويزيل الشبهة ويكشف حجب العقل المتراكمة بمثل قريب من النفس مقنع في بساطته قوي في حجته: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبٌ مِّثْلُ مَا فَاسْتَجَعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الْحَجَّ: ٧٣]، ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزُّنُزُ: ٢٩]، ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِيَانِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْيَكُمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [التَّحْوِيلُ: ٧٥-٧٦].

كما أنه يواجه أهل التمرد والعناد بالتحدي القاطع لحججهم المبطل لشبههم، ولقد كانت صور التحدي في القرآن كثيرة، فقد تحدى الله منكري النبوة بالمعجزات الخارقة للعادة، وتحدى معاندي العرب بالقرآن الكريم وما فيه من دلائل الإعجاز من نظم وإخبار بما سيأتي وبما سبق في الماضي، مما جعل عجزهم عن الإتيان بشيء من مثله دليلاً على صحته وصدق دعوى من جاء به، وفي ذلك إثبات لكل أصول الإيمان من الإيمان بالله والإيمان بالرسول والإيمان بالكتب: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ

وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿الْإِنشَاءُ: ٨٨﴾، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿الْبَقَرَةُ: ٢٣﴾.

### القرآن يستبدل طريقة التلقين بأسلوب التربية بالمواعف العملية:

لم يكن القرآن كتاب فلسفة عقلية يتجه نحو تقرير الحقائق في جفاف وبرودة، ولكنه كتاب هداية وإرشاد نزل منجماً ليربي ويزكي ويعالج مشكلات تظهر في الواقع لتكون نموذجاً لكل المشكلات التي يمكن للإنسان أن يحياها في كل زمان ومكان.

لقد نزلت آيات القرآن في ميادين المعارك والمواجهات لتربي العقيدة وتثبتها في نفوس المؤمنين، لتقول لهم ﴿إِنَّكَ اللَّهُ مَعَنَا﴾ [التَّوْبَةِ: ٤٠]، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [الْعَنْكَرَانَ: ١٢٦]، و [الْأَنْفَالِ: ١٠]، ﴿إِلَّا نَصْرُهُ فَكَدَّ نَصْرُهُ اللَّهُ﴾ [التَّوْبَةِ: ٤٠]، ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الْعَنْكَرَانَ: ١٣٩]، ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الْعَنْكَرَانَ: ٣٣]، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [الْعَنْكَرَانَ: ١٤٤]، ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [الْعَنْكَرَانَ: ١٥٠]، ﴿إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [الْعَنْكَرَانَ: ١٥٤]، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الْأَنْفَالِ: ١٧]، ﴿وَلَكِن لَّيَقِضِي اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الْأَنْفَالِ: ٤٢].

كما نزلت الآيات في مجالس العلم وحلق الذكر ومناحي الحياة المختلفة لتربط العلم بالإيمان، والإيمان بالعمل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَابِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْتَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ غَفُورٌ ﴿١٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَابِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَ نُوعُظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوا كَمَا

كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ [المجادلة: ١-٧]؛ حيث تحول درس الفقه والأحكام في مجلس النبي ﷺ إلى درس في العقيدة والإيمان دون أن تفوت الفرصة أو تضيع المناسبة.

### ثالثاً: مسائل العقيدة في السنة النبوية:

كما اهتم القرآن الكريم بقضايا الاعتقاد ودلائلها وطرق عرضها، اهتمت كذلك السنة النبوية بتلك المسائل والقضايا حيث لا نجد مصدرًا من مصادر السنة ولا مصنفاً من مصنفاتها الكبرى إلا ويحتوي على العديد من الكتب والأبواب التي تتضمن عشرات بل مئات الأحاديث في هذا المضمار، وهذا ما نجده في الصحيحين، وعند أصحاب السنن، وفي بقية الكتب التسعة، فضلاً عن كتب السنة النبوية التي اختصها مؤلفوها بمعالجة مسألة أو أكثر من مسائل العقيدة.

وإذا قمنا باستعراض المادة الحديثية التي تحتويها تلك المصنفات فسنلاحظ أنها تغطي بصورة كاملة كل مسائل العقيدة المشار إليها سابقاً بدءاً من الحديث عن الإيمان بوجود الله وتوحيده وأسمائه وصفاته وانتهاءً بذكر مشاهد القيامة واشراط الساعة وأهوال الحشر ومواقف الحساب والعرض ونعيم الجنة وعذاب النار.

ولأن السنة النبوية لم تسلم، كما سلم القرآن الكريم من عمل الوضّاعين أو خطأ بعض الرواة أو نسيانهم أو ضعفهم، أو من بعض العلل الأخرى القادحة في صحة الرواية وسلامة نسبتها إلى النبي ﷺ، فقد اهتم علماء الحديث والعقيدة وأصول الفقه بمناقشة حقيقة العلاقة بين العقيدة والسنة النبوية، وبخاصة ما يتعلق من ذلك بقضية الاحتجاج بالسنة في باب العقائد، خاصة إذا كان الحديث من الآحاد.

ففي الوقت الذي قُبل فيه الاحتجاج بالحديث المتواتر وهو ما نقل عن عدد من الرواة، يحصل العلم بصدقهم ضرورة بأن يكونوا جمعاً لا يمكن تواطؤهم على الكذب، يروونه عن مثلهم إلى رسول الله ﷺ، ولهذا كان مفيداً للعلم الضروري، ويجب العمل به، نجد الاختلاف يقع حول الاحتجاج بخبر الواحد، ويقال له أيضاً حديث الآحاد، وهو نقل الخاصة ما ليس بمتواتر ولا مشهور، حيث قال فريق من العلماء بقبوله وبصححة الاحتجاج به في العقائد والأحكام، بينما ذهب فريق إلى عدم الاحتجاج به في أمور العقائد وبخاصة ما لم يكن له في القرآن وفي السنة المتواترة من سند أو أصل، وليس له بمعانيهما تعلق، وصرح ابن فورك (ت ٤٠٦هـ) من متكلمي الأشاعرة بجواز الأخذ بأحاديث الآحاد في باب العقائد «مما صحت الحجة به من طريق وثيقة النقلة وعدالة الرواة واتصال نقلهم، فإن ذلك وإن لم يوجب العلم والقطع، فإنه يقتضي غالب ظن وتجويز حكم، حتى يصح أن يحكم بأنه من باب الجائز الممكن دون المستحيل، وإذا كان ثمرة ما جرى هذا المجرى من الأخبار ما ذكرناه فقد حصلت به فائدة عظيمة لا يمكن التوصل إليها إلا به».

وأكتفي في هذا المقام بذكر بعض النماذج من الأحاديث النبوية الصحيحة التي تناولت بعض القضايا العقائدية، ومن ذلك:

#### ١- أحاديث في الإيمان بالله تعالى:

كقوله ﷺ في حديث جبريل: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»، وقوله ﷺ لمعاذ بن جبل رضى الله عنه وقد أرسله إلى اليمن: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى...»، وما روي من أن رجلاً كان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختمهم ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه». وقوله ﷺ لأصحابه حينما علت أصواتهم بالتكبير أثناء سيرهم: «أربعوا على أنفسكم -أي ارفقوا بها- فإنكم

لا تدعون أصم ولا غائبًا، تدعون سميعًا بصيرًا قريبًا»، وقوله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة». وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة في هذا الباب.

## ٢- أحاديث في الإيمان بالملائكة:

وردت أحاديث كثيرة في ذكر الملائكة وبيان طبيعتهم وصفاتهم ووظائفهم، ومن ذلك قوله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم».

وقوله ﷺ في حديث خلق ابن آدم في بطن أمه: «ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع كلمات ويقال له: اكتب عمله ورزقه وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح». وقوله «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر».

## ٣- أحاديث في الإيمان بالكتب المنزلة:

ومنها قوله ﷺ في دعائه إذا أخذ مضجعه: «اللهم رب السموات ورب الأرضين وربنا ورب كل شيء وفالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء...».

وفي الحديث أيضًا عنه ﷺ: «أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان».

وفي الحديث عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: ﴿ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

#### ٤- أحاديث في الإيمان بالنبوة:

ومنها قوله ﷺ حينما سئل عن عدد الأنبياء: «مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي» ف قيل له: كم المرسلون منهم فقال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر...»، وقوله ﷺ: «الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة».

وقوله ﷺ في وجوب الإيمان به: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار».

وقوله ﷺ: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»، ومن الأحاديث الواردة في أسمائه ﷺ قوله: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب».

#### ٥- الإيمان باليوم الآخر:

ورد في السنة النبوية الصحيحة عدد كبير جدًا من الأحاديث التي تخبر عن البعث والحساب والجزاء، ومن ذلك ما جاء عن أبي رزين العقيلي من أنه سأل رسول الله ﷺ: كيف يحيي الله الموتى؟ وما آية ذلك في خلقه؟ قال: «أما مررت بوادي أهلك محلاً (جدبًا)؟ قال: بلى. قال: أما مررت به يهتز خضرًا؟ قال: قلت بلى. قال: فكذلك يحيي الله الموتى وذلك آيته في خلقه».

وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشمس تدنو يوم القيامة، حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم، فيقول: «لست بصاحب ذلك...»، ثم يستشفعون بموسى فيقول لهم مثل ذلك، ثم يأتون محمدًا فيشفع لهم»، وقد عقد البخاري في صحيحة في كتاب بدء الخلق بابين فيما جاء في صفة الجنة وصفة النار، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت

ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فاقروا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، وقوله ﷺ: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتبه، وأنهاكم عن المنكر وآتبه».

## ٦- الإيمان بالقدر:

وقد جاءت أبواب كثيرة في دواوين السنة النبوية تحت عنوان كتاب القدر كما في صحيح البخاري ومسلم، وسنن الترمذي وأبي داود، وغيرها من كتب السنة، ومن ذلك ما ذكره البخاري عن النبي ﷺ فيما يرويه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع النبي ﷺ وعه عود ينكت به في الأرض فنكس وقال: ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار، أو من الجنة، فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: لا، اعملوا فكل ميسر، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ [الليل: ٥]. وعن أسامة رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ إذا جاءه رسول إحدى بناته -وعنده سعد وأبي بن كعب ومعاذ (رضي الله عنهم جميعاً)- أن ابنها وجود بنفسه، فبعث إليها: لله ما أخذ ولله ما أعطى، كل بأجل، فلتصبر ولتحتسب». وفي الحديث عن عمران بن حصين قال: قال رجل: يا رسول الله، أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: نعم. قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: كل يعمل لما خلق له، أو لما ييسر له».

## رابعاً- المنهج النبوي في معالجة قضايا العقيدة:

اتسمت الطريقة النبوية في معالجة مسائل العقيدة وقضايا الإيمان بعدد من الخصائص المميزة نذكر منها:

### ١- البراعة في الدعوة إلى الإيمان والتبشير بعقائده بين كافة الناس:

فلقد أمر ﷺ بالبلاغ والإنذار والصدع بدين الحق والدعوة إليه في جميع الأوساط، فدعا عشيرته من بني هاشم، كما دعا سادة قريش جميعهم إلى الإيمان بالله الواحد الأحد، ونبذ ما يدعونه من شركاء، والإيمان بأنه رسول الله إلى



الناس كافة وإليهم خاصة، ولقد انطلق في دعوته تلك من الرصيد الخلقى الكريم الذي يمتلكه لديهم، فهو المعروف بينهم بالصادق الأمين العاقل الحكيم، الذي تحفظ عنده الأمانات فيحفظها، ويستنصر به المظلومون فينصرهم، ويستقوي به الضعفاء فيجبرهم، ومن ثم لم يكن غريباً ما قالته زوجته الوفية الحكيمة السيدة خديجة رضي الله عنها حينما عاد إليها يرتجف فؤاده من هول ما رأى من الملك جبريل في لقاء الوحي الأول، وهو يقول: زملوني زملوني، لقد خشيت على نفسي، فتقول له: «كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق».

لقد دعا النبي ﷺ عشيرته المقربين إلى الإيمان بالله وحده والتصديق برسالته وبالبعث بعد الموت للحساب والجزاء «والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون، وإنها الجنة أبداً أو النار أبداً».

ثم دعا قومه جميعاً عند جبل الصفا، فأقبلوا إليه يستمعون فقال لهم: «أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي، قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد».

## ٢- تعهد الأتباع بالتربية والتعليم:

لقد تعهد النبي ﷺ أصحابه من المؤمنين بدينه ورسالته بالتربية على معاني الإيمان المنزلة في آيات القرآن الكريم، حتى شهدت مجالسه ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم مع صحابته الأوائل أفضل نموذج لصناعة الرجال، ففيها كانت تُتلى آيات الله المنزلة، وفيها كان التثيت من النبي لأصحابه وبخاصة من الضعفاء في أوقات الشدة والمحنة، وفيها كانت العبادة والأخوة الإيمانية، وفيها كانت قيادة الدعوة الجديدة التي يبحث عنها الراغبون في الهداية والباحثون عن الطريق نحو الأنصواء تحت لوائها، وخلال هذه الفترة المكية تأصلت معاني الإيمان في النفوس من خلال منهج نبوي يقوم على عدد متنوع من الأساليب في التعليم والتربية منها:

## أ- البيان دون سؤال أحد:

ففي الحديث عن أبي زيد عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه قال: «صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطب، حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وما هو كائن فأعلمنا أحفظنا».

وفي حديث جبريل أيضًا دليل على طريقته صلى الله عليه وسلم في البيان والتعليم ابتداء دون طلب من أحد من أصحابه حيث كان هذا المشهد الذي يدخل فيه رجل غريب ذو هيئة متميزة: شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يبدو عليه أثر السفر، ولا يعرفه من الصحابة أحد، فجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم جلسة من يريد اهتمامًا كاملاً من النبي وأصحابه ليسأل عن أصول الإيمان والإسلام والإحسان وأشراف الساعة، ولتكون ردود النبي في ذلك خير تعليم لمن حضر هذا المجلس.

كما روى في الحديث عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف».

## ب- الإجابة عن أسئلة السائلين:

فعن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم، وعلقت ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم، فقال: «اقبلوا البشرى يا بني تميم»، قالوا: قد بشرتنا فأعطنا (مرتين). ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال: «اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إن لم يقبلها بنو تميم». قالوا: قد قبلنا يا رسول الله. قالوا: جئنا نسألك عن هذا الأمر. قال: «كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض...».

وفي الحديث أن أعرابياً سأل رسول الله ﷺ: يا رسول الله، أقریب ربنا فنناجیه أم بعید فننادیه؟ فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أجدنا نجد في نفسه، يُعْرَضُ بالشيء، لأن يكون حُمَمَه أحب إليه من أن يتكلم به. فقال: «الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيدَه إلى الوسوسة».

وفي الحديث عن علي كرم الله وجهه قال: كنا في جنازة في بقیع الغرقد، فأتانا النبي ﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة -وهي عصا يتوكأ عليها- فنكس فجعل ينكس بمخصرته، ثم قال: «ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة»، فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، وأما من كان منا من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة؟ قال: «أما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة، ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ [الليل: ٥].

وفي رواية أخرى قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له».

ويتضح مما سبق أن النبي ﷺ كان يجيب عمّا يورده عليه الصحابة من أسئلة واستفسارات بما يثلج صدورهم. إلا أنه كان إلى جانب ذلك يحذرهم من الجدل في الدين والخوض في كل ما من شأنه أن يعكر عليهم صفو عقيدتهم ويؤدي بهم إلى التنازع والاضطراب وهو ما يظهر في الملمح التالي.

**ج- النهي عن الجدل والخلاف في الدين والتعمق في بحث حقائق الغيب، ومسائله الصعاب:**

فقد ورد أنه ﷺ خرج على بعض أصحابه وهم يتنازعون في شيء من الدين، فغضب غضباً شديداً لم يغضب مثله، ثم انتهز المتنازعون قائلاً: «يا أمة محمد: لا تهيجوا على أنفسكم، أبهذا أمرتكم؟ أو ليس عن هذا نهيتكم؟ إنما

هلك من كان قبلكم بهذا، ذروا المراء لقلة خيره، ذروا المراء، فإن نفعة قليل، ويهيج العداوة بين الإخوان، ذروا المراء فإن المراء لا تؤمن فتنته».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «تفكروا في آلاء الله -يعني عظمته- ولا تفكروا في الله». وفي رواية لابن عباس رضي الله عنهما أن قومًا تفكروا في الله ﷻ فقال النبي ﷺ: «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله، فإنكم لن تقدروا قدره».

ولقد كان النبي ﷺ حريصًا على أن يجنب العقل المسلم وساوس الشيطان وما يطرحه من أسئلة الشك والشبهة: «لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا هذا الله خالق كل شيء، فمن خلق الله؟ فمن وجد في نفسه شيئًا فليقل: آمنت بالله».

وقد نهى رسول الله ﷺ عن الغلوطات وهي المسائل الشديدة الصعبة التي قد تؤدي إلى إثارة الفتن وتهيج الخواطر والوساوس وإيقاع الشقاق، وافتقاد اليقين، كما نهى ﷺ أن تكون أصول الإيمان موضع جدل ومثار تنازل وخلاف، لما يترتب على ذلك من الخصومة والشقاق وتبادل تهمة التبديع والتفسيق والتكفير، ومن ذلك ما ورد عنه ﷺ من أنه خرج على بعض أصحابه وهم يتنازعون في القدر، فغضب حتى احمر وجهه، حتى كأنما فقى في وجهه حب الرمان. قال: «أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر. عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه».

### ٣- السعي نحو الربط الوثيق بين العقيدة والعمل:

لقد ربط القرآن بين الإيمان والعمل الصالح ربطًا وثيقًا في مواضع كثيرة جدًا من آياته وسوره، وهو ما يوحي بأن الإيمان الذي يدفع إلى العمل هو الذي يكون محلاً للتقدير والثناء، بينما تظل المعلومات والاعتقادات بعيدًا عن العمل دربًا من الادعاء أو لونا من الاحتيال، ولذلك فقد كان النبي ﷺ حريصًا على أن يوجه معاني العقيدة ومسائل الإيمان نحو جوانب عملية تتحول من خلالها تلك الأقوال والاعتقادات إلى واقع مشهود يدل على مدى تحقق الإيمان في نفس

صاحبه، فصاحب شهادة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله التي يقولها بلسانه ويعتقدها بقلبه إذا أتحت له فرصة تحقيق القول بالعمل بدلاً وعطاءً، عملاً وجهاداً فلم يفعل من ذلك شيئاً، كان إيمانه بارداً ناقصاً يفتقد إلى الفعالية والمصادقية، أما ذلك الذي يحقق بماله وعمله بل بروحه ودمه معنى الشهادة فهو المؤمن الحق صاحب الشهادة قولاً وعقداً وفعلاً ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [المحجرات: ١٥].

ومن هذا المنطلق نجد النبي ﷺ يضمن حديثه عن بعض مسائل الإيمان والاعتقاد لوناً من ألوان التوظيف العملي للقضية محل النقاش ومن ذلك مثلاً:

أ. ما يروى من أنه ﷺ سئل: متى الساعة؟ فأجاب سائله صارفاً إياه عن البعد النظري للقضية، وبخاصة إذا كان ذلك من الأمور المسكوت عنها شرعاً، إلى الجانب العملي منها حيث قال: «ماذا أعددت لها؟».

ب. قوله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً...» دون أن يكتفي بهذا الجانب الاعتقادي، بل يوجه نحو جهد عملي مبني على التفاعل الإنساني مع تلك الأسماء «من أحصاها دخل الجنة» فدخل الجنة في هذا الحديث كان ثمرة للجهد الإنساني المشار إليه في معنى الإحصاء وما يتضمنه من مجاهدة ومعاملة تتحرى معاني التأدب والتخلق مع الأسماء الحسنی.

ج. قوله ﷺ «ينزل الله ﷻ كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له» والغريب أن البخاري ومسلم قد أوردوا هذا الحديث في كتب وأبواب عملية تتعلق بالتهجد والدعاء والصلاة من آخر الليل، مما يتفق مع الفكرة التي سقناها من حرص على لفت نظر المتلقي لدوره إزاء تلك الحقائق الدينية، فما ينبغي أن يوجه إليه المسلم جهده في هذا الصدد هو القسم الثاني من الحديث فينشغل بالدعاء والسؤال والاستغفار دون أن يقف أمام البحث حول حقيقة النزول وقياس ذلك على المعاني البشرية والتصورات الإنسانية المحدودة لذلك المفهوم.

د. قوله ﷺ وهو ينظر إلى القمر ليلة البدر ومعه أصحابه: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا». وفي الحديث إشارة عملية واضحة.

هـ. في حديث القدر المشار إليه قريباً إشارة عملية أيضاً تنبني على ضرورة الانصراف إلى العمل الإنساني دونما توقف عند المستوى النظري: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له».

## سمات العقيدة الإسلامية

### أولاً- سمات تتعلق بطبيعة العقيدة الإسلامية:

تتسم العقيدة الإسلامية بعدد من السمات والخصائص التي تميزها عن غيرها من العقائد والمذاهب من حيث طبيعة تلك العقيدة، ومن بين تلك السمات: الوسطية، والشمول، والوضوح.

#### ١- الوسطية:

العقيدة الإسلامية عقيدة التوسط والاعتدال بين حدي الإفراط والتفريط، وهي سمة تنبع في الأساس من وصف الإسلام بأنه دين وسط بين الغلاة والمفرطين في شتى المناحي النظرية والعملية، العقائدية والفكرية والخلقية والتعبدية، ومن ثم كانت عقيدته وسطًا.

فهي وسط بين الملحدين الذين يجحدون الإله ولا يعترفون إلا بالطبيعة المحسوسة وينكرون كل ما وراءها مما لم تصل إليه حواسهم، وبين أولئك المعددين الذين غالوا في إثبات القوى الفاعلة وراء الطبيعة فجعلوا لكل ظاهرة من ظواهر الكون والوجود إلهًا، فهذا إله المطر وهذا إله البحار وهذا إله الرياح وهذه إلهة الحب والجمال، مع اعترافهم بأن وراء هذه الآلهة إلهًا هو الأكبر هو زيوس كبير الآلهة لدى اليونان، ولقد تصدت العقيدة الإسلامية لهذا الإنكار الملحد كما رفضت التعدد والإشراك، وأثبتت للعالم إلهًا واحدًا لا إله إلا هو، ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِوُكَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿المؤمنون: ٨٤-٨٩﴾.

وهي وسط في الحديث عن صفات الله تعالى بين الغلاة في التجريد الذين جعلوا أوصاف الإله مجرد سلوب، حيث يوصف بأنه ليس بكذا، وليس بكذا، من غير أن نعرف ما هي صفاته الإيجابية وما أثرها في الوجود، كما هو الحال في الفلسفة اليونانية، وعلى الطرف الآخر من المجردين يأتي المشبهون المجسمون الذين جعلوا الخالق كالمخلوق ينام ويتعب ويرتاح، يوصف بالتحيز والمحاباة والقسوة كما هو الحال في عقائد اليهود ونصوصهم الدينية، أما عقيدة الإسلام فقد جاءت لتنزه الله عن مشابهة مخلوقاته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ومع هذا تصفه بصفات إيجابية تعرفه إلى خلقه وتحببه إليهم، فهو الحي القيوم، الغفور الودود، العلي العظيم . . . إلخ.

وهي وسط بين التسليم الأبله الذي وقع فيه المقلدون للأباء والأجداد حيث الاتباع الأعمى للعقائد القديمة وللتقاليد الموروثة دون نظر أو تفكير ودون دليل أو برهان ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزمر: ٢٢]، وبين البحث المتعنت في عالم الغيب جرياً وراء إدراك كنه وحقائق الألوهية، حيث دعت العقيدة الإسلامية إلى البحث والنظر والتأمل والتفكير في عالم الشهادة للوصول إلى الهداية في التعرف على عالم الغيب ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١] ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ [الزمر: ٨] بينما حذرت من إهدار الجهد البشري والعقلي في غير طائل ودون تحقيق أي فائدة، وذلك لأن عالم الغيب فوق طاقة العقول المحدودة، ومن هذا الباب قوله ﷺ: «تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فإنكم لن تقدرُوا قدره».

وهي وسط بين من يقولون بالجبر المطلق والنفي التام للقدرة الإنسانية، أولئك الذين يرون الإنسان ريشة في مهب الريح، لا إرادة له ولا حرية ولا مسئولية، وبين من يقولون بالحرية الكاملة والإرادة التامة غير المتأثرة بمشيئة خارجية أو إرادة مستقلة، وعقيدة الإسلام في هذا هي الوسط العدل، فالإنسان في دائرة الاختيار حر مسئول، ولكن هذا لا ينفي وجود إرادة إلهية حكيمة وقدرة إلهية قاهرة ومشيئة إلهية نافذة، وهذا هو شأن الألوهية فالقرآن يعبر عن وجود مساحة كبيرة جداً من الحرية الإنسانية بقوله: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن



وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴿[الْكَافِرُونَ: ٢٩]﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ أَخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿[الْمُزَّمِّلُ: ١٩]﴾ وينكر على المحتجين بالقدر لتبرير شركهم وسوء أعمالهم ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بِأَسَنَّا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿[الْأَنْعَامُ: ١٤٨]﴾ إلا أن الإسلام يقرر -في الوقت نفسه- أن الإنسان ليس بإله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد في هذا الكون، فهو ما زال هذا المخلوق الضعيف، الذي يتقلب في أطوار كثيرة من الاختيارات الإلهية في الوجود والحياة والصحة والمرض، والسعادة والشقاء والموت والفساد ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿[الْإِسْتِزْلَاجُ: ٣٠]﴾.

والعقيدة الإسلامية هي كذلك وسط بين المنحرفين عن دين الحق والمغالين من أصحاب الكتب والأديان السابقة؛ فبينما نجد بعضهم يذهب على تمجيد البشر، ورفعهم فوق مرتبة العبودية ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَنَالَهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿[التَّوْبَةِ: ٣٠]﴾ فجعل بعضهم الأنبياء آلهة، تطرف آخرون فكذبوا الأنبياء وأذوهم وحاولوا قتلهم، بينما جاء الموقف الإسلامي الوسط من تلك العقائد والمواقف المنحرفة مقررًا أن الأنبياء ما هم إلا بشر من البشر اختارهم الله وفضلهم على سائر البشر برسالته ووحيه ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعَالَ إِبْرَاهِيمَ وَعَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿[الْعَنْعَبَرُ: ٣٣]﴾.

وهي أخيرًا وسط في علاقتها بالعقائد والأديان الأخرى، فلا تقبل الذوبان في غيرها، بل تدعو في قوة إلى الثبات على الحق والتمسك به ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿[التَّمْثِيلُ: ٧٩]﴾، ولكنها لا تتعصب ضد غيرها من العقائد السماوية المنزلة ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَا لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿[الشُّورَى: ١٥]﴾، بل إننا نجد عقيدة الإسلام تخاطب المشركين قائلة ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿[الْكَافِرُونَ: ٦]﴾.

## ٢- الشمول:

الشمول سمة عامة من سمات الإسلام كدين سماوي خاتم، وهي تعني أن الإسلام دين جاء ليخاطب كل البشر على الأرض (شمول مكاني)، في كل العصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها (شمول زمني)، بمنهج شامل ينتظم كل شؤون الحياة (شمول منهجي موضوعي).

ولقد نالت العقيدة الإسلامية حظها الوافر من تلك الخصيصة العامة، حيث جاءت العقيدة الإسلامية ليخاطب بها البشر في كل مكان وفي كل زمان، فضلاً عن أنها وضعت تصوراً شاملاً للكون والحياة والإنسان وعلاقة هذه العناصر كلها بالله تعالى.

كما شملت العقيدة الإسلامية في تغطيتها لحياة الإنسان كل جوانب حياته، فكان للعقيدة دورها على المستوى الفكري والخلقي والاجتماعي والتعبدي والتشريعي والعملي، فالإسلام يضع الأسس الاعتقادية لإنسان يعيش في الدنيا بنواحيها ومجالاتها المختلفة السياسية والاجتماعية والثقافية، وعينه تتطلع إلى الدار الآخرة، ولهذا كان التصور الإسلامي في مجال العقيدة هو التصور الوحيد الشامل الذي يكفل للإنسان توفير جميع احتياجاته على الأرض وتطلعات نفسه نحو العالم الآخر.

ومن مناحي الشمول في العقيدة الإسلامية أيضاً، أنها جاءت لتخاطب المفهوم الشامل في الإنسان، فلم يقتصر خطابها له على استثارة الوجدان والشعور الفطري في الإنسان فحسب بل إنها خاطبت العقل ونوعت في استخدام الأساليب والطرائق الإقناعية إلى جانب ذلك، مع حرص تام على توظيف وسائل الإدراك الحسي للتوصل إلى القنوات العقلية والاستثارات العاطفية والوجدانية.

## ٣- الوضوح:

تتميز العقيدة الإسلامية بأنها عقيدة واضحة بسيطة لا غموض فيها ولا تعقيد، حيث تتلخص في القول بأن هذا الكون البديع الصنع المحكم التكوين لا يقوم بنفسه بل إن وراءه إلهًا واحدًا وربًا خالقًا قائمًا على خلقه، وأن هذا الإله

ليس له شريك ولا شبيه ولا صاحبة ولا ولد، كل ما في الكون خلقه، له الخلق والأمر، وإليه المرجع والمآب.

وتلك عقيدة واضحة لا غموض فيها ولا إغاز، تتناسب مع مقتضيات العقل التي تبحث عن معاني الوحدة وراء التنوع والكثرة، وتعتمد إلى إرجاع الأشياء المتفرقة دوماً إلى سبب واحد.

لا يقال أبداً في عقيدة الإسلام: اعتقد وأنت أعمى، أو آمن أولاً ثم اعقل وفكر، بل يقال دائماً: ﴿لَا يَدْرِي قَوْمٌ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ومن ثم فليس في عقيدة الإسلام ما في غيرها من غموض وتعقيد -ربما يكون مقصوداً في بعض الأحيان- مما يزعزع اليقين ويزرع الشك ويصرف عن الإيمان.

إن أصول الإسلام الاعتقادية كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر هي أصول واضحة ويسيرة الفهم وبعيدة تماماً عن كل تعقيد وغموض فضلاً عن اقترانها بما لا يحصى من البراهين العقلية والأدلة الفطرية الكافية لإقناع العقلاء مهما كان حظهم من المعرفة والفهم . . .».

## ثانياً- سمات تتعلق بمرجعية العقيدة الإسلامية:

تتميز العقيدة الإسلامية بسلامة المرجعية وصفائها، حيث لا مجال فيها للنزاع حول مشارب متعددة، وثقافات مختلفة، وإمكانات بشرية متنوعة، أسهمت في تكوين تلك العقيدة أو حتى ساعدت في تطورها أو تغييرها؛ فعقيدة الإسلام ربانية المصدر، مع توافق تام مع العقل والفطرة السوية.

### ١- الربانية:

فبينما نجد خصائص العقيدة الإسلامية تتعدد وتتنوع، نلاحظ أنها تتضام وتتجمع عند خاصية واحدة، فهي التي تنبثق منها وترجع إليها سائر الخصائص، وتلك هي خاصية الربانية، ونعني بها المصدر الذي جاءت منه تلك العقيدة، وهذا التصور الرباني بكل خصائصه ومقوماته، فتلقاه الإنسان كاملاً غير منقوص لا ليزيد عليه، ولا لينقص منه ولكن ليتكيف معه ويطبق مقتضياته في حياته.

فالعقيدة موحى بها من عند الله ﷻ، وليس لأحد من البشر كائناً من كان دور في إنشائها بعيداً عن الوحي الإلهي، فرسل الله ما هم إلا مبلغون عنه، لا يأتون بشيء من عند أنفسهم ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [الجن: ٣، ٤]، ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [التقوا: ٤٤-٤٧]، فوظيفة الرسل تنحصر في أمور العقيدة في النقل الدقيق والبلاغ التام ثم الشرح والتوضيح تثبيتاً للمعتقد في نفوس الأتباع بالقول والبيان والتربية والتعهد والعمل.

وإذا قارنا بين عقيدة الإسلام ذات المصدر الإلهي وبين ما سواها من العقائد الدينية والأفكار البشرية فإننا نطمئن إلى القول بأن العقيدة الإسلامية هي الوحيدة التي بقيت محافظة على أصالة مصدرها الرباني، دون أن يختلط فيها الإلهي بالبشري، نتيجة ما حدث من تحريف أصاب العقائد والأفكار الأخرى، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ولقد كان لهذه السمة دورها في تحقيق معاني الانسجام وعدم التناقض بين مفردات العقيدة الإسلامية لدى المؤمنين بها، حيث إن مصدرها واحد، ومن ثم فليس هناك مجال للقول بوقوع التناقض أو التضارب، الذي هو سمة الآراء البشرية والمذاهب الوضعية، وذلك فضلاً عن تحقق صيانة عقيدة الأمة الإسلامية من وقوع الخطأ أو الاضطراب في فهمها لأصول العقيدة الدينية المنزلة، كما أن ربانية العقيدة خير ضمان لوحدة الأمة ولجمع كلمتها على منهج واحد وتصور واحد.

وينبني على هذه السمة أيضاً، القول بتمام الدين واكتمال العقيدة منذ الإعلان عن ذلك يوم أن قيل للمسلمين: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، حيث لم يلحق الرسول - ﷺ - بربه جل وعلا إلا بعد أن بين وبلغ أصول الدين كلها، وفروعه، وترك أمته في ذلك على البيضاء النقية، ومن ثم فلا مجال للقول بوجود نقص يمكن إكماله من بعد، أو كشف غموض انطوت عليه الرسالة في عهدها الأول، ويدخل في هذا الإطار أيضاً ما يمكن أن يطلق عليه اسم ميزان الاعتقاد أو معيار الإيمان الذي نلجأ إليه من أجل التعرف على عالم الغيب وأصول الإيمان ومن أجل وضع الضوابط

والأحكام الفاصلة في المشكلات التي تواجهنا في هذا الميدان كما في المسائل المتعلقة بأسماء الله وصفاته وسائر الغيبات.

## ٢- التوافق مع العقل السليم والفترة السوية:

يضاف إلى ما سبق من قول بأن العقيدة ذات مرجعية ربانية ثابتة، أن تلك العقيدة جاءت متوافقة تمام التوافق مع العقل السليم، والفترة السوية، فليس في الإسلام عقيدة تصطدم مع العقل الإنساني مما يجعل أمر الاعتقاد أمرًا خارجًا عن نطاق العقل، أو واقعًا تحت سلطان التكليف والإلزام دون دليل أو برهان، مما نجده واقعًا كثيرًا لدى أصحاب بعض المعتقدات الأخرى، كأن يقال لأحدهم فيها مثلاً: أغمض عينيك واتبعني، آمن ثم اعلم، الجهالة أم التقوى، بل على العكس من ذلك نجد الإسلام يأمر بطلب الدليل وتعلم الإيمان وضرورة تأسيسه على الحجة والبرهان، فإيمان المقلد لا يقبل دون دليل ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

ومما يسترعى الانتباه أن تذييل كثير من الآيات التي تتحدث عن التأمل والتفكير في الكون كوسيلة للهداية إلى الله تعالى فيه إشارة واضحة إلى تقدير الإسلام الخاص لقيمة العقل ولدوره وأهميته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ أَيْلٍ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وانطلاقاً من هذا التوافق بين ما جاءت به الشريعة، والعقيدة في القلب منها، وما حوته الحكمة والعقل مدارها ومنطلقها، تقرر في الإسلام أن نعم الله وآياته تتعاضد ولا تتعارض، ومن ثم ألفت مصنفات في التأكيد على ذلك منها كتاب ابن رشد «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال»، وكتاب ابن تيمية «موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول» أو ما عرف أيضاً باسم «درء تعارض العقل والنقل».

ومن ثم فإن الإسلام لا يكتفي بمخاطبة القلب والوجدان والاعتماد عليهما كأساس للاعتقاد، بل إنه يذكر القضايا أو المسائل متبوعة بدلائلها العقلية وحججها الدامغة وبراهينها الناصعة، وتفسيرها الواضح الذي يملك أزيمة العقول وبأخذ الطريق إلى القلوب.

ومن هنا جاءت أدلة القرآن في إثبات وجود الله وتوحيده والإيمان بالبعث بعد الموت أدلة عقلية شرعية؛ فهي عقلية لأن تتوجه نحو النظر في الكون والنفس والتاريخ، فضلاً عن كونها أدلة نقلية ورد بها النص الشرعي.

والعقيدة الإسلامية فوق كونها تتفق مع العقل، فهي أيضاً تنسجم تماماً مع الفطرة المستقيمة؛ فالعقيدة الإسلامية ليست غريبة عن الفطرة ولا مناقضة لها، بل هي منطبقة عليها تمام الانطباق قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَوِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البُرُوجُ: ٣٠]، بل إن القرآن يؤكد على استقرار معاني الإيمان والمعرفة بالله وإثباته في الفطرة الإنسانية العامة وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الْإِسْرَاءُ: ١٧٢]، مما يوحي بأن الله تعالى فطر الخلق على معرفته والإيمان به، ومن ثم تأتي العقائد الإسلامية متوافقة تماماً مع تلك الفطرة، وقد أشار الحديث النبوي إلى مثل ذلك في قوله ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

هذا، وقد أشارت بعض أدلة القرآن إلى هذه الصورة من التوافق التام بين العقيدة والفطرة المستقيمة والتي لا تملك إزاء الحق سوى أن تدعن وتستسلم له: ﴿قَالَتْ رَبُّهُمُ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الْبُرْهُجُ: ١٠] وبخاصة في أوقات الشدة والمحنة التي تضع الإنسان في مواجهة واضحة مع الحقيقة العميقة في نفسه ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِهِم بِرِيحٍ طَبَئَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَجَبْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يُونُسُ: ٢٢].

### ثالثًا: سمات تتعلق بتطبيق العقيدة الإسلامية في الواقع:

تتميز العقيدة الإسلامية عما سواها من عقائد نظرية ورؤى فلسفية وتصورات فكرية بأنها عقيدة حية تتعامل مع الواقع لتعيد صناعته وصياغته من جديد، فهي لا ترضى بأن تقبع في زاوية مظلمة من عقل الإنسان، أو في غرفة باردة من نفسه، دون أن تضيء تلك الزاوية بل العقل كله، وتدفع تلك الغرفة بل وتشعل جذوة الإيمان في النفس كلها. إن العقيدة الإسلامية التي نريد أن نصفها في هذا المقام ليست عقيدة المصنفات الجافة أو الأدلة المجردة، بل هي عقيدة أمة كانت ضعيفة ذليلة مستكيننة لا نصيب لها من العلم والتحضر، فأصبحت بها عزيزة قوية أبية، ترفل في أثواب الحضارة والعلم، إننا نرى العقيدة الإسلامية في ميادين التطبيق فضلًا عما تقدم من سمات: عقيدة متكاملة، إيجابية، متسامحة، وواقعية.

#### ١- التكامل:

إن العقيدة الإسلامية كاملة متكاملة، لا تقبل تنمية ولا تكميلاً، فهي من صنع الله، ولا يتناسق معها ما هو من صنع غيره، ولا يملك الإنسان أن يُعدّل فيها أن يغير شيئاً، أو يضيف شيئاً، إنما العقيدة هي التي جاءت لتضيف إلى الإنسان وتنميه وتعده وتطوره، وتدفع به دفعاً إلى الأمام . . . جاءت لتضيف إلى قلبه وعقله وإلى حياته وواقعه، جاءت لتوقظ كل طاقات الإنسان واستعداداته وتطلقها تعمل في إيجابية كاملة وفي ضبط وهداية.

ومن ثم فهي تحتم أن تنفرد في حياة البشر بمفهوماتها وإيحاءاتها ومنهجها ووسائلها كي تتناسق حياة الإنسان مع الكون الذي يعيش فيه دون أن تصطدم حركته بحركة الكون من حوله فيصيبها العطب والخلل.

ومن معاني التكامل في العقيدة الإسلامية أيضاً أن جميع أجزائها وجوانبها تتجمع وترابط ترابطاً وثيقاً بحيث لا يمكن الفصل بينها أو التفريق بين وحداتها، ومن هذا المنطلق حكم الإسلام برفض عقيدة الانتقاء التي تقبل شيئاً وترفض آخر، فمن آمن بالله وكفر برسله كمن كفر بالله، ومن آمن ببعض الرسل دون البعض، أو آمن بالرسول وكفر بالملائكة، أو آمن بالكل ورفض واحداً من أصل

الإيمان فقد حكم القرآن برد إيمانه وفساد عقيدته، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

## ٢- الإيجابية:

ربط الإسلام بصورة مؤكدة بين الإيمان والعمل في أكثر من خمسين موضعاً من القرآن ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مما يوحي بالدور الكبير الذي تلعبه العقيدة في الحياة العملية للمسلم فردا كان أو مجتمعاً حيث كانت العقيدة الإسلامية وما تزال هي المحرك الأول للعمل الصالح وللالتزام بالأوامر الإلهية والانتهاز عن النواهي الشرعية ومن ثم غلب في استعمال القرآن النداء بوصف الإيمان قبل الأمر أو النهي قال تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٧٨] ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا أَشْهَرِ الْحَرَامِ وَلَا أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَلْقَائَهُمْ﴾ [المائدة: ٢] بل إننا نجد السيدة عائشة رضي الله عنها تؤكد هذا المعنى حيث تقول «إن الناس ثابوا إلى الإسلام بعد نزول آيات الجنة والنار في القرآن المفصل فنزلت الأحكام ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبداً» ومن ثم لم يكن غريباً ما حدث من مسارعة واستجابة كبرى للأمر الإلهي بالانتهاز عن شرب الخمر في قوله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُضِلَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١]، قال عمر: انتهينا .. وكسرت الدنان وأريقتم الخمر حتى جرت في سلك المدينة.

وفي المقابل حاولت الولايات المتحدة الأمريكية في سنة ١٩١٩م أن تسن قانوناً يجرم شرب الخمر لما فيها من مضار، وقد أعدت لتنفيذ هذا القانون داخل الأراضي الأمريكية كافة وسائل الدولة وإمكاناتها الضخمة من جند وأساطيل ووسائل دعائية وإجراءات عقابية، ولكن كل ذلك لم يزد الأمة الأمريكية إلا غراماً



بالخمر وعنادًا في تعاطيها، حتى اضطرت الحكومة سنة ١٩٣٣م إلى إلغاء هذا القانون وإباحة الخمر إباحة مطلقة، وفشلوا فيما نجح فيه المؤمنون بفضل إيجابية عقيدتهم وشدة إيمانهم.

### ٣- التسامح:

تحلت العقيدة الإسلامية بقدر عال من التسامح مع مسألة حرية الاعتقاد، حيث أكدت الآيات على الحرية الدينية الكاملة ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وعلى الرغم من حرص العقيدة الإسلامية على تأكيد أحقيتها في نفوس أصحابها، إلا أنها تسامحت مع المخالفين لها وحاورتهم ودعتهم إلى كلمة سواء واعترفت بوجودهم وبحقهم في ممارسة عقائدهم وشعائرهم الدينية في إطار النظام العام للدولة الإسلامية، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٤]، ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ يَا أُمَّةَ اللَّهِ إِنِّي أَسأَلُكُمْ مِنَ اللَّهِ لِيَأْتِيَنَّكُمْ الْحَكْمُ الْأَعْدِلُ الَّذِي هُوَ أَمْرٌ بِالْحَقِّ وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبَدَّلَ اللَّهُ وَجْهَ الْبَالِغِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ فِي الْحَرْبِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ يُبَدَّلُونَ الْأُمَّةَ سَاءَ مَا هُوَ بِحُكْمِ اللَّهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلِكُمْ أَنْتُمْ بَرِيحُونَ وَمِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ وَمِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤٠-٤١].

أما دعوات الإقصاء والتهميش وعدم قبول الآخر التي تلصق دائماً بالإسلام ويقال: إنه يتعامل بها مع المخالفين له في العقيدة دون نظرة موضوعية، فيرد القرآن على ذلك كله بإقرار المزيد من مبادئ العدالة والإنصاف إذ يقول: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَأَنَاءَ أَلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [الأنعام: ١١٣]، ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٧٥]، ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ

عَدَاوَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَلِيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرْنَا ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِيْسِيْنَ وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ .

ومن علامات التسامح في العقيدة الإسلامية أيضًا أن المسلم يعتقد جازمًا أن من مقتضيات الإرادة الإلهية التي لا تخلو عن الحكمة: ترك حرية الدين والاعتقاد مكفولة للناس يختار كل واحد منهم ما يشاء من اعتقاد دونما إكراه أو إجبار، ومن ثم وقع اختلاف الناس في الدين والإيمان ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هُود: ١١٨]، كما أن الله أمر نبيه ﷺ أن يتجنب اللجاج في الجدل مع المخالفين له في الدين وأن يكل أمرهم إلى الله ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الْحَجَّ: ٦٨، ٦٩].

#### ٤- الواقعية:

تتعامل العقيدة الإسلامية مع المسلم باعتباره إنسانًا يعيش على الأرض، له آماله وأشواقه، ولديه طاقاته وقدراته المحدودة، فلم تكلفه شططًا، ولم تعنته، ولم تأمره أن يعتقد محالًا، أو أن يؤمن بما لا يتوافق مع العقل، بل إن العقائد الإسلامية كلها جاءت لتعبر عن احتياجات النفس الإنسانية الواقعية للإيمان، فالإنسان يحتاج إلى الإيمان بالله وبوحدانيته حيث نجد أن عقيدة التوحيد تتوافق تمامًا مع نزوع النفس الإنسانية نحو الوحدة لما فيها من معاني السلام الداخلي والأمان النفسي، والإنسان بحاجة إلى الإيمان باليوم الآخر، حيث تتحقق معاني العدالة التي وجدها ضائعة مهكرة في دنيا الإنسان المتحضر، وهو يعيش عصر الحرية وحقوق الإنسان.

ثم إن العقيدة الإسلامية تسلك في البرهنة على قضاياها مسالك معروفة في الواقع تستخدم آلياته ومفرداته لتخاطب الناس بالإيمان وتقيم الدليل والبرهان عليه من واقعه المعاش، فإن كان إنسانًا بسيطًا وجد بغيته في أدلة الواقع المحسوس، وإن كان مفكرًا متعمقًا وجد من أدلة القرآن ما يتناسب مع عقله وفكره.

## ٥- الفقه

### \* تعريف الفقه :

الفقه في اللغة: «العلم بالشيء، والفهم له، والفتنة فيه»، وغلب على علم الدين لشرفه، كما ذكر القرآن قوم النبي شعيب: ﴿قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ﴾، وقيل: هو عبارة عن كل معلوم تيقنه العالم عن فكر<sup>(١)</sup>.

اصطلاحًا: الفقه الإسلامي، أو علم الفقه بمعناه العام هو: «الفهم والمعرفة المتعلقة بالأحكام الشرعية».

وفي المصطلح العلمي العام هو: «مجموعة من أنواع العلوم الشرعية الناتجة بالدراسة المنهجية، من خلال مراحل تأسيس المدارس الفقهية، وتتلخص -نظريًا- في: موضوع: علم فروع الفقه ومنهج علم أصول الفقه والقواعد الفقهية العامة، وعمليات الاستدلال، وما يتعلّق بذلك.

وعلم الفقه الإسلامي يشمل: الأصول والفروع، لكن غلب استعماله مخصوصًا بالفروع، حتى صار الفقه أو علم الفقه لا يطلق بالمعنى الاصطلاحي إلا على الفروع وهو: العلم بالأحكام الشرعية العملية المستمدة من أدلتها التفصيلية.

أو بعبارة أخرى هو: «العلم الذي يبحث لكل عمل عن حكمه الشرعي»<sup>(٢)</sup>.

(١) يُنظر: «تاج العروس»، للزبيدي: (٤٠٢/٩)، و«فتح الباري»: (١/١٦٥).

(٢) يُنظر: «موسوعة الفقه المصرية»: (١/١١).

## \* موضوع علم الفقه :

موضوع علم الفقه هو: «الأحكام الشرعية العملية» المتعلقة بأفعال المكلفين من العباد، فيبحث فيه عما يعرض لأفعالهم من حلٍّ وحُرمة، ووجوب وندب وكراهة. ويدرس علم الفقه موضوع: «الأحكام الشرعية العملية» من «أدلتها التفصيلية»، فموضوعه هو: «الأحكام الشرعية، وأدلتها».

وفروع الفقه تتلخص في: علم فروع الفقه حسب الموضوع الذي يدرسه إلى فروع كثيرة أهمها:

فقه عبادات: ويختص بأقسام أساسية أهمها: الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والعمرة، وتتضمن هذه الأقسام أبواباً وفصولاً وتفريعات أخرى.  
فقه معاملات: ويختص بأبواب المعاملات مثل: الإجارة، والرهن، والربا، والوقف، والجعالة، والبيع، والصرف . . إلخ.

عدة فروع وأبواب أخرى مثل: الجنائيات، وأحكام الزواج، والطلاق، والصداق، والخلع، والظهار، والإيلاء، واللَّعان، والعدة، والرضاع، والحضانة، والنفقات، والفرائض والموارث، والأطعمة والأشربة، والقضاء والشهادات، والأيمان والندور، والكفارات، وأحكام الصيد والذبائح والذكاة، ومعاملات أهل الكتاب، وأحكام الجهاد، والسبق والرمي، والعتق، ويدخل ضمن ذلك مواضيع أخرى.

## \* مصادر التشريع :

أما مصادر التشريع والأدلة التفصيلية للفقه الإسلامي، فهي: القرآن، والسنة (بإجماع الفقهاء)، حيث إنَّهما المصدران الرئيسيان للتشريع، بالإضافة إلي الإجماع، والقياس (وفيهما شبه إجماع)، ثم أدلة أخرى مختلف فيها مثل: الاستصحاب، والمصالح المرسلة، والعرف، وعمل أهل المدينة وغيرها<sup>(١)</sup>.

(١) يُنظر: «المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية»، د/ عبد الكريم زيدان، (ص/١٧٢، وما بعدها) مؤسسة الرسالة (٢٠١٣م).

## \* تَعَلُّمُ الْفَقْهِ:

تَعَلُّمُ الْفَقْهِ قَدْ يَكُونُ فَرْضٌ عَلَى الْمُكَلَّفِ، كَتَعَلُّمِهِ مَا لَا يَتَأَدَّى الْوَاجِبَ الَّذِي تَعَيَّنَ عَلَيْهِ فِعْلُهُ إِلَّا بِهِ، كَكَيْفِيَةِ الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ، وَالصُّوْمِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَعَلَيْهِ حَمَلَ بَعْضُهُمُ الْحَدِيثَ الْمَرْوِيَّ عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»، وَلَا يُلْزَمُ الْإِنْسَانُ تَعَلُّمَ كَيْفِيَةِ الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ وَنَحْوَهُمَا إِلَّا بَعْدَ وَجوبِ ذَلِكَ عَلَيْهِ. أَمَّا الْبَيُوعُ، وَالنِّكَاحُ، وَسَائِرُ الْمَعَامَلَاتِ مِمَّا لَا يَجِبُ أَصْلُهُ، فَيَتَعَيَّنُ عَلَى مَنْ يَرِيدُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ تَعَلُّمَ أَحْكَامِهِ؛ لِيَحْتَرِزَ عَنِ الشَّبَهَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ، وَكَذَا كُلُّ أَهْلِ الْحِرْفِ، فَكُلٌّ مِنْ يُمَارِسُ عَمَلًا يَجِبُ عَلَيْهِ تَعَلُّمُ الْأَحْكَامِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهِ؛ لِيَمْتَنِعَ عَنِ الْحَرَامِ.

وَقَدْ يَكُونُ تَعَلُّمُ الْفَقْهِ فَرْضًا كِفَايَةً، وَهُوَ مَا لَا بَدَّ لِلنَّاسِ مِنْهُ فِي إِقَامَةِ دِينِهِمْ، كَحِفْظِ الْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ وَعُلُومِهِمَا وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَقَدْ يَكُونُ تَعَلُّمُ الْفَقْهِ نَافِلَةً، وَهُوَ التَّبَحُّرُ فِي أَصُولِ الْأَدْلَةِ، وَالْإِمْعَانِ فِيهَا وَرَاءَ الْقَدْرِ الَّذِي يَحْصُلُ بِهِ فَرْضُ الْكِفَايَةِ، وَتَعَلُّمُ الْعَامِيِّ نَوَافِلَ الْعِبَادَاتِ لِمُغْرَضِ الْعَمَلِ، لَا مَا يَقُومُ بِهِ الْعُلَمَاءُ مِنْ تَمْيِيزِ الْفَرْضِ مِنَ النَّفْلِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ فَرْضٌ كِفَايَةٌ فِي حَقِّهِمْ.

## \* فَضْلُ الْفَقْهِ:

وَرَدَتْ آيَاتٌ وَأَحَادِيثٌ فِي فَضْلِ الْفَقْهِ وَالْحَثِّ عَلَى تَحْصِيلِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، فَقَدْ جَعَلَ وَلَايَةَ الْإِنذَارِ وَالِدَعْوَةَ لِلْفُقَهَاءِ، وَهِيَ وَظِيفَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ ﷺ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّْا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلٍ فَفَهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فَفَهُ لَيْسَ بِفَقِيهِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: (٧١)، ومسلم: (١٠٣٧).

(٢) رواه أبو داود: (٣٦٦٠)، والترمذي: (٢٦٥٦)، وصححه الألباني.

## \* نشأة الفقه:

نشأ الفقه الإسلامي بنشأة الدعوة وبدء الرسالة، ومرَّ بأطوار كثيرة، ولكنها غير متميزة من حيث الزمن تمييزًا دقيقًا، إلاَّ الطَّور الأول وهو عصر النبوة؛ فإنَّه متميِّزٌ عمَّا بعده بكلِّ دقَّة بوفاة النبي ﷺ، ومصدر الفقه في هذه الفترة هو الوحي، بمعنى: ما أنزل الله على رسوله من أحكام، في القرآن الكريم، أو السُّنة النبوية أو بما اجتهد فيه النبي -على قول من قال بأنه جائزٌ في حقِّ النبي وهو الراجح- من أحكام كان الوحي أساسها، أو كان يتابعها بالتسديد، وكذلك كان اجتهد أصحاب النبي في حياته مرده إلى النبي؛ يقره أو ينكره. . وعلى هذا كان الوحي مصدر التشريع في ذلك العصر.

### أطوار الفقه الإسلامي<sup>(١)</sup>:

#### الأول: (العصر النبوي).

اختصَّ العصر النبوي بنزول الوحي فيه، حتى اكتمل الدين، وكان للتشريع مصدران تلخص فيهما ما نزل من الوحي هما: القرآن والسُّنة، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾، وقد فسرت آيات الله: بالقرآن، والحكمة: بالحديث النبوي<sup>(٢)</sup>، وكانت مهمة الصحابة في حياة رسول الله ﷺ: تلقِّي ما جاء به الرسول من عند الله، وحفظه وتعلمه، وتدوين القرآن ثم الحديث.

ومن المعلوم أنَّ أهم مصدرين من مصادر الشريعة الإسلامية هما كتاب الله ﷻ، وسنة رسول الله ﷺ، ولكن في الحقيقة هناك مصدر أساسي واحد لا ثاني له للشريعة الإسلامية، وهو: الوحي المنزل من عند الله، وقد أمرنا

(١) هذا السرد التاريخي وما فيه من تفصيل مستفاد من: «المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية»،

د/ عبد الكريم زيدان، (ص/١٠١-١٧٠)، و«تاريخ التشريع الإسلامي»، محمد الخضري،

(ص/٨٦-٣١٤) دار الفكر (١٩٦٧م).

(٢) يُنظر: «جامع البيان»، للطبري: (٢٠/٢٦٧).

الله ﷺ أن نتخذ من كلام رسول الله ﷺ شارحًا ومُبَيِّنًا ومُفَصِّلًا لكتابه الكريم، فطاعتنا لرسول الله ﷺ إنما هي طاعة لله ﷻ. ذكر القرآن: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ﴾، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا﴾، ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾.

إذن؛ فالشريعة الإسلامية في عهد النبي ﷺ كانت تعتمد اعتمادًا فعليًا على مصدرين فقط هما القرآن والسنة، أما الإجماع والقياس: فليسا مرجعًا تصدر منه الأحكام، بل هما من الأدوات أو المناهج الأصولية المستخدمة لاستنتاج الأحكام الشرعية. ولم يكن الاستدلال بهما كثيرًا في ذلك العصر؛ لأنَّ القياس يلجأ إليه عند وجود مسألة لا نص فيها، وما دام رسول الله ﷺ حيًّا فالنص مستمر ولا إشكال، إلا لسبب كما في اجتهاد معاذ بن جبل<sup>(١)</sup>.

### الثاني: (في زمن الصحابة).

تُوِّفِّي رسول الله وقد تكامل القرآن نزولًا، ولكنه لم يُجمَع في مصحف واحد بين دفتي كتاب، بل كان محفوظًا في صدور الصحابة وصحف كتَّاب الوحي، وكان عدد الحفاظ في العهد النبوي كثير جدًا. وكان قد وعى كثير من الصحابة حديث رسول الله، بعضهم في الصدور كأبي هريرة، وبعضهم في الكتابة في السطور لا تدوينًا. وتولى أبو بكر الخلافة، ولا يزال التشريع يعتمد على مصدرين أساسيين هما القرآن والسنة. فقد حصل في أول عهد أبي بكر ما دفعه إلى جمع القرآن كله في مصحف، ذلك أنه واجهته أحداث جسام، فجهز الجيوش لحروب المرتدين، وكانت غزوة أهل اليمامة سنة (١٢ للهجرة) تضم عددًا كبيرًا

(١) لما قال له النبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن: «كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟»، قال: «أَقْضِي بكتاب الله»، قال: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟»، قال: «فِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، قال: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟»، قال: «أَجْتَهِدُ رَأْيِي، وَلَا أَلُو». رواه أبو داود (٣٥٩٢) وغيره، وهذا الحديث اختلف في تصحيحه أهل العلم قديمًا وحديثًا، وممن ضعفه الإمام ابن حزم من السابقين، والشيخ الألباني من المعاصرين، وممن صححه ابن تيمية، وابن القيم، وقال: هو حديث تلقته الأمة بالقبول، وأجمع عليه عامة أهل الأصول.

من الصحابة القراء، فاستشهد في هذه الغزوة سبعون قارئاً (أي حافظاً) من الصحابة، فهال ذلك عمر بن الخطاب، فدخل على أبي بكر وأشار عليه بجمع القرآن، وكتابته بين دفتي كتاب بسبب وفاة الحفاظ في المعارك. ولكن أبا بكر نفر من هذه الفكرة وكبر عليه أن يفعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ، وظل عمر يراوده حتى شرح الله صدر أبي بكر لهذا الأمر.

فقام أبو بكر بتكليف زيد بن ثابت لما رأى في زيد من الصفات التي تؤهله لمثل هذه الوظيفة، ومنها كونه من حفاظ القرآن ومن كتّابه على عهد النبي ﷺ، وقد شهد زيد مع النبي العرضة الأخيرة للقرآن في ختام حياته. ثم إن زيدا قد عُرف بذكائه وشدة ورعه وأمانته وكمال خلقه.

ويروي زيد بن ثابت فيقول: «قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله، فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله النبي؟ فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم أزل أراجع حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر، فجمت فتتبع القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعُشب وصدور الرجال. . . وكانت الصحف التي جُمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر»<sup>(١)</sup>.

كان الفقه في زمن الصحابة مُميّزًا عمّا بعده، باعتبار أنهم أخذوا وتعلموا في زمن نزول الوحي، واشتهرت المدينة المنورة بعد العصر النبوي بوجود جمهور فقهاء الصحابة، الذين كانوا مرجعاً أساسياً للتعليم والفتوى، واشتهر منهم الخلفاء الأربعة، والذين كانت لهم مذاهب فقهية مثل: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وكذلك كان أبو هريرة، وعائشة بنت أبي بكر، وزيد بن ثابت، وابن عباس، وابن عمر، وابن مسعود، وغيرهم.

**وهناك أساسان قام عليهما اجتهاد الصحابة رضوان الله عليهم:**

(١) أخرجه البخاري: (٤٦٧٩).



(١) النظر إلى علل الأحكام، وعلى هذا الأساس لم يطبقوا بعض الأحكام المنصوص عليها لزوال علتها، أو لعدم تحقق شروط تطبيق الحكم ومن هذه الأحكام، مثل:

(أ) سهم المؤلفة قلوبهم: وعلة إعطاء هؤلاء من الزكاة تقوية ضعيف الإيمان، أو اتقاء شر غير المسلم أو استمالته للإسلام، فلمَّا زالت هذه العلة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يعطهم سهمهم؛ لعدم توفر شروط التطبيق.

(ب) إيقاف حد السرقة: فقد أوقف عمر بن الخطاب تطبيق هذا الحد في عام المجاعة؛ لأن ارتكاب السرقة في عام المجاعة يُعد من قبيل الضرورات التي تبيح المحظورات.

(ج) الطلاق الثلاث: كان طلاق الثلاث بلفظ واحد يعد طلاقاً واحدة في عهد النبي صلى الله عليه وآله وعهد أبي بكر وسنتين من خلافة عمر، فلمَّا رأى عمر رضي الله عنه تتابع الناس في هذه المخالفة واسترسالهم فيها أراد زجرهم عن هذه المخالفة سداً لذريعة الفساد فأوقعه عليهم ثلاثاً.

(٢) النظر إلى رعاية المصلحة ودفع المفسدة، ومن هذه الأحكام، ومن أمثلة ذلك:

(أ) توريث من طلقها زوجها طلاقاً بائناً وهو في مرض الموت (طلاق الفار) سداً لذريعة الإضرار بالزوجة.

(ب) ومنه أيضاً جمع القرآن، وقتل الجماعة بالواحد.

أمَّا اختلاف الصحابة في بعض المسائل، فله عدة أسباب منها:

(١) اختلافهم بسبب علم البعض بالسنة وعدم علم البعض الآخر بها، كما كان ابن عباس يرى أن الحامل المتوفى عنها زوجها تعتد أبعد الأجلين، فلمَّا بلغه سنة النبي صلى الله عليه وآله في سبيعة الأسلمية، حيث أخبرها أن عدتها تنقضي بوضع حملها، عدل عن رأيه.

(٢) اختلافهم بسبب عدم تأكدهم من الخبر، من ذلك أن عمر بن الخطاب لم يثق بحديث فاطمة بنت قيس حيث قالت: إن النبي صلى الله عليه وآله لم يفرض لها نفقة ولا سكنى لما طلقها زوجها بائناً.

(٣) اختلافهم بسبب اختلافهم في فهم النصوص، من ذلك اختلافهم في عدة المطلقة التي تحيض هل هي ثلاثة أطهار أو ثلاث حيض؛ لأن كلمة «قروء» الواردة في قوله تعالى: ﴿وَالْمَطْلُوقَاتُ يُرَبِّصْنَ أَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ تستعمل بمعني الطهر وبمعني الحيض.

(٤) اختلافهم بسبب الاجتهاد فيما لا نصّ فيه، من ذلك اختلاف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في العطاء من بيت المال، فكان أبو بكر يساوي بين الناس في العطاء، وكان عمر يفاضل بينهم على أساس سابقتهم في الإسلام.

وأما مذاهب فقه التابعين؛ فهي امتداد لمذاهب الصحابة، في تأسيس مذاهب الفقه الإسلامي، من خلال ظهور المدارس الفقهية، التي كان أشهرها وأكثرها انتشاراً: مدرسة الحجاز في المدينة المنورة، باعتبارها أم المدارس الفقهية، ثم مكة المكرمة، ثم مدرسة الكوفة.

- مدرسة فقه المدينة؛ واشتهر فيها مذهب زيد بن ثابت، وممن اشتهر بالأخذ عنه فقهاء المدينة السبعة، مثل: خارجة بن زيد والقاسم بن محمد وسعيد بن المسيب وسالم بن عبد الله بن عمر وغيرهم. وأشهر من أخذ عنهم محمد بن مسلم الزهري وعنه أخذ الإمام مالك بن أنس.

- مدرسة مكة؛ واشتهر فيها مذهب ابن عباس، ومن أشهر تلامذته الفقهاء: عكرمة، وعطاء، وطاووس، وسعيد بن جبير، وعندهم أخذ عمرو بن دينار، وابن جريج، وعبد الله بن دينار، وغيرهم، وأخذ عنهم الإمام مالك وغيره.

- مدرسة الكوفة بالعراق؛ واشتهرت بفقه ابن مسعود وهو من كبار فقهاء الصحابة، ومن أكثرهم فقهاً للكتاب والسنة، وملازمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وممن جاء الأمر من الرسول بأن يؤخذ عنه، وقد اشتهر فقه ابن مسعود في الكوفة، وأخذ عنه فقهاء العراق وغيرهم، وكان من أشهر التابعين الذين أخذوا مذهبه: علقمة بن قيس، والأسود بن يزيد، ومسروق بن الأجدع، والقاضي شريح، وعمرو بن شرحبيل الهمداني وغيرهم. وأخذ من بعدهم: منصور بن المعتمر، وإبراهيم النخعي، وأخذ عنهم: أبو حنيفة، وسفيان الثوري.

**الثالث: (عصر ما بعد الخلفاء الراشدين إلى أوائل القرن الثاني الهجري).**

اتسعت دائرة الفقه في هذا العصر، وذلك بسبب ازدياد الحوادث والوقائع، واتساع رقعة البلاد الإسلامية، كما كثر الخلاف في مسائل الفقه، بسبب:

(أ) انتشار الفقهاء من الصحابة والتابعين في الأمصار الإسلامية، واستيطانهم فيها، ولم يكن هؤلاء، سواء في الفقه وحفظ السُّنة ومقدار الفهم للكتاب والسُّنة.

(ب) عدم إمكانية الاجتهاد بالشورى لتفرق الفقهاء في الأمصار، وتباعدهم الأقطار.

(ج) اختلاف البلاد المفتوحة في العادات والتقاليد ونظم المعاملات.

(د) تمسك أهل كل بلد بفتاوى فقهاءها.

ظهرت مدرسة أهل الحديث في المدينة، ومدرسة أهل الرأي في العراق (الكوفة)، ولم يكن الخلاف بين المدرستين في الاحتجاج بالسُّنة، فهذا لا خلاف فيه، وإنما الخلاف في أمرين:

(١) الأخذ بالرأي، فأهل الحديث يقفون عند النصوص والآثار، والمعاني المتبادرة منها، ولا يميلون إلى الرأي ولا يأخذون به إلا اضطراراً، أمّا أهل الرأي فما كانوا يتهيبون من الفتوى بالرأي ما دام لا نصّ في الكتاب ولا في السُّنة فيما يجتهدون فيه.

(٢) تفرّيع المسائل، فقد كان فقهاء مدرسة الحديث لا يفرعون المسائل ولا يفرضون الوقائع، ثم يبحثون عن أحكامها، ولهذا كان فقهم واقعياً لا يفنون إلا فيما يقع وبالنصوص والآثار لا بالرأي، أمّا فقهاء مدرسة الرأي، فما كانوا يقفون عند المسائل الواقعية، وإنما كانوا يفرضون مسائل لم تقع، ويستخرجون لها الأحكام بأرائهم.

الرابع: من أوائل القرن الثاني الهجري إلى منتصف القرن الرابع (عصر الفقه الذهبي، أو عصر التدوين، أو عصر المجتهدين).

\* أما أسباب ازدهار الفقه في هذا العصر فتتلخص في:

(١) عناية الخلفاء العباسيين بالفقه والفقهاء، فالرشيد يطلب من أبي يوسف وضع قانون إسلامي مالي تسيير عليه الدولة، فيستجيب أبو يوسف لذلك، ويضع كتابه الشهير (الخراج)، والمنصور يحاول أن يجعل موطأ الإمام مالك قانوناً للدولة، فيأبى مالك، والمأمون يقرب الفقهاء ويسمع مناقشاتهم الفقهية.

(٢) اتساع البلاد الإسلامية واختلاف عاداتها وتقاليدها، بالإضافة إلى حرص المسلمين علي معرفة الحكم الشرعي في جميع أمورهم.

(٣) ظهور المجتهدين الكبار أصحاب الملكات الفقهية الواسعة الراسخة.

(٤) تدوين السنة، وفي هذا تسهيل لعمل الفقهاء.

وقد بدأ تأسيس المذاهب الفقهية بعد مراحل نقل وتدوين القرآن والحديث، من خلال نقل مذاهب الصحابة، ثم ما تلخص منها واشتهر بتأسيس المدارس الفقهية في المدينة، ومكة، والكوفة، والتي تلخص منها ظهور مذاهب فقهية لعدد من فقهاء التابعين وتابعيهم، وتلخص منها صياغة المذاهب الفقهية، وكان الأكثر منها انتشاراً واشتهاراً هي: المذاهب الأربعة.

تلخص من مدرسة فقه الكوفة: صياغة المذهب الحنفي، وأول من صاغه إمام المذهب: أبو حنيفة النعمان.

تلخص من مدرسة فقه المدينة: صياغة المذهب المالكي، وأول من صاغه إمام المذهب: مالك بن أنس.

أخذ الشافعي عن مالك، وعن أصحاب أبي حنيفة، وعن غيرهم من فقهاء مكة والمدينة وغيرهم، واهتم باللغة وقواعدها، وصاغ علم أصول الفقه، وصاغ المذهب الشافعي.

أخذ أحمد بن حنبل عن الشافعي، وتأثر بفقه سفيان الثوري واهتم بالحديث، وصاغ المذهب الحنبلي.

هناك مذاهب فقهية أخرى غير المذاهب الأربعة، لكن لم تتوفر فيها كل المزايا التي توفرت في المذاهب الأربعة، ومن هذه المذاهب ما لم تستكمل صياغتها، أو لم تشتهر، ونقلت منها أقوال في كتب المذاهب الأربعة، أو ما استكملت واستقلت عن المذاهب الأربعة.

#### - المذهب الحنفي:

نسبة إلى واضع أصول المذهب الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت (١٥٠.٨٠هـ)، ويشتمل المذهب الحنفي على المنهج الذي صاغه أبو حنيفة، بالإضافة إلى تحقيق المجتهدين من رواة المذهب، كأبي يوسف ومحمد بن الحسن. نشأ المذهب الحنفي في الكوفة، ونما في بغداد، واتسع في عهد الدولة العباسية. يعتمد على الأصول النقلية المتفق عليها، وعلى القياس والاستحسان والعرف وقول الصحابي وشرع من قبلنا، وتوسع المذهب في الاعتماد على الأصول العقلية، ووضع ضوابط الأخذ بالحديث.

#### - المذهب المالكي:

نسبة إلى واضع أصول المذهب الإمام مالك بن أنس (١٣٩-١٧٩هـ)، وقد أسسه في المدينة المنورة، ونما في الحجاز، كما انتشر في بلاد المغرب وأفريقيا والأندلس وغيرها. ويعتمد المذهب على الأصول المتفق عليها بين جميع الأئمة وهي الكتاب والسنة والإجماع والقياس، بالإضافة إلى تقديم إجماع الصحابة، والأخذ بعمل أهل المدينة والاستصحاب.

#### - المذهب الشافعي:

نسبة إلى واضع أصول المذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠-٢٠٤ هجرية)، عاش في مكة، ثم انتقل إلى العراق، حيث تعلم في بغداد فقه أبي حنيفة، ثم استقر في مصر، وكان مذهبه وسطًا بين مذهب أبي حنيفة المتوسع في الرأي، ومذهب مالك بن أنس المعتمد على الحديث وعمل أهل المدينة، ويعتمد المذهب الشافعي على الأصول التي وضعها الإمام الشافعي ودونها في كتابه الشهير بـ «الرسالة»، ويعد أول من دوّن كتابًا متكاملًا في علم

أصول الفقه، من أشهر علماء الشافعية في حياة الشافعي تلامذته: الربيع بن سليمان الجيزي، والربيع بن سليمان المرادي، ويوسف بن يحيى البويطي، ومن أشهر المحققين في المذهب النووي والرافعي.

### - المذهب الحنبلي:

نسبة إلى واضع أصول المذهب الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ)، وهو آخر المذاهب الأربعة من الناحية الزمنية، وكان ابن حنبل يرى أن يقوم الفقه على النص من الكتاب أو الحديث، واهتم بالحديث، ومن أشهر كتبه «المسند» الذي يعتبر موسوعة لأحاديث الرسول ﷺ، والذي يحوي قرابة أربعين ألف حديث.

### - مذاهب أخرى غير مشهورة أو منقرضة:

الإمام داود بن علي الظاهري، ومذهبه الظاهري تأسس المذهب في العراق بغداد.

الإمام عبد الرحمن بن عمرو بن يحمدا الأوزاعي، ومذهبه تأسس في بلاد الشام.

الإمام الليث بن سعد، وكان في مصر.

الإمام عطاء بن أبي رباح.

الإمام مجاهد بن جبر.

الإمام سفيان الثوري.

الإمام الحسن البصري.

الإمام عامر بن شراحيل الشعبي.

الإمام إسحاق بن راهويه.

الإمام سفيان بن عيينة.

الإمام محمد بن جرير الطبري.

### الخامس: (عهد التقليد).

يبدأ هذا العهد من منتصف القرن الرابع إلى سقوط بغداد، وقد دخلت في هذا العصر المسائل الفقهية في دور الجدل؛ لتحقيق ما ورد عن الأئمة من مسائل كثيرة، كما ظهرت فيه المؤلفات الكبيرة، وقد انتهى هذا العهد بانتهاء الدولة العباسية، وفي هذا العهد درس المقلدون لمن سواهم، وسد الناس باب الخلاف وطرقه، لما كثر تشعب الاصطلاحات في العلوم، ولما عاق عن الوصول إلى رتبة الاجتهاد، ولما خشى من إسناد ذلك إلى غير أهله، ومن لا يُوثق برأيه، ولا بدينه، فصرحوا بالعجز، وردوا الناس إلى تقليد هؤلاء، وعمل كل مقلد بمذهب من قلده منهم بعد تصحيح الأصول واتصال سنده بالرواية، ولا محصول اليوم للفقهاء غير هذا، ومدعي الاجتهاد لهذا العهد مردود على عقبه، مهجور تقليده، وقد صار أهل الإسلام اليوم على تقليد هؤلاء الأئمة الأربعة.

### السادس: (عهد الجمود).

التشريع في هذا العهد دخل في دور الجمود المطلق، فبعد أن كان يريد الفقيه يشتغل بدراسة الكتاب أو رواية السنة، صار في هذا الطور يتلقي كتاب إمام معين ويدرس طريقته، فإذا أتم ذلك صار من العلماء الفقهاء، وربما ارتفعت ببعضهم همته فألف كتاباً في أحكام إمامه اختصاراً أو جمعاً أو شرحاً، دون أن يستجيز لنفسه أن يقول في مسألة من المسائل قولاً يخالف ما أفتي به إمامه، كأن الحق كله نزل على لسان إمامه، وهذا العصر ممتد من سقوط بغداد وحتى وقت قريب.

### السابع: (العصر الحديث).

في العصر الحديث ظهرت حركات إصلاحية تدعو إلى فتح باب الاجتهاد من جديد، ومحاربة التقليد الذي انتشر في الأمة الإسلامية، ومحاولة الرجوع بالفقه إلى مصادره الأولى من الكتاب والسنة، وما قام عليهما من إجماع ونحوه، بالإضافة إلى التخلص من دراسة الكتب العلمية المعقدة التي انتشرت في العهد

الماضي، والعمل على تأليف الكتب السهلة الأسلوب، الواضحة الفكرة، المشتملة على لباب العلم، وعلى الأدلة الصحيحة.

وقد نشطت في هذا العصر همم الفقهاء للتصدي للنوازل والواقعات المستحدثة بغرض إخضاعها لأحكام الشريعة الإسلامية على تنوعها، سواء كانت فيما يتعلق بالمعاملات كأنواع البيوع والشركات، أو فيما يتعلق بأمور الخلقة من الجينات والاستنساخ والجراحات التجميلية ونحوها.

ومن ثمَّ وُجِدَ من الفقهاء المعاصرين مَنْ لا يتقيد بمذهب معين في الفتيا، فهو يعرض للقضية المعاصرة محاولاً استنباط الحكم عليها عن طريق النظر في الأدلة من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، وفتاوى الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، وتمحيص الآراء الفقهية، والأخذ بأقوالها.

كما ظهر شكل جديد من أشكال الاجتهاد، وهو ما يُمكن أن يُسمَّى بالاجتهاد الجماعي من خلال المجامع الفقهية، مثل مجمع البحوث الإسلامية بمصر، ومجمع الفقه الإسلامي بمكة المكرمة، والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن، ودور الافتاء والأوقاف بالبلاد العربية والإسلامية.

## \* أنواع التأليف الفقهي:

تنوعت الطرق في تأليف الكتب في الفقه الإسلامي، وهذا عرض موجز لأهمها:

أولاً: (الأصول)، والمراد بها الكتب التي تؤلف ابتداءً دون ارتباط بغيرها، كـ«الموطأ»، للإمام مالك، و«الأم»، للإمام الشافعي، و«الخراج»، للقاضي أبو يوسف، وغيرها.

وهذه الأصول قد تكون شاملة لأبواب الفقه كـ«الموطأ»، و«الأم»، وقد تقتصر على موضوعات معينة كـ«الخراج»، لأبي يوسف، و«الأشربة»، للإمام أحمد، و«الأموال»، لأبي عبيد القاسم بن سلام، وكثيراً ما تكون هذه المسائل أو الأبواب المفردة مؤلّفة لحاجة تدعو إليها.



ويدخل في كتب الأصول كتب المسائل والفتاوى والنوازل، سواء كان صاحبها هو من جمعها، أو كان ذلك من صنيع تلاميذه ومَن جاء بعده وهو الغالب.

**ثانيًا:** (المتون والمختصرات)، المتن هو الكتاب الذي يُؤلف ابتداءً، وتُضاف إليه الشروح والحواشي.

ويُطلق المتن في الاستعمال العلمي ويراد به: جمع مبادئ الفنِّ ومسائله الأولية في رسالة صغيرة خالية من الاستطراد والتفصيل والأدلة والأمثلة إلا في نطاق ضيق، وربما أطلق على المختصر أيضًا.

والمختصر مصطلح علمي يراد به الكتاب الذي تكون مجمل مادته مستلة من كتاب أطول منه.

**وهناك نوعان من التأليف يُسمى كل منهما مختصرًا:**

**الأول:** المختصرات التي تكون من قبيل التهذيب والترتيب والتنقيح لكتب مطولة، فتحذف منها أشياء تختلف باختلاف مقاصد المختصر، مثل النوادر والزيادات لابن زيد الذي اختصر في كتابه أمهات المذهب المالكي.

**الثاني:** المختصر الذي يكون له ارتباط بكتب المذهب، ولكن تجري صياغته ابتداءً بأسلوب مستقل متضمنًا لآراء مركزية مرتبة، بصورة يكون المختصر جامعًا لفقهِ المذهب معتمدًا على أصوله، كما في «مختصر الطحاوي» عند الحنفية، و«التلقين» للقاضي عبد الوهاب عند المالكية، و«المهذب» للشيرازي عند الشافعية، و«مختصر الخرقى» عند الحنابلة.

**ثالثًا:** الشروح والحواشي والتقارير: الشرح في اصطلاح المصنفين هو الكتاب الذي يوضع على كتاب آخر بحيث يوضح عباراته، ويفصل ما أجمل فيه ويتوسع في مسائله.

وقد ظهرت الشروح في أدوار متقدمة من أدوار تاريخ الفقه، ففي القرن الخامس ظهر المبسوط في «شرح الكافي» في الفقه الحنفي، و«الحاوي في شرح مختصر المزني» عند الشافعية.

أما الحواشي فهي: ما وضع على الكتاب من تعليقات وملاحظات وزيادات وإيضاح، ويظهر أنها سميت بذلك لأجل أنها تدون على هامش النص الأصلي وحاشيته.

والحاشية منهج تألوفي متأخر عن المتون والشروح؛ إذ هي تعليقات تتضمن زيادة توضيح لما في الشرح أو تعليقاً عليه، وهي من سمات عصر المماليك والعثمانيين.

ولا يلتزم صاحب الحاشية بالتعليق على كل ما في الكتاب، بل يقتصر على مسائل تقل أو تكثر يضع تعليقاته وملاحظاته عليها.

ويلي الحواشي في الترتيب التألوفي عند المتأخرين خاصة التقارير، وهو اصطلاح علمي للتعليقات التي تكون على الحواشي أثناء التدريس والنظر، وهي تتميم للحاشية وإكمال لها.

رابعاً: الجمع: وهو اصطلاح واسع، يدخل فيه ابتداءً جمع ما تفرق في بطون المصنفات مما له علاقة جامعة وأصول منضبطة، بحيث يغدو كالعلم والفنّ المستقل، كأن تستخرج القواعد أو الفروق من المصنفات الفقهية ثم تنتظم في مؤلفات مستقلة وتغدو علوماً قائمة.

ومن الجمع أن تجمع الفروع والأحكام المتشابهة التي تتوزع في أبواب الفقه المختلفة، بحيث تنتظم في وحدة موضوعية مفردة، مثل كتاب الأشباه والنظائر للسيوطي.

ومن الجمع أن يعمد المصنف إلى كتابين فأكثر فيؤلف منهما كتاباً واحداً جامعاً بين مسائل الكتابين بترتيب وتحريم، كما فعل القرافي المالكي في كتاب «الذخيرة»، حيث جمع فيه بين خمسة كتب من أصول مذهب المالكية وهي: «المدونة»، و«عقد الجواهر الثمينة»، و«التلقين»، و«التفریع»، و«الرسالة».

خامساً: الترتيب: بمعنى أن يكون الكتاب المراد ترتيبه لم يجز على سنن الفقهاء في ترتيب الأبواب والمسائل الفقهية، فينهض من يقوم بترتيبه، كما فعل ابن شاس مع «المدونة»، وكما فعل شمس الدين ابن قدامة في كتابه «الشرح

الكبير»، حيث أعاد ترتيب كتاب «المغني» لعنه الموفق ابن قدامة بحيث يكون شرحًا لكتابه «المقنع».

سادسًا: التصحيح: أن يقصد المصنف كتابًا بتصحيح ما فيه من غلط، وقد يكون ذلك بتصحيح بعض ترجيحاته، وترجيح ما أطلقه من روايات وأقوال ووجوه، وتقييد ما أحل به من شروط، وتفسير ما أبهم فيه من حكم أو لفظ، وتقييد ما أطلقه ونحو ذلك، ومثله تصحيح الإمام ابن قطلوبغا لمختصر القدوري.

سابعًا: النظم: صياغة المادة العلمية على أوزان الشعر المعروفة، وهو أسلوب علمي ظهر في وقت مبكر منذ أيام العباسيين، ومنها ما يجمع أبواب الفقه كاملة، ومنها ما يقتصر على بعضها كالفرائض وغيرها، ومنها ما يقتصر على فقه المذهب ومنها ما يذكر الخلاف، ومنها ما ينظمه صاحبه ابتداءً ومنها ما يكون نظمًا لكتاب آخر<sup>(١)</sup>.

### \* تقنين الفقه:

المقصود بتقنين الفقه: هو تحويل الأحكام الفقهية إلى مجموعة من القواعد القانونية الخاصة بكل فرع من فروع القانون، لتتولى السلطة التشريعية المختصة إصدارها.

وهناك أعمال ومصنفات فقهية يعدها الكثير ممن يؤرخ لفكرة تقنين أحكام القضاء في الإسلام خطوة نحو التقنين، ككتاب «ملتقى الأبحر»، للشيخ إبراهيم الحلبي (ت ٩٥٦هـ) الذي ألفه بطلب من السلطان العثماني سليمان القانوني، وكذلك كتاب «الفتاوى الهندية» الذي ألفته لجنة من مشاهير علماء الهند بناءً على طلب الملك المغولي الصالح محمد أورنگ زيب الملقب بـ «عالمكير»، أي: فاتح العالم (ت ١١١٨هـ)، وبعد أن تم الكتاب أصدر السلطان إرادة ملكية بأن يوضع ما تضمنه من أحكام موضع التنفيذ في جميع أرجاء المملكة، وعهد بالعمل بها في الدوائر القضائية.

(١) هذا المبحث مستفاد من كتاب: «الصياغة الفقهية في العصر الحديث»، للدكتور/هشام الرومي،

(ص/١٣٥-١٦٠).

وقد بدأت في العصر الحديث دعوات قوية للتقنين لأسباب كثيرة، أهمها البعد عن استيراد القوانين الوضعية، وقد ظهرت بالفعل عدة محاولات أهمها:

### (١) مجلة الأحكام العدلية:

لما دخلت القوانين الأجنبية في النظام القضائي للدولة العثمانية حصل اضطراب وازدواج تشريعي وقضائي بين المحاكم الشرعية، وبين ديوان الأحكام العدلية، ودعا أحمد جودت باشا (ت ١٣١٢هـ) إلى التزام أحكام الشريعة مع إعادة صياغتها صياغة تشاكل القوانين الحديثة في ترتيبها وتنظيمها بحيث يفهمها قضاة المحاكم النظامية، وقد قرر السلطان تشكيل لجنة برئاسته عام (١٢٨٦هـ) وعهد إليها بصياغة تقنين شرعي مستمد من المذهب الحنفي في الجملة، فاكتمل صدور التقنين الذي سمي بالمجلة عام (١٢٩٣هـ)، وقد احتوت المجلة على (١٨٥١) مادة موزعة إلى مقدمة وستة عشر كتابًا، وهي مختصة بالتقنين المدني فلم تشمل على قسم العبادات ولا للأحوال الشخصية ولا للعقوبات.

### (٢) أعمال قدري باشا:

رفض الخديوي إسماعيل أن يكون تابعًا للعثمانيين في نظامهم القضائي، واستجلب القوانين الأجنبية، فقام وزير الحقانية الفقيه المصري محمد قدري باشا (ت ١٣٠٦هـ) بوضع كتب ثلاثة: «مرشد الحيران إلى معرفة أحوال الإنسان في المعاملات المدنية»، و«الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية»، و«قانون العدل والإنصاف للقضاء على مشكلات الأوقاف»، واستقى أحكامها من مذهب أبي حنيفة، وإن كانت لم تتخذ طابع الرسمية في مصر، إلا أنها كانت مرجعًا للقضاء في أحوال كثيرة.

ومن أشهر مشروعات التقنين حديثًا: لجنة تقنين الشريعة في مجلس الشعب المصري التي تشكلت في عام (١٩٧٨م) برئاسة د/ صوفي أبو طالب، وشكلت لجان فنية قامت بإعداد جملة من التقنينات خلال أربعين شهرًا، ومنها مشروع قانون المعاملات المدنية، ومشروع قانون الإثبات في المواد المدنية والتجارية، ومشروع قانون التقاضي، ومشروع قانون العقوبات، وغيرها وقد طبعت هذه

القوانين مؤخرًا، كما كانت هناك مبادرات في مصر من مجمع البحوث الإسلامية وفي الأردن والإمارات وغيرها، وكذلك من جامعة الدول العربية<sup>(١)</sup>.

## \* اختلاف الفقهاء:

قسم العلماء أنواع الخلاف إلى قسمين رئيسيين:

خلاف التنوع، وخلاف التضاد.

### أولاً: (خلاف التنوع):

يُمكن أن يُقال في تعريفه: هو ما كانت المنافاة فيه لا تقتضي إبطال أحد القولين للآخر؛ لثبوت صحتها في الشرع، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله أربعة وجوه له<sup>(٢)</sup>؛ هي:

الوجه الأول: (ما يكون كل واحد من القولين، أو الفعلين حقًا مشروعًا).

ومن هذا الباب اختلاف الأنواع في صفة الأذان، والإقامة، والاستفتاح، والتشهدات، وصلاة الخوف، وتكبيرات العيد، وتكبيرات الجنازة.

الوجه الثاني: (ما يكون كل من القولين هو في معنى القول الآخر، لكن العبارتين مختلفتان، كما قد يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود، وصيغ الأدلة، والتعبير عن المسميات، وتقسيم الأحكام).

ومثال ذلك: أسماء الله كلها تدل على مسمى واحد، فليس دعاؤه باسم من أسمائه الحسنی مضافاً لدعائه باسم آخر؛ بل الأمر كما قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.

الوجه الثالث: (ما يكون المعنيان غيرين، لكن لا يتنافيان؛ فهذا قول صحيح، وهذا قول صحيح، وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر، وهذا كثير في المنازعات جدًّا).

(١) هذا المبحث مستفاد من كتاب: «الصياغة الفقهية في العصر الحديث»، للدكتور/هيثم الرومي، (ص/٣٤٩-٤٨٦).

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم»: (١/١٤٩، وما بعدها)، دار عالم الكتب (١٩٩٩م).

ومثال ذلك: قول الله تعالى: ﴿وَأَذَكَّرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾؛ أي بعد حين، و«بعد أُمَّةٍ»؛ أي: بعد نسيان له، والمعنيان جميعاً وإن اختلفا صحيحان؛ لأنه ذكر أمر يوسف بعد حين وبعد نسيان له، فأُنزل الله على لسان نبيه ﷺ بالمعنيين جميعاً في غرضين.

**الوجه الرابع:** (ما يكون طريقتين مشروعيتين، وقوم قد سلكوا هذا الطريق، وآخرون قد سلكوا الأخرى، وكلاهما حسن في الدين).

ويمكن أن يُقال: إنَّ هذا الوجه يغني عنه الوجه الأول؛ وذلك لكون الطريقتين المشروعيتين إمَّا أن تكونا قولاً أو فعلاً، وهذا عين الوجه الأول.

### ثانياً: (خلاف التضاد):

هو أن يختلف المجتهدون في حكم المسألة على قولين متنافيين، بحيث ترد على محل واحد، وهذا النوع من الخلاف ينقسم إلى نوعين:

**النوع الأول:** اختلاف سائغ غير مذموم، وهو ما لا يخالف نصًّا من كتاب أو من سنة صحيحة أو إجماعاً، أو قياساً جليًّا، وهذا سواء في الأمور الاعتقادية -وهذا نادر- أو في الأحكام بين الفقهاء.

ومن أمثلة هذا النوع من الاختلاف في الأمور الفقهية: الاختلاف في كثير من أمور الوضوء، كوجوب المضمضة والاستنشاق أم استحبابهما، ووجوب الترتيب أم استحبابه، وهكذا.

**ولاعتبار القول وسواغه شروط خمسة، مرجعها إلى ثلاثة أمور:**

- أن يكون القول صادرًا ممَّن له حق الاجتهاد.
- وأن لا يكون قوله مخالفًا لدليل ثابت واضح القطعية في دلالته: (فلا يُخالف الإجماع، ولا يخرج عن مجموع أقوال السلف، ولا يخالف دليلاً ثابتًا واضح القطعية في دلالته).

- وأن يكون صادرًا عن أصل معتبر.

ولكن ليس معنى تسويغ الخلاف أنه يجوز لكل واحد أن ينتقي بالتشهي أيًا من القولين دون اجتهاد، فهذا سبيل الزندقة والانحلال، فقد أجمع العلماء فيما نقله ابن عبد البر أنه لا يجوز تتبع رخص العلماء فضلًا عن الزلات والسقطات<sup>(١)</sup>.

**النوع الثاني:** اختلاف غير سائغ مذموم، وهو ما خالف نصًا من كتاب أو سنة أو إجماعًا أو قياسًا جليًا، سواء أكان في الأمور الاعتقادية العلمية، أو في الأمور العملية الفقهية، ومن أمثلته في المسائل العملية: القول بجواز ربا الفضل وأنَّ المحرم هو ربا النسئثة فقط، والثابت حرمة ربا الفضل أيضًا.

### \* أسباب اختلاف الفقهاء:

رد ابن رشد رحمته الله الأسباب إلى ستة، وهي:

**الأول:** تردد اللفظ بين الاحتمالات التي يمكن أن ترد عليه ككون اللفظ عامًا يراد به الخاص، أو خاصًا يراد به العام، أو خاصًا يراد به الخاص، أو يكون له دليل خطاب، أو لا يكون له.

**الثاني:** الاشتراك في الألفاظ، وذلك إمَّا في اللفظ المفرد، كلفظ القرء الذي ينطلق على الأطهار وعلى الحيض، وكذلك لفظ الأمر هل يحمل على الوجوب أو الندب، ولفظ النهي هل يحمل على التحريم أو الكراهية؟ وإمَّا في اللفظ المركب مثل قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ في حدِّ القذف؛ فإنه يحتمل أن يعود على الفاسق فقط، ويحتمل أن يعود على الفاسق والشاهد، فتكون التوبة رافعة للفسق ومجيزة شهادة القاذف.

**الثالث:** اختلاف الإعراب.

**الرابع:** تردد اللفظ بين حملة على الحقيقة أو حملة على نوع من أنواع المجاز.

(١) «اختلاف المفتين»، للشريف حاتم العوني، (ص/٢٩١).

الخامس: إطلاق اللفظ تارة وتقييده تارة، مثل إطلاق الرقبة في العتق تارة، وتقييدها بالإيمان تارة.

السادس: التعارض في الشئيين في جميع أصناف الألفاظ التي يتلقى منها الشرع الأحكام بعضها مع بعض، وكذلك التعارض الذي يأتي في الأفعال أو في الإقرارات، أو تعارض القياسات أنفسها<sup>(١)</sup>.

ويضاف على ما ذكره ابن رشد:

### (١) عدم بلوغ الدليل:

هذا واقع في الصحابة رضي الله عنهم، فبعضهم بلغته الأحاديث وبعضهم لم تبلغه، ومنهم كبار الصحابة وهم الخلفاء الراشدون؛ فمثلاً: لما سُئِلَ أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن ميراث الجدة قال: «ما لك في كتاب الله من شيء، وما علمت لك في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من شيء، ولكن أسأل الناس، فسألهم، فقام المغيرة بن شعبة وقال: حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاهما السدس، فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقام محمد بن مسلمة فقال مثل ما قال المغيرة بن شعبة فأنفذه لها أبو بكر»<sup>(٢)</sup>، وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يكن يعلم سنة الاستئذان حتى أخبره بها أبو موسى واستشهد بالأنصار<sup>(٣)</sup>، وكذلك عثمان رضي الله عنه لم يكن عنده علم بأن المتوفى عنها زوجها تعتد في بيت الموت حتى حدثته الفريضة بنت مالك -أخت أبي سعيد الخدري- بقضيتها لما تُوفِي زوجها، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: «امْكُثِي فِي بَيْتِكَ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ» فاتبعه وقضى به<sup>(٤)</sup>، وكذلك علي رضي الله عنه، حيث أفتى هو وابن عباس وغيرهما بأن المتوفى عنها إذا كانت حاملاً تعتد بأبعد

(١) «بداية المجتهد»: (١٢/١)، دار الحديث (٢٠٠٤م).

(٢) أخرجه أبو داود: (٢٨٩٤)، والترمذي: (٢١٠٠)، وابن ماجه: (٢٧٢٤)، ووقع اختلاف في سنده.

(٣) أخرجه البخاري: (٦٢٤٥)، ومسلم: (٢١٥٣).

(٤) أخرجه أبو داود: (٢٣٠٠)، والترمذي: (١٢٠٤)، والنسائي: (٣٥٣٢)، وابن ماجه: (٢٠٣١)، وصححه الألباني.



الأجلين، ولم يكن قد بلغتهم سنة رسول الله ﷺ في سبيعة الأسلمية، حيث أفتاها النبي ﷺ بأن عدتها وضع حملها<sup>(١)</sup>.

## (٢) تعارض الأدلة:

قد يسلم الدليل بثبوته، لكنه يُعارض بما هو أقوى من المعارضات، كمعارضة العام بخاص، أو المطلق بمقيد، أو الأمر المطلق بما ينفي الوجوب، أو الحقيقة بما يدل على المجاز، أو المعارضة بالنسخ أو التأويل أو القياس الجلي، وباب التعارض باب واسع، ولا بد من إعمال الأدلة والتوفيق بينها ما أمكن، وهناك طرق في ذلك؛ مثل: الجمع؛ وهو أن نجمع بينهما بتخصيص العام، أو تقييد المطلق وهكذا، فإذا أمكن الجمع بينهما؛ فلا نلجأ إلى القول بالنسخ أو الترجيح؛ وذلك لأنَّ الجمع فيه إعمال للدليلين معاً في وقت واحد، فإن عسر وتعذر ذلك ننتقل إلى القول بالنسخ، وشرط ذلك أن يُعلم التاريخ بالنص أو بتصريح الراوي، وتقديم القول بالنسخ على القول بالترجيح هو مذهب جمهور علماء الأصول، وذلك لأنَّ النسخ فيه إعمال للدليلين، لكن في وقتين مختلفين، فإن عسر وتعذر ذلك، فننتقل إلى القول بالترجيح بين الأدلة بمرجحات السند والمتن المعروفة عند أهل الأصول، فإن رجحنا أحد الأدلة على الآخر ترتب عليه إبطال الدليل المرجوح إبطاً تاماً، واللجوء إلى الترجيح لا ينبغي إلا إذا تعذر القول بالجمع أو النسخ.

ومن الأمثلة على تعارض الأدلة مسألة أخذ الأجرة على الأذان؛ فذهب بعض العلماء إلى التحريم، وبعضهم إلى الجواز، واستدل القائلون بالتحريم بحديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «وَاتَّخِذْ مُؤَدِّنًا لَا يَأْخُذُ عَلَيَّ أَذَانِهِ أَجْرًا»<sup>(٢)</sup>، وفيه النهي، واستدل القائلون بالجواز بأن النبي ﷺ أعطى

(١) يُنظر: البخاري: (٤٩٠٩)، ومسلم: (١٤٨٥).

(٢) أخرجه أبو داود: (٥٣١)، والترمذي: (٢٠٩)، والنسائي: (٦٧٢)، وابن ماجه: (٧١٤)، وصححه الألباني.

أبا محذورة صرةً فيها شيء من فضة<sup>(١)</sup>، وأجاب القائلون بالتحريم على حديث أبي محذورة بأنه منسوخ وأنه قضية عين، ومنهم من جمع بين الدليلين وقال: إن حديث عثمان بن أبي العاص محمول على الاشتراط؛ أي: إنه لا يؤذّن إلا باشتراط أجرة، فهذا هو المنهي عنه، وأما حديث أبي محذورة فهو محمول على أنه أُعطيت له من غير سؤال، وهذا جائز.

### (٣) عدم المعرفة بدلالة ألفاظ الأدلة:

مثل كون اللفظ غريباً كلفظ المحاقلة والمزابنة والملامسة والمخابرة والمنابذة والحصاة والغرر ونحوها من الكلمات التي اختلف العلماء في تفسيرها، ومثل قوله ﷺ: «لَا طَلَّاقَ وَلَا عِتَاقَ فِي إِغْلَاقٍ»<sup>(٢)</sup>، فبعض العلماء فسّروا الإغلاق بالإكراه، وهو قول الحجازيين، وبعضهم فسروه بالغضب وهو قول العراقيين، ومنهم من فسره بجمع الثلاث في كلمة واحدة، وأيضاً الإجمال في الألفاظ؛ كقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾، فالقرء لفظ مجمل يتناول الحيض ويتناول الطهر، واختلف العلماء هل المراد به الطهر أو الحيض؟ فمنهم من رجح الطهر، ومنهم من رجح الحيض بناءً على هذا الإجمال، وأيضاً في تصريف اللفظ، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾؛ لاحتمال لفظ (يُضَار) وقوع الضرر منهما إذا اعتبر مبنياً للمعلوم، أو عليهما إذا اعتبر مبنياً للمجهول.

### (٤) الاختلاف في القواعد الأصولية:

كل واحد من أهل العلم له قواعد استنبطها من نصوص الشريعة وسار وبنى عليها؛ وذلك لضبط الاستدلال من النصوص، وهذه القواعد يندرج تحتها فروع كثيرة جداً، ويختلف أهل العلم في هذه القواعد من حيث الاستنباط والتنظير، وبالتالي يوجب الاختلاف في الفروع المندرجة تحتها، فمثلاً يتفقون على أنّ القرآن أصل، وأنّ السنة أصل، والإجماع عند الجمهور أصل، ومنهم من لا يرى

(١) أخرجه النسائي: (٦٣٢)، وابن ماجه: (٧٠٨)، وقال الألباني: «حسن صحيح».

(٢) أخرجه أبو داود: (٢١٩٣)، وابن ماجه: (٢٠٤٦)، وحسنه الألباني.

القياس مثلاً فينازع في كثير من المسائل المثبتة بالقياس أو بجميع الأقيسة، ومنهم من يرى قول الصحابي أصلاً وغيره لا يراه أصلاً، فيستدل من يراه أصلاً بقول الصحابي ويخالفه الآخر بمعارضته بأن قول الصحابي لا يُحتجُّ به، ومنهم من يرى الاستحسان، ومنهم من يرى الاستصحاب، ومنهم من يرى العمل بالحديث الضعيف أو الحسن، ومنهم من لا يرى ذلك، ومنهم من ينازع في الاحتجاج بالحديث الضعيف أو الحسن في الأحكام، فإذا استدلل بالخبر الضعيف أو الحسن عمل به، ويخالفه من لا يرى العمل به، إلى غير ذلك من الصور التي اختلف فيها أهل العلم.

### \* الفقه في المجتمع :

لم يكن الفقه عبارة عن مسائل تدرس في الكتب و فقط، بل تحول الفقه الإسلامي إلى واقع عملي يلامس المجتمع ويختلط به، وكان من أبرز مظاهر اختلاط الفقه بالمجتمع ثلاثة أمور:

#### (١) القضاء:

القضاء هو: الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي وقطعاً للنزاع بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة<sup>(١)</sup>.

والقضاء لإقامة العدل من أعظم مقاصد الدين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾.

والقضاء مسؤولية عظيمة: قال النبي ﷺ: «مَنْ وَلِيَ الْقَضَاءَ فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ»<sup>(٢)</sup>.

وقد قسم النبي ﷺ القضاة إلى ثلاثة، فقال: «الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: قَاضِيَانِ فِي

(١) ينظر: «حاشية ابن عابدين»: (٣٥٢/٥).

(٢) أخرجه أبو داود: (٣٥٧١)، والترمذي: (١٣٢٥)، وابن ماجه: (٢٣٠٨) وصححه الألباني.

النَّارِ، وَقَاضٍ فِي الْجَنَّةِ؛ رَجُلٌ قَضَى بِغَيْرِ الْحَقِّ فَعَلِمَ ذَلِكَ فَذَكَ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ لَا يَعْلَمُ فَأَهْلَكَ حُقُوقَ النَّاسِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ قَضَى بِالْحَقِّ فَذَلِكَ فِي الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>.

ويشترط في القاضي شروط أهمها: الإسلام والعدالة، والذكورة عند جمهور أهل العلم، والعلم بأحكام الكتاب والسنة والإجماع واللغة ومواضع الاجتهاد.

والأصل في الحكم والقضاء الحكم بالشريعة الإسلامية العادلة: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾، وقال: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾، ثم بين العدل فقال: ﴿وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾.

وأول من تولى القضاء هو رسول الله ﷺ في المدينة، فقد كان الرسول هو الذي يتولَّى الفصل في المنازعات، ومن بعده كان الخلفاء في صدر الإسلام يُبَاشِرُونَ القضاء بأنفسهم، وعندما اتَّسَعَتِ الدولة الإسلامية، واختلط المسلمون بغيرهم، وكثرت مهام الخليفة؛ تم تعيين قضاة مستقلين ينوبون عن الخليفة في الفصل بين الخصومات، وكان ذلك في عهد عمر بن الخطاب؛ «فولَّى أبا الدرداء معه بالمدينة، وولَّى شريحًا بالبصرة، وولَّى أبا موسى الأشعري بالكوفة، وكتب له في ذلك الكتاب المشهور الذي تدور عليه أحكام القضاة»<sup>(٢)</sup>.

## (٢) الفتوى:

هي: إخبار عن شيء يهم المخبر، وإعانة له على أمر يحتاج إلى مساعدة من يستطيع مساعدته فيه، والمفتي هو الشخص المؤهل شرعًا لفعل ذلك في أحكام الشرع.

والفتوى تشبه الحكم والقضاء في أن كلاً منهما إخبار عن الحكم الشرعي ممَّن هو أهل للإخبار بذلك، وتفترق الفتوى عن الحكم والقضاء في عدة أمور مصدرها اختلاف مهمة الحاكم والقاضي عن مهمة المفتي، فالقاضي

(١) أخرجه أبو داود: (٣٥٧٣)، والترمذي: (١٣٢٢)، وابن ماجه: (٢٣١٥) وصححه الألباني.

(٢) «العبر وديوان المبتدأ والخبر»، ابن خلدون: (٢٢١/١).

والحاكم مهمتهما فصل الخصومات، والإلزام بالحقوق والواجبات في الدنيا، والمفتي مهمته بيان حكم الشرع الذي يجب على المسلم الالتزام به ديانة بينه وبين ربه.

وللفتيا شروط لا بد من توافرها فيمن يتصدى لها. وأهمها الإسلام، والعقل والبلوغ والعدالة، والتمكن من معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها، بتوافر شروط الاجتهاد المفصلة في البحث، وللمفتي صفات يجب توافرها فيه، وأخرى يحسن به التحلي بها، وآداب ينبغي له السير عليها.

والمفتي قد يكون مجتهدًا مطلقًا مستقلًا عن أصول غيره، وقد يكون مجتهدًا منتسبًا إلى مذهب من المذاهب الفقهية المشهورة، والأول انعدم منذ القرن الرابع الهجري، والثاني باقٍ في كل عصر، ولا يلزم من انعدام المجتهد المطلق المستقل عدم توافر شروط الاجتهاد في غيره وإغلاق باب الاجتهاد.

والفتوى شأنها عظيم، وخطرها جسيم، فهي توقيع عن الله، ودخول بين الله وبين خلقه، والقائم بها معرض للخطأ، فعليه أخذ الحيطة والحذر وعدم الإقدام عليها إلا بعد التأهل لها مع شدة المراقبة لله وملازمة التقوى، ولهذا كان السلف يتحاشونها، ويود كل واحد منهم أن يكفيه غيره تحملها، ومع ذلك لم يضيعوها أو يفرطوا في التأهل لها والقيام بها عند الحاجة إليهم.

والفتوى قد تتغير بتغير الزمان والمكان والحال، وذلك تبعًا لتغير العادات التي علق بها بعض أحكام الشرع عليها، وهذا أحد لوازم صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان، فلو جعلت أحكامها وفق عادات زمن معين أو مكان معين فيما يتعلق من الأحكام بالعوائد المختلفة لواقع الناس في ضيق وحرَج. وما جعل الله على الناس في الدين من حرج.

والعوائد والأعراف التي علق عليها بعض الأحكام الشرعية، وتتغير بتغيرها هي العوائد والأعراف التي لم يرد في الشرع طلبها بعينها أو منعها بعينها، فكل ما طلبه الشرع بعينه من العوائد إيجابًا كالتنزه عن الأنجاس والتطهر منها

وستر العورات، أو منعه الشرع بعينه كاجتناب الخبائث، وتحريم بعض المعاملات كالربا ونحوه، كل ذلك لا يجوز تغيير الحكم فيه منعاً أو إباحة بسبب تغير العرف والعادة فيه.

ومن شروط صحة الفتوى، ومن واجبات المفتي معرفة الوقائع وفهمها على حقيقتها فهما صحيحاً، والإحاطة بجميع جوانبها وملابساتها، ومعرفة عوائد الناس وأعرافهم وأحوال المستفتين؛ لتكون فتواه في محلها، وإيقاع الأحكام مواقعها.

وعلى المسلم المُكَلَّفُ التَّعَرُّفُ على حكم الله فيما يخصه، وسؤال أهل العلم والاجتهاد قدر المستطاع في معرفة من يجوز الأخذ عنه وتلقي الأحكام منه<sup>(١)</sup>.

ويحسن بالعوام أن يتعلّموا الأدب الواجب من آداب الاستفتاء، ومن أهم هذه الآداب الواجبة واجبان:

**الأول:** التدبُّن في الاستفتاء، بمعنى: أن يعلم المستفتي أنه في استفتائه وعمله بالفتوى يتعامل مع ربه ﷻ، وأنه - سبحانه - يعلم الحقائق، ولا تخفى عليه خافية، فلا يُظنُّ تحايلَه في الاستفتاء، ولا أخذه بالفتوى التي يعلم، أو يرجح بطلانها = ممّا يكفيه في تحصيل رضوان الله تعالى، الذي ما سعى للاستفتاء إلا طمعاً في تحصيله.

**الثاني:** الاجتهاد قدر الاستطاعة في أن لا يستفتي إلا مَنْ كان أهلاً للاستفتاء، بأن يعرفه بالعلم ومتمين الديانة<sup>(٢)</sup>.

### (٣) الحسبة:

نشأت وظيفة الحسبة إلى جانب وظيفة القاضي؛ نتيجة تضخُّم ظروف الحياة في الخلافة الإسلامية، وهي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن

(١) مستفاد من خاتمة بحث: «أصول الفتوى وتطبيق الأحكام الشرعية في بلاد غير المسلمين»، لعلي بن عباس الحكمي، منشور على الشبكة.

(٢) ينظر: «اختلاف المفتين»، للشريف حاتم العوني، (ص/٢٣٥).

المنكر، الذي هو فرض على القائم بأمر المسلمين، يُعَيَّن لذلك مَنْ يراه أهلاً له، فيتعيَّن فرْضُه عليه بحُكْم الولاية، وإن كان على غيره من فروض الكفاية<sup>(١)</sup>، قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وفي تطوُّرها؛ فقد تَعَدَّتِ الحسبة هذا المعنى الديني في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى واجبات عملية ماديَّة تتفق مع المصالح العامَّة للمسلمين، فقد تناولت أموراً اجتماعية متعدّدة؛ مثل: المحافظة على النظافة في الطرق، والرأفة بالحيوان بأن لا يُحَمَّل ما لا يطيق، ورعاية الصِّحَّة بتغطية الروايا، ومنع معلِّمي الصبيان من ضرب الأطفال ضرباً مبرحاً، ومراقبة الحانات وشاربي الخمر، وتبرُّج النساء، وبعبارة عامَّة كل ما يتعلَّق بالمجتمع وأخلاقه، والظهور فيه بالمظهر اللائق، كما تناولت أموراً اقتصادية، وذلك لتضخُّم المدن الإسلامية بأرباب الحرف والتجارات، فكان عمل المحتسب الأساسي منع الغش في الصناعة والمعاملات، وبخاصة الإشراف على الموازين والمكاييل وصحَّتها ونسبها<sup>(٢)</sup>.

والحسبة عرَّفها جمهور الفقهاء بأنَّها: ولاية دينية يقوم ولي الأمر -الحاكم- بمقتضاها بتعيين مَنْ يتولَّى مهمة الأمر بالمعروف إذا أظهر الناس تركه، والنهي عن المنكر إذا أظهر الناس فعله، صيانة للمجتمع من الانحراف، وحماية للدين من الضياع، وتحقيقاً لمصالح الناس الدينية والدينية وفقاً لشرع الله تعالى.

وأول مَنْ احتسب في تاريخ الحضارة الإسلامية، هو رسول الله، فعن أبي هريرة أن رسول الله مرَّ على صُبْرَةِ طعام، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، فقال: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟». قال: أصابته السماء يا رسول الله. قال: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»<sup>(٣)</sup>.

(١) «العبر وديوان المبتدأ والخبر»، لابن خلدون: (١/٢٢٥).

(٢) «الأحكام السلطانية»، للماوردي: (ص/٢١١، وما بعدها)، و«العبر وديوان المبتدأ والخبر»: (١/٢٢٥).

(٣) أخرجه مسلم: (١٠٢)، أبو داود: (٣٤٥٢)، والترمذي: (١٣١٥)، وابن ماجه: (٢٢٢٤).





## ٦- أصول الفقه

\* تعريف علم أصول الفقه وموضوعه:

يُعرّف أصول الفقه باعتبارين:

الأول: باعتبار مفردَيْه، أي: كلمة «أصول» على حدة، وكلمة «فقه» على

حده.

- فالأصول لغةً: هي جمع أصل، وهو ما يُبنى عليه غيره، أو ما يستند وجود الشيء إليه؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾.

أما الأصل اصطلاحًا: فيُطلق على الدليل غالبًا، كقولهم: «أصل هذه المسألة الكتاب والسنة»، أي: دليلها، ويطلق على غير ذلك، إلا أن هذا الإطلاق هو المراد في علم الأصول<sup>(١)</sup>.

- أمّا الفقه لغةً: فالفهم؛ قال تعالى: ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، ويُطلق على العلم، وعلى الفطنة.

(١) يُنظر: «شرح الكوكب المنير»: (٣٩/١)، و«شرح تنقيح الفصول»، للقرافي، (ص/٢٠)، و«شرح المنهاج»، للإسنوي: (١٧/١)، ويطلق على الراجح، مثل قولهم: «الأصل في الكلام الحقيقة»؛ أي: الراجح في الكلام حمله على الحقيقة، لا على المجاز، ويُطلق على المستصحب، فيقال: «الأصل براءة الذمة»؛ أي: يُستصحب خلوُ الذمة من الانشغال بشيء حتى يثبت خلافه؛ ينظر: «الوجيز في أصول الفقه»، لعبد الكريم زيدان: (٩، ١٠).

أما الفقه اصطلاحاً: فهو «معرفة الأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية»<sup>(١)</sup>.

الثاني: تعريف أصول الفقه باعتباره علماً ولقباً:

للعلماء تعريفات لعلم أصول الفقه:

الأول: هو معرفة دلائل الفقه إجمالاً، وكيفية الاستفادة منها، وحال المستفيد، وهو التعريف الذي اختاره غالب المتكلمين<sup>(٢)</sup>.

والمقصود بمعرفة الأدلة: أن يعرف العالم أن القرآن والسنة والإجماع والقياس أدلة يُحتج بها، وأن الأمر للوجوب والنهي للتحريم ما لم يصرفه عن ذلك قرينة، وأن العام يدل على جميع أفراد ما لم يُخصَّص، ونحو ذلك، والمعتبر في حق الأصولي إنما هو معرفة الأدلة من حيث الإجمال لا التفصيل، ككون الإجماع حجة قطعية يقينية، والقياس حجة ظنية غالبية الظن الذي يكفي في مجال العمل.

ومعرفة كيفية الاستفادة من تلك الأدلة يراد بها استفادة الفقه العملي من دلائله، أي: استنباط الأحكام الشرعية منها، وذلك يتطلب معرفة شرائط الاستدلال، كتقدم النص على الظاهر والمتواتر على الآحاد ونحوه.

ومعرفة حال المستفيد، أي: طالب حكم الله تعالى، وهو المجتهد والمقلد، ففي هذا العلم نتعرف على شروط الاجتهاد وشروط التقليد، لمعرفة ضوابط المجتهد الذي يُقبل قوله حين استنباطه الأحكام الشرعية من الأدلة، والاستنباط فنٌ دقيق جداً يتطلب أهلية عالية، وكفاءة متميزة في مصادر التشريع، ومقاصده واللغة العربية وقواعدها؛ لأن دلالة الأدلة ظنية غالباً، ومعرفة الظن

---

(١) يُنظر: «مختصر ابن اللحام»: (ص/٣١)، و«شرح الكوكب المنير»: (٤١/١)، و«شرح المنتهى»، للإيجي: (٢٥/١) ..

(٢) يُنظر: «المنهاج»، للقاضي البيضاوي مع الإسنوي والبدخشي: (١٦/١)، و«حاشية اللبناني على جمع الجوامع»: (٢٥/١)، و«شرح اللمع»، للشيرازي (٣٥/١)، و«شرح جمع الجوامع»، للمحلي: (٥٢/١).

ومدلوله يحتاج إلى الاجتهاد، ثم يأتي دور المقلد المجتهد، فهو الذي يستفيد الأحكام من طريق المجتهد؛ إذ لا يحسن استنباط الحكم لعدم تخصصه، فيحتاج إلى مَنْ يرشده إلى الطريق الأقوم، والمنهج الأسلم لمعرفة حكم الشرع في مسألة من المسائل .

**الثاني:** هو القواعد التي يوصل البحث فيها إلى استنباط الأحكام من أدلتها التفصيلية، أو هو العلم بهذه القواعد، وهو التعريف الذي ذهب إليه جمهور الحنفية<sup>(١)</sup>.

وهذا يعني أن الأصولي لا يبحث عن الأدلة الجزئية ولا عن دلالتها، كالاستدلال على إباحة البيع وحرمة الربا بقول الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ . . . ، والاستدلال على فرضية الصيام بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، وإنما يبحث في الأدلة الكلية ودلالاتها لوضع وصياغة القواعد الكلية، مثل الكتاب والسنة أدلة يحتج بها، والنص مُقَدَّم على الظاهر، والمتواتر مُقَدَّم على الآحاد، والمطلق يُحمل على المقيد، وكلُّ ما أمر به الشارع؛ فهو واجب، ونحو ذلك من المبادئ أو القواعد العامة.

- **والأدلة التفصيلية:** هي الأدلة الجزئية، وهي ما تتعلّق بمسألة بخصوصها، ويدلُّ كلُّ واحد منها على حكم بعينه، كقول الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾ . . الآية، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَى﴾ . . الآية، فالأول يدلُّ على حكم بعينه هو حرمة الزواج بالأم أو البنت وغيرهما من المحارم، والثاني يدلُّ على حرمة الزنا.

- **وأما الأدلة الكلية أو الإجمالية:** فهي لا تتعلّق بمسألة بخصوصها، ولا تدلُّ على حكم بعينه، كمصادر الأحكام الشرعية الأربعة: الكتاب والسنة

---

(١) يُنظر: «شرح العضد المختصر المنتهى»، لابن الحاجب: (١٨/١)، و«التقرير والتحبير»، لابن أمير الحاج: (٢٨، ٢٦/١)، و«مرآة الأصول»، لمنلا خسرو: (٣٩/١)، و«المدخل إلى مذهب أحمد»، لابن بدران، (ص/٥٨).

والإجماع والقياس وما يتعلّق بها، مثل: الأمر للوجوب، والنهي للتحريم، وهذه محلُّ بحثِ الأصولي، وأمّا الأدلة التفصيلية؛ فهي محلُّ بحثِ الفقيه.

وموضوعُ أصولِ الفقه عند الحنفيّة: هو الأحكامُ من حيث ثبوتها بالأدلة، وهي الأحكامُ التكليفية من وجوبٍ وندبٍ وحُرمةٍ وكراهةٍ وإباحةٍ<sup>(١)</sup>.

ويرى بعض الحنفيّة أنّ موضوع الأصول هو الأدلة؛ لأنّها التي تثبت بها الأحكام، والأحكام ثمرة الأدلة<sup>(٢)</sup>.

ويرى جمهور الأصوليين أنّ موضوع أصول الفقه: الأدلة الشرعية من حيث بيان أقسامها، واختلاف مراتبها، وكيفية استثمار الأحكام الشرعية منها على وجه كلي<sup>(٣)</sup>.

وهذا هو الراجح؛ فموضوع علم الأصول: هو الأدلة الشرعية الكلّية من حيث ما يثبت بها من الأحكام الكلية، والأحكام الشرعية من حيث ثبوتها بالأدلة؛ فيكون بحثُ كُلِّ من الأدلة والأحكام في ميدان الأصول أمراً أصيلاً وضرورياً واختصاصياً؛ لأنّ بحث أحدهما هو الأصل والآخر تابع له.

### \* أصول الفقه والفقه والقواعد الفقهية:

هناك فرق بين: الفقه، وأصول الفقه، والقواعد الفقهية.

فأصول الفقه؛ هي المناهج التي تحدُّ وتبين الطريق الذي يلتزمه الفقيه في استخراج الأحكام من أدلتها، ويرتب الأدلة من حيث قوتها: فيقدم القرآن على السنّة، والسنّة على القياس وسائر الأدلة التي لا تقوم على النصوص المباشرة.

أما الفقه؛ فهو استخراج الأحكام مع التقييد بهذه المناهج، وأصول الفقه بالنسبة للفقه كمثل علم النحو بالنسبة للنطق العربي والكتابة العربية، فهو ميزان

(١) «التوضيح لصدر الشريعة»: (٢٢/١).

(٢) «التقرير والتحرير»: (٣٢/١).

(٣) «الإحكام في أصول الأحكام»، للآمدي: (٨/١)، (٩).

يُضبط القلم واللسان، ويمنعهما من الخطأ، كذلك علم أصول الفقه هو ميزان للعقل يضبطه، وهو بالنسبة للفقهاء يضبطه ويمنعه من الخطأ في الاستنباط.

وأما القواعد الفقهية؛ فهي مجموعة من الأحكام المتشابهة التي ترجع إلى قياس واحد يجمعها، أو إلى ضبط فقهي يربطها، كقواعد الملكية في الشريعة، وكقواعد الضمان، وكقواعد الخيارات، فهي ثمرة للأحكام الفقهية الجزئية المتفرقة، فالقواعد الفقهية يصح أن يُطلق عليها: «النظريات العامة للفقه الإسلامي»، وعلى ذلك؛ فدراسة القواعد الفقهية من قبيل دراسة الفقه، لا من قبيل دراسة أصول الفقه<sup>(١)</sup>.

### \* فائدة أصول الفقه:

من فوائد علم أصول الفقه:

- (١) ضبط أصول الاستدلال، وذلك ببيان الأدلة الصحيحة من الزائفة.
- (٢) إيضاح الوجه الصحيح للاستدلال، فليس كل دليل صحيح يكون الاستدلال به صحيحاً.
- (٣) تيسير عملية الاجتهاد، وإعطاء الحوادث الجديدة ما يناسبها من الأحكام.
- (٤) بيان ضوابط الفتوى، وشروط المفتي، وآدابه.
- (٥) معرفة الأسباب التي أدت إلى وقوع الخلاف بين العلماء، والتماس الأعذار لهم في ذلك.
- (٦) الدعوة إلى اتباع الدليل حيثما كان، وترك التعصب والتقليد الأعمى.
- (٧) حفظ العقيدة الإسلامية بحماية أصول الاستدلال والرد على شبه المنحرفين.
- (٨) صيانة الفقه الإسلامي من الانفتاح المترتب على وضع مصادر جديدة للتشريع، ومن الجمود المترتب على دعوى إغلاق باب الاجتهاد.

(١) يُنظر: «أصول الفقه»، للشيخ محمد أبو زهرة، (ص/٥-٨).

(٩) ضبط قواعد الحوار والمناظرة، وذلك بالرجوع إلى الأدلة الصحيحة  
المعتبرة.

(١٠) الوقوف على سماحة الشريعة الإسلامية ويسرها، والاطلاع على  
محاسن هذا الدين<sup>(١)</sup>.

\* مسألة: هل ينبغي أن يُقدّم علم أصول الفقه على الفقه، أم يُقدّم الفقه  
عليه؟

قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: قال بعض العلماء رحمهم الله: «قدّم الأصول  
حتى تبني عليها الفروع، فاعرف أصول الفقه، قبل أن تعرف الفقه»، وقال بعض  
العلماء رحمهم الله: «بل يُقدّم الفقه؛ لأنّ الإنسان يُمكن أن يعرف الفقه دون أن  
يرجع إلى أصول الفقه، وحينئذٍ يُمكن للإنسان أن يعرف الفقه قبل أن يعرف  
أصول الفقه»، وهذا هو الذي عليه العمل الجاري من قديم الزمان، حتى إنّ  
بعض المشايخ - فيما نسمع - يقرؤون الفقه، ولا يقرؤون أصول الفقه إطلاقاً<sup>(٢)</sup>.

قلت: والمقصود هنا بمعرفة الفقه قبل معرفة الأصول = معرفة الفقه تقليدياً،  
فإن ضبط الفقه على مذهب معين ممكن بغير احتياج للأصول؛ إذ لا يقوم المتعلم  
تقليدياً بالاجتهاد والاستنباط، وبهذا تعرف خطأ من استدل بما يشبه الكلام السابق  
نقله ليبرر فعل بعض المتصدرين للإفتاء بلا ضبط لأصول الاجتهاد والاستنباط.  
والحقيقة أن كل هذا مفهوم من الناحية النظرية، لكن عملياً، هل يمكن لمن لم  
يدرس أصول الفقه أن يضبط بالفعل الفقه تاماً ولو على سبيل التقليد؟ الحقيقة أن  
هذا مستبعد جداً، فأصول الفقه ليست مجرد أداة اجتهاد واستنباط بل هي جزء  
مهم من معجم الشريعة ولسانها، والجاهل بها لا يمكنه أن يضبط فهم التفريعات  
الفقهية بل لا بد أن يقع في أشكال متنوعة من أخطاء الضبط والفهم. وفي البحر  
المحيط للزركشي: «علم من تعريفهم الفقه باستنباط الأحكام أن المسائل المدونة  
في كتب الفقه ليست بفقه اصطلاحاً وأن حافظها ليس بفقيه وبه صرح العبدري في

(١) «معالم أصول الفقه»، للجزيري، (ص/٢٣).

(٢) «شرح نظم الورقات»، لابن عثيمين: (١٥، ١٦).

باب الإجماع من شرح المستصفى قال وإنما هي نتائج الفقه والعارف بها فروعى وإنما الفقيه هو المجتهد الذي ينتج تلك الفروع عن أدلة صحيحة فيتلقاها منه الفروعى تقليداً ويدونها ويحفظها ونحوه قول ابن عبد السلام هم نقله فقه لا فقهاء .

وقال الشيخ أبو إسحاق في كتاب الحدود الفقيه من له الفقه فكل من له الفقه فقيه ومن لا فقه له فليس بفقيه قال والفقيه هو العالم بأحكام أفعال العباد التي يسوغ فيها الاجتهاد وقال الغزالي إذا لم يتكلم الفقيه في مسألة لم يسمعها ككلامه في مسألة سمعها فليس بفقيه حكاه عنه ابن الهمداني في طبقات الحنفية .

## \* تاريخ أصول الفقه :

### أولاً: مرحلة النشأة:

#### (أ) عهد النبي ﷺ:

كان النبي ﷺ في حياته هو الذي تُؤخذ عنه الأحكام، حيث كانت الأحكام في عهده وحياً منزلاً في كتاب الله تعالى، أو من سُنَّته القولية والعملية في فتاواه وقضاياها، وما أقره النبي ﷺ من اجتهادات الصحابة .

فقد أقر النبي ﷺ الاجتهاد للصحابة رضوان الله عليهم، كما فعل مع معاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن، فقد سأله النبي ﷺ: «بِمَ تَقْضِي إِذَا عُرِضَ لَكَ قَضَاءٌ؟»، قال معاذ: «أقضي بكتاب الله»، قال: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟»، قال: «أقضي بسُنَّةِ رسولِ الله»، قال: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟»، قال: «أجتهد رأيي ولا آلو»، قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي اللَّهُ وَرَسُولَهُ»<sup>(١)</sup>، فهذا العصر وإن كانت الأحكام فيه هي أحكام الله وأحكام رسوله ﷺ إلا أن هذا العصر أقر الاجتهاد فيما ليس فيه نص من كتاب ولا سنة .

(١) رواه أبو داود: (٣٥٩٢) وغيره، وهذا الحديث اختلف في تصحيحه أهل العلم قديماً وحديثاً، وممن ضَعَفَهُ الإمام ابن حزم من السابقين، والشيخ الألباني من المعاصرين، وممن صححه ابن تيمية، وابن القيم، وهو حديث تلقته الأمة بالقبول، وأجمع عليه عامة أهل الأصول.

## (ب) عصر الصحابة:

ثم جاء عصر الصحابة رضي الله عنهم ومعهم الأحكام المثبتة في كتاب الله -تعالى- وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لكن حدث في عصرهم من الأفضية والمشكلات ما لم يوجد في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، فكان لابد لهم أن يجتهدوا في القضايا والوقائع التي جدت في عصرهم، فأعملوا الرأي، فكانوا يلحقون الشبيهه بشبيهه، ويسوون بينهما في الأحكام، فإن لم يجدوا شبيهاً، كانوا يبذلون الجهد؛ لتشريع الحكم المناسب، مراعين المصلحة الداعية إلى ذلك.

لقد كان الصحابة «أبرَّ قلوباً، وأعمقَ علمًا، وأقلَّ تكلفًا؛ لما خصَّهم الله -تعالى- به من توقُّد الأذهان، وفصاحة اللسان، وسعة العلم وسهولة الأخذ، وحُسن الإدراك وسرعته، وقلة المعارض أو عدمه، وحُسن القصد، وتقوى الربِّ -تبارك وتعالى- فالعربية طبيعتهم وسليقتهم، والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرهم وعقولهم، ولا حاجة بهم إلى النظر في الإسناد وأحوال الرواة، وعلل الحديث والجرح والتعديل، ولا إلى النظر في قواعد الأصول وأوضاع الأصوليين، بل قد غنوا عن ذلك كله؛ فليس في حقِّهم إلا أمران:

أحدهما: قال الله كذا، وقال رسوله كذا، الثاني: معناه كذا وكذا، وهم أسعدُ الناس بهاتين المقدمتين، وأحظى الأمة بهما، فقواهم مجتمعة عليهما، هذا إلى ما خُصُّوا به من قُوى الأذهان، وصفائها، وصحتها وقوة إدراكها، وقُرب العهد بنور النبوة، والتلقِّي من المشكاة النبوية»<sup>(١)</sup>.

وهكذا اجتهد الصحابة، ووضَعوا من خلال اجتهادهم القواعد الأولى لاستنباط الأحكام من مصادرها الشرعية، ومن القواعد التي تجلت في اجتهادات الصحابة رضي الله عنهم:

- القاعدة الأولى: تقديم القرآن والسُّنة على ما سواهما من الرأي في استنباط الأحكام، وعدم المصير إلى الاجتهاد بالرأي، إلا بعد أن يعيبي المجتهد أن يجد فيهما حكم القضية أو المسألة، وهذا واضح من فعل أبي بكر الصديق

(١) «إعلام الموقعين»، لابن القيم: (٤/١١٣، ١١٤).



الذي كان يبدأ ببحث المسألة في كتاب الله تعالى، ثم في سنة النبي ﷺ، ثم استشارة من له علم بسنة مأثورة عن النبي ﷺ في المسألة محل البحث، ثم الاجتهاد بالرأي الجماعي من الصحابة جميعاً.

- القاعدة الثانية: ظهور الإجماع كدليل من الأدلة التي تستنبط منها الأحكام، وهذا واضح من فعل أبي بكر في جمع رؤساء الناس - وكذلك من فعل عمر- واستشارتهم، فإذا أجمعوا على شيء قضى به.

- القاعدة الثالثة: أن المتأخر في النزول ينسخ المتقدم في النزول، إذا كان النصان في موضوع واحد، وتعارضوا وعلم التاريخ، فإذا لم يعلم التاريخ يجمع بين النصين في العمل ما أمكن ذلك، وذلك؛ لأن أحدهما ليس بأولى في العمل ما دام في مرتبة واحدة، كما فعل عبد الله بن مسعود، فعن محمد بن سيرين، قال: لقيت مالك بن عامر، أو مالك بن عوف، قلت: كيف كان قول ابن مسعود في المتوفى عنها زوجها وهي حامل؟ فقال: قال ابن مسعود: أتجعلون عليها التخليط، ولا تجعلون لها الرخصة؟ أنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى<sup>(١)</sup>.

واستدلال ابن مسعود يعني أن قول الله تعالى: ﴿وَأُولَاتِ الْأُمَمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، في سورة الطلاق -سورة النساء القصرى كما سماها ابن مسعود- ناسخ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَرِيضَنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾، في سورة البقرة -سورة النساء الطولى- وذلك؛ لأن آية البقرة تفيد أن عدة المتوفى عنها زوجها هي أربعة أشهر وعشرة أيام؛ سواء كانت حاملاً أم غير حامل، وتفيد آية سورة الطلاق أن الحامل تعتد بوضع الحمل، سواء كان متوفى عنها زوجها أم لا، ومن الصحابة من جمع بين الآيتين، فجعل عدة المتوفى عنها زوجها بأبعد الأجلين مثل ابن عباس رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>.

وهكذا انقضى عصر الصحابة، وهناك قواعد للاستنباط، وإن كانت غير

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٤٥٣٢).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه»: (٤٩٠٩).

مدونة، ولكن الذي يراجع أقضية الصحابة يلحظ من ثانيا استدلالاتهم وفتاواهم هذه القواعد.

### (ج) عصر التابعين:

جاء عصر التابعين، فنهجوا نهج من سبقوهم من الصحابة، وصار بين أيديهم ثلاث مجموعات من الأحكام، هي:

(١) أحكام الله في كتابه.

(٢) أحكام رسول الله ﷺ في سنته.

(٣) أحكام الصحابة وفتاواهم وأقضيتهم.

واتسعت الفتوحات الإسلامية، ودخل في الإسلام كثيرون، فظهرت الحاجة أكثر وأكثر إلى الاجتهاد والاستنباط لوقائع ومشكلات لم تكن موجودة من قبل، ممَّا استدعى تخريج التابعين على فتاوى الصحابة، فضلاً عن الكتاب والسنة، فأتسع ميدان التشريع للأحكام الفقهية، حيث اجتهد التابعون في استنباط الأحكام، ومن بعدهم تابعو التابعين، ومع هذا الزخم العلمي الاجتهادي تمهدت طرق للاستنباط والتخريج، ولكن الفقه وأصول الفقه قد ظلَّ دون تدوين.

### (د) عصر الأئمة المجتهدين:

وبعد عصر التابعين وتابعي التابعين جاء عصر الأئمة المجتهدين، وفي هذا العصر بدأ ظهور مدونات في الفقه، ومن أول ما دون في هذا العصر فيما وصل إلينا هو «موطأ مالك بن أنس» الذي جمع فيه بين تدوين الحديث، وأقوال الصحابة، وفقه التابعين وأقوالهم، فكان كتاباً جامعاً في حقيقته بين الفقه والحديث.

وفي الرسائل المتبادلة بين العلماء في هذه الفترة يظهر أثر العلم الأصولي بين العلماء، مثلما دار بين الليث بن سعد فقيه مصر، والإمام مالك بن أنس، فنجد أن الإمام الليث يناقش الإمام مالك في مشروعية الأخذ بعمل أهل المدينة، كما يناقشه في اختلاف صحابة رسول الله ﷺ بعد عصر أبي بكر وعمر وعثمان في الفتاوى والأحكام؛ ممَّا يفتح مجالاً لمشروعية الاختلاف في الفتوى في

المسائل التي يجوز فيه الاختلاف، ثم نرى بعد ذلك مذهب الإمام مالك وهو يعتمد عمل أهل المدينة كأحد مصادر التشريع، الأمر الذي أثار نقاشاً فقهياً أصولياً بين الإمام مالك والإمام الليث بن سعد.

### ثانياً: مرحلة التدوين:

بدأ هذا العلم إذن وليداً على شكل قواعد متناثرة في ثنايا كلام الفقهاء، وبيانهم للأحكام، كما أن الخلاف الفقهي بين الفقهاء كان يعضد بقواعد أصولية يعتمد عليها كل فقيه؛ لتقوية وجهة نظره، وتعزيز مذهبه، وبيان مأخذه في الاجتهاد.

أمّا تدوين أصول الفقه، فقد اختلف الباحثون في بدء هذا التاريخ، فمنهم من يرى أن الإمام جعفر الصادق هو واضع هذا العلم، ومن قائل يرى أن أول من دون في أصول الفقه هو أبو يوسف صاحب أبي حنيفة، ولكن لم يصل إلينا شيء من كتبه.

والثابت أن أول من صنف في هذا العلم تصنيفاً مستقلاً، إنما هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي الذي اتجه إلى تدوين هذا العلم الجليل، فرسم مناهج الاستنباط، ووضح معالم هذا العلم.

وقد ألف الشافعي كتاب «الرسالة» مرتين، ولذلك؛ يُعدُّه العلماء في فهرس مؤلفاته كتائين: «الرسالة القديمة»، و«الرسالة الجديدة».

أمّا «الرسالة القديمة»، فالظاهر أنه ألفها في بغداد؛ إذ كتب إليه عبد الرحمن بن مهدي، وهو شاب أن يضع له كتاباً يذكر فيه شرائط الاستدلال بالقرآن، والسنة، والإجماع، والقياس، وبيان الناسخ والمنسوخ، ومراتب العموم والخصوص.

فوضع الشافعي له كتاب «الرسالة»، وأرسله إليه، ولذلك؛ سمي «الرسالة»، فلما قرأها عبد الرحمن بن مهدي قال: ما ظننت أن الله تعالى خلق مثل هذا الرجل، ثم قال عبد الرحمن: «ما أصلي صلاة، إلا وأدعو للشافعي فيها»<sup>(١)</sup>.

(١) يُنظر: «مناقب الشافعي»، للرازي: (١٥٣، ١٥٧)، و«تهذيب الأسماء واللغات»: (٤٧/١، ٤٨، ٥٩)، ومقدمة كتاب «الرسالة»: (١٠، ١١، ١٢).

قال الفخر الرازي: «ولما خرج الشافعي إلى مصر أعاد تصنيف كتاب «الرسالة»، وفي كل واحد منهما علم كثير»<sup>(١)</sup>، وقال الشيخ أحمد شاکر في تقديمه لكتاب «الرسالة»: «وأياً ما كان فقد ذهبت «الرسالة القديمة»، وليست في أيدي الناس الآن إلا «الرسالة الجديدة»، وهي هذا الكتاب»<sup>(٢)</sup>.

«ولا غرابة أن يكون البحث في فروع الفقه وتدوينها متقدماً على تدوين أصول الفقه؛ لأنه إذا كان علم أصول الفقه موازين لضبط الاستنباط، ومعرفة الخطأ من الصواب، فهو علم ضابط والمادة هي الفقه، وكذلك الشأن في كل العلوم الضابطة، فالنحو متأخر عن النطق بالفصحى، والشعراء كانوا يقولون الشعر موزوناً قبل أن يضع الخليل بن أحمد ضوابط العروض، والناس كانوا يتجادلون، ويفكرون قبل أن يدون أرسطو: «علم المنطق».

ولقد كان الشافعي جديراً بأن يكون أول من يُدوّن ضوابط الاستنباط؛ فقد أوتي علماً دقيقاً باللسان العربي؛ حتى عُدَّ في صفوف الكبار من علماء اللغة، وأوتي علم الحديث، فتخرج على أعظم رجاله، وأحاط بكل أنواع الفقه في عصره، وكان عليماً باختلاف العلماء من عصر الصحابة إلى عصره، وكان حريصاً أن يعرف أسباب الخلاف، والوجهات المختلفة التي تتجه إليها أنظار المختلفين، وبهذا وبغيره توفرت له الأداة لأن يستخرج من المادة الفقهية التي تلقاها الموازين التي توزن بها آراء السابقين، وتكون أساساً لاستنباط اللاحقين، يراعونها فيقاربون ولا يباعدون.

فبعلم اللسان استطاع أن يستنبط القواعد؛ لاستخراج الأحكام الفقهية من نصوص القرآن والسنة، وبدراسته في مكة التي كان يتوارث فيها علم عبد الله بن عباس الذي سُمِّيَ ترجمان القرآن، عرف الناسخ والمنسوخ، وباطلاعه الواسع على السنة، وتلقيه لها من علمائها وموازنتها بالقرآن، استطاع أن يعرف مقام السنة من القرآن، وحالها عند معارضة بعض ظواهرها لظواهر القرآن الكريم، وقد

(١) «مناقب الشافعي»، للرازي: (١٥٧).

(٢) مقدمة كتاب «الرسالة»: (١١).

كانت دراسته لفقه الرأي، وللمأثور من آراء الصحابة أساساً لما وضعه من ضوابط للقياس، وهكذا وضع الشافعي قواعد للاستنباط، ولم تكن في جملتها ابتداءً ابتدعه، ولكنها ملاحظة دقيقة لما كان يسلكه الفقهاء الذين اهتدى بهم من مناهج في استنباطهم لم يدونوها، فهو لم يبتدع مناهج الاستنباط، ولكن له السبق في أنه جمع أشتات هذه المناهج التي اختارها، ودونها في علم مترابط الأجزاء<sup>(١)</sup>.

«والحق أن الشافعي رتب أبواب هذا العلم، وجمع فصوله، ولم يقتصر على مبحث دون مبحث، بل بحث في الكتاب، وبحث في السنة، وطرق إثباتها، ومقامها من القرآن.

وبحث الدلالات اللفظية فتكلم في العام والخاص، والمشارك والمجمل والمفصل، وبحث في الإجماع وحقيقته، وناقشه مناقشة علمية لم يعرف أن أحداً سبقه بها، وضبط القياس، وتكلم في الاستحسان.

وهكذا استرسل الشافعي في بيان حقائق هذا العلم مبوبة مفصلة، وهو بهذا لم يسبق، أو على التحقيق لم يعلم إلى الآن أن أحداً سبقه، ولا يغض هذا من مقام من سبقوه، فلا يغض هذا من مقام شيخه «مالك»، ولا من مقام شيخ فقهاء القياس «أبي حنيفة»؛ فإن التدوين في عصرهما لم يكن تكامل نموه.

ولا نقول: إن الشافعي قد أتى بالعلم كاملاً على كل الوجوه؛ بحيث إنه لم يبق مجهوداً لمن بعده، بل إنه جاء من بعده من زاد ونمى وحرر مسائل كثيرة في هذا العلم<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: مرحلة المدارس الأصولية:

استمر التدوين والبحث في أصول الشافعي، ذلك أن أرباب المذاهب الفقهية اتفقوا مع الشافعي في أغلب ما قرره في الرسالة، ومنهم من اختلف معه في بعضها، فالحنفية مثلاً خالفوه في الأخذ بالاستحسان الذي كتب فيه الشافعي في الرسالة كتاب إبطال الاستحسان، والمالكية خالفوه في الأخذ بعمل أهل

(١) «أصول الفقه»، لمحمد أبو زهرة، (ص/١٠، ١١).

(٢) «أصول الفقه»، لمحمد أبو زهرة، (ص/١٣).

المدينة كمصدر من مصادر فقهم، كما خالفوه في الأخذ بالذرائع، والمصالح المرسله.

\* وتوسعت البحوث في علم أصول الفقه، وكان هناك تياران أو اتجاهان في التأليف:

#### – الاتجاه الأول: طريقة الشافعية أو المتكلمين:

هذا الاتجاه يبحث في علم أصول الفقه على طريقة الشافعي، من خلال تقرير القواعد، واستنباطها وبحثها بحثاً نظرياً غير متقيد بالفروع الفقهية، بل يبحث القاعدة ويقررها، وينظر فيها، سواء خالفت الفروع الفقهية المستنبطة من قبل أو وافقتها.

وهذه الطريقة يسميها الباحثون في علم الأصول: طريقة الشافعية أو طريقة المتكلمين، وذلك أن كثيراً من الباحثين والمؤلفين في هذه الطريقة كانوا من علماء الكلام الذين تناولوا بالبحث والتأليف أصول الفقه عن طريق البحث النظري المجرد، واختلطت في بحوثهم مسائل علم الأصول مع مسائل الكلام، وأثاروا بحوثاً نظرية، مثل: كلامهم في التحسين العقلي والتقيح العقلي، مع اتفاقهم على أن الأحكام في غير العبادات معللة، معقولة المعنى.

ونستطيع أن نلخص أبرز خصائص هذا الاتجاه فيما يلي:

- (١) عدم الالتفات إلى موافقة فروع المذهب، أو مخالفتها للقواعد الأصولية، وإنما التعويل الكامل على الأدلة النقلية والعقلية.
- (٢) عدم الالتزام بالمذهب فيما يتوصل إليه من قواعد، والإكثار من الاستدلالات العقلية والبراهين النظرية.

(٣) قلة إيراد الفروع الفقهية، إلا في مقام التمثيل والتوضيح، كما أن القواعد الأصولية في طريقة البحث في هذا الاتجاه يحكم بها على فروع المذهب دون العكس، وكذلك التوسع في تحرير القواعد، وتمحيص الخلافات، وتحقيق المسائل.

(٤) اشتمال المؤلفات على هذه الطريقة على جملة من المسائل العقلية والكلامية التي ليست من علم الأصول، وكذلك اشتمال تلك المؤلفات على مسائل خلافية لا يترتب على الخلاف فيها ثمرة، وهو ممّا أخذ على هذا الاتجاه.

وقد التزم بهذه الطريقة جمهور العلماء الشافعية، ثم المالكية، والحنابلة، فلذا؛ يطلق عليها طريقة الجمهور.

ومن أبرز ما كتب على هذه الطريقة:

- (١) «العمد»، للقاضي عبد الجبار المعتزلي، المتوفى (٤١٥هـ).
- (٢) «المُعتمد»، لأبي الحسين البصري المعتزلي، المتوفى (٤٦٣هـ).
- (٣) «البُرهان»، لأبي المعالي الجويني الشافعي، المتوفى (٤٧٨هـ).
- (٤) «المُستصفى»، لأبي حامد الغزالي الشافعي، المتوفى (٥٠٥هـ).
- (٥) «المَحصول»، لفخر الدين الرازي الشافعي، المتوفى (٦٠٦هـ).
- (٦) «الإحكام»، لسيف الدين الأمدى الشافعي، المتوفى (٦٣١هـ).
- (٧) «مِنهاج الوُصول»، لليضاوي، المتوفى (٦٨٥هـ).
- (٨) «التَّنقيحات»، للقرافي المالكي، المتوفى (٦٨٤هـ).
- (٩) «مُنتهى السؤل»، لابن الحاجب المالكي، المتوفى (٦٤٦هـ).

– الاتجاه الثاني: طريقة الحنفية:

وهذا الاتجاه يبحث في علم الأصول بدراسة فروع المذهب، واستنباط القواعد الأصولية التي بنى عليها فقهاء المذهب استدلالاً لهم، وذلك أنّ فقهاء المذهب الحنفي الذي عرفت هذه الطريقة بهم لم يتركوا قواعد مدونة للاستنباط والاستدلال، فجاء بعدهم من نظر في فروعهم، وجدلوا عنها، وفي ثنايا البحث والمناظرة كانوا يستخرجون ما في الفروع من القواعد التي بنى عليها الاستنباط والاستدلال، ثم توسعت المذاهب المختلفة في الأخذ بهذه الطريقة؛ دفاعاً عن فروعهم، واستدلالاً لمذهبهم.

وبهذا تختلف أصول الحنفية عن أصول الشافعية والجمهور، في أن أصول الشافعية كانت منهاجاً للاستنباط، وكانت حاكمة عليه، أمّا طريقة الحنفية فقد كانت غير حاكمة على الفروع بعد أن دونت؛ أي: إنهم استنبطوا القواعد التي تبين مذهبهم وتؤيده؛ فهي إذن مقاييس مقررة لا مقاييس حاكمة.

ونستطيع أن نلخص أبرز خصائص هذا الاتجاه فيما يلي:

(١) هي طريقة لاستنباط أصول الاجتهاد الذي وقع بالفعل، وهي قواعد مُستقلة يُمكن الموازنة بينها وبين غيرها من القواعد.

(٢) هي طريقة مُطبقة في الفروع، فهي ليست بحوثاً نظرية مجردة، إنما هي بحوث كلية وقضايا عامة، فتستفيد الكليات من تلك الدراسة.

(٣) استنباط القواعد الأصولية من الفروع الفقهية، والالتزام بالمذهب فيما يتوصل إليه من قواعد، حتى ولو صيغت القاعدة بطريقة متكلفة لتتوافق مع الفروع.

(٤) كثرة الفروع والأمثلة والشواهد، وقلة المسائل الافتراضية والنظرية، والمسائل التي لا يبنى عليها أثر فقهي.

(٥) مكّنت هذه الطريقة من كثرة التخريج في المذاهب، وتفرّيع الفروع بناءً على القواعد المستنبطة.

ومن أبرز ما كتب على طريقة الحنفية:

(١) «أصول الكرخي»، أبي الحسين بن عبيد الله، المتوفى (٣٤٠هـ).

(٢) «أصول الجصاص»، أبي بكر أحمد بن علي، المتوفى (٣٧٨هـ).

(٣) «تقويم الأدلة»، لأبي زيد الدبوسي، المتوفى (٣٤٠هـ).

(٤) «تمهيد الفصول»، للسرخسي محمد بن أحمد، المتوفى (٤٢٨هـ).

(٥) «الأصول»، لعلي بن أحمد البزدوي، المتوفى (٤٨٢هـ).

(٦) «كشف الأسرار»، لعبد العزيز البخاري، المتوفى (٧٣٠هـ).

(٧) «تخريج الفروع على الأصول»، للزنجاني، المتوفى (٦٥٦هـ).



(٨) «التمهيد»، لجمال الدين الإسنوي الشافعي، المتوفى (٧٧٢هـ).

(٩) «تنقيح الفصول»، للقرافي المالكي، المتوفى (٦٨٤).

(١٠) «القواعد»، لأبي الحسن الحنبلي، المتوفى (٨٣٠هـ).

#### – اتجاه المتأخرين:

بعد أن استقامت الطريقتان كل في منهاجها، ظهرت طريقة المتأخرين من الأصوليين الذين جمعوا بين الطريقتين، فكانوا يقررون القواعد من خلال البحث النظري المجرد، ويستشهدون عليها بالفروع، فلا يكون البحث النظري مقررًا للقواعد والأصول، ولا تصبح الفروع هي المقررة لما يتم استنباطه من القواعد، وقد ظهرت هذه الطريقة في حدود القرن السابع الهجري.

ومن خصائص البحث والدراسة وفق هذا المنهج:

(١) الجمع بين الأدلة العقلية والنقلية، وبين الفروع الفقهية في دراسة القواعد الأصولية، وعدم الاقتصار على أحدهما.

(٢) الجمع بين فائدتين، فائدة تعود على الفقه، وذلك بذكر الفروع الفقهية، وفائدة تعود على القواعد الأصولية، وذلك بتمحيص أدلتها ومناقشتها.

(٣) استيعاب ما أُلّف على طريقتي المتكلمين والفقهاء.

(٤) سمة الاختصار في أغلب المؤلفات على هذه الطريقة.

ومن أبرز ما كتب على طريقة المتأخرين:

(١) «بديع النظام»، لمظفر الدين الساعاتي، المتوفى (٦٩٤هـ).

(٢) «جمع الجوامع»، للسبكي الشافعي، المتوفى (٧٧١هـ).

(٣) «تنقيح الأصول»، لصدر الشريعة الحنفي، المتوفى (٦٥٤هـ).

(٤) «التحرير»، للكمال بن الهمام الحنفي، المتوفى (٨٦١هـ).

(٥) «مسلم الثبوت»، لمحّب الدين عبد الشكور، المتوفى (١١١٩هـ).

(٦) «إرشاد الفحول»، للشوكاني، المتوفى (١٢٥٠هـ).

## – اتجاه الاهتمام بالمقاصد:

وهناك من علماء الأصول من سلك مسلكًا مغايرًا في البحث والتأليف في علم الأصول، هذا المسلك يقوم على تناول مقاصد الشريعة العامة ومصالحها الكلية، وقد كانت بحوث أصول الفقه السابقة لا تُعنى بهذا الجانب ولا تتناوله، ومن هؤلاء الإمام أبو إسحاق الشاطبي المالكي (المتوفى سنة ٧٨٠هـ) في كتابه «الموافقات»، فقد اتجه الإمام الشاطبي إلى العناية بأسرار التشريع، وتوضيح مقاصد الشارع، ويعد كتابه بدءًا لمنهج جديد من الأصول يغيّر المناهج القائمة من قبل، وقد تبعه في ذلك كثيرون.

## رابعًا: مرحلة التجديد:

بداية هذه المرحلة هي بداية القرن الثامن، وتنتهي بنهاية القرن العاشر تقريبًا، وقد برز في هذه المرحلة -في أوائلها- إمامان جليلان، حفظ الله بهما منهج أهل السنة والجماعة، وجدّد الله بهما هذا الدين، وهما شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية، وقد وافق عصر هذين الإمامين اتساع جهود المتكلمين الأصولية، ويمكن تلخيص دور هذين الإمامين إزاء هذا التيار في جانبين:

**الجانب الأول:** تأصيل قواعد أهل السُّنة والجماعة، وتثبيت دعائم منهج السلف الصالح بالحجة البالغة والبرهان الساطع، والرجوع في كل ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وما دلّ عليه العقل الصريح والفطرة السليمة، وما ورد عن الصحابة والتابعين، وعدم الالتفات إلى مناهج المناطق ومسالك الفلاسفة.

**الجانب الثاني:** الرّد على الباطل وكشف زيفه، وبيان بطلانه، وذلك بعد الوقوف على مأخذه لدى أهله؛ لمقارعة الحجة بالحجة، كل ذلك بأدلة المنقول والمعقول، مع النصيحة والبيان، فكان هذا الصنيع تصحيحًا للخطأ وتقويمًا للاعوجاج، وتوضيحًا للحق ودعوة إليه، وفضحًا للباطل وتحذيرًا منه، ومن الأمثلة على ذلك:

(أ) مسألة التحسين والتقبيح العقليين، وبيان طرفي الانحراف في هذه المسألة.

(ب) جناية التأويل وخطورته، وبيان الصحيح منه والباطل.

(ج) الرد على من زعم أن النصوص تفيد الظن ولا تفيد اليقين، وذكر الأدلة على ذلك.

(د) درء التعارض بين العقل والنقل، وإقامة الأدلة والشواهد على ذلك.

وفي هذا المقام يمكن الإشارة إلى كتابين مستقلين في أصول الفقه لهذين الإمامين، الأول كتاب: «المسودة»، لآل تيمية، والثاني كتاب: «إعلام الموقعين»، لابن القيم، على أن الأخير من هذين الكتابين ليس خاصًا في أصول الفقه إلا أن معظم مباحثه تتعلق بالأصول.

أمّا كتاب «المسودة»؛ فإنّه في الأصل نقول جمعها مجد الدين عبد السلام ابن تيمية الحراني، جدُّ شيخ الإسلام تقي الدين أحمد ابن تيمية، وتركها دون أن يبيضاها، فعلق على بعضها ابنه شهاب الدين عبد الحليم، والد شيخ الإسلام، وتركها أيضًا مسودة دون أن يبيضاها، ثم جاء شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية فعلق على بعضها وتركها أيضًا مسودة دون أن يبيضاها، ثم قيض الله لهذه المسودات أحد تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية فجمعها ورتبها وبيضاها وميز بعضها عن بعض، فما كان لشيخه قال فيه: «قال شيخنا»، وما كان لوالد شيخه قال فيه: «قال والد شيخنا»، وما كان لصاحب الأصل مجد الدين تركه مهملاً.

أمّا كتاب «إعلام الموقعين»، فقد ذكر فيه ابن القيم مباحث أصولية مهمة أفاض الكلام عليها، وقد امتاز هذا الكتاب بكثرة الأمثلة الفقهية على عدد من المسائل الأصولية، وامتاز أيضًا ببيان حكمة التشريع ومقاصد الشريعة، إضافة إلى حسن البيان وجمال الأسلوب، كما أن الكتاب جامع لكثير من الأحاديث النبوية، والآثار المروية عن الصحابة والتابعين، وفيه نقول مطولة مهمة عن بعض الأئمة، فهو بذلك غاية في منهج أهل السنة والجماعة، وعمدة في بيان طريقة السلف،

والكتاب يحتاج إلى تخريج آثاره وفهرسة مباحثه ومطالبه، وحقيق بدراسة تبرز محاسنه، وتُفصح عن منهج مؤلفه ومصادره فيه ومقاصده منه.

وفي هذه المرحلة أيضًا ظهرت لبعض علماء أهل السُّنَّة مؤلفات أصولية، إلاَّ أنَّها على وجه العموم تأثرت بمنهج المتكلمين جملة، وهذا التأثير يختلف من كتاب لآخر، وفي المقابل قد حافظت هذه المؤلفات في الجملة على منهج السلف، وهذه المحافظة أيضًا تختلف من كتاب إلى آخر.

فمن هذه المؤلفات:

(١) «قواعد الأصول، ومعاهد الفصول»، للإمام صفي الدين عبد المؤمن الحنبلي، المتوفى سنة (٧٣٩هـ).

(٢) «المختصر في أصول الفقه»، للإمام علاء الدين ابن اللحام البعلي الحنبلي، المتوفى سنة (٨٠٣هـ).

(٣) «شرح مختصر ابن اللحام في أصول الفقه»، للإمام تقي الدين أبي بكر ابن زيد الجراعي الحنبلي، المتوفى سنة (٨٨٣هـ).

(٤) «تحرير المنقول وتهذيب علم الأصول»، للإمام علاء الدين علي بن سليمان المرادوي الحنبلي، المتوفى سنة (٨٨٥هـ).

(٥) «مختصر التحرير»، للإمام تقي الدين محمد بن أحمد، ابن النجار الفتوحى، الحنبلي، المتوفى سنة (٩٧٢هـ).

(٦) «شرح مختصر التحرير»، المشتهر بـ «شرح الكوكب المنير» له أيضًا. وقد ظهرت بعد ذلك مؤلفات أخرى لبعض أئمة أهل السُّنَّة، إلاَّ أنَّ هذه المؤلفات ترجع في الجملة إلى المراحل التي سبقتها، فمن هذه المؤلفات:

(١) «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل»، للشيخ عبد القادر بن بدران الدومي الدمشقي، المتوفى سنة (١٣٤٦هـ).

(٢) «نزهة الخاطر العاطر شرح كتاب روضة الناظر وجنة المناظر»، له أيضًا.

(٣) رسالة لطيفة في أصول الفقه للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المتوفى سنة (١٣٧٦هـ).

(٤) «وسيلة الحصول إلى مهمات الأصول»، للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي المتوفى سنة (١٣٧٧هـ).

(٥) «مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر»، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، المتوفى سنة (١٣٩٣هـ)<sup>(١)</sup>.

كذلك من أشهر المؤلفات المعاصرة في أصول الفقه:

- «أصول الفقه»، للشيخ محمد الخضري، المتوفى (١٣٤٥هـ).
  - «علم أصول الفقه»، للشيخ عبد الوهاب خلاف، المتوفى (١٩٥٥م).
  - «أصول الفقه»، للأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة، المتوفى (١٩٧٤م).
- وهناك غيرها كثير من الكتب المعاصرة في هذا العلم.

### \* العلاقة بين أصول الفقه وعلم الكلام:

من المسلم به أن الإمام الشافعي لم يمزج في رسالته بين علم الكلام والدراسات الأصولية، الأمر الذي جعل الدارسين يؤرخون لالتقاء أصول الفقه وعلم الكلام بعد كتاب «الرسالة»، للشافعي على يد الجبائيين محمد بن عبد الوهاب (٣٠٣هـ)، وابنه عبد السلام (٣٢١هـ)، فلهم مقولات مدونة في أصول الفقه قائمة على الاعتزال، لكن بالبحث يظهر أن البدايات الأولى لمزج الأصول بالكلام كانت قبل ذلك، ويُمكن عرض مراحل الالتقاء بين علم الكلام وعلم أصول الفقه في المراحل التالية:

- المرحلة الأولى: من القرن الثاني الهجري إلى القرن الثالث: كانت هذه الفترة تشهد نشاطًا للمعتزلة في العالم الإسلامي وخصوصًا في العراق، ومن أبرز علمائهم:

---

(١) «مستفاد من معالم أصول الفقه»، للجزائري، (ص/٣٦-٤٥).

(أ) أبو بكر الأصبم (٢٠١هـ): من أعلام المعتزلة بالبصرة، فبعد تمكنه من علم الكلام على طريقة المعتزلة ألف: «الحجة والرسول»، و«الرد على الملحدة»، وعلى الرغم من عدم تأليفه كتبًا في أصول الفقه إلا أن له آراء أصولية قائمة على الاعتزال.

(ب) بشر المريسي (٢١٨هـ): الذي يمثل حلقة مهمة في تاريخ الاعتزال، فبعد أن برع في علم الكلام، وجمع بين مذهبي القدر والإرجاء؛ عكف على دراسة الفقه وأصوله، فظهرت له آراء أصولية بناها على مذهبه الكلامي، كقوله بتأثير المجتهدين في فروع الشريعة القائم على مذهبه الكلامي الذي يكون فيه الحق واحدًا.

(ج) وبعد وفاة بشر المريسي ظهر أبو الهذيل العلاف (٢٣٥هـ)، وأبو إسحاق النّظام (٢٣١هـ) الذين كانت آراءهم مغالية من شدة تأثرها بالاعتزال، كإنكار حجية الإجماع والقياس، وإنكار الحجة من الأخبار التي لا تُوجب العلم الضروري، وطعن في فتاوى أعلام الصحابة.

- المرحلة الثانية: شكّلت هذه المرحلة منطلقًا قويًا لالتقاء العلمين، فلم تعد حكرًا على المعتزلة، وإنما شارك فيها مذهبان كلاميان آخران هما:

(أ) المدرسة الأشعرية: التي انبثقت من رحم المعتزلة في نهاية القرن الثالث الهجري على يد أبي الحسن الأشعري، وكان الأشاعرة يأتون على مقررات المعتزلة بالنقض والبطالان، فألف أبو الحسن الأشعري عددًا من الكتب تعزز موقفه الأصولي بقدر من الاختيارات الفكرية المعبرة عن مذهبه الكلامي، فألف: «الاجتهاد في الأحكام»، و«القياس»، و«مسائل في إثبات القياس والإجماع»، وجملة من المؤلفات التي هي في حكم المفقود وكل ما وصلنا جملة من الآراء الأصولية جمعها ابن فورك في كتابه «مجرد المقالات الأصولية»، وأغلبها آراء قامت على أصول أشعرية.

(ب) المدرسة الماتريدية: على يد أبي منصور الماتريدي الذي كان في سمرقند ومرتسًا للمذهب الحنفي، وكانوا قرييين من الأشاعرة في نقضهم لمباني المعتزلة.

**المرحلة الثالثة:** مع نهاية القرن الرابع الهجري أصبح علم الكلام وأصول الفقه علمين متداخلين ومن أبرز علماء تلك الفترة القاضي عبد الجبار (٤١٥هـ) الذي عزم على تأليف كتاب في الأصول على طريقة المعتزلة، ولكن المنية وافته قبل ذلك، وقد صرح بذلك فقال: «ونحن بعون الله وتوفيقه إذا سهل السبيل إلى ذلك إملأه أصول الفقه على الطريقة التي سلكتها في أصول الدين».

وفي عصر القاضي عبد الجبار ذاع صيت الباقلاني (٤٠٣هـ) الذي سلك في تقرير القواعد الأصولية طريقة شيخه الأشعري، وبهذا يكون القاضيان عبد الجبار والباقلاني قد انتقلا بالتأليف الأصولي إلى مرحلة التفاعل الكامل مع علم الكلام، ثم جاء في العقد الثاني من القرن الخامس الهجري أبو الحسين البصري (٤٣٦هـ) تلميذ القاضي عبد الجبار الذي شكّل منعطفًا بارزًا في تاريخ تطور المذهب الاعتزالي، الذي أخذ جانبًا كبيرًا من الطرق الفلسفية والكلامية المعول عليها في الدراسات الأصولية ويظهر ذلك في كتابيه «المعتمد»، و«شرح العمدة».

**المرحلة الرابعة:** بعد منتصف القرن الخامس الهجري شهد المذهب الاعتزالي تراجعًا ملحوظًا لأسباب فكرية وأخرى سياسية، وظهر الأشاعرة بقوة على يد أبي المعالي الجويني (٤٧٨هـ) في كتابه «البرهان»، وأبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ) في «المستصفى» الذي نهض بالتوظيف المنطقي في محاولة لإيجاد ضوابط محددة للمصطلحات الأصولية، وليعتبر بهذا العمل المازج الحقيقي للمنطق الأرسطاليسي بعلم الأصول، ويظهر ذلك في مقدمة «المستصفى».

وكان في تلك الفترة مجموعة من الفقهاء سعوا إلى فصل علم الكلام عن مباحث أصول الفقه، وبناء كل علم على استقلال منهم أبو الوليد الباجي (٤٧٤هـ)، وأبو إسحاق الشيرازي (٤٧٦هـ)، وعلى رأسهم مفتي خراسان أبو المظفر السمعاني (٤٨٩هـ) في كتابه: «قواطع الأدلة»، فصرح في كتابه هذا بضرورة تصفية أصول الفقه من علم الكلام تمامًا، وسار على هذا النهج بعض العلماء كالكيا أبي الحسن (٥٠٤هـ)، وأبي الخطاب الكلوزاني (٥١٠هـ)، وابن برهان (٥٢٠هـ).

المرحلة الخامسة: في الثلث الأخير من القرن السادس الهجري، ومع دخول العالم الإسلامي مرحلة التفكك جمد التأليف في علم الأصول واقتصر الأمر على تلخيص ما سبق إلا بعض الجهود من أبرزها «المحصول»، للرازي (٦٠٦هـ) وتوقف الفكر الأصولي عند هذه الحدود الضيقة، خصوصاً مع نهاية القرن السابع الهجري<sup>(١)</sup>.

---

(١) يُنظر: «تطور علم أصول الفقه وتجده وتأثره بالمباحث الكلامية»، للدكتور عبد السلام بلاحي، (ص/٢٠٤-٢٠٩)، رسالة دكتوراه، طبعة دار ابن حزم، (٢٠١٠م).



## ٧- القواعد الفقهية

ماذا نعني بقولنا: (القواعد الفقهية)؟

القاعدة في اللغة؛ هي الأساس التي يُبنى عليها غيرها، يعني: هي التي يبنى عليها الفقيه الفروع، فالقاعدة في اللغة هي: الأساس أو الأصل أو هي أساطين أو أعمدة البناء، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾.

أما في الاصطلاح؛ فإن لها تعاريف كثيرة، لكن أجمع هذه التعاريف -فيما نرى-: حكم أغلبي أكثرى لا كلي، وهي منطبقة على أكثر الفرعيات أو أكثر الجزئيات. مثال على ذلك كما قال علماؤنا: اليقين لا يزال بالشك، فهذه قضية أكثرية تنطبق على أكثر الجزئيات وعندنا في الفقه عدة أبواب، فالفقه قسموا أبواب العلم إلى عبادات ومعاملات وحدود، فما من كتاب من كتب الفقه إلا ويبدأ بالعبادات فيبدأ بالطهارة ثم الصلاة ثم الزكاة، إلا في الموطأ فهو يرى غير هذا الترتيب، فقد بدأ بكتاب أوقات الصلوات ثم الطهارة ثم الصلاة ثم الزكاة.

إذن؛ القاعدة الفقهية هي قضية أكثرية أغلبية تنطبق على أكثر الجزئيات، فالقاعدة الفقهية تدخل في العبادات وتدخل في المعاملات في العقود، وتدخل في الحدود فقاعدة: اليقين لا يزال بالشك، تدخل في الطهارة، مثال ذلك: رجل توضعاً لصلاة الظهر، ثم ذهب إلى المسجد فصلّى الظهر ثم خرج، فهذا حكمه في الوضوء أنه على يقين من الطهارة، ثم ذهب إلى أعماله فسمع المؤذن ينادي

لصلاة العصر وذهب مسرعًا إلى المسجد، فبعدما أن صلى تحية المسجد، جلس وقرأ القرآن، أقام المؤذن الصلاة فقام ليصلي، وبما أن عندنا عدوًا لدودًا وهو الشيطان، فلا يريد أن تتم العبادة بحال من الأحوال، فبدأ يوسوس له ويقول: كيف تصلي بغير وضوء، فقد خرجت منك ريح! فقام الرجل يتحدث في نفسه ويقول: أخرجت ريحًا؟! لا ما أخرجت ريحًا! شممت رائحة؟! لا ما شممت رائحة! وهذا يسمى شكًا.

### أهمية العلم بالقواعد الفقهية

أولاً: تشمل فروعًا كثيرة يضبطها كلمة وجيزة، مثلًا تقول: المشقة تجلب التيسير، فهذه القاعدة تدخل معك في كل فروع الفقه، أو تدخل في كل شيء، في سفر وفي مرض وفي طعام وفي عمليات جراحية، فنقول: فروع كثيرة تجتمع فتلتئم وتنزل تحت كلمة وجيزة هي: المشقة تجلب التيسير، أو الضرورات تبيح المحظورات.

ثانيًا: إن من فائدة القواعد الفقهية أن تجعل المفتي أو القاضي أو الفقيه على أرض صلبة في الفتوى، ودائمًا يرجع إلى ضابط وقاعدة فيستنبط الحكم منها مع الدليل الأصولي، فتكون الفتوى منضبطة وصحيحة.

هذه القواعد لها مراتب: قواعد شاملة، وقواعد أضيق، وقواعد أضيق، تدور القواعد على خمس قواعد هي أهم القواعد، ولذلك أقول: لو ضبط طالب العلم هذه الخمس القواعد لأصبح نحريرًا، وهي: الأمور بمقاصدها، الضرر يزال، الضرورات تبيح المحظورات، اليقين لا يزال بالشك، العادة محكمة فهذه القواعد التي اتفق عليها أهل العلم؛ لأنها قواعد شاملة يندرج تحتها فروع كثيرة جدًا، ومن أتقن هذه القواعد وضبطها أصبح فقيهاً ولا بد.

## تاريخ علم القواعد الفقهية

بعد عصر الرسالة نجد في كتاب الخراج للإمام أبي يوسف رحمته الله كثيراً من القواعد، مثل: كل من مات لا وارث له، فماله لبيت المال واقتدى به الإمام محمد بن الحسن الشيباني رحمة الله عليه في الأصل، والإمام الشافعي رحمته الله في «الأم»، ولكن أمر القواعد لا يختلف عن أصول الفقه بكثير؛ حيث وضع هؤلاء الجهابذة بعد تعمقٍ وتدبرٍ غرضِ الشارع أساسَ هذا العلم، ثم جاء المتأخرون فهدبوه ونقّوه، وجعلوه علماً وفناً مستقلاً وقد سبق الحنفية في تدوين هذا الفن الشريف، كما لهم الشرف الأكبر في تدوين الفقه، وللإمام الشافعي رحمته الله في تدوين أصول الفقه رُوي أن الإمام أبا طاهر الدباس رحمته الله قد جمع مذهب الإمام أبي حنيفة رحمته الله في سبع عشرة قاعدة كلية، وأخفاها عن الناس، وكان أبو طاهر رحمة الله عليه ضريراً، يكرر كل ليلة تلك القواعد بمسجده بعد انصراف الناس فلما علم عنها أبو سعيد الهروي، ارتحل إليه، واختفى في المسجد، فلما ظن أبو طاهر الدباس أن الناس خرجوا من المسجد، بدأ يكرر القواعد. فلما انتهى إلى القاعدة الخامسة عرضت للهروي سعدة، فقام الدباس وضربه وأخرجه من المسجد، ف جاء الهروي فألقاه إلى أصحابه، ويمكن أن الإمام الكرخي رحمته الله (م ٣٤٠هـ) الذي هو من أقران الإمام أبي طاهر، اقتبس منه بعض القواعد، الذي هو من أقران الإمام أبي طاهر فزاد الكرخي عليها إحدى وثلاثين قاعدة، فظهر أول تأليف في القواعد الفقهية، هذا ويبدو أن العلماء في ذلك القرن اشتغلوا بجمع وصياغة القواعد الفقهية والدليل على ذلك؛ أننا نجد في نفس العصر عالماً من علماء المالكية، وهو الإمام محمد بن حارث الخشيني المالكي (م ٣٦١هـ)، ألف في هذا الموضوع كتاباً، سماه: أصول الفتيا. ثم كتب الإمام أبو زيد الدبوسي (م ٤٣٠هـ) كتاب: (تأسيس النظر)، وأضاف فيه إضافات قيمة، ثم تتابع

العلماء في الكتابة في هذا الفن، منهم الإمام علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي (م ٥٤٠هـ) إيضاح القواعد. الإمام محمد بن إبراهيم الجاجرمي (م ٦١٣هـ) القواعد في فروع الشافعية.

الإمام عز الدين بن عبدالسلام (م ٦٦٠هـ) قواعد الأحكام في مصالح الأنام. العلامة محمد بن عبدالله البكري (م ٦٨٥هـ) المهذب في ضبط قواعد المذهب.

محمد بن عمر بن مكي بن الوكيل الشافعي (م ٧١٦هـ) الأشباه والنظائر.

محمد بن محمد بن أحمد المقري المالكي. القواعد.

خليل بن كيكلي العلائي (م ٨٦١هـ) المجموع المهذب في قواعد المذهب.

تاج الدين السبكي (م ٧٧١هـ) الأشباه والنظائر.

جمال الدين الإسنوي (م ٧٧٢هـ) الأشباه والنظائر

محمد بن بهادر، بدر الدين الزركشي (م ٧٩٥هـ) القواعد في الفروع.

وهذا الكم الهائل الواصل إلينا من كتب القواعد، يوحي بأنه اكتمل هذا الفن في تلك القرون، ومما لا شك فيه أنه لا بد أن تكون هناك مئات من المؤلفات التي لم تصلنا، ثم العلماء والفقهاء أخذوا يكتبون في هذا الفن كغيره من العلوم والفنون الإسلامية.

## الفرق بين القاعدة والضابط

كثيراً ما نسمع من فقهاءنا يقولون: وضابط المسألة كذا، والقاعدة عند العلماء كذا، فنقول: ليس هناك فرق بين الضابط والقاعدة الفقهية عند المتقدمين، لكن الصحيح أن المتأخرين ابتدؤوا ويفصلون المسألة، حتى تنضبط وتسهل على طلبة العلم، فقالوا: الفارق بين الضابط وبين القاعدة: أن الضابط يختص بباب

واحد، والقاعدة تختص بأبواب شتى، فقول النبي ﷺ: (الماء طهور لا ينجسه شيء إلا ما غلب على ريحه أو طعمه أو لونه) هذا الحديث رواه الخمسة، وهو ضابط في باب واحد، وليس في أبواب كثيرة، أما قولنا: الضرورات تبيح المحظورات، فهذه قاعدة كلية.

فالفارق بين القاعدة والضابط: أن القاعدة الكلية تدخل في المياه وفي الصلاة وفي البيوع وفي النكاح وفي الحدود فقولنا: تدخل في المياه، مثال ذلك: رجل رأى خلخال امرأته في ضوء القمر، فأراد أن يكسب الأجر معها فجامعها، فقام ليغتسل فما استطاع؛ لأن البرد شديد، فنقول له الآن: محظور عليك أن تتيمم مع وجود الماء، لكن الرجل كان فقيهاً وقال: أنا مخير بين التيمم وبين الاغتسال، والتيمم أيسر، والمشقة تجلب التيسير، وديننا دين اليسر، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: (ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه)، بل وهناك دليل آخر وهو: (أن عمرو بن العاص كان في غزوة ذات السلاسل وهو أمير الجيش، وكان البرد عليه شديداً، فأجنب فتيمم وصلّى بالناس، فتبسم ﷺ لما علم بفعله، وأقره على هذه الصلاة)، فهنا دخلت القاعدة: المشقة تجلب التيسير، أو قاعدة: الضرورات تبيح المحظورات، وهذا هو الفرق بين القاعدة والضابط، أي: أن الضابط يكون في باب واحد، وأما القاعدة فتدخل في الطهارة، وفي الصلاة، وفي غير ذلك مثال ذلك: رجل يصلي ثم حدث له حادث ابتلاه الله به؛ ليرفع درجاته فما استطاع أن يقوم، وعندنا القيام في الصلاة واجب من الواجبات، بل عند الحنابلة ركن، والدليل ما جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: (صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً)، وجه الدلالة من الحديث أنه لا يباح لك أن تصلي قاعداً إلا إذا لم تستطع القيام، فنقول له: تدخل هنا قاعدة: الضرورات تبيح المحظورات في باب الصلاة، فهنا الضرورة أباحت لك ذلك أيضاً في مسألة الطعام يحرم على الإنسان أن يأكل الضبع؛ لأن له ناباً، لكن هذه المسألة خلافية، فعند الشافعية يجوز أكل الضبع، لأن الشافعي يقول: ما زلت على المروة والصفاء أجدهم يأكلونه في مكة، والحديث: (أن النبي ﷺ جعل فيه شاة)، أي: جعله من الصيد، وهذه دلالة على أنه يحل أكله أيضاً: يحرم أكل لحم

الخنزير، لكن يجوز للمضطر أن يأكله؛ لأن الله قال: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمْ إِلَى الْهَلَكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، فالخنزير وإن كان محرماً يجوز أكله عند الضرورة، والقاعدة الفقهية تقول: الضرورات تبيح المحظورات، لكن الضرورات تقدر بقدرها، فإذا كان يرى في نفسه الخفة، وأنه قد يصل إلى مكان يأكل فيه الطعام الحلال، فإنه يأكل أكلاً قليلاً حتى لا يموت ثم يذهب إلى مكان الحياة إذاً الفارق بين القاعدة والضابط: أن الضابط يكون في باب واحد، والقاعدة تكون في أبواب شتى، وبينهما عموم وخصوص، فالقاعدة أعم من الضابط.

### الفرق بين القواعد الأصولية والقواعد الفقهية

علم الفقه وعلم أصول الفقه علمان مرتبطان بارتباط وثيق بحيث يكاد في المرء يجزم بالوحدة بينهما، وكيف لا يكون ذلك وأحدهما أصل والآخر فرع لذلك الأصل، كأصل الشجرة وفرعها، فالأصولي ينبغي أن يكون فقيهاً، والفقيه ينبغي أن يكون أصولياً وإلا كيف يمكنه استنباط الحكم من الدليل؟ وكيف يكون مجتهداً من لم يتبحر في علم الأصول؟ ومع ذلك يمكن أن يقال: إنهما علمان متميزان فأحدهما مستقل عن الآخر من حيث موضوعه واستمداده وثمرته والغاية من دراسته وبالتالي فإن قواعد كل علم منهما تتميز عن قواعد الآخر تبعاً لتمييز موضوعي العلمين: فموضوع علم أصول الفقه هو أدلة الفقه الإجمالية والأحكام وما يعرض لكل منها، وأما موضوع علم الفقه فهو أفعال المكلفين وما يستحقه كل فعل من حكم شرعي عملي.

وبالتالي؛ فإن قواعد علم أصول الفقه تفترق وتتميز عن قواعد علم الفقه وإن من أول من فرّق بين قواعد هذين العلمين وميّز بينهما الإمام شهاب الدين القرافي.

أما الفروق فهي كما يلي :

أولاً: القواعد الأصولية منضبطة محدودة، وجزئياتها غير كثيرة، والقواعد الفقهية غير محدودة، بل هي كثيرة، وهذه والحمد لله تبين لنا ميزة هذا الفقه وأنه يسع كل النوازل.

ثانياً: القواعد الأصولية تنطبق على جميع الجزئيات، مثل الضابط، أما القواعد الفقهية فالراجع: أنها أكثرية وأغلبية ولا تتفق على جميع الجزئيات.

ثالثاً: وهذا الأوضح: القاعدة الأصولية تهتم بدلالات اللفظ، والقاعدة الفقهية: تهتم بفعل المكلف. مثال ذلك: القاعدة الأصولية تقول: الأصل في النهي التحريم ما لم تأت قرينة تصرفه إلى الكراهة، ويقولون: الأصل في الأمر الوجوب ما لم تأت قرينة تصرفه إلى الاستحباب، ويقول رسول الله ﷺ: (لا تشرب قائماً)، أو قال النبي ﷺ: (أتريد أن يشرب معك الهر؟ يشرب معك من هو أشر منه)، فهذا أسلوب نهى، والحديث الذي في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما وأرضاه قال: (ونهيها أن نكفت الثياب في الصلاة)، فهذا نهى، والأصل في النهي عند الأصوليين التحريم، ونحن الآن لسنا بصدد المسألة الفقهية وإنما نريد أن نبين على أن الأصوليين ينظرون دلالات اللفظ والأصل في الأمر الوجوب، قد قال النبي ﷺ: (كُلْ بيمينك) فهذا أمر، الأمر ظاهره الوجوب ما لم تأت قرينة تصرفه إلى الاستحباب، وهذه مهمة الأصوليين أما مهمة الفقهاء: فإنهم ينظرون إلى فعل المكلف أي: كيف يفعل في هذه الأوامر والنواهي، هل عنده ضرورات تدخل وتزيج عنه التحريم، أو تصرف النهي من التحريم إلى الكراهة، أو تصرف الأمر من الوجوب إلى الاستحباب؟ فهذا محل عمل القواعد الفقهية.

## أنواع القواعد الفقهية

القواعد الفقهية ليست نوعاً واحداً ولا كلها في مرتبة واحدة، وإنما هي أنواع ومراتب، ويرجع هذا التنوع إلى سببين رئيسيين:  
الأول: من حيث شمول القاعدة وسعة استيعابها للفروع والمسائل الفقهية.

الثاني: من حيث الاتفاق على مضمون القاعدة أو الاختلاف فيه.  
فمن حيث الشمول والسعة؛ تنقسم القواعد الفقهية إلى ثلاث مراتب:  
المرتبة الأولى:

القواعد الكلية الكبرى ذوات الشمول العام والسعة العظيمة للفروع والمسائل حيث يندرج تحت كلٍّ منها جُلُّ أبواب الفقه ومسائله وأفعال المكلفين إن لم يكن كلها.

### المرتبة الثانية:

قواعد أضيق مجالاً من سابقتها - وإن كانت ذوات شمول وسعة - حيث يندرج تحت كل منها أعداد لا تحصى من مسائل الفقه في الأبواب المختلفة.

### المرتبة الثالثة:

القواعد ذوات المجال الضيق التي لا عموم فيها حيث تختص بباب أو جزء باب. وهذه التي تسمى بالضوابط جمع ضابط أو ضابطة.

أما من حيث الاتفاق على مضمون القاعدة والاختلاف فيها؛ فهي تنقسم إلى مرتبتين: المرتبة الأولى:

القواعد المتفق على مضمونها عند جميع الفقهاء ومختلف المذاهب.



## المرتبة الثانية :

القواعد المذهبية التي تختص بمذهب دون مذهب، أو يعمل بمضمونها بعض الفقهاء دون الآخرين، مع شمولها وسعة استيعابها لكثير من مسائل الفقه من أبواب مختلفة. وهذه تعتبر من أسباب اختلاف الفقهاء في إصدار الأحكام تبعاً لاختلاف النظرة في مجال تعليل الأحكام.

## مصادر القواعد الفقهية

أعني بمصادر القواعد الفقهية منشأ كل قاعدة منها وأساس ورودها. تنقسم مصادر القواعد الفقهية إلى أقسامٍ ثلاثةٍ رئيسية:

**القسم الأول:** قواعد فقهية مصدرها النصوص الشرعية من كتاب وسنة: فما كان مصدره نصاً من الكتاب الكريم هو أعلى أنواع القواعد وأولها بالاعتبار؛ حيث إن الكتاب الكريم هو أصل الشريعة وكرامتها وكل ما عداه من الأدلة راجع إليه.

**القسم الثاني:** ما كان من غير النصوص، وهو أنواع:

**النوع الأول:** قواعد فقهية مصدرها الإجماع المستند إلى الكتاب والسنة.

**النوع الثاني، وهو فرعان:**

**الفرع الأول:** قواعد فقهية أوردتها الفقهاء والمجتهدون مستنبطين لها من أحكام الشرع العامة ومستدلين لها بنصوص تشملها من الكتاب والسنة والإجماع ومعقول النصوص.

**الفرع الثاني:** قواعد فقهية أوردتها الفقهاء المجتهدون في مقام الاستدلال القياسي الفقهي حيث تعتبر تعليقات الأحكام الفقهية الاجتهادية ومسالك

الاستدلال القياسي عليها، أعظم مصدر لتقعيد هذه القواعد وإحكام صيغها بعد استقرار المذاهب الفقهية الكبرى وانصراف أتباعها إلى تحريرها وترتيب أصولها وأدلتها.

[وهذه القواعد التي استنبطها الفقهاء المتأخرون من خلال أحكام المسائل التي أوردها أئمة المذاهب في كتبهم أو نقلت عنهم لا تخرج عن نطاق أدلة الأحكام الشرعية الأصلية أو التبعية الفرعية، فالناظر لهذه القواعد والباحث عن أدلة ثبوتها وأساس التعليل بها يراها تدرج كل منها تحت دليل شرعي إما من الأدلة المتفق عليها كالكتاب والسنة والإجماع، وإما من الأدلة الأخرى كالقياس والاستصحاب والمصلحة -أو الاستصلاح- والعرف، والاستقراء، وغير ذلك مما يستدل به على الأحكام؟ لأنه لا يعقل ويستبعد جدًا أن يبني فقيه مجتهد حكمًا لمسألة فقهية، أو يعلل لمسائل فقهية معتمدًا على مجرد الرأي غير المدعوم بأدلة الشرع أو معتمدًا على الهوى والتشهي، فهم رحمة الله عليهم كانوا أجلّ وأورع وأتقى وأخشى لله من أن يفتي أحدهم أو يحكم في مسألة أو يقضي بحكم غير مستند إلى دليل شرعي مقرر].

## ٨- علم مقارنة الأديان: أصله، ونشأته، وتطوره

الدكتور: ربيع شكير

يتكوّن البحث من:

مقدمة.

المبحث الأول: علم مقارنة الأديان: الأهمية والفوائد.

المبحث الثاني: علم مقارنة الأديان: علم إسلامي أصيل.

المبحث الثالث: علم مقارنة الأديان: النشأة والتطور.

خاتمة.



## مُقَدِّمَةٌ

باسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد، فإن الله ﷻ في كتابه العزيز دعا المسلمين إلى الحوار مع الآخر مهما كان هذا الآخر، ووجهه من خلال آيات كثيرة إلى كيفية هذا الحوار، حتى لو كان مع المخالفين والمعاندين، وقد أعطانا رب العزة نموذجاً مهماً لهذه القاعدة، وهو حوار - وهو رب العالمين ﷻ - مع إبليس - العاصي والمعاند والكافر -، بل إن الله ﷻ استجاب لدعائه وأنظره إلى يوم يبعثون .

وعندما نستعرض سير الأنبياء والمرسلين، نجد أن هذا المبدأ هو أساس مهم في أسلوب دعوتهم، فقد لبث نوح ﷺ ألف سنة إلا خمسين، وهو يحاور قومه ويجادلهم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا نُوْحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَانَا فَاتِّبْنَا بِمَا نَعِدُّنَا إِنَّ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ﴾ [هُود: ٣٢]، وإبراهيم ﷺ حاور النمرود حواراً يقوم على الحجة والبرهان، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرٰهِيْمَ فِي رَبِّهٖۤ أَنْ ءَاتَهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرٰهِيْمُ رَبِّيُّ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرٰهِيْمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰلِمِيْنَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

ورسولنا وقدوتنا محمد ﷺ كان مثلاً حياً في التعامل الإنساني والحوار مع غير المسلمين، فقد كان عليه الصلاة والسلام يقيم منهنجاً يعلم من خلاله أمته أن

الآخر موجود، ولا بد من التعامل معه، وأولى مبادئ التعامل هو الحوار والجدال المنطقي مع أصحاب الديانات الأخرى السابقة على الإسلام، خاصة اليهود والنصارى. فالرسول ﷺ حاور المشركين في مكة، وجاءت آيات قرآنية ترد على شبه المشركين في الله واليوم الآخر، وبعد هجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة، كان من الواضح أن تعامل النبي عليه الصلاة والسلام مع اليهود داخل الدولة الإسلامية، دليل على اعتراف الإسلام بوجود الديانات الأخرى في مجتمعه والمجتمعات الأخرى.

ومع ذلك فإن هذا لم يمنع من نزول الآيات القرآنية التي تبين وتوضح حقيقة الدين الصحيح في رسالتي موسى وعيسى ﷺ، وكانت هناك وقفات قرآنية مع عقائد هؤلاء تدعوهم إلى الكلمة الموصلة إلى المراجعة والتفكير، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٤].

واستمر المسلمون يسرون على هذا النهج، وقامت حضارة الإسلام تعترف بالآخر من غير المسلمين ولا تنكر وجودهم، ولهذا عاش غير المسلمين في أمان واطمئنان داخل المجتمعات الإسلامية، وظهرت الحوارات والمناظرات والردود في كتب وموسوعات كتبها علماء مسلمون عن أهل الديانات الأخرى وعقائدها وشرائعها، بكل موضوعية وأمانة، ومن دون اجترأ أو ظلم، وهذا الكم الكبير من كتب الملل والنحل، لم يكن ليتم لولا أن هؤلاء العلماء قد عرفوا هذه الديانات عن كتب، فدرسوها وحللوها، مما جعلهم روادًا في دراسة الأديان، وهكذا ظهر: النوبختي، وابن حزم، والشهرستاني، والبيروني وغيرهم.

واليوم، وقد أصبح هذا العلم من أهم العلوم وأشهرها فلا توجد جامعة في الغرب والشرق إلا ويوجد فيها قسم يعنى بعلم مقارنة الأديان، ويعود هذا إلى انفتاح العالم بعضه على بعض، فوسائل الاتصال فتحت الباب واسعًا أمام الإنسان كي يتفاعل مع غيره من أبناء أمته أو أبناء الأمم الأخرى، لذا أصبح من

الواجب على طلبة الجامعات، خاصة أولئك الذين يدرسون العلوم الشرعية أن يفتحوا على هذا العلم الهام، الذي من خلاله يمكن أن يتواصلوا مع أبناء الأمم والديانات الأخرى.

## المبحث الأول علم مقارنة الأديان: الأهمية والفوائد

قبل تفصيل الحديث عن علم مقارنة الأديان؛ من حيث نشأته وتطوره ومراحله التي مر بها عبر مختلف الأزمان والعصور، لا بد أن أقدم بين يدي هذا كله بكلمة مختصرة أبين فيها بعض فوائد دراسة هذا العلم الإسلامي الجليل.

فأقول وبالله التوفيق: إن اشتغال واهتمام علماء ومفكري الإسلام بعلم مقارنة الأديان يدل دلالة واضحة على أهمية هذا العلم ومنزلته الجليلة العظيمة بين باقي العلوم الإسلامية الأخرى.

فبهذا العلم استطاع أسلافنا الدفاع عن الإسلام ضد ما واجهه من تحديات واعتراضات، وبه نستطيع نحن أن ندافع اليوم عنه أمام التحديات التي تواجهه وتواجهنا، وبه نستطيع توسيع دائرة الحوار والنقاش مع الديانات الأخرى.

وبعلم مقارنة الأديان يزداد إدراك المسلم لمكانة وقيمة القرآن الكريم بين باقي الكتب الأخرى التي نالها التحريف والتبديل والتغيير، وكذلك الأمر عند الاطلاع على الشريعة والعقيدة وهكذا . . .

وبدراسة هذا العلم يتمكن الباحث من التعرف على تاريخ كل دين من الأديان، وإلى أي مدى تأثر أو انحرف عن أصله خلال رحلته التاريخية الطويلة، وهذا سيجعل الباحث يتعرف على مجموعة من الحقائق المهمة؛ منها مثلاً: أن المسيحية الحالية ليست هي مسيحية عيسى عليه السلام على الإطلاق، وأن اليهود جعلوا



تاريخهم بعض دينهم، وأن المحاولات التي جرت للانحراف بالإسلام قد فشلت تمامًا مهما اختلفت أغراضها وأهدافها، وحافظ ديننا الحنيف عبر مختلف العصور على صحته ونقائه؛ وذلك بفضل القرآن الكريم، وأحاديث الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم الصحيحة.

وبدراسة هذا العلم تتضح للمسلم حقيقة دينه، ويكتشف بُعد كثير من المسلمين عن دينهم الصحيح؛ ويبين أسباب هذا البعد، وقد يقترح الحلول المناسبة لكثير من العقبات التي تحول دون عودة المسلمين للإسلام الصحيح.

كما أن هذا العلم يكشف لغير المسلم حقيقة دينه، ويبين له تفوق الإسلام على باقي الأديان، وخصوصًا اليهودية والمسيحية، واستثاره من دونها بعناصر الصلاحية والخلود.

ومن أبرز فوائد هذا العلم كذلك أنه سلاح لنا في الحاضر كما كان سلاحًا في الماضي؛ للدفاع عن الإسلام في مواجهة ما يتعرض له من مطاعن وادعاءات باطلة.

وأحسب أن ما أشرت إليه من فوائد هذا العلم، يكفي للتدليل على أهميته ومكانته، وأن حاجتنا إليه لا تقل عن حاجتنا إلى غيره من العلوم الإسلامية الأخرى، والله أعلم.

## المبحث الثاني علم مقارنة الأديان: علم إسلامي أصيل

يظن كثير من الناس أن علم مقارنة الأديان من ابتكار المستشرقين، قد اتخذوه وسيلة ومنهجًا لمحاربة الإسلام وتخريبه.

والحقيقة غير ذلك؛ إذ إن هذا العلم ليس من أعمال المستشرقين ولكنه من ابتكار المسلمين، فهذا العلم من أعمال المسلمين وإبداعهم، وهو بذلك من العلوم الإسلامية الأصيلة، وتدليلاً على ذلك أقدم الحقائق الآتية:

١. إن علم مقارنة الأديان لم يظهر قبل الإسلام لعدم اعتراف دين بدين آخر؛ لأن الأديان قبل الإسلام لم يعترف أي منها بالأديان الأخرى، وكان كل دين يعد ما سواه من الأديان والأفكار هرطقة وضلال، وحسبك أن تتذكر موقف اليهود من المسيحية ومن المسيح، وبالتالي موقف المسيحية من اليهودية واليهود، فاليهودية لم تعترف بالمسيحية ولا بالمسيح واعتُبر المسيح ثائرًا استحق عندهم الحكم بالإعدام؛ والمسيحية اعتبرت نفسها وريثة اليهودية ولم ترَ مع وجودها وجودًا لليهودية، ومثل ذلك موقف الهندوسية من البوذية واليهودية من الهندوسية، ومثله موقف المسيحية من الإسلام بالأندلس<sup>(١)</sup>.

٢. إن الإسلام تميز بموقفه من الأديان الأخرى بخاصيتين اثنتين:

**الخاصية الأولى:** من الناحية النظرية.

---

(١) اليهودية، الدكتور أحمد شلبي، الطبعة الثامنة ١٩٨٨، مكتبة النهضة المصرية، ص: ٢٤.

## الخاصية الثانية: من الناحية الواقعية.

فمن الناحية النظرية يعلن الإسلام أنه الحلقة الأخيرة من سلسلة الأديان، وأنه اشتمل على أهم ما في الأديان وأضاف إلى ذلك ما تحتاج إليه البشرية في مسيرتها إلى يوم الدين، قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَهِهُ اللَّهُ يَجْتَبِئُ إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

فدين الإسلام هو الدين الوحيد الذي لا دين سواه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [ال عمران: ١٩]، قال ابن كثير رحمته الله عند تفسيره لهذه الآية: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ إخبار منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، حتى ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم، الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد صلى الله عليه وسلم فمن لقي الله بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بدين على غير شريعته فليس بمتقبل، . . . (١)، وقال سبحانه في السورة نفسها وفي السياق نفسه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [ال عمران: ٨٥].

ويجمع المفكرون المسلمون على أن كل رسول يجيء برسالة تناسب زمانه وتحقق أغراضها في ذلك الزمان، وكلما تغيرت الحاجة جاء طور من الديانة جديد يتفق مع الأديان السابقة في أصل الوحدانية الكبير ويختلف في فروعه تبعاً لحاجات الناس، وهذا هو موقف الإسلام بالنسبة للأديان السابقة، وبالنسبة لحاضر البشرية ومستقبلها.

ويتجه المفكرون المسلمون في تفسيرهم قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (٢) من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ١١٢ إنَّ

(١) تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، طبعة: ٢٠٠٤م، دار الفكر بيروت لبنان، ١/٣٢٣.

الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٠﴾ [الْعَنْكَبُوتُ: ١-٤] إِلَى أَنْ  
الكفر بأي دين من الأديان التي نزلت بها الكتب المشار إليها ضلال يستحق  
مرتكبه العذاب الشديد.

وأما من الناحية الواقعية فالإسلام يعترف بالوجود الفعلي لجماعات غير  
مسلمة، ويتحدث عن أهل الكتاب وأهل الذمة، وينظم حقوقهم وواجباتهم، وفي  
ضوء هذا وجد علم مقارنة الأديان<sup>(١)</sup>، ومن المعروف شرعاً أن أصحاب الأديان  
المخالفة للإسلام صنفان:

**الصنف الأول:** هم أصحاب الديانات الوثنية أو الوضعية، مثل: المشركين  
عباد الأوثان، والمجوس عباد النار، والصابئين عباد الكواكب.

**الصنف الثاني:** هم أصحاب الديانات السماوية أو الكتابية، وهم الذين لهم  
دين سماوي في الأصل، ولهم كتاب منزل من عند الله كاليهود والنصارى، وهم  
الذين يسميهم القرآن الكريم أهل الكتاب تلطفاً بهم، وإيناساً لهم<sup>(٢)</sup>.

٣. إن القرآن الكريم نفسه يحمل اتجاهًا مقارنًا في مجموعة من الآيات  
الكريمة، مثال ذلك قول الله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ  
الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا  
وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقال  
تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ  
دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ  
تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وقال تعالى: ﴿أَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنفال: ١٧]، وقال  
تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾

(١) وللاستفادة أكثر يراجع كتاب: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، للدكتور يوسف القرضاوي  
حفظه الله.

(٢) الأقليات الدينية والحل الإسلامي، يوسف القرضاوي، الطبعة الأولى: ١٩٩٦م-١٤١٧هـ، مكتبة  
وهبة، ص: ٢٧.

[الْأَنْبِيَاءُ: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [الْعَنكبُوت: ٥٩].

فالأتجاه المقارن في هذه الآيات الكريمة واضح كل الوضوح؛ فعلى سبيل المثال في الآية ١٧ من سورة العنكبوت؛ مقارنة واضحة بين الإله الحق وبين الآلهة الباطلة، فقد بيّنت الآية أن الإله الحق هو المستحق -بلا منازع- للعبودية، وأما غيره فلا، وهو الرازق الوحيد، وأما الآلهة الباطلة فإنها لا تملك للإنسان شيئاً؛ لا ضراً ولا نفعاً.

٤. إن الرسول ﷺ اهتم بمقارنة الأديان كما تفيد ذلك كتب الأحاديث وكتب السيرة، وقد أورد ابن هشام محاوراً رائعة بين الرسول ﷺ وبين عدي بن حاتم الطائي، الذي كان قد اعتنق المسيحية وهي تعد دراسة جيدة في علم مقارنة الأديان، وقد انتهت بأن أعلن عدي دخول الإسلام وتبعه قومه<sup>(١)</sup>.

وجرت مناقشات ومحاورات بين الرسول ﷺ وبين المشركين، واليهود حول الكتب المقدسة، وكان محصور بن سبحان هو المتحدث عن اليهود فقال للرسول ﷺ: ما دليلك على أن القرآن من عند الله؟ فنزل قول الله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النِّسَاءُ: ٨٢]، وجرت مناقشات أخرى بين الرسول ﷺ وبين وفد نجران من النصارى، وعلى إثر هذه الحوارات والمناقشات الدينية الهادئة دخل الإسلام من اليهود بعض قاداتهم مثل عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعيد، وأسد بن عبيد، كما دخل الإسلام كثير من نصارى نجران، ومن القضايا التي جرت عليها المجادلات والمحاورات والمناقشات بين الرسول ﷺ وبين أصحاب الأديان: قضية الألوهية، وقضية النبوة، وقضية الكتاب أو الكتب المقدسة، وغيرها من القضايا.

وبهذه الحقائق التي ذكرت أكون قد بينت أن علم مقارنة الأديان علم أبعده وابتكره المسلمون، بالاعتماد على المصدرين الأساسيين لهذا الدين الحنيف، وهما: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي، أحمد شلبي، ١/٣٢٦.

وقد مر هذا العلم الإسلامي الأصيل - شأنه في ذلك شأن سائر العلوم -  
بمراحل وأدوار حتى أصبح علمًا مستقلًا له رواده، ومصادره، وأهدافه،  
ومناهجه، وسأتحدث فيما يأتي بإذن الله تعالى عن نشأة هذا العلم وتطوره.

## المبحث الثالث

### علم مقارنة الأديان: النشأة والتطور

إذا بحثنا عن الأسباب التي أدت إلى نشأة وتكون علم مقارنة الأديان؛ فإننا نجدها كثيرة ومتعددة، فمن بينها الحرية الدينية والفكرية التي جاء بها الإسلام، وتسامح الإسلام والمسلمين مع أهل الكتاب<sup>(١)</sup>؛ وذلك تقريراً لمبدأ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، مما دفع المسلمين إلى التعرف على الأديان الأخرى ومناقشتها ودراستها، يقول الدكتور أحمد شلبي: «إن تسامح المسلمين في حياتهم مع اليهود والنصارى، ذلك التسامح الذي لم يسمع بمثله في العصور الوسطى، كان سبباً في أن يلحق بمباحث علم الكلام شيء لم يكن قط من مظاهر العصور الوسطى وهو علم مقارنة الأديان ونشأة هذا العلم لم تكن من جانب المتكلمين، ومعنى ذلك أن هذا العلم لم يكن وسيلة عند المسلمين للحط من الأديان الأخرى، وإنما هو دراسة وصفية، لا تعصب فيها، تؤدي إلى نتائجها الطبيعية، وبواسطة هذا العلم دخل الآلاف والملايين في دين الإسلام»<sup>(٢)</sup>.

ومن بين الأسباب التي أدت كذلك إلى نشأة علم مقارنة الأديان؛ الدفاع عن الدين الإسلامي بوصفه الدين الحق، الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه كما

(١) للتوسع في هذا راجع: الأقليات الدينية: يوسف القرضاوي، ص: ٣٣ وما بعدها.

(٢) اليهودية، أحمد شلبي، ص: ٢٨.

سبق وأشرت في المبحث السابق، والذي يظهر لي أن هذا السبب كان له الدور الرئيسي في نشأة علم مقارنة الأديان، فقد كان المقصد الحقيقي من مناقشات ومحاورات ومجادلات المسلمين لأهل الديانات والمقالات؛ هو التدليل على أن دين الإسلام هو الدين الصحيح؛ الذي يجب على كل من بلغه أن يؤمن به ويتبع هديه، وهذا لم يأت به المسلمون من عند أنفسهم، بل هو اتباع للمنهج الذي وضعه القرآن الكريم والرسول الأمين ﷺ، والأدلة على هذا كثيرة ومتعددة، سبقت الإشارة إلى بعضها في المبحث السابق.

ويضاف إلى ما ذكرت أن طبيعة الدعوة الإسلامية كانت في حاجة لهذا العلم من أجل التعرف على تلكم الأديان التي سبقت الإسلام، إما بغرض تبين صحتها من باطلها، وإما بغرض الرد على أهلها، وإما لأغراض أخرى...

وإذا نظرنا إلى الأدوار والمراحل التي مر بها علم مقارنة الأديان حتى يومنا هذا، فإننا نجد أن هذا العلم قد مر بمراحل عديدة شأنه في ذلك شأن العلوم الإسلامية الأخرى، أو قل شأن سائر العلوم، ويمكن إرجاع أهم المراحل التي مر بها إلى ست مراحل:

### المرحلة الأولى: مرحلة النشأة

وتبدأ هذه المرحلة بنزول الآيات القرآنية التي تحمل في طياتها اتجاهًا مقارنًا، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَوَحْدٌ لَهُ الْمُسْلِمُونَ﴾ [الْحُكُّمَاتُ: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الْحَاقَّةُ: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٥٩]، والآيات التي تحمل طابع المقارنة كثيرة في القرآن الكريم، وهذه على سبيل المثال لا الحصر.

وكان الرسول ﷺ بجانب هذه الآيات يحاور اليهود والنصارى، ويناقشهم في قضايا مختلفة، نحو: الألوهية والنبوة والتوراة والإنجيل، وغيرها من القضايا



الهامة في الأديان التي تتعلق بمصير الإنسان، وعلى هذا النهج كان الصحابة رضوان الله عليهم وتبعهم التابعون وهكذا . . .

### المرحلة الثانية: مرحلة التدوين

فلما جاء عصر التدوين في منتصف القرن الهجري الثاني، وبدأ المسلمون يكتبون الفقه والتفسير والحديث اتجهوا كذلك للكتابة في علم مقارنة الأديان.

### المرحلة الثالثة: مرحلة التطور والازدهار

استمر التأليف في علم مقارنة الأديان، وظهرت مجموعة من المؤلفات مثل: الآراء والديانات للنوبختي، وظهرت دراسات حول المسيحية واليهودية، وظهرت ترجمات للتوراة والإنجيل؛ مما جعل هذا العلم يشهد تطوراً ملحوظاً دام عدة قرون، وكثرت فيه الأبحاث والدراسات والمؤلفات؛ خاصة في القرن الثالث الهجري والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن، إلى حدود القرن التاسع الذي ظهر فيه كتاب: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، للشيخ عبد الله الترجمان سنة ٨٢٣هـ.

### المرحلة الرابعة: مرحلة التدهور والانحطاط

وبعد قرون من الحركة والازدهار أصاب علم مقارنة الأديان الضعف، وأدى به ذلك إلى الاختفاء مدة طويلة خاصة في القرون الوسطى، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب، منها:

١. ازدحام قصور الملوك والخلفاء في عصور الضعف بزوجات من أهل الكتاب، وبعده من الأطباء والوزراء من غير المسلمين، وبسبب نفوذ هؤلاء ضعف صوت مقارنة الأديان الذي كان يطعن في عقائدهم المنحرفة، وقد استطاع أصحاب النفوذ أن يُسكتوا أصوات المتحدثين في مقارنة الأديان حتى اختفت هذه المادة من الدراسة ومن المناهج.

٢. زحف الصليبيون على الشرق الإسلامي بقصد تدمير الإسلام والمسلمين، وقابل المسلمون القوة بالقوة، وكان من الواضح أن الصليبيين

لا يعرفون التسامح الديني ولا الجدل بالحسنى، فخفضت صوت هذه المجادلة تحت صليل السيوف.

٣. في عصور الضعف التي ألمت بالمسلمين اتجه أكثر فقهاء المذاهب إلى التعصب لمذاهبهم الفقهية، وقل أو انعدم اطلاعهم على المذاهب الأخرى، ومن باب أولى قل أو انعدم اطلاعهم على الأديان الأخرى وقضاياها.

٤. ومما دفع المسلمين إلى إهمال علم مقارنة الأديان -بالإضافة إلى ما سبق- أن بعض المسلمين تبنا الاتجاه الذي كان سائدًا لدى أتباع الأديان السابقة للإسلام، فقد كان هؤلاء لا يعترفون بغير دينهم، وبالتالي لا يعترفون بإمكان المقارنة بين الأديان، فلما اقتبس بعض المسلمين هذا الاتجاه دانوا به ووجد منهم من يهاجم مقارنة الأديان باعتبار أن الإسلام لا يقارن بسواه، وقد نسي الذين ينتهجون هذا الاتجاه ما سبق أن أوردناه من أن القرآن الكريم هو الذي وضع جذور هذا العلم، ووجدت به بعض آيات تحمل اتجاه المقارنة.

### المرحلة الخامسة: مرحلة انتقال علم مقارنة الأديان إلى الغرب

إذا كان المسلمون في عصور الظلام قد أهملوا علم مقارنة الأديان لسبب أو لآخر -كما سبقت الإشارة-، فإن موقف المسيحيين من هذا العلم كان مختلفًا، لأن اللقاءات السليمة بين المسلمين والمسيحيين في الشام والأندلس وصقلية عرفت المسيحيين بمقارنة الأديان، وأثبتت لهم قيمة هذا العلم فراحوا يتعلمون أسسه ويحاولون الانتفاع به.

ثم جاء عصر الاستعمار، وقرر الخبراء من المبشرين أن الإنسان به نزعة دينية في أعماقه مهما كان ماديًا أو تظاهر باللا دينية، كما قرروا أن رباط الدين لا يقل عن رباط الدم والجنس، ثم إن معرفة الداعي بدين المدعو واعتقاده، يساعد كثيرًا في التأثير عليه، وبناء على هذه الأسس زاد علم مقارنة الأديان بالغرب نشاطًا ليكون من وسائل التبشير ونشر المسيحية.

## المرحلة السادسة: مرحلة العودة إلى الساحة الإسلامية

إن عودة علم مقارنة الأديان إلى الساحة الإسلامية يتقدمها اهتمام الغربيين بهذا العلم، ويبدو لي من خلال الكتابات التي ظهرت منهم في هذا الباب؛ أن اهتمامهم بهذا العلم يرجع إلى ما قبل القرن التاسع عشر الميلادي، ولكن سبق هذا مرحلة اطلعوا فيها على مؤلفات المسلمين من زمن بعيد، عن طريق البعثات التي كانوا يبعثوا إلى الشرق الإسلامي للبحث عن المخطوطات الإسلامية ونقلها إلى بلادهم، ومؤلفاتهم اليوم خير شاهد على ما ذكرت.

بيد أن المسلمين في العصر الحديث أفاقوا من غفوتهم، وراحوا يحاولون أن يستعيدوا الزمام، وأن يُحيوا من جديد علم مقارنة الأديان ليكون في أيديهم سلاحًا في الحاضر كما كان سلاحًا في الماضي، وبدأ المسلمون يحاولون تطبيق قوانين ومبادئ هذا العلم في الدعوة إلى الإسلام، وعُد العلم بواقع الأديان من متطلبات ثقافة الداعية الناجح<sup>(١)</sup>، والأمثلة على هذا كثيرة ومتعددة من أبرزها الداعية الإسلامي الشهير الشيخ محمد ديدات<sup>(٢)</sup> رَحِمَهُ اللهُ.

---

(١) انظر كتاب: ثقافة الداعية، يوسف القرضاوي، الطبعة العاشرة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، مكتبة وهبة، ص: ١٢١.

(٢) انظر كتاب: حوار ساخن مع داعية العصر، لمحمد عبد القادر الفقي، وكتاب: الشيخ ديدات ومنهجه في الحوار والدعوة...، لحمزة مصطفى ميغا، الطبعة الأولى، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، فقد تضمن هذا الكتاب معلومات قيمة عن الشيخ أحمد رَحِمَهُ اللهُ.



## خاتمة

وهكذا عاد علم مقارنة الأديان للظهور في معاهد العلم الإسلامي، ولكنه في الحق لم يأخذ بعدُ مكانه اللائق، ونرجو أن يتجه إليه مزيد من الاهتمام ليؤدي هذا العلم دوره في التعريف بالإسلام ورد العدوان عنه، وليكشف عن أنواع الزيف التي ألصقها المغرضون بكثير من الأديان، ويوم ينشط هذا العلم ستخبو ترهات الباطل، وتتضح معالم الحق، وليس هذا اليوم ببعيد، . . . وفي كلمة مجملّة نتمنى أن يعود علم مقارنة الأديان إلى المعاهد الإسلامية، ويأخذ قدره بين العلوم الإسلامية، ليقدم الإسلام في الحاضر كما خدمه في الماضي.

والله ولي التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



## المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. اليهودية: الدكتور أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثامنة ١٩٨٨م.
٣. تفسير القرآن العظيم: الحافظ ابن كثير، دار الفكر بيروت لبنان، طبعة: ٢٠٠٤م.
٤. ثقافة الداعية: يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، الطبعة العاشرة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٥. الشيخ ديدات ومنهجه في الحوار والدعوة: حمزة مصطفى ميغا، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى.
٦. موسوعة التاريخ الإسلامي: أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة العاشرة ١٩٩٥م.
٧. الأقليات الدينية والحل الإسلامي: يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى: ١٩٩٦م-١٤١٧هـ.
٨. تاريخ الأديان وفلسفتها: طه الهاشمي، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت.
٩. دراسات في الأديان: عماد الدين الشنطي، مكتبة ومطبعة دار المنارة، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.





## ٩- المِلَل والنَّحَل والْفِرَق

\* علم المِلَل والنَّحَل والْفِرَق :

\* تعريفه:

هو العلم الذي يدرس (يصف ويحلل) آراء وأقوال الناس في الوجود والأخلاق، من حيث نشأة هذه الآراء وتطورها وأنباء قائلها وحججهم، سواء صدروا في أقوالهم عن وحي ظاهر أم لا .  
وكاصطلاح خاص فسنجعل معاني المصطلحات المذكورة في العنوان كما يلي :

- المِلَل : الأديان التوحيدية والرسالات السماوية .
- النَّحَل : الفلسفات الوضعية .
- الفِرَق : الخلافات داخل الدين الواحد فيما يتعلق بأصول هذا الدين .
- المذاهب : الاختلافات داخل الدين الواحد فيما لا يمس أصول هذا الدين، ولا يتم الاشتغال بها في علم الملل والنحل غالباً .

\* أهميته:

ترجع أهميته إلى باين :

الأول: تمييز الحق من الباطل؛ فإنَّ من كان بالباطل أعرف كان للحق أهدي، يقول سبحانه: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾، وقد كان حذيفة بن

اليمان رضي الله عنه يقول: «كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني»<sup>(١)</sup>.

يقول ابن القيم: «العالمون بالله وكتابه ودينه، عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية، وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية، فاستبان لهم السبيلان، فهؤلاء أعلم الخلق وأنفعهم للناس، وأنصحهم لهم، وهم الأدلاء الهداة، وبذلك برز الصحابة على جميع من أتى بعدهم إلى يوم القيامة؛ فإنهم نشؤوا في سبيل الضلال والكفر والشرك والسبيل الموصلة إلى الهلاك وعرفوها مفصلة، ثم جاء الرسول صلى الله عليه وسلم فأخرجهم من الظلمة الشديدة إلى النور التام، ومن الظلم إلى العدل، فعرفوا مقدار ما نالوه وظفروا به، ومقدار ما كانوا فيه؛ فإنَّ الضد يظهر حسنه الضد، وإنما تتبين الأشياء بأضدادها، فازدادوا رغبة ومحبة فيما انتقلوا إليه، ونفرة وبغضًا لما انتقلوا عنه»<sup>(٢)</sup>.

**الثاني:** النصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين بتبيين ونقد الباطل ودعوة أهل الباطل أنفسهم وحب الهداية لهم، يقول سبحانه: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾، ويقول عليه الصلاة والسلام: «لَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرَ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»<sup>(٣)</sup>، ويقول صلى الله عليه وسلم: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»<sup>(٤)</sup>.

يقول شيخ الإسلام: «وإذا كان النصح واجبًا في المصالح الدينية الخاصة والعامّة: مثل نقلة الحديث الذين يغلطون ويكذبون، ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة؛ فإنَّ بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلّى واعتكف؛ فإنَّما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنَّما هو للمسلمين، هذا أفضل، فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله؛ إذ تطهير سبيل الله

(١) أخرجه البخاري: (٣٦٠٦)، ومسلم: (١٨٤٧).

(٢) «الفوائد»، (ص/١٠٨-١٠٩).

(٣) أخرجه البخاري: (٢٩٤٢)، ومسلم: (٢٤٠٦).

(٤) أخرجه مسلم: (٥٥).

ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء، لفسد الدين، وكان فساد أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإنَّ هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلاَّ تبعًا، وأمَّا أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء»<sup>(١)</sup>.

### \* فروع هذا العلم:

تنوزع فروع هذا العلم إلى ما يلي:

- **الملل:** وهي الآراء والأقوال التي قالها الناس في الوجود والأخلاق تبعًا لإيمانهم بوحى مقدس هو مرجع أساسي أو وحيد في أقوالهم هذه. وندرس فيها تاريخ الرسائل السماوية مع العناية باليهودية والمسيحية والإسلام، وندرس فيها تاريخ هذه الديانات وتطورها والتداخلات الحادثة بين مضامينها العقدية والفقهية وبين الواقع الاجتماعي والسياسي، وأيضًا يدرس في هذا الفرع:

- الفرق والمذاهب داخل كل دين.

- **النحل:** وهي الآراء والأقوال التي قالها الناس في الوجود والأخلاق لم يستندوا فيها إلى الوحي كمرجع مقدس قاضٍ على غيره من المرجعيات العقلية والتجريبية، بل تكون المرجعيات العقلية أو التجريبية أو الروحية هي المرجع الأساسي، وفي هذا الفرع تتم دراسة الفلسفات الآسيوية والديانات الوثنية والأخلاقية: (أديان مصر القديمة، والفلسفات والأديان الأخلاقية اليابانية، والصينية، والهندية، مثل: الطاوية، والبوذية والكونفوشيوسية، والفلسفة الغربية بمراحلها الأربع: الفلسفة اليونانية، الفلسفة الوسيطة، الفلسفة الحديثة، الفلسفة المعاصرة)، ويلحق بها المذاهب الفكرية، أي التي أنتجت العلوم والفنون المختلفة وأثرت في واقع الناس فيما يتعلّق بالدين والثقافة والقيم والأخلاق مثل المذاهب الاقتصادية كالاشرافية والأفكار العلمية كالنظرية النسبية.

(١) «مجموع الفتاوى»: (٢٨/٢٣١-٢٣٢).

## \* موجز اختلاف فرق المسلمين:

### - الخوارج:

أول افتراق وقع في الإسلام هو ما كان من الخوارج المحكمة حين رفضوا استجابة علي رضي الله عنه للتحكيم وسموا ذلك تحكيمًا للرجال في دين الله وتلوا فيه: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

وفاصلوا عليًا وسكنوا قرية على مقربة من الكوفة يُقال لها حروراء فسموا بالحرورية، وقاتلهم علي في النهروان وهزمهم فتفرقوا بأبدانهم في البلاد وتبع تفرق الأبدان تفرق الآراء، فبدأت تحصل بينهم المناقشات الداخلية، والتي أدت إلى تشظيهم لعدة فرق من الداخل، ومحاور البحث الديني عندهم ينقسم إلى الآراء السياسية، فكانوا يرون الخلافة مستحقة لكل من حكم كتب الله، ولو كان عبدًا حبشيًا فلا يشترطون القرشية، وإلى آراء دينية خاصة في علاقة العمل بمسمى الإيمان، ومسألة حكم مرتكب الكبيرة.

### \* أولاً: التعريف بالفرقة:

الخوارج فرقة كبيرة من الفرق الاعتقادية، تناسل أولهم من ظهر رجل شهد زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وبرز ظهورهم بخروجهم على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأرسل إليهم ابن عمه عبد الله بن عباس، فناظرهم ورجع منهم من رجع، وبعد ذلك قاتلهم في النهروان، وفر منهم من فر.

ولهم أسماء، منها: (الخوارج، الحرورية، الشُّراة، المحكمة، المارقة)، وهم يرضون هذه الألقاب كلها، عدا الأخير.

وتوجد بعض فرق الخوارج كالإباضية في (عمان وحضرموت)، وغيرها من البلاد.

\* ثانيًا: الفرق الأساسية للخوارج وعقائدهم:

#### (١) المحكمة:

وهو أول تجمع يعد بمثابة التجمع الأم والأساس لكل الفرق التي أتت بعدها، وهذه انفصلت عن جيش علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين تمت الموافقة على التحكيم، ثم اشتد انفصالها بعد أن ظهرت النتيجة في غير ما كانوا يؤملون، وحينما خرجوا إلى حروراء كانوا يعاملون المسلمين الذين يخالفونهم في الرأي أبشع المعاملات وأقساها.

#### (٢) الأزارقة:

وهم أتباع نافع بن الأزرق، وقتلوا عبد الله بن الزبير، وقواد الأمويين تسع عشرة سنة.

وتعتبر فرقة الأزارقة أم الفرق بعد المحكمة؛ إذ إنَّ النجدات انشقت عنهم وانشقت عن النجدات العطوية، وانشقت عن العطوية العجاردة، وهكذا.

ويُعد نافع بن الأزرق من مشاهير الخوارج فقد كان هو وفرقة السبب في تشعب آراء الخوارج على هذا النحو، فهو أول من فتح أبواب الخلاف بين الخوارج.

#### (٣) الصفرية:

نسبة إلى زياد بن الأصفر مؤسس هذه الفرقة، وجرت معهم حروب انتهت بهزيمتهم وكانت لهم دولة ببلاد المغرب.

#### (٤) النجدات:

وهم أتباع نجدة بن عويمر، من أكبر مشعلي نار الفتن في صدر الإسلام. وخالفوا الأزارقة في عدة مسائل، منها: تكفير الذين يخرجون من للقتال، واستحلال قتل الأطفال، واستباحة دماء أهل الذمة، وهي فرقة غالية، وانقسموا بعد مقتل نجدة.

## (٥) الإباضية:

زعيمهم الأول والحقيقي الذي يقدمونه على كل أحد هو جابر بن زيد الأزدي، ونسبوا إلى عبد الله بن إياض لشهرة مواقفه مع الحكام المخالفين لهم وتحديدًا عبد الملك بن مروان، وقد اشتهروا بهذا الاسم عند جميع من كتب عن الفرق، لم يخالف في هذا إلا من شذ.

وقد انقسمت الإباضية إلى فرق منها ما يعترفون بها ومنها ما ينكرونها، وكانت لهم دولة ببلاد المغرب.

### ثالثًا: أبرز العقائد:

(١) يختلف تعامل الخوارج مع النصوص الشرعية، فبعضهم يجمد على النصوص من دون بحث عن معناها الذي تهدف إليه، وبعضهم يؤول النصوص بما يتفق مع هواه.

(٢) يكفر الخوارج مرتكب الكبيرة كفر ملة، ويحكمون بخلودهم في النار، وعلى ذلك من فرقهم: (المحكمة، الأزارقة، المكرمية، اليزيدية، النجدات)، ويختلفون في سبب كفره، بينما يرى الإباضية أنهم كفار نعمة، وليسوا كفار ملة.

(٣) يرى عامة الخوارج وجوب نصب إمام والانضواء تحت رايته، ما دام على طريقهم، بينما ذهب الإباضية إلى إمكان الاستغناء عنه إذا تناصف الناس فيما بينهم، وأنه يجوز نصبه من أي جنس ما دام كفئًا، وجوزوا أن تكون الإمامة في غير قريش.

(٤) يرى الخوارج وجوب الخروج على الإمام إذا أخطأ، وبعضهم (كالبيهسية والوعوفية) يرى أن كفر الإمام سبب في كفر رعيته!

(٥) إنكار عذاب القبر، وذهب بعضهم إلى إثباته.

(٦) كفر الأزارقة علي بن أبي طالب، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعائشة،

وابن عباس رضي الله عنهم.

وأما في خصوص عقائد الإباضية، فمنها: نفي صفات الله تعالى، وإنكار رؤيته سبحانه، ويعتقد بعضهم بخلق القرآن.

## \* الشيعة :

### - تعريف الشيعة والتشيع :

#### أولاً: في اللغة:

يرجع لفظ الشيعة والتشيع إلى الفعل (شاع)، وتلك المادة أصل في الانتشار والفرق والاتباع والنصرة.

قال الزبيدي: «كل من عاون إنساناً وتحزب له فهو له شيعة، وأصل الشيعة من المشايعة وهي المتابعة، وقيل: عين الشيعة واو من شوع قومه إذا جمعهم. وقد غلب هذا الاسم (الشيعة) على كل من يتولى علياً وأهل بيته، ...»<sup>(١)</sup>.

وعن الفرق بين «الشيعة» و«الجماعة» يقول أبو هلال العسكري: «الفرق بين الشيعة والجماعة: أن شيعة الرجل هم الجماعة المائلة إليه من محبتهم له، وأصلها من الشيع وهو الحطب الدقاق التي تجعل مع الجزل في النار لتشتعل»<sup>(٢)</sup>.

#### ثانياً: في الاصطلاح:

تنوّعت عبارات المؤلفين في المقالات وغيرهم، من أهل السنة ومن الإمامية في تعريف الشيعة والتشيع، وتمايزت تعاريفهم بين القصور والتمام، والتفصيل والاختصار.

#### (أ) في كتب أهل السنة:

من أقدم من عرّف الشيعة كفرقة «أبو الحسن الشعري» بقوله: «إنما قيل لهم: الشيعة؛ لأنهم شايعوا علياً رضوان الله عليه، ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

(١) «تاج العروس»: (٣٠٣-٣٠٢/٢١) باختصار، وانظر: «لسان العرب»، مادة (شاع): (١٨٨/٨).

(٢) «الفرق اللغوية»، (ص/٢٧٩).

(٣) «مقالات الإسلاميين»: (٢٥/١).

فيظهر في تعريفه الاهتمام بذكر تقديم الشيعة على غيره من الصحابة، ولعلَّ ذلك القصور في التعريف يرجع إلى عدم انتشار الغلو في وقت الأشعري كسمة غالبية على التشيع، كما حصل فيما بعد.

أمَّا أبو محمد ابن حزم؛ فإنَّه فضَّل في تعريفه بعض مباني الإمامية المهمة فقال: «ومن وافق الشيعة في أنَّ عليًّا رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك ممَّا اختلف فيه المسلمون، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيًّا»<sup>(١)</sup>.

فذكر فيه الأفضلية لعلي عليه السلام غيره من الصحابة، وأحقَّيته بالإمامة بالمعنى السياسي بعد النبي صلى الله عليه وآله، وحصر ذلك الحق في بنيه من بعده بالنسب العمودي، ولكنَّه لم يذكر في تعريفه قضايا رئيسة في الاعتقاد الإمامي ككون تلك الأحقية بالنص من النبي، وكعصمة الأئمة، وركنية الإمامة كأصل من أصول الدين عند الإمامية.

واستدرك ذلك الشهرستاني فحصر ذلك في تعريفه للشيعة؛ إذ قال: «الشيعة هم الذين شايعوا عليًّا رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصًّا ووصية، إمَّا جليًّا، وإمَّا خفيًّا، واعتقدوا أنَّ الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت؛ فبظلم يكون من غيره، أو بتقيَّة من عنده، وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحة تُناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين لا يجوز للرسول صلى الله عليه وآله إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله.

ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيب، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبًا عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولي والتبري قولًا وفعلاً وعقدًا إلا في حال التقيَّة، ويُخالفهم بعض الزيدية في ذلك»<sup>(٢)</sup>.

كذلك يرد ذكر الشيعة والتشيع في كتب أهل السُّنة لا بمعنى الفرق

(١) «الفصل في الملل والنحل»: (٢/٨٩-٩٠).

(٢) «الملل والنحل»: (٦/١٤٦-١٤٧).



الخاصة، وإنما على معانٍ أخرى خاصة، منها ما هو مقبول ومنها ما ليس كذلك، كما سيأتي بيانه في الكلام على (نشأة التشيع).

### (ب) في كتب الشيعة:

ونفس التنوع الحاصل في التعريفات نجده في كتب الإمامية أنفسهم، ويرجع ذلك التفاوت في هذه التعريفات إلى عامل مُهمٍّ، ألا وهو: الواقع التاريخي الذي يعرف فيه المؤلف التشيع؛ إذ إنَّ كثيرًا من مباني الشيعة الإمامية كانت وليدة التطور الاعتقادي للفرقة.

فبينما نجد الشيعة عند سعد بن عبد الله القمي: «هم شيعة علي بن أبي طالب»<sup>(١)</sup>، وفي موضع آخر: «هم فرقة علي بن أبي طالب المسمون شيعة علي في زمان النبي ﷺ وبعده، معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته»<sup>(٢)</sup>.

فهو وإن كان ينصُّ على القول بإمامة علي، إلَّا أنَّه لم يُشر إلى العديد من الأمور التي لا تقبل الشيعة الانتساب إلى التشيع دون الإيمان بها.

ويُعرِّف المُفيدُ الشيعةَ بأنَّهم: «أتباع أمير المؤمنين صلوات الله عليه، على سبيل الولاء والاعتقاد لإمامته بعد الرسول صلوات الله عليه وآله بلا فصل، ونفي الإمامة عمن تقدمه في مقام الخلافة، وجعله في الاعتقاد متبوعًا لهم غير تابع لأحد منهم على وجه الاقتداء»<sup>(٣)</sup>.

فيدخل في التعريف نقطة جوهرية في اعتقاد الإمامة وهو كونه (بلا فصل)، ممَّا يقتضي نفي شرعية خلافة الشيخين وعثمان بن عفان، ونص على ذلك في التعريف أيضًا، وأنَّه متبوع في الاعتقاد غير تابع لأحد من الثلاثة على وجه الاقتداء، وإنما على وجه التقية والمداراة.

(١) «المقالات والفرق»، للقمي، (ص/٣)، ونفسه عند الحسن بن موسى النوبختي في «فرق الشيعة»، (ص/١٥).

(٢) الأول نفسه: (ص/١٥).

(٣) «أوائل المقالات»، (ص/٣٩).

## \* نشأة التشيع:

ليس من السهل التحديد بدقة متى بدأ التشيع، والسبب في ذلك يرجع إلى أمرين:

الأول: أن توقيت البدايات الدقيقة للظواهر الفكرية أمر متعذر في نفسه؛ لأنه قد لا يُصاحبها بالضرورة أحداث خارجية يمكن تأريخها بدقة.

الثاني: أن ضروباً من الظواهر الفكرية يُصاحبها تطوُّرٌ مستمر، ثم يحصل الاستقرار على مفاهيمها، ومنها التشيع.

فالتشيع الذي هو محبة عليٍّ وموالاته في حروبه مثلاً، هو أمر يرجع إلى أول خلافته، ولكنه ليس التشيع الاصطلاحي المراد تأريخه، بل إن هؤلاء الذين كانوا في جيش علي هم من أهل السنة بلا إشكال، وإن كان قد يجري منهم من التعصب ما يجري في مثل تلك المواقف، ممَّا يصحبه حمل عليٍّ الأمويين أو غض منهم، والعكس صحيح، فقد كان في صفوف الشاميين من ذلك أيضاً شيء ليس قليلاً، ف«قد كان من شيعة عثمان من يسبُّ علياً ويجهر بذلك على المنابر وغيرها لأجل القتال الذي كان بينهم وبينه، وكان أهل السنة من جميع الطوائف تنكر ذلك عليهم»<sup>(١)</sup>، فلم يكن ذلك اتجاهاً عقدياً البتة، ولا يعرف عن أحد منهم شيء من العقائد التي انفرد بها الإمامية بعد ذلك، فلا كلام حينها عن اغتصاب الخلافة، والغض من الشيخين وعثمان، ولا يعرف حينها اعتقاد بالوراثة الصلبية للإمامة في نسل علي، فضلاً عن الكلام في العصمة، أو التقية، بله وتحريف القرآن!

وكذلك التشيع بمعنى محبة علي وتفضيله على عثمان، مع الإقرار بخلافة عثمان وصحتها؛ فإن هذا كان أمراً معروفاً قال به بعض التابعين وبعض أهل العلم من أهل السنة والجماعة، يقول شيخ الإسلام: «وأما عثمان وعليٌّ؛ فكان طائفة من أهل المدينة يتوقفون فيهما وهي إحدى الروايتين عن مالك، وكان طائفة من الكوفيين يُقدِّمون علياً وهي إحدى الروايتين عن سفيان الثوري، ثم قيل إنه

(١) «منهاج السنة»: (٦/٢٠١).

رجع عن ذلك»<sup>(١)</sup>، وعلى ذلك نجد من علماء أهل السنة الكبار من يوصفون بتشييع كوكيع بن الجراح، وعبد الرزاق بن همام صاحب المصنف وشيخ أحمد والبخاري، والنسائي والحاكم، وابن عبد البر وغير هؤلاء، وكان هذا الصنف شائعاً في كثير من طبقات الكوفيين القدماء، قبل أن يشيع فيهم الغلو.

أمّا تقديم عليّ بن عليّ الشخين -فضلاً عن العقائد الإمامية الأخرى- فلم تكن تعرف في ذلك الوقت قط، وهذا شريك بن عبد الله من قدماء الشيعة يحكون أنه «سأل سائل شريك بن عبد الله بن أبي نمر فقال له: أيهما أفضل أبو بكر أو علي؟ فقال له: أبو بكر، فقال له السائل: أتقول هذا وأنت من الشيعة؟! فقال: نعم، إنّما الشيعي من قال مثل هذا، والله لقد رقي عليّ هذه الأعواد، فقال: ألا إنّ خير هذه الأمة بعد نبينا أبو بكر ثم عمر، أفكنا نرد قوله؟! أكنّا نكذبه؟! والله ما كان كذاباً»<sup>(٢)</sup>.

ففي الجملة «كانت الشيعة المتقدمون الذين صحبوا عليّاً أو كانوا في ذلك الزمان لم يتنازعو في تفضيل أبي بكر وعمر، وإنّما كان نزاعهم في تفضيل عليّ وعثمان، وهذا ممّا يعترف به علماء الشيعة الأكابر من الأوائل والأواخر»<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك أيضاً -يعني: التشيع لا بمعنى الفرق المعهودة- التشيع الذي رافق خروج بعض أئمة البيت العلوي على بعض الحكام، كالإمام زيد بن عليّ زين العابدين، أو محمد بن النفس الزكية، فلم يكن إلا مجرد اتباع ونصرة لأئمة مرضيين عند أتباعهم، وممّا يؤكّد ذلك: أنّ كثيراً من أئمة أهل السنة المرضيين كان لهم من ذلك مواقف مؤيدة أو راضية على أقل تقدير كأبي حنيفة ومالك، فلا يكاد يخرج هذا كله عن التشيع اللغوي.

(١) «منهاج السنة»: (٧٣/٢).

(٢) «منهاج السنة»: (١٣/١-١٤)، وقول عليّ هذا ثابت متواتر عنه من وجوه كثيرة، ورواه أحمد: (٨١٣)، وغيره.

(٣) نفسه: (١٣/١).

ومع ذلك؛ فإنه يُمكن أن تُتلمس بعض البدايات التي آلت بعد ذلك لكثير من العقائد الإمامية بفعل التطور، كفكرة الوصية، فاعتقاد أنّ النبي ﷺ أوصى لعلي، أو أنه ترك شيئاً مكتوباً له، هو اعتقاد قديم، تولى الصحابة - وفيهم عليّ نفسه - الرد عليه وتخطيئه، فعن إبراهيم عن الأسود، قال: ذكروا عند عائشة أنّ علياً رضي الله عنهما كان وصياً، فقالت: «متى أوصى إليه وقد كنت مسندته إلى صدري (أو قالت: حجري)، فدعا بالطست، فلقد انخث في حجري، فما شعرت أنّه قد مات، فمتى أوصى إليه؟!»<sup>(١)</sup>.

وكذلك عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: قلت لعلي رضي الله عنه: «هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟»، قال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة». قلت: «وما في الصحيفة؟»، قال: «العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر»<sup>(٢)</sup>.

فدلّ هذا على أنّ لتلك الادعاءات وجوداً قديماً، لم يكن ذا بال، وتولى الصحابة ردها.

أمّا ظهور العقائد الغالية التي منها تأليه علي، والقول بالرجعة، ثم العصمة وتحريف القرآن؛ فقد ظهرت بعد ذلك في خلافة علي نفسه، ومثّلها (عبد الله بن سبأ)، ثم توالى ذلك عقب استشهاد الحسين، ثم تراكمت العقائد الغالية بعدها وحتى اليوم.

فمن الثابت تاريخياً أنّه لم يكن يعرف جماعة من الناس تتصف بالتشيع، لا في العصر النبوي، ولا في عصر الشيخين، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ففي خلافة أبي بكر وعمر لم يكن أحد يسمى من الشيعة، ولا تضاف الشيعة إلى أحد»<sup>(٣)</sup>.

(١) «صحيح البخاري»: (٢٢٥٠).

(٢) «صحيح البخاري»: (٢٨٣٧).

(٣) «منهاج السنة»: (٦٤/٢).

قال محمد حسين آل كاشف الغطا: «ولم يكن للشيعة والتشيع يومئذٍ (في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما) مجال للظهور؛ لأنَّ الإسلام كان يجري على مناهجه القويمة»<sup>(١)</sup>.

ثم ظهر في عصر علي (عبد الله بن سبأ) رأس الطائفة السبئية التي تؤله علياً، والتي حرق علي جماعة منهم، يقول الكشي في كتابه المعروف «رجال الكشي»، والذي هو من أقدم كتب الشيعة المعتمدة في علم الرجال: «ذكر أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم، ووالى علياً، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بالغلو، فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في علي رضي الله عنه مثل ذلك، وكان أول من شهر بالقول بفرض إمامة علي وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه وأكفرهم، فمن ها هنا قال من خالف الشيعة: أصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهودية»<sup>(٢)</sup>.

وهو الذي قال لعلي: «أنت أنت!»، يعني: أنت الله، فحرقهم علي، وقال البيت المشهور:

لَمَا رَأَيْتُ الْأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرًا      أَجَجْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قَنْبَرًا<sup>(٣)</sup>  
ويذكر القمي أنَّ علياً بلغه ذلك فأمر بقتله، ثم ترك ذلك، واكتفى بنفيه إلى المدائن<sup>(٤)</sup>، ثم إنَّه حينما بلغه نعي عليٍّ؛ ادعى أنَّه لم يمت، وقال برجعتي، وغلا فيه<sup>(٥)</sup>.

فتجلى ممَّا تقدم: أنَّه ينبغي أن نفرِّق في الكلام عن نشأة التشيع بين التشيع الغالي الذي مثله ووضع أصوله ابن سبأ، والتشيع المتوسط، فأما «التشيع

(١) «أصل الشيعة وأصولها»، (ص/١٩٦).

(٢) «رجال الكشي»، (اختيار معرفة الرجال للطوسي)، (ص/٣١٤)، وسعد القمي في «الفرق والمقالات»، (ص/٢٠)، والنوبختي في «فرق الشيعة»، (ص/٢٠).

(٣) راجع: «المبسوط»، للطوسي (٧/٢٨١)، و«بحار الأنوار»: (٣٤/٤١٤)، و«معجم رجال الحديث»، للخوئي: (١٥/٨٨)، و«سير أعلام النبلاء»: (١/٢٤٤).

(٤) انظر: القمي في «الفرق والمقالات»، (ص/٢٠).

(٥) نفسه: (ص/٢١).

المتوسط الذي مضمونه تفضيل عليّ وتقديمه على غيره، ونحو ذلك لم يكن هذا من إحداث الزنادقة، بخلاف دعوى النصّ فيه والعصمة؛ فإنّ الذي ابتدع ذلك كان منافقاً زنديقاً»<sup>(١)</sup>.

فبدون ذلك الفهم لطبيعة المصطلح، وأدوار نشأته وتطورها؛ لا تتسم الأحكام على الاعتقادات أو الأشخاص أو الجماعات التي تتصف به بالدقة.

قال الحافظ ابن حجر: «التشيع في عُرف المتقدمين: هو اعتقاد تفضيل عليّ على عثمان، وأنّ علياً كان مصيباً في حروبه، وأنّ مخالفه مخطئ، مع تقديم الشيخين وتفضيلهما، وربما اعتقد بعضهم أنّ علياً أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ، وإذا كان مُعتقداً ذلك ورعاً دينياً صادقاً مجتهداً؛ فلا تُرد روايته بهذا لاسيما إن كان غير داعية، وأمّا التشيع في عرف المتأخرين فهو الرفض المحض، ولا تقبل رواية الرافضي الغالي ولا كرامة»<sup>(٢)</sup>.

وقال الذهبي: «ليس تفضيل علي برفض ولا هو ببدعة، بل قد ذهب إليه خلق من الصحابة والتابعين، فكل من عثمان وعلي ذو فضل وسابقة وجهاد، وهما متقاربان في العلم والجلالة، ولعلمهما في الآخرة متساويان في الدرجة، وهما من سادة الشهداء ﷺ، ولكن جمهور الأمة على ترجيح عثمان على الإمام علي وإليه نذهب، والخطب في ذلك يسير، والأفضل منهما بلا شك أبو بكر وعمر، من خالف في ذا؛ فهو شيعي جلد، ومن أبغض الشيخين واعتقد صحة إمامتهما؛ فهو رافضي مقيت، ومن سبهما واعتقد أنهما ليسا بإمامي هُدى فهو من غلاة الرافضة، أبعدهم الله»<sup>(٣)</sup>.

قلت: نعم، وقوع الخلاف عن بعض أهل العلم المتقدمين في المفاضلة بين علي وعثمان؛ إنّما هو لما ذكره الذهبي من تقاربهما في الجلالة، ولا شكّ أنّه لا مقارنة بين الخلاف في هذا، والخلاف فيمن يفضل علياً على الشيخين

(١) «مجموع الفتاوى»: (٤٤٦/١٧).

(٢) «تهذيب التهذيب»: (٩٤/١).

(٣) «سير أعلام النبلاء»: (٤٥٧-٤٥٨).

مثلاً، فـ «هذه المسألة أخفى من تلك»<sup>(١)</sup>، ولكن هذا الذي يذكره أهل العلم لا يجعل الخطب يسيراً - كما قال الإمام الذهبي - ولكنّه يجعل قائله قد اجتهد اجتهاداً سائغاً له فيه عذر مقبول، وإلاً؛ فمشهور من كلام أهل السنة ومنهم أيوب السخيتاني - من أئمة التابعين - وغيره أنّ «من قدم علياً على عثمان؛ فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، وسائر أئمة السنة على تقديم عثمان وهو مذهب جماهير أهل الحديث، وعليه يدلُّ النصُّ والإجماع والاعتبار.

وأما ما يُحكى عن بعض المتقدمين من تقديم جعفر، أو تقديم طلحة، أو نحو ذلك؛ فذلك في أمور مخصوصة لا تقديمًا عامًا، وكذلك ما ينقل عن بعضهم في علي<sup>(٢)</sup>.

### \* فرق الشيعة:

حفلت كتب المقالات والفرق بذكر فرق الشيعة وطوائفهم، واللافت للنظر هو كثرة هذه الفرق، وتعددتها بدرجة كبيرة حتى تكاد تنفرد الشيعة بهذه السمة<sup>(٣)</sup>، وليس المراد هنا حصر تلك الفرق، ولا ذكر غالبها، ولكن المقصود ذكر تلك الفرق التي ما زال لها امتداد في عصرنا الراهن، أو تلك التي مثلت خطأً فكرياً عريضاً في مسار التشيع، وهي بحسب الغالب في علم الفرق والمذاهب ثلاثة:

(١) الغلاة.

(٢) الزيدية.

(٣) الاثني عشرية.

### أولاً: الغلاة:

ويُقصد بهم الفرق التي تعتقد اعتقادات غالية، كالقول بألوهية علي، أو إنكار التكاليف الشرعية، والقول بالتأويل الباطني الكلي.

(١) نفسه: (٧٣/٢).

(٢) «منهاج السنة»: (٧٣-٧٤).

(٣) ناصر القفاري في «أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية»: (١/١١٠).

ومنهم من الفرق المعاصرة الآن «الإسماعيلية»، وهم الذين قالوا: «الإمام بعد جعفر: إسماعيل بن جعفر، وادعوا أن جعفرًا أشار إليه في حياته ودل الشيعة عليه، ثم قالوا بإمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر من بعده، وأنكروا إمامة سائر ولد جعفر»<sup>(١)</sup>.

بعد وفاة جعفر الصادق انقسم الشيعة فرقًا كثيرة، عدها النوبختي ستة فرق<sup>(٢)</sup>، فمنهم من قال إن جعفرًا حي لم يموت، ومنهم من قال إن الإمام بعد جعفر هو ابنه موسى، ومنهم من قال الإمام بعده هو إسماعيل؛ لأن الإمام قد دلَّ عليه في حياته، ولكنَّ إسماعيل هذا قد مات في حياة والده! ويذكر البغدادي أن الإسماعيلية افتردت فرقتين بعد وفاة إسماعيل:

(١) فرقة منتظرة لإسماعيل بن جعفر، مع اتفاق أصحاب التواريخ على موت إسماعيل في حياة أبيه.

(٢) فرقة قالت: كان الإمام بعد جعفر سبطه محمد بن إسماعيل بن جعفر، حيث إن جعفرًا نصب ابنه إسماعيل للإمامة بعده فلما مات إسماعيل (ت ١٤٣هـ) في حياة أبيه علمنا أنه إنما نصَّب ابنه إسماعيل للدلالة على إمامة ابنه محمد بن إسماعيل، وإلى هذا القول مالت الإسماعيلية من الباطنية<sup>(٣)</sup>.

ومن بعد محمد بن إسماعيل يتفرع ما يُعرف بالأئمة المستورين، وهم أئمة سريون يتجولون في البلاد، ويختلف ترتيبهم بين تلك الفرقة، ثم يعدون عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية هو أول أئمة الظهور، والذي بعد موته زعمت فرقة منهم تأليهه وعبادته وأنه لم يموت، وهم المشهورون بالدروز، والذين يتسمون حاليًا بالعلويين<sup>(٤)</sup>.

(١) الرازي، «الزينة»، (ص/٢٨٧).

(٢) النوبختي في «فرق الشيعة»، (ص/١٤٨).

(٣) «الفرق بين الفرق»، (ص/٦٢، ٦٣).

(٤) انظر عنهم بتفصيل أكثر: الشهرستاني في «الملل والنحل»: (١/١٩٢)، والرازي في «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين»، (ص/٨١)، الغزالي في «فضائح الباطنية»، (ص/١١)، والديلمى في «قواعد عقائد آل محمد»، (ص/٣٤).



وتفرَّع عن الإسماعيلية أغلب الغلاة من الشيعة، فمنهم ظهر الحشاشون والقرامطة والباطنية والإباحية والبهرة، حتى غدا «مفهوم الإسماعيلية يشمل كل الفرق الشيعية الغالية»<sup>(١)</sup>.

والمنقول من اعتقاداتهم شيء خطير؛ إذ ينسبون إليهم القول بإلهين، والقول في النبوات بأقوال قريبة من أقوال الفلاسفة، التي تنفي عن النبوات أنها هبة لا تُنال بالكسب، بل هي فيض يناله الإنسان الفائق، وقالوا بوجوب وجود إمام معصوم في كل زمان، وهذا الإمام هو الذي يؤول القرآن؛ لذا قالوا بسقوط التكاليف الظاهرة من الصلاة والصيام، وأنكروا القيامة بالأجساد، وزعموا أنها معنوية، ومنهم من يقول بتناسخ الأرواح، «ولكنَّهم لا يُظهرون هذا في أول أمرهم، بل يزعمون أنَّ الله حقٌّ، وأنَّ محمدًا رسول الله والدين الصحيح، لكنَّهم يقولون لذلك سر غير ظاهر، وقد تلاعب بهم إبليس فبالغ وحسن لهم مذاهب مختلفة»<sup>(٢)</sup>.

ولذلك؛ يقول الغزالي عن حقيقة اعتقاداتهم: «إنَّه مذهب ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض، ومفتتحه حصر مدارك العلوم في قول الإمام المعصوم»<sup>(٣)</sup>.

### ثانيًا: الزيدية:

وهم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب<sup>(٤)</sup>، وسموا بالزيدية نسبة إليه<sup>(٥)</sup>، وقد اختلفوا عن «الإمامية الراضية» حينما سئل زيد عن أبي بكر وعمر فترضى عنهما فرفضه قوم، فسموا رافضة لرفضهم إيَّاه، وسمي من

(١) «مسألة التقريب»، لناصر القفاري، (ص/١٨٣).

(٢) ابن الجوزي في «تلبس إبليس»، (ص/٩٩).

(٣) الغزالي في «فضائح الباطنية»، (ص/٣٧).

(٤) الشهرستاني «الملل والنحل»: (١/١٥٤).

(٥) انظر: «الرسالة الوازنة»، ليحيى بن حمزة اليمني، (ص/٢٨)، وانظر: الأشعري في «مقالات

الإسلاميين»: (١/١٣٦).

لم يرفضه من الشيعة زيدية لانتسابهم إليه، وذلك في آخر خلافة هشام سنة إحدى وعشرين أو اثنتين وعشرين ومائة<sup>(١)</sup>.

ويعتقد الزيدية أن الإمامة تكون في أولاد علي من فاطمة، ولم يحصرها في واحد معين من هؤلاء الأولاد، فقط يشترط عندهم في الإمام أن يكون من ولد فاطمة، وأن يخرج على الحاكم الظالم، وقالوا بجواز إمامة المفضل مع وجود الفاضل<sup>(٢)</sup>، ومن أجل ذلك يقرون بصحة خلافة الشيخين وعثمان، وإن كانوا يقولون إن علياً كان الأحق منهما، ويتروصون عن الشيخين وعامة الصحابة<sup>(٣)</sup>، ومذهبهم في باقي مسائل أصول الدين هو مذهب المعتزلة، فيقولون بتأويل الصفات، وخلق القرآن، ونفي خلق الله لأفعال العباد وغير ذلك من أقوال المعتزلة<sup>(٤)</sup>.

ويشتركون مع عموم الشيعة في القول بالعصمة لعلي وفاطمة والحسن والحسين، ولا يقولون بعصمة من عداهم من الأئمة<sup>(٥)</sup>.

ومن الزيدية فرقة تدعى (الجارودية)، وهم إلى الرافضة أقرب إلى الزيدية؛ إذ يطعنون في الصحابة، ولا يُقرّون بخلافة من سبق علياً؛ لذا اعتبرهم المفيد من فرق الشيعة، ولم يعتبر الزيدية كذلك، وهم أكثر زيدية اليمن اليوم، ومنهم الحوثيون.

### ثالثاً: الإمامية الاثنا عشرية:

ويلقبون بالجعفرية، وبالرافضة، وبالإمامية، وبالاثني عشرية، وهم الذين إذا أُطلق لفظ «الشيعة» ينصرف إليهم، على ما استقر بين الباحثين في الفرق والمذاهب.

(١) «منهاج السنّة»: (٢١/١)، وانظر: «الرسالة الوازنة»، (ص/١٧، ١٨).

(٢) انظر: الشهرستاني في «الملل والنحل»: (١/١٥٤، ١٥٥).

(٣) انظر: ابن الوزير في «الروض الباسم»، (ص/٤٩، ٥٠)، والمقبلي في «العلم الشامخ»، (ص/٣٢٦).

(٤) انظر: «الملل والنحل»: (١/١٦٢)، والرازي في «المحصل»، (ص/٢٤٨)، و«العلم الشامخ»، (ص/٣١٩).

(٥) انظر: «العلم الشامخ»، (ص/٣٨٦)، و«نصرة مذاهب الزيدية»، للصاحب بن عباد، (ص/١٦٤).

وهم يُسمَّون بالإمامية؛ لأنَّهم قالوا بوجوب الإمامة ووجودها في كل زمان<sup>(١)</sup>، وبالاثني عشرية؛ لقولهم باثني عشر إمامًا متعاقبين من نسب علي، وبالرافضة؛ لرفضهم زيدًا لما ترضى عن الشيخين كما سبق وذكرنا، ولكن من أهل العلم من يذكر أن سبب تسميتهم بالرافضة: أنَّهم رفضوا إمامة الشيخين<sup>(٢)</sup>، يقول الدكتور ناصر القفاري: «وأما تسميتهم بـ «الرافضة»، فقد ورد في «البحار»، للمجلسي - وهو أحد مراجعهم الحديثية المتأخرة - أربعة أحاديث في مدح التسمية بـ «الرافضة»<sup>(٣)</sup>، وكأنَّهم أرادوا تطيب نفوس أتباعهم بتحسين هذا الاسم لهم، ولكن في هذه الأحاديث ما يُفيد أن الناس بدأوا يُسمُّونهم بالرافضة من باب الذمِّ لا المدح، ولا تجيب هذه المصادر الشيعية عن سبب تسمية الناس لهم بهذا الاسم على سبيل الذم<sup>(٤)</sup>، وسمُّوا بالجعفرية نسبة لجعفر الصادق؛ نظرًا لكون أغلب مروياتهم عنه<sup>(٥)</sup>، وهم أكبر الفرق الشيعية في العالم الآن، ولهم دولة هي «إيران»، وبعض من الأنظمة الحليفة والتابعة لها.

و للإمامية الاثني عشرية أصولهم الخاصة، كالقول بالنصِّ على علي إمامًا للمسلمين بلا فصل، وعصمة الأئمة، والظعن على الصحابة وتكفيرهم، والظعن في القرآن والسنة، ووجوب التقية، وإيجاب الخمس في جميع المكاسب. أمَّا في سائر الأصول؛ فيقولون فيها بقول المعتزلة، في الأسماء والصفات، والقدر، كما ذكرنا في اعتقادات الزيدية.

(١) انظر: المفيد في «أوائل المقالات»، (ص/٤٤).

(٢) الأشعري في «مقالات الإسلاميين»: (١/٨٩).

(٣) وهذه الأحاديث المزعومة موجودة في باب سموه (باب فضل الرافضة ومدح التسمية بها) في كتابهم «البحار»، ومنها: عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام جعلت فداك، اسم سمينا به استحللت به الولاة دماءنا وأموالنا وعذابنا، قال: وما هو؟ قال: الرافضة، فقال جعفر: «إن سبعين رجلًا من عسكر موسى عليه السلام، لم يكن في قوم موسى أشدَّ اجتهادًا وأشدَّ حبًّا لهارون منهم فسماهم قوم موسى الرافضة، فأوحى الله إلى موسى أن أثبتَّ لهم هذا الاسم في التوراة؛ فإني نحلتهم، وذلك اسم قد نحلكموه الله»، «البحار»، المجلسي: (٦٨/٩٦-٩٧).

(٤) ناصر القفاري في «مسألة التقريب»، (ص/٣٢).

(٥) انظر: «رجال الكشي»، (ص/٦٥).

أمَّا الأئمة الاثنا عشر الذين يعتقد فيهم الإمامية العصمة واستحقاق الخلافة الدينية والدينية، فهم على الترتيب:

(١) علي بن أبي طالب، أبو الحسن المرتضى، (٢٢ قبل الهجرة، ٤٠ بعد الهجرة).

(٢) الحسن بن علي، أبو محمد، الزكي، (٢-٥٥٠هـ).

(٣) الحسين بن علي، أبو عبد الله، الشهيد، (٣-٦١هـ).

(٤) علي بن الحسين، أبو جعفر، زين العابدين، (٣٨-٩٥هـ).

(٥) محمد بن علي، أبو محمد، الباقر، (٥٧-١١٤هـ).

(٦) جعفر بن محمد، أبو عبد الله، الصادق، (٨٣-١٤٨هـ).

(٧) موسى بن جعفر، أبو إبراهيم، الكاظم، (١٢٨-١٨٣هـ).

(٨) علي بن موسى، أبو الحسن، الرضا، (١٤٨-٢٠٣هـ).

(٩) محمد بن علي، أبو جعفر، الجواد، (١٩٥-٢٢٠هـ).

(١٠) علي بن محمد، أبو الحسن، الهادي، (٢١٢-٢٥٤هـ).

(١١) الحسن بن علي، أبو محمد، العسكري (٢٣٢-٢٦٠هـ).

(١٢) محمد بن الحسن، أبو القاسم، المهدي، (يزعمون أنه وُلد سنة ٢٥٥

أو ٢٥٦هـ ويقولون بحياته إلى اليوم).

### \* فرق الشيعة الإمامية:

تنقسم الإمامية إلى فرق وطوائف كثيرة، ولكن الذي سنفرده بالذكر هما فرقتا: «الأخبارية»، و«الأصولية»، وذلك لأسباب؛ منها: أنَّهما الفرقتان الأكثر امتدادًا في التاريخ الاثني عشري، بحيث يمكن عزو كثير من الفرق التي يذكرها المختصون تبعًا لفرق الاثني عشرية، يُمكن عزوها إلى هذين الاتجاهين، بل يمكن القول إنَّ الأخبارية والأصولية اتجاهاً أكثر منهما مجرد فرقتين، ومن الأسباب كذلك: أنَّ هاتين الفرقتين هما الأكثر تأثيرًا في الفكر الشيعي على وجه العموم، أمَّا بقية الفرق الصغيرة؛ فإنَّ تأثيرها محدود ضيق، سواء على المستوى

الفكري بشكل عام - والتألفي العلمي بشكل خاص - أو على المستوى الحركي الواقعي .

### (١) الأخبارية:

نسبة للإخباري، وهو الفقيه المستنبط للأحكام الشرعية من الكتاب والسنة فقط، وإن لم يجد فيها المطلوب؛ فإنه يرجع إلى الأصل الذي هو الإباحة أو التحريم في الشبهات، فنسبته إلى الأخبار باعتبار أن الأحكام التي يستنبطها من الأخبار<sup>(١)</sup>.

وترجع في أساسها إلى رؤوس المحدثين المتقدمين، كالكليني والصدوق، ثم خبا ضوء الاعتماد المجرّد على الأخبار، وظهر المفيد ومن تبعه من مدارس الاجتهاد، فسطوا سطوة واسعة على الاتجاه الأخباري، وظلّ اتجاه المفيد - الأصولي سائداً حتى القرن العاشر الهجري، بل يمكن القول إنه لم يكن هناك أي نشاط أخباري في هذه الفترة<sup>(٢)</sup>، وبحلول القرن العاشر الهجري في منتصف أيام الدولة الصفوية، وظهر (محمد أمين الإسترابادي) (ت ١٠٣٦هـ) وكتابه (الفوائد المجنية في الرد على من قال بالاجتهاد والتقليد في الأحكام الإلهية)، انشقت مدرسة المفيد سائلة الذكر، وأبرز الإسترابادي الاتجاه الأخباري في قوة وعنف، وأحيا الاتجاه الأخباري مرة أخرى<sup>(٣)</sup>.

ولكون الإسترابادي مثل قوة ضاربة في ذلك الوقت في تسفيه الأصوليين وكتبهم، ونقض القول بالاجتهاد ووصفه بتخريب الدين، عزا إليه بعضهم تقسيم الإمامية إلى أصولية وأخبارية مطلقاً<sup>(٤)</sup>.

وطريقة الإسترابادي غالية جداً في الاعتماد على الأخبار بمعنى أخبار الأئمة فقط، وإهمال ما عداها، حتى نصوص القرآن والسنة الظواهر، لكونها

(١) انظر: فرج العمران في «الأصوليون والأخباريون فرقة واحدة»، (ص/١٧-١٩).

(٢) انظر: «الاجتهاد»، لمحمد بحر العلوم، (ص/١٧١).

(٣) انظر: «الاجتهاد»، لعبد الهادي الفضلي، (ص/٣٨).

(٤) مثل يوسف البحراني في «ؤلؤة البحرين»، (ص/١١٧، ١١٨).

لا تدل على اليقين، وفيها من التعمية والغموض ما لا يفهمه عموم المكلفين، فوجب الرجوع إلى أخبار المعصومين وهم أهل الذكر الذين يبينون المبهم ويقيدون المطلق ويخصصون العام.

وعقب تلك الفورة الأخبارية مرحلة لاحقة، والتي تتسم بالاعتدال بعض الشيء، والتي قامت على يد (يوسف البحراني) (ت ١١٨٦هـ)، الذي حاول تخفيف حدة العداء والصراع بين الأخباريين والأصوليين<sup>(١)</sup>، ورغم ذلك؛ فإنَّ الأصوليين لم يكونوا راضين عن نهج البحراني، بل لم يرو في نهجه تغييرًا حقيقيًا في موقفه تجاه الأصوليين، بل ظلَّ عندهم مجرد تغيير شكلي، يقول الطالقاني: «وبلغ التطرف حدًّا حكم فيه الوحيد البهبهاني بعدم صحة الصلاة خلف البحراني»<sup>(٢)</sup>.

وعقب وفاة يوسف البحراني تطور الصراع والطعن بين علماء الفريقين، وعندما قامت الدولة القاجارية في مطلع القرن الثالث عشر تأرجحت بين علماء المدرسة الأخبارية بزعامه: محمد الأخباري (ت ١١٣٩هـ)، وأحمد الأحسائي (ت ١٢٤١هـ)، وبين علماء الأصولية بزعامه: (جعفر آل كاشف الغطاء) (ت ١٢٢٨هـ)، ومحمد المجاهد (ت ١٢٤٢هـ)، وقد استغل محمد الأخباري ضعف الشاه القاجاري (فتح علي)؛ فتعهَّد أن يأتي له برأس قائد الجيوش الروسية خلال أربعين يومًا، بشرط أن يعلن المذهب الأخباري مذهبًا رسميًا للدولة القاجارية، ويلغي المذهب الأصولي، فوافق الشاه، ووفى الميرزا بوعده، وكان الوعد الذي أعطاه الشاه فتح علي للميرزا الأخباري بمنصرة مذهبه قد أثار الأصولي جعفر آل كاشف الغطاء في النجف، فسارع إلى تأليف كتابه: «كشف الغطاء عن معائب ميرزا محمد عدو العلماء»، وأهداه للشاه القاجاري وأجاز له أن يحكم باعتباره نائبًا عامًا عن الإمام المهدي<sup>(٣)</sup>! ولم يلبث محمد

(١) انظر: محمد عبد الحسن الغراوي في «مصادر الاستنباط بين الأصوليين والأخباريين»، (ص/٦١).

(٢) «الشيخية»، (ص/٣٩)، وانظر: «تنقيح المقال في أحوال الرجال»، للمامقاني: (٨٥/٢)، و«مع علماء النجف»، لمحمد جواد مغنية، (ص/٧٤).

(٣) انظر: «إيمان صالح العلواني في مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني

عشرية»: (٥٨/١، ٥٩).

الأخباري أن ردَّ عليه بكتاب سماه: «الصيحة بالحق على من أهدى وتزندق»<sup>(١)</sup>!

وشهدت تلك الفترة تأجُّجًا كبيرًا بين الفرقتين، تخللها تكفير وتفسيق، «وأوغل الأخباريون في الازدراء بالأصوليين إلى درجة عجيبة، حتى إننا سمعنا من مشايخنا والأعلام وأهل الخبرة والاطلاع على أحوال العلماء: أن بعض فضلائهم كان لا يلمس مؤلفات الأصوليين بيده تحاشيًا من نجاستها، وإنما يقبضها من وراء ملابسه . . ولما تُوفِّي كاشف الغطاء بمرض الخنازير، قال الأخباري: مات الخنزير بالخنازير»<sup>(٢)</sup>.

ثم «تمادى الأخباري في غيِّه وتوسَّع في اتهاماته لسلاطين العلماء ونسبة الآراء الفاسدة والفتاوى المفتعلة القذرة لهم، كنسبته القول بجواز اللواط إلى السيد محسن الأعرجي، ونسبته أمثال ذلك إلى الشيخ أبي القاسم القمي، والسيد علي الطباطبائي وغيرهما»<sup>(٣)</sup>، ممَّا أدَّى في النهاية إلى بلوغ الصراع ذروته، فصدرت الفتاوى من الأصوليين بتكفيره ووجوب قتله ووصفوه بـ «رأس الجبت والطاغوت، من أولي الشقاء، وغمام أهل الضلال والبدع والأهواء، حامل لواء حزب الشيطان، والساعي إلى تشتيت حزب الرحمن، المنقض، المشرَّد»<sup>(٤)</sup>، «حتى انتهت القصة بمأساة فظيعة، فقد قتل على أيدي العوام مع كبير أولاده بهجوم شنَّ على داره في الكاظمية، وسلمت جثته إلى السكان للبعث بها»<sup>(٥)</sup>.

وظلَّت بعدها الصورة قاتمة جدًّا، مستعرة بالتكفير والقتل، «حتى أدَّت إلى هتك البعض لحرمة البعض، وانتقاص كل واحد الآخر، وكان كل فريق يرى

---

(١) انظر: الخوانساري في «روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات»: (١/٥٢)، والطهراني في «الذريعة إلى تصانيف الشيعة»: (٧/٣٨).

(٢) «الشيخية»، (ص/٣٩).

(٣) نفسه، (ص/٤١).

(٤) قاله محمد الحسين آل كاشف الغطاء في «العباقات العنبرية في الطبقات الجعفرية»، (ص/٨٣)، وذكر بعد ذلك فتوى موسى آل كاشف الغطاء ومحمد المجاهد في تكفيره.

(٥) «الشيخية»، (ص/٤٠).

وجوب قتل الفريق الآخر، وتطورت القضايا إلى أمور شخصية بحتة تقريباً، فكان كل من الخصمين يهدف إلى الانتقام من خصمه والتطويح به<sup>(١)</sup>.

وإن كان الحال بعد مقتل الأخباري قد صار إلى انكماش مذهب الأخباريين فعلياً، وخفوته وضعفه، فظهرت عدة فرق إمامية تنتمي لخط الأخباريين، لكنّها لم تكن ذات بالٍ، ولم يعرف لها تأثير كبير، وسرعان ما زالت، كالشيخية<sup>(٢)</sup> والرشدية<sup>(٣)</sup> والقزلباشية<sup>(٤)</sup>.

## (٢) الأصولية:

نسبة للأصول، يعني: المنتسب لأصول الفقه، أو إلى الأدلة الأربعة النبي هي موضوع علم أصول الفقه، وهي: الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، قال فرج العمران: «والوجه الأول أقرب، والثاني أوفق»<sup>(٥)</sup>.

وأول ملامح تلك المدرسة القديمة تمثلت في (الحسن بن أبي عقيل اليماني) المعاصر للكليني في أوائل القرن الرابع، وتلميذه (محمد بن الجنيد الإسكافي البغدادي) (ت ٣٨١هـ) المعاصر للصدوق والمفيد، فكانت هذه المدرسة في بغداد قد عرفت بالاجتهاد والتفكير العقلي<sup>(٦)</sup>، ولا شك أنّ ظهور فكر الاجتهاد والنظر في الأخبار والترجيح بينها، وإعمال القياس مع إنكاره لفظاً

(١) نفسه، (ص/٤٢).

(٢) وتسمى «الأحمدية»، نسبة لأحمد الأحسائي، (ت ١٢٤١هـ)، وكان أخبارياً رافضياً للاجتهاد، لكنّه يدعي العلم عن طريق المكاشفة والالتقاء بالأئمة عن طريق الشهود.

[انظر كتاب: «الشيخية»، للطالقاني، ومقال: «الحركة الأخبارية وحقيقة الصراع الأصولي»، للقزويني، بحث منشور ضمن دائرة المعارف الشيعية للأمين (٢/٢٣٢، ٢٣٣).]

(٣) نسبة لكاظم بن قاسم الشرتي، (ت ١٢٥٩هـ) وهو الذي انتقلت إليه زعامة الشيخية بعد وفاة الأحسائي، ولكنّه زاد عليه في الغلو والتطرف، واشتط في مراتب الأئمة، انظر المقال السابق ذكره.

(٤) نسبة للقزلباش ومعناه الرؤوس الحمراء لتغطية رؤوسهم بشعار أحمر، وهم صوفية متشعبة من أتباع الصفويين.

(٥) «الأصوليون والأخباريون فرقة واحدة»، (ص/١٨).

(٦) انظر: «الاجتهاد»، لعبد الهادي الفضلي، (ص/٣٦).



وتسميته دليل العقل كان تأثرًا بأصول الفقه عند أهل السنة، الأمر الذي جعل الخوانساري يصف ابن الجنيد بأنه كان معجبًا بأصول فقه المخالفين<sup>(١)</sup>.

وقام المفيد في تلك الفترة بالتوسط بين الأخباريين والأصوليين، فانقد كلا الطرفين، ثم تبعه على ذلك المرتضى والطوسي، واستمر الأمر على ذلك قرنًا من الزمن، حتى ظهر نجم الدين الحلبي المشهور عندهم بالمحقق، وتلميذه الحسن بن يوسف بن مطهر الحلبي المعروف عندهم بالعلامة، ثم زين الدين العاملي المعروف بالشهيد الأول، وابنه الحسن بن زين الدين صاحب «المعالم في الأصول».

وعقب ظهور التيار الأخباري على يد الإسترابادي لم يعتنِ الأصوليون بالرد عليه كثيرًا، وواصلوا كتابتهم التقليدية، وأول من ردَّ على الأخبارية ردًّا مستقلًّا هو (نور الدين علي العاملي) (ت ١٠٦٨هـ)، حيث ردَّ على «الفوائد المدنية»، للإسترابادي في كتاب سماه: «الفوائد المكية في دحض حجج الفوائد المدنية».

ثم حصل القيام الكبير للأصوليين في الرد على الأخباريين والذي مثله (الوحيد البهبهاني) (ت ١٢٠٥هـ) تمثيلًا كبيرًا، ثم سار على طريقة محمد مهدي بحر العلوم (ت ١٢١٢هـ)، وعلي بن محمد الطباطبائي (ت ١٢٢١هـ) المعروف بالصغير، وجعفر كاشف الغطاء، والنراقي (ت ١١٨٥هـ)، وغيرهم.

وبظهور (مرتضى الأنصاري) (ت ١٢٨١هـ) الملقب بالمجدد، ثم من بعده تلميذه (محمد حسن الشيرازي) (ت ١٣١٢هـ) الذي آلت إليه المرجعية الديني بعد وفاة الأنصاري (٣٩ عامًا)، يُمكن القول إنَّ الفكر الأصولي هو الذي سيطر سيطرة شبه تامة على الفكر الإمامي، حتى عصرنا الراهن، حيث يمثل كبار رموز الإمامية المعاصرين، كالخوئي، والخوميني، وخامنئي، والسيستاني، وأشباه هؤلاء = الفكر الأصولي، مع اختلاف تياراته الفكرية.

(١) انظر: «روضات الجنات»: (١٣٦/٦).

## \* من أبرز عقائد الشيعة:

قد مضى الإشارة إلى كثير من عقائدهم مثل الإمامة والعصمة وغيرها،  
ويبقى الإشارة إلى أمرين:

## \* تحريف القرآن عند الشيعة:

ينبغي التمييز بين موقف الأخباريين والأصوليين من قضية التحريف، فيُجمع الأخباريون على وقوع التحريف في آيات القرآن الكريم، ويحشدون في سبيل ذلك كلام عشرات العلماء الذين هم محل احتجاج واعتبار عند الإمامية؛ إذ هم قدماء المذهب وأئمة مطلقاً، ويُمكن القول إنَّ دعوى تحريف القرآن لم تكن موجودة في الزمن الأول للتشيع، أي عند قدماء الشيعة في القرن الأول والثاني، بل إنَّ ابن سبأ على ما نسب إليه من مقالات كفرية كثيرة، لم ينسب إليه من ضمن أقواله الكفرية تلك أنه قال بتحريف القرآن!

وأقدم ما يُمكن أن يُعزى إليه دعوى التحريف من كتب الإمامية ما يُعرف بكتاب سليم بن قيس، الذي يدعي الشيعة أنه كان من أصحاب الإمام علي، وفرَّ من الحجاج، واختبأ عند أبان بن أبي عياش، الذي حمل عنه كتابه هذا<sup>(١)</sup>، الذي يقول عنه ابن النديم إنه أول كتاب ألف للشيعة<sup>(٢)</sup>.

واحتوى هذا الكتاب على روايتين يفهم منهما تحريف القرآن، أهمهما الرواية الأولى التي فيها أن علياً عليه السلام جمع القرآن عقب وفاة النبي صلى الله عليه وآله وأنه دفعه إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما رأوا ما فيه من فضحهم أسماء المنافقين ردوه وقالوا لا حاجة لنا به، وأمروا زيد بن ثابت أن يؤلف لهم القرآن<sup>(٣)</sup>، لكن كتاب سليم بن قيس لا يمكن الاعتماد عليه كمصدر علمي، فمؤلفه مجهول

(١) انظر: «رجال البرقي»، (ص/٣، ٤)، و«رجال الكشي»، (ص/١٦٧)، و«رجال الحلبي»، (ص/٨٢، ٨٣).

(٢) انظر: «الفهرست»، (ص/٢١٩).

(٣) كتاب «سليم بن قيس»، (ص/٨٢).

لا يُعرف<sup>(١)</sup>، ويمكن القول إنَّ هذا الكتاب موضوع.

وممَّا يدلُّ على بدو تلك المقالة في القرن الثاني الهجري تقريباً أنَّ أبا محمد بن حزم في «الفصل» روى قصة تدلُّ على ذلك عن الجاحظ: (أخبرني أبو إسحاق إبراهيم النظام، وبشر بن خالد أنَّهما قالوا لمحمد بن جعفر الرافضي المعروف بشيطان الطاق: ويحك! أما استحييت من الله أن تقول في كتابك في الإمامة: إنَّ الله -تعالى- لم يقل قطُّ في القرآن: ﴿ثَأْنٌ أَتَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾. قالوا: فضحك والله شيطان الطاق طويلاً حتى كأنَّا نحن الذي أذنبنا»، فهذا دالٌّ على وجود ذلك القول حينئذٍ، وشيطان الطاق هو (محمد بن علي) أبو جعفر الأحول (توفي ١٦٠هـ)، ممَّا يدلُّ على تحديد تقريبي لبدء تلك الدعوى.

وقريب من هذا ما ينسبه بعض أهل السنة من القول بتحريف القرآن إلى هشام بن الحكم الرافضي (ت ١٩٠هـ)<sup>(٢)</sup>.

ثم شاعت تلك المقالة فيهم إلى الحدِّ الذي جعل ابن حزم ينسب تلك المقالة لطائفة الإمامية جميعها، ولم يستثنِ إلا ثلاثة من علمائها لم يقولوا بتلك المقالة<sup>(٣)</sup>.

وباستقراء رواياتهم في التحريف يمكن إرجاع القول بالتحريف إلى سببين رئيسيين:

(١) حذف ذكر الأئمة، وولاية آل البيت وفضائلهم وحقوقهم، وما يشير إلى ذلك ما رواه العياشي عن أبي عبد الله: «لو قرأ القرآن كما أنزل لألفيتمونا

---

(١) بل قال عنه بعض المتقدمين منهم «لا يعرف ولا ذكر في خبر». [رجال الحلي]، (ص/٨٢)، أمَّا أبان؛ فقال عنه الإمام أحمد: «متروك الحديث، ترك الناس حديثه منذ دهر».

[انظر: «تهذيب التهذيب»: (١/٩٧-١٠١)، وفي كتب الشيعة «أبان بن أبي عياش ضعيف جداً، وينسب أصحابنا وضع كتاب سليم بن قيس إليه». [رجال الحلي]، (ص/٢٠٦).

(٢) انظر: الملطي في «التنبيه والرد»، (ص/٢٥).

(٣) انظر: «الفصل»: (٥/٤٠).

مسمين»<sup>(١)</sup>، وفي رواية أخرى: «لولا أنه زيد في كتاب الله ونقص منه ما خفي حقنا على ذي حجا»<sup>(٢)</sup>.

(٢) حذف ذكر المنافقين وأئمة الجور والفساد، يقول النعماني: «فإنهم بعد النبي قد غيروا وبدلوا في الدين ما هو أعظم من هذا، كتغييرهم القرآن، وتحريف كلماته، وحذف ما فيه من مدائح آل الرسول، والأئمة الطاهرين، وفصائح المنافقين، وإظهار مساويهم»<sup>(٣)</sup>.

لكنهم مع ذلك مأمورون بقراءة هذا القرآن الموجود بين أيدينا والصلاة به حتى يخرج مهديهم الغائب بقرآنه الصحيح، وفوق ذلك؛ فإن هذا يدفع عنهم الشنعة والتعير.

يقول نعمة الله الجزائري: «فإن قلت كيف جاز القراءة في هذا القرآن مع ما لحقه من التغيير؟ قلت: قد روي في الأخبار أنهم ﷺ أمروا شيعتهم بقراءة هذا الموجود من القرآن في الصلاة وغيرها والعمل بأحكامه حتى يظهر مولانا صاحب الزمان، فيرتفع هذا القرآن من أيدي الناس إلى السماء، ويخرج القرآن الذي ألفه أمير المؤمنين فيقرأ ويعمل بأحكامه»<sup>(٤)</sup>.

أمّا الأصوليون؛ فيقولون بسلامة القرآن من التحريف وصحته، ويخالفون الأخباريين في ذلك ويغلطونهم، وعمدة مقال الأصوليين أربعة قدماء لا غير، أولهم: الصدوق، حيث يقول: «اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله -تعالى- على نبيه محمد، وهو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك.. ومن نسب إلينا أننا نقول أكثر من ذلك؛ فهو كاذب»<sup>(٥)</sup>، وثانيهم: الشريف المرتضى، فقد نقل عنه الطبرسي ما نصّه: «إن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم

(١) «تفسير العياشي»: (١٢/١، ١٣).

(٢) نفسه.

(٣) «الأنوار النعمانية»: (٩٧/١).

(٤) «الأنوار النعمانية»: (٣٦٢/٢، ٣٦٤).

(٥) «الاعتقادات»، (ص/٣٣).

بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة؛ فإنَّ العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حد لم يبلغه فيما ذكرناه»<sup>(١)</sup>، وثالثهم: شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي، حيث يقول: «وأما الكلام في زيادته ونقصانه ممَّا لا يليق به أيضًا؛ لأنَّ الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منه فالظاهر أيضًا من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا»<sup>(٢)</sup>، ورابعهم: أبو علي الطبرسي قائلًا: «ومن ذلك الكلام في زيادة القرآن ونقصانه؛ فإنه لا يليق بالتفسير، فأما الزيادة فيه؛ فمجمع على بطلانها، وأما النقصان منه؛ فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة أنَّ في القرآن تغييرًا ونقصانًا، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه»<sup>(٣)</sup>.

وعلى ذلك جمهور الأصوليين من المعاصرين، ويقرر الخوئي زعيم الحوزة العلمية السابق بالنجف وأكبر علمائهم المعاصرين: «أنَّ المشهور بين علماء الشيعة ومحققهم، بل المتسالم عليه بينهم هو القول بعدم التحريف»<sup>(٤)</sup>.

وقد جرى نقاش طويل حول هذا الموقف، وهل هو من قبيل التقية أم لا؟

### \* فقه الشيعة الإمامية:

الفقه الإمامي في جملته مقتبس من فقه أهل السنة على اختلاف مذاهبهم، إلا مسائل قليلة شذوا بها، «وإذا صنف واحد منهم كتابًا في الخلاف وأصول الفقه كالموسوي وغيره، فإن كانت المسألة فيها نزاع بين العلماء؛ أخذوا حجة من يوافقهم، واحتجوا بما احتج به أولئك، وأجابوا عما يعارضهم بما يجيب به أولئك، فيظنُّ الجاهل منهم أنَّ هذا قد صنف كتابًا عظيمًا في الخلاف أو الفقه

(١) «مجمع البيان في تفسير القرآن»: (١٦/١).

(٢) «التيان في تفسير القرآن»: (٣/١).

(٣) «مجمع البيان»: (١٥/١).

(٤) «البيان في تفسير القرآن»، (ص/٢٢٦).

أو الأصول، ولا يدري الجاهل أنَّ عامته استعارة من كلام علماء أهل السنة الذين يكفرهم ويعاديهم، وما انفردوا به فلا يساوي مداده؛ فإنَّ المداد ينفع ولا يضر، وهذا يضر ولا ينفع، وإن كانت المسألة ممَّا انفردوا به؛ اعتمدوا على ذلك الأصول الثلاثة (عصمة الأئمة وأن ما يقولونه منقول عن الرسول وأن إجماعهم حجة)<sup>(١)</sup>.

ومن المسائل التي شذوا فيها: المتعة، وإيجاب الخمس على كل مكاسب المسلم، والتقيَّة، وإيجاب الصلاة على الأرض وجنسها، ومنع المسح على الخفين، وعدم مشروعية غسل القدمين في الوضوء وغيرها.

### \* المعتزلة:

ظهرت بعد ذلك مقالة المعتزلة، وقد رأيت سابقًا أنَّ أهم نظرية عند الخوارج هي أن مرتكب الكبيرة كافر.

تجادل المسلمون في هذه النظرية، وتدارسوا فيها، وكان الحسن البصري رحمته الله يقرر قول السلف في ذلك أنَّ مرتكب الكبيرة مؤمن، ولكنه فاسق ينقص إيمانه بكبيرته، لكنه من جملة المسلمين لا يخرج من الإيمان بكبيرته.

فخرج واصل بن عطاء - وكان تلميذًا للحسن البصري - بالبصرة قائلاً: إنَّ مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن، وليس بكافر، بل هو في منزلة بين المنزلتين، فطرده الحسن من مجلسه، فاعتزل عنه وجلس إليه عمرو بن عبيد، وهو من رؤساء المعتزلة فيما بعد، فقبل لهما ولأتباعها معتزلة<sup>(٢)</sup>.

وهناك رأي ثانٍ في سبب تسميتهم معتزلة وهو: أنَّهم قالوا بعزل مرتكب الكبيرة عن المؤمن وعن الكافر<sup>(٣)</sup>.

وهناك رأي ثالث وهو: أنَّهم اعتزلوا قول الأمة وقول أهل السنة<sup>(٤)</sup>.

(١) «منهاج السنة»: (٦/٣٨١).

(٢) ابن خلكان نقلًا عن السمعاني، (ص/٣١٢).

(٣) المسعودي في «مروج الذهب»، (المتوفي ٣٤٦هـ-٩٥٨م) في الفصل السابع عشر بعد المائة.

(٤) «الفرق بين الفرق»، للبغدادي.

وهناك رأي رابع وهو: أن هذا الاسم أطلق عليهم متابعة لفرقة يهودية يُقال لها في ذلك العصر الفروشيم ومعناها المعتزلة<sup>(١)</sup>.

بل ذكرت المعاجم الحديثة أن لفظ Pharsees هو Separatead ينطبق على المعنى الذي تؤديه كلمة معتزلة، بل ذكر بعضهم أن هذه الفرقة اليهودية كانت تتكلم في القدر وتقول بخلق الإنسان لأفعاله، وهذا ما اشتهرت به المعتزلة<sup>(٢)</sup>.

فلا يبعد أن يكون بعض اليهود الذين أسلموا حينئذٍ، أطلق على هذه الجماعة اسم المعتزلة الفروشيم لما رأى وجه الشبه بينهم، ولهذا؛ نرى وهب ابن منبه من يهود صنعاء واليمن يقول: «اعتزل عمرو بن عبيد وأصحاب له الحسن بن البصري فسموا معتزلة»<sup>(٣)</sup>.

وهناك رأي قال به جولد تسيهر وهو: أنهم سموا معتزلة: لاعتزالهم الدنيا وابتعادهم عن زخارفها وشهواتها<sup>(٤)</sup>.

ولو أن هذا الرأي قد تحمس له هورتن Horten<sup>(٥)</sup>، فهو ليس بمعقول؛ لأن الحسن البصري الذي اعتزله واصل وصاحبه كان أشد منهما زهدًا.

وهناك رأي قال به نالينو وهو: أن هؤلاء الذين اعتزلوا الحسن البصري، اختلفوا في مرتكب الكبيرة، هل هو كافر؛ فيعتبر خارجًا على الأمة الإسلامية يُباح دمه وماله ويُحارب؟ أو هو مؤمن فاسق؛ فله أن يتمتع بكافة الحقوق ككل عضو في الأمة الإسلامية؟ وطبيعي أن لهذا أثرًا مهمًا في الناحية السياسية العملية؛ لأن خلفاء بني أمية كانوا في نظر الخوارج كافرين يجب أن يحاربوا ويعصوا.

(١) «خطط المقرئزي»، (ج/٢، ص/٤٧٦) الطبعة الأميرية.

(٢) دائرة المعارف البريطانية مادة Preiahses.

(٣) «المقرئزي وفجر الإسلام»، (ج/١، ص/٣٤٤).

(٤) «محاضرات في الإسلام»، طبعة هيدنبرج سنة (١٩١٠م)، (ص/١٠١).

(٥) «المذاهب الفلسفية عند المتكلمين في الإسلام»، طبع سنة (١٩١٢م)، (ص/١٤٩).

يقول نالينو: إنَّ هذه المسألة كانت محل نقاش عنيف في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة، وهو نقاش نظري كان يتبعه دائماً نقاش عملي بالقوس والسيف، فواصل وعمرو في الواقع اعتزلا الخوارج القائلين بكفر مرتكب الكبيرة، واعتزلا الحسن البصري القائل بإيمانه وفسقه، ووقفوا موقفاً وسطاً، أي شبه حياد بين الرأيين المتعارضين واتبعوا منزلة بين المنزلتين.

فهو اعتزال عن الرأيين معاً، والوقوف على الحياد بينهما نظرياً وعملياً، دينياً وسياسياً، وامتناع عن الخصومات والمنازعات القائمة بين المسلمين حينئذٍ. وهذا الاسم قد اختاره المعتزلة أنفسهم للدلالة على موقفهم الخاص في هذه المسألة، وقد اعتمد نالينو في هذا أيضاً على رأي المسعودي السابق. ويؤيد رأي نالينو هذا ما كان بين نشأة الاعتزال وبين الأحزاب السياسية في العصر الأموي من صلة وثيقة<sup>(١)</sup>.

### \* مؤسس مذهب الاعتزال:

وعلى كل حال؛ فلا خلاف في أنَّ مؤسسي مذهب الاعتزال هما واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد:

#### (١) واصل بن عطاء:

كان من الموالي، ولد في المدينة سنة (٨٠هـ)، ثم انتقل إلى البصرة، وسمع عن الحسن البصري، و(توفي سنة ١٣١م)، وقد أُلِّفَ كُتُباً كثيرة في نشر مذهبه، وبثَّ الدعاة في الأقطار لذلك، ومع الأسف فلم تصل إلينا كتبه.

#### (٢) عمرو بن عبيد:

أمَّا عمرو بن عبيد؛ فهو مولى كذلك، وليس بعربي، تتلمذ للحسن البصري، وقد اعتزله مع واصل، وأُلِّفَ كُتُباً كثيرة لم تصلنا أيضاً، و(توفي سنة ١٤٥هـ)، وله مجادلات كثيرة مع أبي جعفر المنصور أحد مؤسسي الدولة العباسية.

(١) «مجلة الدراسات الشرقية»، المجلد السابع روما سنة (١٩١٦م)، (ص/٤٢٩-٤٥٤)، تحت عنوان:

*Nom R.S.O. Sull'origine del dei Muctazilit.*



والمعتزلة الذين كانوا في زمن عمرو بن عبيد وأمثاله لم يكونوا جهمية، وإنَّما كانوا يتكلمون في الوعيد وإنكار القدر، وإنَّما حدث فيهم نفي الصفات بعد هذا، ولهذا لما ذكر الإمام أحمد قول جهم في رده على الجهمية قال: «فاتبعه قوم من أصحاب عمرو بن عبيد وغيره، واشتُهر هذا القول عن أبي الهذيل العلاف والنظام وأشباههم من أهل الكلام».

ويطلقون على أنفسهم: «المعتزلة، وأهل العدل والتوحيد، وأهل الحق، والفرقة الناجية، والمنزهون الله عن النقص».

### \* أصول مذهبهم:

يقول الخياط: «وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

(١) التوحيد: ويعنون به إثبات وحدانيته سبحانه، ونفي المثل عنه، وأدرجوا تحته نفي صفات الله سبحانه، فهم لا يصفون الله إلا بالسلوب.

(٢) العدل: ويعنون به قياس أحكام الله - سبحانه - على ما يقتضيه العقل والحكمة، وبناءً على ذلك؛ نفوا أموراً وأوجبوا أخرى، فنفوا أن يكون الله خالقاً لأفعال عباده، وقالوا: إنَّ العباد هم الخالقون لأفعال أنفسهم إن خيراً وإن شراً، فالله لا يريد الشر، ولا يأمر به، ولا يريد لخلقه إلا ما هو أصلح لهم.

(٣) المنزلة بين المنزلتين: وهذا الأصل يوضح حكم الفاسق في الدنيا عند المعتزلة، وهي المسألة التي اختلف فيها واصل بن عطاء مع الحسن البصري؛ إذ يعتقد المعتزلة أنَّ الفاسق في الدنيا لا يُسمَّى مؤمناً بوجه من الوجوه، ولا يُسمَّى كافراً، بل هو في منزلة بين هاتين المنزلتين، فإن تاب؛ رجع إلى إيمانه، وإن مات مُصراً على فسقه؛ كان من المخلدين في عذاب جهنم.

(٤) الوعد والوعيد: والمقصود به إنفاذ الوعيد في الآخرة على أصحاب الكبائر، وأنَّ الله لا يقبل فيهم شفاعة، ولا يُخرج أحداً منهم من النار، فهم كفار خارجون عن الملة مخلدون في نار جهنم.

(٥) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهذا الأصل يُوضَّح موقف المعتزلة من أصحاب الكبائر، سواء أكانوا حكماً أم محكومين.

هذه هي أصول المعتزلة الخمسة التي اتفقوا عليها، وهناك عقائد أخرى للمعتزلة منها ما هو محلُّ اتفاق بينهم، ومنها ما اختلفوا فيه، فمن تلك العقائد:

(٦) نفیهم رؤية الله ﷻ: حيث أجمعت المعتزلة على أن الله - سبحانه - لا يُرى بالأبصار لا في الدنيا ولا في الآخرة، قالوا لأنَّ في إثبات الرؤية إثبات الجهة لله - سبحانه - وهو منزَّه عن الجهة والمكان.

(٧) قولهم بأنَّ القرآن مخلوق: وقالوا إنَّ الله كلَّم موسى بكلام أحدثه في الشجرة.

(٨) نفیهم علو الله سبحانه، وتأولوا الاستواء.

(٩) نفیهم شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته.

(١٠) نفیهم كرامات الأولياء، قالوا لو ثبتت كرامات الأولياء لاشتبه الولي بالنبي.

### \* أبرز رموزهم:

تكوَّنت للمعتزلة مدرستان مشهورتان هما: مدرسة البصرة، ومدرسة بغداد، وهما التياران الرئيسان لمذهب المعتزلة، وكانت تجري بينهما خلافات ومناقشات حادة:

أولاً: فمن أشهر أتباع مدرسة البصرة:

(١) واصل بن عطاء (١٣١هـ) وهو مؤسسها.

(٢) عمرو بن عبيد (ت ١٤٣، أو ١٤٤هـ).

(٣) معمر بن عباد السلمي (ت ٢٢٠هـ).

(٤) أبو هذيل العلاف (ت ٢٢٧هـ، وقيل ٢٣٥هـ).

(٥) النِّظام (ت ٢٣١هـ).

(٦) الجاحظ (ت ٢٥٦هـ).

(٧) أبو علي الجبائي (ت ٣٠٣هـ).

(٨) أبو هاشم الجبائي، (ت ٣٢١هـ).

ثانياً: ومن أشهر أتباع مدرسة بغداد:

(١) بشر بن المعتمر (ت ٢١٠هـ) وهو مؤسسها، وكان قبل ذلك من معتزلة البصرة.

(٢) أحمد بن أبي دؤاد (ت ٢٤٠هـ).

(٣) أبو الحسين الخياط (ت ٢٩٠هـ).

(٤) أبو القاسم البلخي الكلبي (ت ٣٢٩هـ).

### \* الفرق الأساسية:

#### (١) الواصلية:

أتباع أبي حذيفة واصل بن عطاء الغزال، وهو مؤسس فرقة الاعتزال، وهو الذي وضع الأصول الخمسة التي يرتكز عليها الاعتزال.

#### (٢) العمروية:

أتباع عمرو بن عبيد بن باب، الذي عاصر واصل بن عطاء، وكان ترباً له، فلما قام واصل بحركته انضم إليه وآزره، فأعجب واصل به، وزوجه أخته وقال: زوجتك برجل ما يصلح إلا أن يكون خليفة، كذلك كان عمرو معجباً بأستاذه، وقد أصبح شيخ المعتزلة بعد واصل، وشاركه في جميع أقواله وزاد عليه بما يلي:

- قوله بفسق كلا الفريقين من أصحاب الجمل وصفين، وأنهم خالدون في النار، بخلاف واصل؛ فإنه يفسق أحد الفريقين لا بعينه.

- خالف عمرو واصلًا في رده الأحاديث النبوية.

#### (٣) الهذلية:

أتباع أبي الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله البصري العلاف، ولد سنة (١٣٥هـ)، وتوفي سنة (٢٢٦)، وقيل: سنة (٢٣٥)، وقيل: سنة (٢٣٧هـ) في خلافة

المتوكل عن مائة سنة، مولى عبد القيس، وشيخ المعتزلة البصريين، أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل أحد أصحاب واصل بن عطاء. وقد اطلع على الفلسفة اليونانية فجاءت أقواله متأثرة بها.

وقد انفرد عن أصحابه بمسائل، منها:

- قوله: إِنَّ عِلْمَ اللَّهِ ﷻ هُوَ اللَّهُ وَقَدْرَتُهُ هِيَ هُوَ.
- أَنَّهُ أَثْبَتَ إِرَادَاتٍ لَا مَحَلَّ لَهَا يَكُونُ الْبَارِي تَعَالَى مَرِيدًا بِهَا، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَحْدَثَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ، وَتَابَعَهُ عَلَيْهَا الْمَتَأَخِرُونَ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ.
- قَوْلُهُ فِي كَلَامِ الْبَارِي تَعَالَى أَنَّ بَعْضَهُ لَا فِي مَحَلٍّ، وَهُوَ قَوْلُ «كُنْ» وَبَعْضُهُ فِي مَحَلٍّ كَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَالْخَيْرِ وَالْإِسْتِخْبَارِ، وَكَأَنَّ أَمْرَ التَّكْوِينِ عِنْدَهُ غَيْرُ أَمْرِ التَّكْلِيفِ.
- قَوْلُهُ فِي حَرَكَاتِ أَهْلِ الْخُلْدَيْنِ، أَنَّهَا تَنْقَطِعُ، وَأَنَّهُمْ يَصِيرُونَ إِلَى سَكُونٍ دَائِمٍ خَمُودًا، وَتَجْتَمِعُ اللَّذَاتُ فِي ذَلِكَ السَّكُونِ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، وَتَجْتَمِعُ الْآلَامُ فِي ذَلِكَ السَّكُونِ لِأَهْلِ النَّارِ.
- قَوْلُهُ فِي الْحِجَّةِ فِي الْأَخْبَارِ: قَالَ: إِنَّ الْحِجَّةَ فِي الْأَخْبَارِ الْمَاضِيَةِ الْغَائِبَةِ عَنِ الْحَوَاسِ لَا تَثْبِتُ بِأَقْلٍ مِنْ عَشْرِينَ رَجُلًا فِيهِمْ وَاحِدٌ أَوْ أَكْثَرُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

#### (٤) النِّزَامِيَّةُ:

أَتْبَاعُ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَيَّارِ بْنِ هَانِيٍّ الْمَعْرُوفِ بِالنِّزَامِ، سُمِّيَ بِهَذَا الْأَسْمِ لِأَنَّهُ كَانَ يَنْظُمُ الْخُرُزِيَّ فِي سُوقِ الْبَصْرَةِ، وَوُلِدَ سَنَةَ (١٨٥هـ)، وَتُوفِيَ سَنَةَ (٢٣١هـ)، خَالَطَ قَوْمًا مِنْ مِلْحَدَةِ الْفَلَّاسِفَةِ، ثُمَّ اتَّصَلَ بِهَشَامِ بْنِ الْحَكَمِ الرَّافِضِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِنْ فِرْقِ الضَّلَالِ، وَكَانَ ذَا شَطْحَاتٍ لَمْ يُوَافِقْهُ أَصْحَابُهُ عَلَيْهَا، إِلَّا شَرِذْمَةً مِنْهُمْ، وَكَانَ مَائِلًا إِلَى الرَّفْضِ.

#### (٥) الثَّمَامِيَّةُ:

أَتْبَاعُ أَبِي مَعْنٍ ثَمَامَةَ بْنِ أَشْرَسِ النَّمِيرِيِّ، وَكَانَ مِنْ مَوَالِيهِمْ لَا مِنْ نَسَبِهِمْ، وَهُوَ زَعِيمُ الْقَدْرِيَّةِ فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ وَالْمَعْتَصِمِ وَالْوَاقِقِ، تُوُفِيَ سَنَةَ (٢١٣هـ)، وَذَكَرَهُ ابْنُ الْمَرْتَضِيِّ فِي أَوَائِلِ مَنْ ذَكَرَ مِنْ رِجَالِ الطَّبَقَةِ السَّابِعَةِ.

\* وقد انفرد عن أصحابه بأمر، منها:

- بالغ في الوعيد، فجعل من مات من المسلمين مُصراً على كبرية واحدة مخلداً في النار مع فرعون وأبي لهب، وكان المعتزلة قبله يرون أنه يخفف عنه العذاب.
- لا فعل للإنسان إلا الإرادة، وما عداها فهو حدث لا يحدث له.
- إن الأفعال المتولدة لا فاعل لها.

### (٦) المعمرية:

أتباع معمر بن عباد السلمي، كان رأساً من رؤوس الضلال، ومن أعظم القدرية فرية في تدقيق القول بنفي الصفات، ونفي القدر خيره وشره عن الله تعالى، وهو من طبقة أبي الهذيل، تُوفي سنة (٢٢٠هـ)، وانفرد عن أصحابه بمسائل، منها:

- قوله: إن الله ﷻ لم يخلق شيئاً من الأعراض، وإنما خلق الأجسام فقط، والأعراض من خلق الأجسام.
- إنكاره أن يُقال: إن الله -تعالى- قديم، لأنه يُشعر بالتقادم الزمني، ووجود الباري ليس بزمني.
- قوله في المعجزات: إنها ليست من فعل الله؛ لأنها أعراض، والله -سبحانه- على رأيه لا يخلق الأعراض، وإنما تخلقها الأجسام.

### (٧) البشرية:

أتباع بشر بن المعتمر الهلالي من أهل بغداد، وقيل: من أهل الكوفة، ولعله كان كوفياً، ثم انتقل إلى بغداد، وهو رئيس معتزلة بغداد ومن تلامذة ثمامة بن الأشرس، تُوفي في حدود سنة (٢١٠هـ).

من أقواله التي انفرد بها عن أصحابه، ما يلي:

- إفراطه في باب التولد حتى قال: إن الإنسان يخلق اللون والرائحة والسمع والبصر، وجميع الإدراكات على سبيل التولد، وكذلك يخلق الحرارة والبرودة.

- أن حركة الجسم تُوجد في المكان الأول، لا في مكان ثانٍ، ولا واسطة بينهما، وإذا لم يكن بين المكانين واسطة لم يكن هذا الكلام الذي يقوله معقولاً، ولم يكن له حقيقة بحال.

- قال: مَنْ تاب عن كبيرة، ثم راجعها عاد استحقاقه العقوبة الأولى، وقوله هذا مخالف لإجماع المسلمين.

### (٨) الجاحظية:

أصحاب أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كان من فضلاء المعتزلة والمصنفين لهم، وقد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة، وخلط وروج كثيراً من مقالاتهم بعباراته البليغة، أخذ عن ثمامة بن الأشرس وعن أبي إسحاق النظام، وتُوفي سنة (٢٥٠هـ)، وقيل سنة ٢٥٥هـ، وقيل سنة ٢٥٦هـ).

وقد اشتهر بمسائل، منها ما يلي:

- قال: الجوهر يستحيل أن ينعدم أو يفنى.
- أثبت الطبائع للأجسام، وأوجب لها أفعالاً مخصوصة.
- إنَّ الأنبياء اعتمدوا المعاصي مع العلم بأن الله قد نهى عنها، ومعنى ذلك؛ أنه نفي العصمة عن الأنبياء.

### (٩) الجبائية:

أتباع أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي نسبة إلى جبلي، وهي بلد من أعمال خورستان في طرف من البصرة والأهواز، وهو شيخ المعتزلة في البصرة، تلقى الاعتزال عن أبي يعقوب الشحام، وكان مع حداثة سنه معروفاً بقوة الجدل، تُوفي سنة (٣٠٣هـ).

### \* الأشعرية:

فرقة كلامية كبرى، تنسب لأبي الحسن الأشعري المتوفى سنة (٣٢٤هـ) ظهرت في القرن الرابع وما بعده، وبدأت أصولها بنزعات كلامية خفيفة تدور على مسألة كلام الله -تعالى- وأفعاله الاختيارية، مع القول بالكسب الذي نشأت

عنه نزعة الجبر والإرجاء، ثم تطورت وتعمقت وتوسعت في المناهج الكلامية حتى أصبحت من القرن الثامن، وما بعده فرقة كلامية.

### تطور المذهب الأشعري عبر الترجمة لأهم الرموز:

#### (١) المؤسس أبو الحسن الأشعري (ت ٣٢٠.٣٣٠):

أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر، ويرجع نسبه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، كان شافعي المذهب، له مؤلفات منها: «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين»، و«رسالته إلى أهل الثغر»، و«الإبانة عن أصول الديانة».

مرَّ الشيخ أبو الحسن الأشعري في حياته بأطوار، منها ما هو متفق عليه بين العلماء والمترجمين له، ومنها ما وقع حوله خلاف، ويُمكننا القول، إنَّه مرَّ بطورين:

**الأوَّل:** مرحلة الاعتزال، ثم أعلن الأشعري رجوعه عن الاعتزال، فقد غاب في بيته ثم خرج إلى الناس بعد صلاة الجمعة وأعلن رجوعه عليهم، وإنَّه يتبرأ من جميع أقواله السابقة، وأظهر بعض مؤلفاته الجديدة بمذهبه الجديد المنتشر إلى اليوم.

**الثاني:** ما رجَّحه شيخ الإسلام ابن تيمية من أنَّ الأشعري قد قرَّب كثيراً من مذهب أهل الحديث، لكنَّه خالفهم في مواضع، والله أعلم.

#### (٢) أبو الحسن الطبري (ت ٣٨٠):

كان أحد تلاميذه الأربعة الذين اختصوا به، واسمه علي بن محمد بن مهدي، أبو الحسن الطبري، يُمثل مرحلة متوسطة بين الأشعري والباقلاني من حيث:

- إثبات الصفات الخبرية لله تعالى، وهذا موجود أيضًا عند الباقلاني، لكن نلمح من عبارات أبي الحسن الطبري شرحًا واضحًا لقولهم وقول الباقلاني: ونشبت أن لله يدين بلا كيف، فما معنى بلا كيف، عبارات الطبري تدل على أنه يقصد التفويض.

- إنَّ صفة العلو والاستواء لم تكن محلَّ شكٍّ أو نقاشٍ عندهم؛ لأنَّ نفيه أو تأويله هو منهج المعتزلة والجهمية، وهم مخالفون لهم في ذلك، وهذا ما ستجده عند الباقلاني أيضًا.

- تأويل الصفات الأخرى: كالفرح والضحك والمجيء والإتيان والنزول، وهذا ما سنجده عند من جاء بعده كالباقلاني الذي يؤول صفات الضحك والفرح أو المجيء والإتيان، فيذكر عدة أقوال منها التأويل، كما نجد هذا واضحًا عند البيهقي في كتابه: «الأسماء والصفات»، فقد نقل عنه كثيرًا خاصة في هذه الصفات.

- ونلمح في منهج أبي الحسن الطبري في مسألة الرؤية إشارة لبداية المشكلة بين المعتزلة النفاة والأشاعرة المثبتين، وذلك حول لزوم المقابلة من إثبات الرؤية.

وعلى العموم؛ فيدلُّ كلام الطبري على حرص الأشاعرة على أن يسيروا على منهج متوسط بين المعتزلة وأهل الحديث؛ ولذلك ردوا على المعتزلة وخالفوهم، كما أولوا بعض الصفات وخالفوا أهل الحديث المثبتين، وهذا ما يفسر تلك المواقف القوية لعلماء السنة من الأشاعرة في ذلك الوقت، ومن يطالع على عبارات أبي الحسن الطبري في تأويله لبعض الصفات يتضح لديه أن تلامذة الأشعري لم يسيروا على ما في «الإبانة» وإنما تتلمذوا على كتبه الأخرى ذات الصبغة الكلامية والمناهج التأويلية.

### (٣) الباقلاني (ت ٤٠٣):

هو الإمام القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر البصري، ثم البغدادي، ابن الباقلاني، كان من أهل البصرة، وسكن بغداد.

يُعتبر الباقلاني المؤسس الثاني للمذهب الأشعري؛ والباقلاني تلميذ لتلامذة الأشعري فهو قريب العهد به، وعلى الرغم من أن تلامذة الأشعري كانوا أقوياء وذوي تأثير واسع إلا أن أحدًا منهم لم يبلغ ما وصل إليه الباقلاني.

وقد طوّر المذهب الأشعري من خلال:



- الميل في المناقشات إلى العقل، وضعف الاعتماد على النقل، وإن كان الأمر لم يصل إلى إهماله.
- وضع المقدمات العقلية لمباحث العقيدة وعلم الكلام، مثل مباحث الجوهر والعرض، وأقسام العلوم، والاستدلال، والكلام عن الموجودات وأنواعها.
- الميل إلى بعض أقوال المعتزلة وخاصة في بعض الصفات، وإذا كان الأشعري أخذ يبعد عن الاعتزال في آخر كتبه، فالباقلاني أعاد المنهج الأشعري؛ ليقرب من أهل الكلام.
- تقعيد بعض القواعد الكلامية، التي أصبحت فيما بعد أصول الأشاعرة مثل القول بالجوهر الفرد، وأن العرض لا يبقى زمانين، وأنه لا يقول بالعرض.
- التركيز على مبدأ إنكار العليّة والسببيّة التي جعلها الله في الأشياء. كذلك القول في مسألة المعجزات والفرق بينها وبين السحر والكرامات والحيل.

#### (٤) ابن فورك (ت ٤٠٦):

هو محمد بن الحسن بن فورك، أبو بكر الأنصاري، الأصبهاني أقام أولاً بالعراق ودرس بها مذهب الأشعري على أبي الحسن الباهلي، ثم راسله أهل نيسابور فبنيت له فيها دار ومدرسة، وصار يدرس فيها وتخرج عليه جمهرة كبيرة من الفقهاء.

يُمكن تلخيص دور ابن فورك في تطور المذهب الأشعري بما يلي:

- العناية بالحديث والاهتمام به، مع البقاء على منهج وطريقة أهل الكلام وتأويلاتهم، وبذلك خف الحاجز الذي كان يفصل بين أهل الحديث الذين يثبتون ما دلت عليه النصوص، والأشاعرة الذين كانوا بعيدين عن الاهتمام بعلم الحديث رواية ودراسة، وهذا المنهج الذي سلكه ابن فورك هو ما سنجد به شكل أقوى وأوضح عند البيهقي.
- الغلو في التأويل، وكأنه صار هو الأصل، والإثبات هو القليل.
- تأويل صفة الاستواء والعلو، وهذا تطور خطير وكبير في المذهب الأشعري، وإن كان -كغيره من الأشاعرة- قد أثر عنه المنع من تأويلها.

## (٥) عبد القاهر البغدادي (ت ٤٢٩):

عبد بن طاهر بن عبد الله، أبو منصور البغدادي، التميمي، صاحب كتاب الفرق بين الفرق، أحد أعلام الأشاعرة في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس، وهو يمثل تقريباً مرحلة كل من الباقلاني وابن فورك.

### \* الجوانب البارزة في منهجه:

- مخالفته صراحة لبعض أقوال شيخ الأشاعرة أبي الحسن الأشعري، فهو يعرض الأقوال ومنها قول الأشعري، ثم يرجح قولاً آخر قال به غيره، ومن ذلك مسألة إيمان المقلد.

- تبني دليل حدوث الأجسام بقوة، وهو من أدلة المعتزلة، وقد قال به بعض الأشاعرة قبل البغدادي، لكن شيخهم أبا الحسن الأشعري رأى أنه دليل لم تدع إليه الرسل.

- تأييد القول بتجانس الأجسام كلها، وأن اختلافها في الصورة، وهذا قد قال به بعض المعتزلة، وبنوا عليه نفي صفات الله حين قالوا: إثبات الصفات تجسيم والأجسام متماثلة.

- أما مسألة الاستواء فقد قال البغدادي بالتأويل، مع أنه رد على المعتزلة الذين أولوا الاستواء بالاستيلاء.

- وأبرز تطور جاء على يد البغدادي هو قوله في الصفات الخبرية، وقوله بتأويلها.

- صياغته لمذهب الأشاعرة على أنه مذهب أهل السنة والجماعة، حتى أنه كاد يستقر في أذهان كثير ممن ينتسب إلى الفقه والعلم أن أقوال الأشاعرة تمثل المذهب الصحيح الذي هو مذهب السلف.

## (٦) البيهقي (٤٥٨)، والقشيري (٤٦٥)، والجويني (٤٧٨)، يمثلون مرحلة

تالية، وقد أخذ التطور في هذه المرحلة أبعاداً أخرى:

(أ) فالبيهقي: مجدد المذهب الشافعي في الفقه، وأحد أعلام المحدثين، كان له دور في ربط المذهب الأشعري بالفقه الشافعي، ثم في دعم الأشاعرة من

خلال حرصه على الحديث وروايته، ولبيان أن ذلك لا يخالف منهج الأشاعرة الكلامي.

(ب) والقشيري: أدخل التصوف في منهج وعقائد الأشاعرة.

(ج) والجويني: خَطَّ أخطوات بالمذهب نحو الاعتزال.

(٧) أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ):

هو الشيخ أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، يُعتبر أحد أعلام الأشاعرة والذين دافعوا عن المذهب ضد مناوئيه من مختلف الطوائف، ولذلك؛ سمي أحد أشهر كتبه الأشعرية بـ «الاقتصاد في الاعتقاد»؛ ليكون مقتصدًا ووسطًا كما يقول بين الحشوية من جهة والمعتزلة والفلاسفة من جهة أخرى، والغزالي لم يأتِ بجديد فيما يتعلّق بمذهب الأشاعرة، بل جاءت كتبه واستدلالاته مُلخّصة عن سبقه من أعلام الأشاعرة مع صياغة جديدة وأسلوب سهل.

ويمكن تلخيص هذا التأثير بما يلي:

- التأكيد على إنكار السببية، فقد تأثر به من جاء بعده، دون الانتباه إلى تحفظاته التي أوردها.

- تكريس قانون التأويل الكلامي في المذهب، وقد جاءت صياغة هذا القانون بشكل مركز على يد الرازي.

- إنّه لا مانع أن يحمل الإنسان أكثر من عقيدة - حسب الأحوال - وهذا ما نشاهد نموذجًا له عند الرازي، الذي ظهر في بعض كتبه فيلسوفًا وبعضها أشعريًا.

(٨) فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ):

هو محمد بن عمر بن الحسن بن علي، فخر الدين أبو عبد الله، القرشي البكري، الطبرستاني، الرازي، له رحلات ومناظرات ومصنفات في تفسير، والفقه، وأصوله، وعلم الكلام والفلسفة، والبلاغة، وغيرها.

يُمثِّل الرازي مرحلة خطيرة في مسيرة المذهب الأشعري، فقد ترك مؤلفات عديدة دافع فيها عن المذهب الأشعري بكل ما يملكه من حجج عقلية، كما أنَّه أفاض في بعضها في دراسة الفلسفة فوافق أصحابها حيناً وخالفهم حيناً آخر، بل وصل الأمر به إلى أن يؤلّف في السحر والشرك ومخاطبة النجوم، وقد اختلفت آراء الناس فيه بين مادح وقادح، ومدافع عنه منافع، وناقده له جارح، وقد انتهى في آخر عمره إلى أنَّ الحق في الرجوع إلى مذهب أهل الحديث، وهو الاستدلال بالكتاب والسُنَّة، ولكن بقيت المشكلة في مؤلفاته الكلامية والفلسفية التي انتشرت وتلقفها المهتمون بهذه الأمور.

ومن جاء بعده من الأشاعرة اعتمد -في تقرير أصول المذهب الأشعري- على ما كتبه الرازي؛ لأنَّه استقصى ما يُمكن أن يُقال ممَّا جاء به المتقدمون من الأشاعرة وزاد على ذلك، ومن ثمَّ أصبحت كتبه مصادر ميسرة ومستوعبة لأدلة الأشاعرة في تقرير مذهبهم والرد على خصومهم.

- في مسألة الرؤية ضعف دليل الأشاعرة العقلي، واقتصر في إثباتها على السمع.

- كما نقد دليل الأشاعرة على إثبات صفة السمع والبصر.

- وكذا في صفة المحبة بين أنه لا دليل لهم على تأويلها بالإرادة.

- وفي حصرهم الصفات الثابتة بسبع نقدهم نقداً قوياً.

- أمَّا في صفة الكلام، فيعتبر الرازي من الذين ناقشوا حقيقة الخلاف بين الأشعرية والمعتزلة، وقد ضعف أدلة الأشاعرة العقلية لإثبات هذه الصفة، بل بيَّن أن منازعة الأشاعرة للمعتزلة في هذه المسألة ضعيفة، وصرح بأنَّ الحروف والأصوات محدثة.

- اعتذاره لنفاة الصفات بأنَّهم أرادوا بنفيها إثبات كمال الوجدانية لله تعالى، بل مال إلى مذهب المعتزلة في الصفات حين رد صفتي الإرادة والقدرة إلى صفة العلم.

- كما نقد الاستدلال بالإحكام والإتقان على العلم، وهو من أدلة الأشاعرة المشهورة.

- دافع عن تكفير المعتزلة والخوارج والروافض، وناقش الأوجه التي كفر بها بعضهم بعضاً، ومن ذلك تكفير الأشاعرة لغيرهم، وفي مسألة الجهل بصفات الله رجَّح أنه لا يكفر الجاهل بها، وعلل ذلك بأنه يلزم منه تكفير كثير من أئمة الأشعرية بسبب خلافهم في إثبات الصفات، كما رجح أن أهل التقليد ناجون، خلافاً لكثير من الأشعرية.

- تصريحه بالجبر في مسألة القدر وذلك خلافاً لشيوخه الذين ينكرون أن يكون قولهم بالكسب يؤدي إلى الجبر.

#### (٩) أبو الحسن الأمدي (٦٣١):

وقد اشتهر بكتابه الكبير وهو أبحار الأفكار، وقد اختصره في كتابه الآخر غاية المرام في علم الكلام، ومنهج الأمدي يقرب من منهج الرازي في بعض الأمور ومنها:

- خلطه علم الكلام بالفلسفة، وهو يُعنى كثيراً بالمصطلحات وبيانها.

- نقده لأدلة الأشاعرة في المسائل المختلفة وتضعيفها.

- ميله إلى التصوف الفلسفي.

أمّا ما خالف فيه الأمدي الرازي فأمر:

- أنه مع غلبة الحيرة عليه حتى في الأصول الكبار؛ إلا أن تناقضه أقل من تناقض الرازي.

- والأمدي كثيراً ما يرد على الرازي.

- والأمدي لا يتزعزع يقينه في أن أدلة السمع ظنيّة لا تفيد اليقين، بخلاف الرازي الذي يُشكك أحياناً في أدلة العقل فيُحيل على أدلة السمع.

ويُمكن أن يُقال: إن المذهب الأشعري أخذ السمات التالية:

- ضرورة المقدمات المنطقية والعقلية لتحديد المصطلحات، والإحالة عليها عند عرض ما يتعلّق بها من موضوعات العقيدة.

- التمسك بدليل حدوث الأجسام، والتركيز على ضرورته لأجل الرد على القائلين بقدم العالم.

- استقرار القانون العقلي - عند تعارض العقل والنقل - الذي جاءوا به على أنه قانون مسلم، يلجئون إليه دائماً عندما يواجهون بالنصوص.

- خبر الآحاد لا يُفيد اليقين، فلا يحتج به في العقائد ابتداءً، ولا مانع من الاحتجاج به في مسائل السمعيات، أو فيما لا يعارضه قانون عقلي.

- مسألة نفي العلو والجهة: أصبحت من المسائل المسلمة التي لا تقبل المناقشة.

- التوحيد: هو توحيد الربوبية فقط، ويدخلون فيه نفي الصفات الخيرية التي تقتضي عندهم تجسيمًا؛ لأن هذا يخالف - عندهم - حقيقة التوحيد، أمّا توحيد الألوهية؛ فلا يُشيرون إليه في كتبهم إلا من خلال موضوعات التصوف التي تدخلها الشريكيات والانحرافات الكثيرة.

- في الصفات استقرّ الأمر على إثبات الصفات السبع العقلية - وخلاف باقي في صفة البقاء - أمّا ما عداها من الصفات فيجب تأويلها.

- الصفات الخيرية، فيها قولان: التأويل أو التفويض، وكلاهما متقاربان في النتيجة، وهي القطع بنفي ما يدل عليه ظاهرها.

- نفي الصفات الفعلية الاختيارية، وهي ما تُسمى بمسألة حلول الحوادث.

- كلام الله، أبقوا على ما كان موجودًا عند شيوخهم من الأشاعرة، وهو القول بالكلام النفسي، وأنه أزلي، وأنه معنى واحد، أمّا ما يتعلّق بالقرآن المتلو؛ فقد يميلون إلى رأي المعتزلة.

- الرؤية الثابتة، لكن مع نفي العلو، ولم يتخلوا عن هذا التناقض الواضح إلا ما ظهر من ميل الرازي إلى تفسير الرؤية بأنها مزيد من الانكشاف العلمي، وهو قريب جدًا من مذهب المعتزلة.

- في القدر: بقيت كثير من قضاياها، كالكسب، وإنكار التعليل، والقول بالتحسين والتقييح الشرعي فقط، وتكليف ما لا يطاق، والاستطاعة

-على المذهب المشهور عنهم- أمّا القدرة التي للعبد وهل هي مؤثرة؛ فقد تعددت أقوالهم فيها، وإن كان الغالب عليهم الميل إلى أنّها غير مؤثرة.

- الإيمان: قالوا إنّ التصديق -وبعضهم يقول: إنّ المعرفة- مع قولهم بوجوب الطاعات، وتأثيم العصاة.

- النبوات: يثبتونها بدلائلها التي هي المعجزات، ويميلون إلى ما قرره الباقلاني فيها.

- وفيما يتعلق بحكمهم على من خالفهم، فقد بقي المذهب متأرجحاً بين التكفير لغالب الطوائف، والأعذار لهم.

- أما مسائل الإمامة والتفضيل بين الخلفاء الأربعة، والسمعيات من المعاد وأحوال القيامة والجنة والنار، والشفاعة، وعدم خلود أهل الكبائر في النار، فلم يتغير مذهبهم فيها، بل بقي موافقاً لمذهب أهل الحديث، وإن وقع خلاف في كثير من تفاصيل هذه المسائل، وخاصّة ما يتعلق بطرق الاستدلال لها، والله أعلم.

#### \* الماتريدية:

فرقة كلامية، تُنسب إلى أبي منصور الماتريدي، قامت على استخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية في محاجة خصومها، من المعتزلة والجهمية وغيرهم؛ لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية.

#### \* إمام المذهب الماتريدي:

محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي، أبو منصور، وماتريد محلة بسمرقند فيما وراء النهر، حنفي المذهب هو وشيوخه وشيوخه الذين تتلمذوا على أصحاب أبي حنيفة، ولأبي منصور كتب كثيرة في الفقه وأصوله وفي التفسير وعلم الكلام، وغالب كتبه الكلامية في الرد على معتزلة عصره، والرد على الباطنية والروافض، ومن أبرز كتبه كتاب: «التأويلات» المسمى: «تأويلات أهل السنة»، وكتاب: «التوحيد».

\* ومن أشهر أقواله :

- (١) القول بوجوب النظر وإبطال التقليد في مسائل العقيدة، وهذا قريب من مذهب بعض الأشاعرة الذين لا يصححون إيمان المقلد.
- (٢) مصادر المعرفة عنده: الأعيان (الحس)، والخبر، والنظر.
- (٣) الاستدلال على إثبات الصانع بدليل حدوث الأجسام المبني على عدم خلوها من الأعراض.
- (٤) استدلاله في بعض مسائل العقيدة بالسمع والعقل.
- (٥) الماتريدي يُثبت الصفات العقلية لله -تعالى- كالسمع والبصر والقدرة، والإرادة والإحياء والإماتة والرزق، وغيرها من صفات الذات وصفات الفعل، ولذلك؛ فهو يقول بأزلية صفات الفعل، ومنها صفة التكوين التي قال إنها أزلية، وهي من المسائل الكبار التي تميّز بها مذهب الماتريدية عن مذهب الأشعرية.
- (٦) الماتريدي من نفاة الصفات الاختيارية لله -تعالى- تبعًا لمنعه حلول الحوادث بذات الله تعالى، ويبنى ذلك على مسألة دليل حدوث الأجسام.
- (٧) ينكر الماتريدي أن يكون الله في جهة العلو، ويؤول بعض الأدلة.
- (٨) يقول بأن الله فاعل مختار على الحقيقة، وهو خالق كل شيء، والعبد مختار لما يفعلوه وهو فاعل كاسب.
- (٩) الماتريدي يميل إلى القول بالتحسين والتقيح العقلي.
- (١٠) الإيمان عند الماتريدي هو التصديق، ومحله القلب، ويستدل لذلك بدليل السمع والعقل.

\* تطور الماتريدية:

مرت بالماتريدية أدوار أهمها ما يلي:

- (أ) دور تأسيسي (٢٥٨-٣٣٣هـ) وهو دور أبي منصور الماتريدي إمام الماتريدية، ويمتاز هذا الدور بأنه دور النشأة والتأسيس، كما يمتاز بشدة النطاح



بين الماتريدي والمعتزلة، كما يظهر من تأليفات الماتريدي فيما سبق، ومن خلال نصوص الماتريدي ضد المعتزلة في كتبه.

(ب) دور تكويني (٣٣٣-٤٠٠هـ) وهو دور تلامذة الماتريدي ومن تأثر به بعده وتلامذة تلامذته، ويمتاز هذا الدور بأن تكونت فيه فرقة كلامية ماتريدية، وظهرت على وجه الأرض، كما يمتاز بوجود تلامذة الماتريدي الذين نشروا أفكار شيخهم وإمامهم والدفاع عنه.

(ج) دور بزدوي (٤٠٠-٥٠٠هـ)، وهذا الدور تمديد لسابقه بالنشر والتأليف، ومن أهم شخصيات هذا الدور (أبو اليسر البزدوي) (٤٩٣هـ) أخو (فخر الإسلام) (٤٨٢هـ).

(د) دور نسفي (٥٠٠-٧٠٠هـ) وهذا الدور كاسمه نسف العقيدة السلفية في الصفات نسفاً أكثر من سابقه، وامتاز بكثرة التأليف، وجمع الأدلة للعقيدة الماتريدية، ومن أهم أعيان هذا الدور أبو المعين النسفي (٥٠٨هـ)، ونجم الدين عمر النسفي (٥٣٧هـ)، وحافظ الدين عبد الله النسفي (٧١٠هـ) وهو أكبر أدوار العقيدة الماتريدية السابقة.

(هـ) وفي بداية هذا الدور دور آخر: وهو دور صابوني يمتاز بكثرة المناظرات بين الماتريدية والأشعرية، وأهم شخص في هذا الدور هو أبو محمد نور الدين أحمد بن محمد الصابوني (٥٨٠هـ).

(و) دور ديوبندي (١٢٨٣هـ إلى ما شاء الله) نسبة إلى جامعة ديوبند التي أسسها سنة (١٢٨٣هـ) الشيخ محمد قاسم النانوتوي إمام الديوبندية (١٢٩٧هـ)، ويمتاز هذا الدور بكثرة التأليف في علم الحديث من شروح وغيرها، والديوبندية أئمة في العلوم النقلية والعقلية، كما هم في قمة من الزهد والتأله، وهم خدموا الإسلام وحاربوا الشرك والبدع إلى حد كبير غير أنهم حرفوا الأحاديث إلى مذهبهم الحنفي الفقهي، والكلامي الماتريدي كما يتضح من كتبهم، وهم في غاية من التعصب للمذهب الحنفي والتقليد الأعمى حتى جعلوا كثيراً من الأحاديث

حنفية بالتأويلات الباطلة، وللديوبندية شعبتان مهمتان: شعبة التعليم والتدريس، وشعبة التبليغ والتربية وهي المعروفة بجماعة التبليغ.

(ز) دور بريلوي (١٢٧٢هـ إلى ما شاء الله): نسبة إلى زعيمهم: أحمد رضا خان الأفغاني الحنفي الماتريدي الصوفي القبوري الملقب بعبد المصطفي (١٣٤٠هـ)، ويمتاز هذا الدور بالإشراك الصريح، وعبادة القبور فهي فرقة وثنية محضة، كما يمتاز بشدة العداوة مع الديوبندية وتكفيرهم فضلاً عن تكفير أهل الحديث الذين يسمونهم بالوهابية.

(ح) دور كوئري (١٢٩٦هـ إلى ما شاء الله): منسوب إلى الشيخ محمد زاهد الكوئري الجركسي الحنفي الماتريدي عدو السلفية (١٣٧١هـ).

### \* المقارنة بين الأشعرية والماتريدية:

(١) تطور المذهب الأشعري وكان تطوره بالقرب من مذهب المعتزلة، أو بالالتصاق بالفلسفة أو التصوف، أمّا المذهب الماتريدي فلم يقع فيه التطور، بل بقيت أقوال الماتريدي هي المعتمدة لدى متأخري الماتريدية كأبي المعين النسفي، ونجم الدين أبي حفص النسفي.

(٢) على الرغم من وجود الفروق بين المذهبين إلا أنه قد وقع نوع امتزاج بينهما، ومن أبرز الأمثلة على ذلك:

(أ) ما فعله ابن الهمام في كتابه المشهور: «المسيرة»، حيث اعتمد على كتاب: «الرسالة القدسية»، وهي المسماة: «قواعد العقائد» التي ألّفها الغزالي لأهل القدس.

(ب) لما ألّف النسفي -عمر بن محمد- متن العقيدة الذي سمي بـ «النسفية» اعتني بشرحها -من منطلق المذهب الأشعري- بعض الحنفية، ومنهم سعد الدين التفتازاني، في شرحه المشهور الذي اشتهر ووضعت له حواش عديدة.

(ج) ألّف البزدوي كتابًا في أصول الدين، حاول فيه أن يجمع بين طريقتي الأشعرية والماتريدية.

(د) ومن الأمثلة على تداخل المذهبين أنّ نور الدين الصابوني الماتريدي رجح -خلافًا لشيخ الماتريدية- أنّ دليل الرؤية الوجود، ومن المعلوم أنّ الماتريدي يحتج للرؤية بالسمع فقط، أمّا معاصره فخر الدين الرازي؛ فرجح مذهب الماتريدي ونصّ على ذلك، ذاكراً اسم الماتريدي.

### خلاصة:

العقيدة، أو التوحيد أو الإيمان، كلّها أسماء لعلم واحد، والمفترض أن عناية هذا العلم من حيث الأصل هي بموضوعات الإيمان المذكورة في حديث جبريل: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره. فتعنتني مباحث هذا العلم بشرح كل ركن من أركان الإيمان، والمسائل والأدلة المتعلقة بكل ركن.

وقد اختلفت الاتجاهات الإسلامية في تراثنا حول قضايا ومسائل هذا العلم، فنشأت فرق تقول في هذه القضايا بأقوال شديدة الضلال وهم: الخوارج والرافضة والجهمية والمعتزلة.

ووقف في مجابتههم السلف الصالح بداية من الصحابة فالتابعين وأتباعهم فردوا على شبههم بالوحي قرآناً وسنة.

في القرن الثالث الهجري حصلت مواجهة عنيفة بين المعتزلة وهم أكثر هذه الفرق إنتاجاً وأعمقها بناء وبين أهل الحديث الذين رفعوا راية وراثه علم السلف من الصحابة فمن بعدهم، واستوى بصورة تامة مصطلح أهل السنة في مقابل تلك الفرق البدعية كلها.

ثم كان هناك رجل اسمه: عبد الله بن سعيد بن كلاب، أنشأ أقوالاً هي وسط بين عقائد وأقوال المعتزلة وبين أقوال أهل الحديث.

وتأثر بابن كلاب رجلان هما:

أبو الحسن الأشعري، وأبو منصور الماتريدي، وهما من أهل القرن الرابع الهجري.

وتبعهما اتجاهان علميان دان بهما كثير من علماء المسلمين منذ القرن

الخامس الهجري وهما الأشاعرة والماتريدية.

وحاصل مذهب الاتجاهين الوارثين لطريقة ابن كلاب: أنه تقريرات في قضايا ومسائل الاعتقاد فيها اختيار أقوال توسطت بين مذهب المعتزلة وبين مذهب أهل الحديث، وهذا التوصيف هو الصواب في الجملة ولكن يزعم بعض المنتسبين للاتجاهين أن الاتجاهين يتفقان مع أهل الحديث، وهذا في الواقع ليس صواباً بل الصواب ما حققه ابن تيمية أن مذهب أهل الحديث مغاير لهؤلاء.

ووفقاً لتصور ابن تيمية الذي نرى صوابه في الجملة:

في مسائل الاعتقاد هذه، طريقة أهل الحديث هي في الجملة طريقة الصحابة والتابعين وأتباعهم، وأما طريق الأشاعرة والماتريدية ففيها موافقات لطريقة السلف وفيها مخالفات هي حاصل عملية تلفيقية امتزجت فيها أقوال المعتزلة بأقوال الكلاية ببقايا من أقوال أهل الحديث، فأنتجت أقوالاً في مسائل صفات الله ومسائل القدر وبعض مسائل النبوات = مخالفة للنصوص القطعية ومخالفة لنصوص السلف وتقريرات أهل الحديث.

ومع قيام دول الباطنية والتتر امتزجت بعض تيارات الأشعرية والماتريدية بتصوف القبور والاستغاثة بالأولياء فدخل عليهما مكون خرافي شركي فيه إحياء للوثنية القديمة مع إلباسها لبوس الشرع.

فصار حاصل الخلاف مع الأشاعرة والماتريدية في ثلاثة مجالات:

الأول: قضايا الصفات والقدر والنبوات.

الثاني: مسائل التصوف الشركي والاستغاثة بالأولياء..

الثالث: مسائل متفرقة في بدع القبور والأضرحة وبدع التعبد والتعصب

المذهبي.

ومجموع هذه الثلاثة هو ما شكل معالم الصراع بين السلفية المعاصرة والأشاعرة والماتريدية، وكلا طرفي الصراع قصر في أبواب من العلم والعدل وسياسة الخلاف، لكن هذا لا ينبغي أن يلفتنا على أن أصل الخلاف خلاف عظيم ومهم يتعلق بحقيقة فقه ما أتى به محمد بن عبد الله ﷺ.

واعتقادي هو أنّ طريقة أهل الحديث هي أصح الطرق في تحرير تلك الأبواب، وأنّها من حيث الواقع أقرب الطرق لِمَا تدلُّ عليه النصوص، ولَمَّا كان عليه صحابة النبي ﷺ، وأنّ الخلاف في تلك الأبواب كثير منه لا يسوغ، وإن أمكن إغذار المخالف فيها والشهادة له بإرادة الحق من جهة الله والرسول لكنه أخطأ هذا الحق خطأ لا يبيح الوقعة في قصده.

وهذا الخلاف والجدل حوله لم يعد هو نفسه مبحث العقيدة الموصوف في أول سطرين، بل هو فرع آخر من المعرفة هو علم الكلام، وهذا العلم ينبغي أن يكون الخوض فيه والجدل في موضوعاته خاصًا بساحات البحث ومتخصصي الباحثين، أما أن يسمّى العقيدة وأن يمضغه أطفال التعلم في أفواههم ويجعلونه هوية للذات وقضية للعيش = فهو صورة أخرى من صور اختلال أولويات العلم والعمل.

### \* الصوفية:

التصوف اسم لكل الاتجاهات التي زاد اعتناؤها بأبواب العمل الباطن، وتدور نصوصهم وممارساتهم حول القلب وعباداته وأمراضه، والنفس وتزكيتها وغيوبها، مع مبالغة في الزهد والتعبد وقطع الاشتغال بالدنيا؛ طلبًا لتصفية النفس ومعرفة الحق من طريق التقوى والعمل والعرفان.

وهذه الاتجاهات ظهرت بداية من القرن الأول الهجري في البصرة، ومن أعلامها الحسن البصري ومالك بن دينار، وحصل لها نوع تأثر بالزهد المسيحي الذي كان شائعًا في البصرة، مع وجود مساحة حق كبيرة تتقاطع مع السلوك النبوي وهدى الصحابة.

ولم نصل إلى القرن الخامس الهجري حتى كان التصوف قد ترسخ في البنية الثقافية والمجتمعية الإسلامية وصار واقع الاشتغال الديني الإسلامي يقسم إلى:

النظر في أبواب العقائد نظرًا معرفيًا، وهذه وظيفة المتكلمين.

النظر في أبواب الأعمال والفروع وهذه وظيفة الفقهاء.

النظر في إصلاح القلب والجوارح، والعمل بالعلم الذي في القسمين السابقين، وهي وظيفة علماء السلوك والتصوف.

وصار لكل عالم معتقده الكلامي، ومذهبه الفقهي وطريقته الصوفية .  
مع التطور التاريخي دخلت ثلاثة مكونات على هذه الصورة، قد تجتمع في  
اتجاه أو شخص وقد تفترق:

الأول: التأثير بالفلسفات الغنوصية وبتجاهات التصوف اليهودية والمسيحية  
والهندية والفارسية .

الثاني: التأثير بالمذاهب الحلولية بالتحديد من تلك الفلسفات السابقة .  
الثالث: دخول الممارسات البدعية، ثم الوثنية والشركية وعبادة القبور ورفع  
مراتب الأولياء حتى تصرف لهم بعض العبادات التي يعد صرفها لغير الله شرك .  
فصار التصوف بحسب اختلاطه بمكون أو أكثر على أربعة أنواع:

الأول: تصوف سني قريب جداً من السلوك النبوي وهدى الصحابة  
والتابعين، فيه أنواع من المبالغة والتدقيق وطرف من الآراء والممارسات الخاطئة  
لكن تظل داخل دائرة الاجتهاد في طلب السنة لا يوجد فيها أصل بدعي وفق  
المفهوم الكلامي للافتراق عن السنة (الذي يشترط المخالفة في أصل كبير)، ومن  
أمثله تصوف الحسن والمحاسبي والجنيدي والجيلاني وابن الجوزي وابن القيم في  
بعض نصوصه .

الثاني: تصوف بدعي، فيه من طلب الحق والسنة الكثير لكن لا يخلو من  
بعض البدع كتدقيقات أوغل في العجمة وأبعد عن السنة من تدقيقات النوع  
الأول، وبدع في السلوك والعمل كالسماع والرقص والطرق والعهود ونحو ذلك،  
ومن أمثله تصوف السلمى والقشيري والهروي والغزالي .

الثالث: تصوف شركي، وفيه ما عند الطائفتين السابقتين ويزيد عليه بدع  
القبور وشركيات الاستغاثة بالأولياء، ويوجد عند كثير من أعلام ما بعد القرن  
الثامن الهجري .

الرابع: تصوف فلسفي غنوصي باطني أو حلولي اتحادي، وهو أبعد مراتب  
التصوف عن مقالات الإسلاميين وكثير من أعلامه قيل بكفرهم، ومنهم  
السهروردي المقتول، وابن عربي، والرومي وابن سبعين .

لعلَّ أَرَجَحَ ما قِيلَ في تسمية الصوفية أنَّها نسبة إلى (Sofia) بمعنى الحكمة،  
ويليه في القوة أنَّها نسبة إلى الصوف؛ لأنَّ النسبة إلى الصوف صوفي، وممَّن  
رجح هذا القول ابن تيمية والسهورودي وابن خلدون<sup>(١)</sup>.

ولهم أسماء أخرى: (كأرباب الحقائق، والفقراء، وأهل الطريق) وغير  
ذلك.

\* ويمكننا لفهم أدق للصوفية أن نقسمهم إلى أقسام ثلاثة:

### (١) التصوف السلوكي:

ويبدأ هذا الصنف في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري والقرن  
الثالث، وامتاز هذا الطور بالحرص على الاتباع دون الابتداع -غالبًا- وعلى  
رأس هذا الطور:

(أ) ظهر إبراهيم بن أدهم (١٦١هـ) وهو يغزو في بلاد الروم.

(ب) وأبو سليمان داوود بن نصر الطائي (١٦٥هـ) وقد انشغل بالعلم  
والفقه، واشتهر بالخلوة والعبادة.

(ج) ورابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية، أم الخير المشهورة بالزهد  
والصلاح.

(د، هـ) والفضيل بن عياض توفي في مكة (١٨٧هـ)، وشقيق البلخي  
(١٩٤هـ).

وأكمل هذا التصوف مَنْ جاء بعد هؤلاء، كالجُنَيْد، والحكيم الترمذي،  
ومعروف الكرخي.

وكان هؤلاء على اعتقاد حسن في الجملة، مع زهد ومجانبة للدنيا.

ويشمل هذا الصنف النوعين الأول والثاني السابق ذكرهما في مطلع  
الكلام.

---

(١) «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، (ص/٢٤)، طبعة دار الكتب العلمية، عوارف  
المعارف للسهورودي، (ص/٥٩-٦٣)، طبعة دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ).

## (٢) التصوف الفلسفي:

وهذا الطور بدأ في القرن الرابع الهجري وعلى رأسه الحسين بن منصور الحلاج (٣٠٩هـ)، وأظهر القول بالحلول مع تناقض فيه، وقال بقدوم النور المحمدي.

وقد تقلد القول بالحلول والاتحاد بعد ذلك ابن عربي وجماعة من متصوفة القرن السابع كابن سبعين، وابن الفارض، ومنهم أبو بكر محمد بن موسى الواسطي (٣٣١هـ).

وممّن مزج بين هذين النوعين من التصوف بدرجات متفاوتة أبو حامد الغزالي.

## (٣) التصوف القبوري:

(أ) وكان ذلك في القرن الخامس الهجري وما بعده ومن أبرز الأعلام الذين نسبت إليهم الطرق، محيي الدين عبد القادر الجيلاني (الجيلي) (٥٦١هـ)، وإليه تنسب الطريقة القادرية، وهناك مناقشات في صحة هذه النسبة.

(ب) وأحمد بن أبي الحسين الرفاعي من بني رفاعه، وإليه تنسب الطائفة الرفاعية البطائحية نسبة إلى مولد أحمد الرفاعي بالبطائح.

(ج) وظهرت بعد ذلك الشاذلية، ومؤسسها هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي نسبة إلى شاذلة في تونس (٦٥٦)، وتنسب إليه الطريقة الشاذلية، وانتشرت طريقته في مصر واليمن ومراكش وغرب الجزائر.

(د) وكذلك ظهر في هذا الطور أحمد البدوي، استقر بمصر بطنطا حتى وفاته سنة (٦٣٤هـ) وإليه تنسب الطريقة الأحمدية، حيث انتشرت طريقته في جميع أرجاء مصر، ولها فروع متعددة يمتازون بشاراتهم وهي العمامة الحمراء.

(هـ) وظهر في هذه الحقبة إبراهيم الدسوقي (٦٦٧هـ) وإليه تُنسب الطريقة الدسوقية التي تقوم على الخروج عن حظوظ النفس والهوى، والدعاء إلى المحبة بين الناس والتسليم المطلق من المرید للشيخ وعدم استحباب الخلوة إلا في حضرة الشيخ.



وقد صحب ظهور الطرق الصوفية القول بالكرامات، وقد نصر طريقتهم هذه بعض الفقهاء مثل تقي الدين السبكي، وقد شاع التصوف القبوري مع سيطرة الدولة العثمانية على العالم الإسلامي، وكانت محاربة التصوف القبوري من أهم الركائز التي قامت عليها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله، ومحاربته من نقاط الالتقاء بين السلفية الوهابية والسلفية الإصلاحية.



## ١٠- التاريخ

\* مُصطلحُ التاريخِ والتطوراتِ التي لحقت به<sup>(١)</sup>:

في اللغة: تعريف الوقت، وتاريخ الشيء وقته وغايته، والتاريخ أيضًا علم يبحث في الوقائع والحوادث الماضية. وحقيقته كما قال ابن خلدون: «إنَّه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال، مثل التوحش والتأنس، والعصبية، وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومسايعهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال»<sup>(٢)</sup>.

وقد مرَّت كلمة التاريخ بتطورات عديدة، فقد بدأت بمعنى التقويم والتوقيت في صدر الإسلام، واحتفظت بهذا المعنى لفترة، ثم صارت بمعنى آخر وهو تسجيل الأحداث على أساس الزمن، لتحل كلمة «التاريخ» تدريجيًا محلَّ ما كان، وصارت تطلق على عملية التدوين التاريخي، وعلى حفظ الأخبار، بشكل متسلسل، متصل الزمن والموضوع، للدلالة على هذا النوع الجديد من التطور في الخبر والعملية الإخبارية، منذ منتصف القرن الثاني الهجري.

(١) مستفاد من كتاب: «المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب»، د/ سالم أحمد محل.

(٢) «مقدمة ابن خلدون»، (ص/٥٧).

\* وأصبحت كلمة «تاريخ»، تحمل خمسة معانٍ في العربية:

(١) سير الزمن والأحداث، أي: التطور التاريخي، كالتاريخ الإسلامي، وتاريخ اليونان، والتاريخ السوماري بالعراق.

(٢) تاريخ الرجال أو السير الشخصية.

(٣) عملية التدوين التاريخي، أو التاريخ، مع وصف لعملية التطور وتحليله.

(٤) علم التاريخ والمعرفة به، وكتب التاريخ.

(٥) تحديد زمن الواقعة أو الحادثة، باليوم والشهر والسنة.

ويُعرّف الكافيحي التاريخ بأنه: «تعيين الوقت لينسب إليه زمان مطلقاً، سواء كان قد مضى أو كان حاضراً أو سيأتي...»، ثم يعطي الكافيحي بُعداً حضارياً للتاريخ ضمن استطراده لتعريف التاريخ، فيقول: «وقيل: التاريخ تعريف الوقت، بإسناده إلى أول حدوث أمر شائع، كظهور ملة، أو وقوع حادثة هائلة، من طوفان أو زلزلة عظيمة».

وعرفه السخاوي أنه تحديد وقائع الزمن من حيث التعيين والتوقيت<sup>(١)</sup>.

ولا يعرف بالضبط متى دخلت هذه الكلمة اللغة العربية؛ إذ إنَّها لم ترد في الشعر الجاهلي، أو في القرآن الكريم، أو في الحديث الشريف، ويبدو أنَّها استعملت لأول مرة في أخبار نشأة التقويم الهجري، ويرجح الباحثون المعاصرون أنَّها من أصل سامي، سرياني أو أكادي، أو من لغة عرب الجنوب، فكلمة ورخ، وأرخ، وأرخو، كلمات تعني عند عرب الجنوب، وفي السريانية، والأكادية: القمر، أو الشهر، ومن هنا، كان التأريخ هو «التوقيت بالقمر»، أو بتعبير آخر، بالشهر الذي يمثل دورة القمر، وبالليلة من الشهر، عن طريق تتبع هذه الدورة، ثم انتقل هذا المعنى للدلالة على الليلة، والشهر، في الوثائق، ولم تلبث الكلمة أن اكتسبت معنى «الكتابة التاريخية»<sup>(٢)</sup>.

(١) «الإعلان بالتويخ لمن ذم التاريخ»، للسخاوي (ص/١٧)، ويُنظر: «أبجد العلوم»، (ص/٣١٥).

(٢) يُنظر: «فتح الباري»: (٧/٢٦٨).

وقد رسخت بهذا المضمون في القرن الثاني الهجري، ويظهر أنّها قد أخذت دلالتها هذه من كتب التاريخ الأولى، التي كانت تحوي تحديداً زمنياً معيناً، في تراجم الأشخاص، وسني ولادتهم ووفاتهم.

### \* موضوع التاريخ:

يدرس المؤرخون كافة مظاهر الحياة الإنسانية الماضية، والأحوال الاجتماعية والثقافية، تماماً مثل الحوادث السياسية والاقتصادية، ويدرس بعض المؤرخين الماضي وصولاً لفهم آلية تفكير وعمل الناس على نحو أفضل، في الأزمنة المختلفة، بينما يبحث الآخرون عن العبر المستفادة من تلك الأعمال والأفكار؛ لتكون موجهة للقرارات والسياسات المعاصرة. على أية حال، يختلف المؤرخون في الرأي حول عبر التاريخ، وهكذا؛ فإنّ هناك العديد من التفسيرات المختلفة للماضي.

### \* مضمون التاريخ:

كان المؤرخون حتى القرن العشرين يعنون في المقام الأول بالأحداث السياسية، وكانت كتاباتهم مقصورة على الدبلوماسية والحروب، وشؤون الدولة. أمّا الآن؛ فإنّ المؤرخين يدرسون العديد من المواضيع الأخرى، فينظر بعضهم في الأحوال الاقتصادية والاجتماعية ويتقصى آخرون تطور الحضارات والفنون، أو العناصر الأخرى للحضارة.

يُصنّف التاريخ غالباً، بوصفه واحداً من العلوم الاجتماعية، جنباً إلى جنب مع عدد من ميادين البحث كالاقتصاد، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، ولكن المؤرخين يختلفون عن غيرهم من علماء الدراسات الاجتماعية في الطريقة التي تتم بها دراسة التطورات الاجتماعية، فبينما يبحث علماء الاجتماع عن قوانين تُفسر بعضاً من أنماط السلوك المتكررة في وقت ما؛ فإنّ المؤرخين يدرسون الأحوال والحوادث في ذلك الزمن، وقد يلجأ المؤرخون لبعض نظريات العلوم الاجتماعية، والعلوم الأخرى لتساعدهم في شرح تلك الأحوال والحوادث، ولكنهم من النادر، أن يحاولوا تطوير قوانين عامة.

## \* كيف يعمل المؤرخون؟

تحتاج دراسة التاريخ إلى العديد من العمليات والتقنيات، ويتبع معظم المؤرخين بعض الخطوات الرئيسية في أعمالهم:

أولاً: يتم اختيار قضية أو شخص ينتمي لفترة معينة من الماضي للدراسة.  
ثانياً: قراءة العديد من المصادر المادية، أي كل شيء دُون عن أو حول الموضوع، وهو ما يعرف بعملية جمع المعلومات من المصادر المختلفة، وتفسر بعد ذلك المعلومات التي تم جمعها من تلك المصادر.  
أخيراً: تدوين حكاية تاريخية أو ترجمة شخصية.

## \* انتقاء وتقويم المصادر:

يستخدم المؤرخون في أبحاثهم نوعين رئيسيين من المصادر، مصادر أولية، ومصادر ثانوية. تتكون المصادر الأولية من الوثائق والسجلات الأخرى، عن الفترة الجارية دراستها، بما في ذلك، الكتب، واليوميات والرسائل والسجلات الحكومية، وتم استخدام الأفلام، وأشرطة التسجيل مصادر أولية للحوادث في بداية القرن العشرين، وتتكون المصادر الثانوية من المواد التي يتم إعدادها فيما بعد، من قبل دارسي المصادر الأولية.

ويختار المؤرخون الوثائق التي تُظهر بدقة الحقائق التي يرغبون في معرفتها، لهذا؛ فهُمْ يفضّلون المصادر الأولية على الثانوية، والتقارير السرية على العلنية، ويستخدم المؤرخون الذين يدرسون وقائع حديثة، نموذجًا خاصًا من المصادر؛ إذ يعتمدون على مقابلة المشاركين في صنع الحوادث، وتدوين شهادتهم الشفوية، وبذلك يكمل التاريخ الشفوي، التاريخ الوثائقي.

وتُعتبر ندرة المصادر، إحدى المعضلات الكبيرة للمؤرخين الذين تشبه أعمالهم في بعض الأحيان، الاكتشافات، فهناك العديد من الأعمال والأفكار لأفراد عاديين، لم تُسجل ولم تُدون البتة، كما أنّ كثيرًا ممّا قد دُون، فقد

أو أُتلفَ بمرور الزمن، وكذلك على المؤرخين الاعتماد على كتابات قلة من المؤلفين، أصبح بعضها قطعاً متفرقة هنا وهناك.

يُحلل المؤرخون الوثائق، التي عليهم العمل بها؛ لتحديد ما يمكن الاعتماد عليه منها، وتتم مقارنة الوثائق بمصادر أخرى منعا لوقوع أي خطأ في تسلسل الأحداث أو اختلاف في أسلوب الكتابة، وعليهم أيضاً التأكد من أمانة كاتب الوثيقة للتعامل معه.

### \* تفسير الحوادث التاريخية:

تعتبر الحقائق التاريخية الرئيسية، معطيات عامة، تُعتمد من قبل جميع المؤرخين؛ لكونها غير مشكوك فيها، ومع ذلك، يختلف المؤرخون في الغالب، حول معاني ودلالات تلك الحقائق، ويحاولون أن يكونوا محايدين قدر الإمكان، لكن قد تؤثر معتقداتهم والأحكام المسبقة في تفسيراتهم، فعلى سبيل المثال، قد تحمل الأفكار الاجتماعية والاقتصادية والدينية مؤرخاً ما على تقبل ما يعتقده الأشخاص الآخرون على أنه أمر عادي أو مُسلم به. يحدد هذا الحكم بالمقابل ما يقبله المؤرخون شهادة موثوقاً بها، أو دليلاً لتفسير الحوادث، وتبين مثل هذه التفسيرات، الأسباب الداعية لعدم قبول أو موافقة المؤرخين على الحوادث، مع استخدامهم لنفس المعطيات.

ويعتمد بعض المؤرخين، في تفسيراتهم، ولحد كبير، على المعلومات من بعض العلوم الاجتماعية، وتُدعى الدراسات التاريخية المعتمدة على نظريات علم النفس، التاريخ النفسي، وبشكل مماثل، يستخدم بعض المؤرخين الطرق الإحصائية لتفسير المعطيات من تلك المصادر، كالإحصاءات القديمة ودفاتر الحساب، ويُدعى هذا سليومتريك.

في نهاية المطاف يُعدُّ المؤرخون بيانات مدوّنة عن الحوادث، وكتابة التاريخ جزء من ميدان يُدعى التأريخ، ويستخدم بعض أفضل المؤرخين، البراعة الفنية للروائيين والكتاب المسرحيين للتعبير قدر الإمكان.

## \* التاريخ عند العرب :

راعى المؤرخون العرب صدق الرواية في تأريخهم لأنفسهم ولغيرهم من الأمم الأخرى، وكانت أغلب مؤلفاتهم تدور حول تاريخ البلدان التي فتحوها، وتاريخ الإسلام وتاريخ أهم الأقطار والمدن كمصر والأندلس والمغرب ومكة والمدينة ودمشق وبغداد، ومن أبرز المؤرخين العرب والمسلمين المسعودي وأهم مؤلف له في التاريخ مروج الذهب، ومحمد بن جرير الطبري، وأشهر كتبه: «تاريخ الرسل والملوك»، ومن أشهر المؤرخين في العالم ابن خلدون، ويُعد كتابه: «المقدمة» من أروع وأوسع كتب التاريخ، وقد استفاد من ملاحظاته فيما يقع من أحداث، ويرى أنّ هناك اطرادًا في السلوك الإنساني شبيه بما يحدث في الطبيعة، كما أدّى انتشار العربية بين غير العرب من نصارى ويهود إلى أن ألف بعضهم كتبًا في التأريخ النصراني واليهودي باللغة العربية، ومن بين هؤلاء البطريق يوتخيوس، والأسقف ساويروس الملقب بأبي البشر بن المقفع، وقد ألفا في تاريخ الكنائس الشرقية، ومن أفضل كتب التاريخ التي ألفت في القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي كتاب عبد الرحمن الجبرتي: «عجائب الآثار في التراجم والأخبار»، ويعد الجبرتي من بين أشهر مؤرخي العالم العشرة.

ومعظم ما كتب عن تاريخ العرب والمسلمين -خلال نهاية القرن التاسع عشر وإلى ما بعد النصف الثاني من القرن العشرين- كان قد كتبه المستشرقون والمستعمرون، وقد وضعوا الأسس الحديثة لكتابة هذا التاريخ، وكانوا ملتزمين فيه بما يعود عليهم بالنفع وهو ما لا يشترط، في الغالب، أن يعود بمثله على العرب والمسلمين، إلاّ أنّه ظهرت مؤلفات في منتصف القرن العشرين الميلادي ونهايته صارت تتناول التاريخ العربي من منظور أوسع، من ذلك كتاب محمد كرد علي: «الإسلام والحضارة العربية»، وعبد المنعم ماجد في كتابه: «التاريخ السياسي للدول العربية»، وأحمد شلبي في موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية.



وقد اتبع العرب في شبه جزيرتهم قبل الإسلام، التقويم القمري، وعدة الشهور عندهم اثنا عشر شهرًا، وكانوا ينسؤون الشهور، أي: يكبسون بعض السنين القمرية، بالزيادة في أشهرها لإلحاقها بالسنة الشمسية، وكانوا يؤرخون بالنسبة للحوادث العظام في تاريخهم، كسيل العرم، وعام الفيل، وبناء الكعبة، ويوم ذي قار، وغيرها.

إلا أنه في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، اتخذ العرب المسلمون مبدأ موحدًا لتاريخهم وهو عام الهجرة، وبذلك وُضِعَ للتأريخ العربي عمود أساسي من أعمدة بنيانه، وقُدِّمت لتوثيق الدولة خدمة جُلِّي لا تقدر بثمن، فنشأ بذلك «التقويم الهجري» المعتمد على «التقويم القمري» وحده، واعتبر الفاتح من شهر محرم بداية للسنة الهجرية.

### \* فنون الكتابة التاريخية عند العرب<sup>(١)</sup>:

ويُمكن إجمال الفنون التاريخية الرئيسة التي صَنَّفها العرب في العصور الإسلامية حتى مطلع العصور الحديثة بما يلي:

(١) كُتِبَ السِّيرة، أي السيرة النبوية: وأشهر من كتب في هذا الموضوع محمد بن إسحاق، ولخَّص له ونقح مروياته عبد الملك بن هشام.

وفي الواقع ندر أن يمر قرن من دون إعادة تدوين السيرة والمغازي، في أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي.

(٢) كُتِبَ الطَّبَقَات: وتبحث في تراجم الشخصيات، مصنَّفة في طبقات، ويقصد بالطبقة، الفئة من الناس التي تعاصرت في الزمن، أي: ليس لها المعنى الاجتماعي الاقتصادي المعطى لها اليوم.

وقد يكون كتاب «طبقات الصحابة» لمحمد بن سعد أول المدونات في هذا الفن، ولقد انتقل المؤرخون العرب من طبقات الصحابة، وعلماء الحديث ورواته، إلى طبقات غيرهم، من الشعراء، والأدباء، والفقهاء، والحفَّاظ، والنُّحاة، والأطباء، بل الأمم وغيرهم.

(١) مستفاد من مقال منشور على الموسوعة العربية.

(٣) كُتِبَ التَّرَاجِمُ: وتحدث في سير الأفراد، من صحابة، وخلفاء وأمرء، ووزراء، وعلماء، ومحدثين وغيرهم، وهي تشبه كتب الطبقات، إلا أنها لا تختص بفئة معينة، ولا تلتزم في ترتيب تراجمها الأسس المتبعة في تلك الكتب.

وتسير في غالبية الأحوال، في تصنيف أعلامها، على الترتيب (الألف بائي) للأسماء، وقد يطلق عليها اسم مُعْجَم، وقد تكون لمعظم الشخصيات الإسلامية ذات الشأن في جميع الأقطار الإسلامية، أو في قطر واحد، أو في مدينة، وقد تختص بتراجم شريحة معينة من المجتمع، كالعلماء، أو الأدباء، أو الخلفاء، أو الوزراء أو القضاة وغيرهم.

(٤) كتب المغازي والفتوح: وتحدث عن غزوات الرسول ﷺ وسراياه، وعن الفتوحات الإسلامية في مختلف الأمصار.

وقد يكون أول من أفرد للمغازي كتاباً خاصاً عروة بن الزبير رضي الله عنه، وجاء محمد بن إسحاق فدمجها في السيرة، وسار الباحثون في سيرة الرسول على نهجه ومن أقدم كتب المغازي كتاب: «المغازي النبوية»، لابن شهاب الزهري.

أمَّا الفتوح، فكان ممن افتتح باب الكتابة فيها، محمد بن عمر الواقدي، مؤرخ الرشيد والمأمون، وكتب في فتح إفريقية، والشام وغيرهما. وتبعه البلاذري في كتابه: «فتوح البلدان»، وغيرهما كثيرون ممن بحث في فتوح إقليمهم من دون غيره، كابن القوطية القرطبي في كتابه: «تاريخ فتح الأندلس».

(٥) تاريخ البلدان: ويبحث في تاريخ مدينة، أو إقليم، من أول نشأته حتى زمن مؤرخه، مع ترجمة لكبار الشخصيات فيه، من سياسيين وعلماء، وأدباء وغيرهم.

ويُعدُّ المؤرخ السخاوي في كتابه: «الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ»، عددًا كبيرًا من تلك المؤلفات مرتبة بحسب (ألف بائية) تلك المدن والأقاليم، أكانت في المشرق أو المغرب والأندلس.

ويُلحق السَّخاوي بتواريخ البلدان المشار إليها، ما أسماه تصانيف في البلدان، والتعريف بها وذكر مآثرها وفتوحها، وهي أقرب إلى علم الجغرافية، إلا أنَّ محتواها غنيٌّ جدًّا بالمعلومات التاريخية.

ومن هذه التصانيف «معجم البلدان»، لياقوت الحموي، و«المسالك والممالك»، لعبد الله أبي عبيدة البكري المغربي، و«مسالك الأبصار في الأقطار والأمصار»، لابن فضل الله العمري.

(٦) كتب التاريخ العام: وتبحث في تاريخ البشر بصفة عامة، ومنذ بدء الخليقة حتى عصر المؤرخ، وتركّز بصفة خاصة على التاريخ الإسلامي، وأغلبها ينقل عمّا قبله، إلاَّ أنَّها في تدوينها للمرحلة المعاصرة للمؤلف؛ فإنَّها أصيلة، وتُعتبر مصدرًا أوَّلاً أساسيًا.

- وتُصنّف كتب التاريخ العام بحسب طريقة عرضها، في صنفين:

(أ) كتب التاريخ الحولية: وتعرض الحوادث متسلسلة زمنًا، وحولاً حولاً، ومن الأقدم إلى الأحدث، وتسرد في السنة الواحدة حوادث متنوعة، سياسية واجتماعية، واقتصادية، وفكرية، وعمرانية وغيرها، ومن كل بقاع العالم المعروف للمؤلف، ومن تلك التواريخ المهمة، كتاب: «تاريخ الرسل والملوك»، لابن جرير الطبري.

(ب) كتب تاريخ الدول، أو السلالات الحاكمة، أو الشعوب: ومن الذين نهجوا هذا الطريق المسعودي في كتابه: «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، وابن خلدون في كتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر»، وغيرهما.

(٧) المختصرات التاريخية: وهي مختصرات لكتب تاريخية ضخمة، يضعها مؤلفو تلك الكتب في كثير من الأحوال، لمن لا وقت له ولا صبر على مطالعة مطوّل الأحداث ومفصلها، ومثال على ذلك كتاب «دول الإسلام»، للمؤرخ الذهبي الذي هو مختصر «تاريخ الإسلام»، للمؤلف ذاته.

(٨) كتب تاريخ النظم الإدارية: وهي التي عكف فيها بعض الفقهاء والمؤرخين على بيان النظم الإدارية التي اتبعتها الدولة في مسيرتها.

ومن هؤلاء الماوردي في كتابه: «الأحكام السلطانية»، وابن الطُّقْطُقِي في مُؤَلَّفِهِ: «الفخري في الآداب السلطانية»، وضَمَّن ابن خلدون، مقدمته حديثًا عن بعض تلك النُّظْم أيضًا.

وينتمي إلى هذا النوع -وإنما باختصاص إداري أضيق- ما دوَّنه بعض المؤرخين عن مناصب إدارية بعينها، كالقضاء والقضاة، والولاية والولاية، والوزارة والوزراء، والدواوين.

ومن نماذج هذه التآليف كتاب: «الوزراء والكتّاب» لمحمد بن عبدوس الجهشياري، و«النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية»، لعمارة اليميني، و«قوانين الديوان»، لابن مماتي.

وقد اهتم بعض المؤرخين بالنظم المالية بصفة خاصة، من أمثال أبي يوسف في كتابه: «الخراج»، وقدامة بن جعفر في كتاب الخراج أيضًا.

وقد اتخذ هذا اللون من التأليف التاريخي، صورة أكثر إحاطة وشمولاً، عندما دخل في تركيب المؤلفات الموسوعية، وأفضل مثل عليه كتاب: «نهاية الأرب في فنون الأدب»، للنويري، وكتاب: «صبح الأعشى في صناعة الإنشا»، للقلقشندي.

(٩) تاريخ الفكر الديني: ويدرس بصفة خاصة تاريخ الفرق الدينية والمذاهب وفكرها، ومثال على ذلك كتاب: «الفصل في الملل والنحل»، لعلي بن حزم الأندلسي، و«الملل والنحل»، للشهرستاني، وغيرهما.

وهكذا؛ فعلم التاريخ عند العرب نما نموًا تدريجيًا، ومن بذرة صغيرة استندت في بداياتها إلى الرواية الشفوية وبعض الكتابية، إلى شجرة ضخمة وباسقة، كثيرة الفروع، ومتنوعة الثمر وناضجة.

## \* مراحل التدوين التاريخي<sup>(١)</sup>:

يُمكن القول بأنَّ التدوين التاريخي مرَّ بثلاث مراحل توازي إلى حد كبير ما مر به علم الحديث أو غيره من علوم العرب، ولكنَّها مراحل ليست منفصلة بقدر ما هي مراحل مترابطة ومتشابكة:

**المرحلة الأولى:** يتسم التدوين فيها بالطابع الشخصي بالنسبة إلى الهدف من استخدام التدوين، وبطابع العفوية والفضول العلمي والمنفعة الدينية والاجتماعية، ولقد بدأت عملية التدوين نقلاً عن الشفاه، وعن غيرها من السجلات في الكتب والوثائق، وقد رافق هذه المرحلة وجود جمهور واسع من رواة التاريخ والأخبار والأنساب يحدثون بما يعرفون مثل يزيد بن عقييل بن أبي طالب الأخ الأكبر لعلي، الذي كان يروي في مسجد المدينة أيام العرب ومعاركها ومثالب قريش، وعمر بن خولة الراوية الفصيح، ومكي بن سودة وغيرهم، وقد كون هؤلاء ما يمكن أن نسميه بجمهور التاريخ، والذي كان يشكل الإطار العام لاهتمامات الناس التاريخية.

ولقد امتدت هذه المرحلة الأولى حتى مطلع القرن الثاني الهجري، وكانت الخطوات الأولى تجري للانتقال بالتاريخ من حالة المعرفة الشفوية إلى المعرفة الكتابية، أي: من التاريخ المروي إلى التاريخ المكتوب، كما أنَّ اهتمام التدوين في هذه المرحلة أيضًا كان متوجَّهًا بصورة خاصة إلى مواضيع محددة من السيرة النبوية، وفي هذه المرحلة ظهر عبد الله بن عباس، وعروة بن الزبير، وشرحبيل بن سعد، وابن شهاب الزهري، وخلال هذه المرحلة أيضًا ظهر الاهتمام بالمعارف التاريخية بوضوح لدى الخلفاء الأمويين منذ عهد معاوية وطلبوا تسجيل ذلك لهم من أفواه الناس.

**المرحلة الثانية:** امتدت خلال القرن الثاني كله تقريبًا، واهتم الإخباريون خلالها بجميع أخبار الأحداث المختلفة ذات المواضيع المتنوعة كلها ومن جميع

---

(١) ما سيأتي مُلخَّص ومُستفاد من كتاب: «التاريخ العربي والمؤرخون»، لشاكر مصطفى، و«المنظور

الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب»، للدكتور/ سالم أحمد محل.

الأفواه والرواة، ومع أن الاهتمام بالسيرة النبوية لم ينقطع في هذه المرحلة؛ فإنَّ الاهتمام بالأخبار التاريخية الأخرى صار أكثر وضوحًا، بل ولقد واكب وزاحم أحيانًا كثيرة الاهتمام بالسيرة نفسها، ولعلَّ السبب في ذلك أنَّ السيرة كانت قد استكملت المعارف عنها، واستنفدت كافة المصادر والمعلومات المتعلقة بها، بينما وجد الإخباريون ميادين أخرى لفعاليتهم الفكرية والثقافية ومواضيع ما يهم الناس سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، وهكذا فقد اندفع رجال هذه الفترة من الإخباريين في تأليف العشرات من الكتب بل المئات، وقد استقصت في مجموعها أيضًا ما يهم المؤرخ معرفته من المعلومات عن مختلف مواضيع التاريخ الإسلامي خاصة وتاريخ العرب الجاهلي وبعض تواريخ الأمم، ومن بين هؤلاء الرجال أبو مخنف لوط بن يحيى، والواقدي وغيرهما.

**المرحلة الثالثة:** وهي مرحلة تدوين التاريخ على أساس التسلسل الزمني، وجمع المواضيع المتعاقبة على التوالي في كتاب واحد، وهي تستند إلى فكرتين أساسيتين:

**أولاهما:** وحدة التاريخ الإسلامي وأهمية تجارب الأمة الإسلامية.  
**وثانيتهما:** وحدة تاريخ البشرية من خلال سلسلة الأنبياء، ولقد استمرت هذه المرحلة حتى نهاية القرن الثالث، حيث استقرت وتوطدت، فتوطد بها علم التاريخ الإسلامي ومناهجه في التدوين، ونجد بداية ذلك لدى ابن إسحاق صاحب السيرة في أواسط القرن الثاني، وإسحاق بن إبراهيم صاحب كتاب: «السير في الأخبار والحوادث»، وهو خطوة أخرى نحو جمع السير والأخبار في كتاب واحد، كما تم وضع أول كتاب في التاريخ على أساس الطبقات لتراجم الرجال.

وتجدر الإشارة إلى أن صناعة الورق هي الأخرى قد ساعدت على التوسع في التدوين التاريخي، كما ساعد الورق على جمع المؤلفات التاريخية الصغيرة ذات الموضوع الواحد في مجموعات تاريخية واسعة تضم مختلف المواضيع في نسق زمني متصل.

## \* المدارس التاريخية :

(أ) مدرسة المدينة: استأثر الاهتمام الإسلامي بهذه المدرسة، ولعل السبب في ذلك هو أنّ المدينة كانت عاصمة الخلافة، ومركز تجمع الصحابة، ولعلّ ملامح النشأة التاريخية تبدو واضحة في هذه المدرسة وطبقتها الأولى؛ أبان بن عثمان، وعروة بن الزبير، وشرحبيل بن سعد، ووهب بن منبه وهؤلاء الأربعة شكلوا دعامة أولى في كتابة المغازي.

ويُمثل أبان بن عثمان بن عفان مرحلة انتقال بين دراسة الحديث ودراسة المغازي، كما نقل ابن هشام وابن سعد ما جمع عروة بن الزبير من أحاديث، وأخذ ابن إسحاق والواقدي ثم الطبري من أخباره التي ضمت المغازي وأخبار الردة في روايات قصيرة موجزة، ولشرحبيل بن سعد أخبار عن أسماء من هاجر إلى المدينة، ومن اشترك في غزوة أحد.

ويتبع هؤلاء طبقة ثانية يمثلها عبد الله بن أبي بكر بن حزم، وعاصم بن عمرو بن قتادة ومحمد بن شهاب الزهري، وللأول تسجيل لبدء حياة الرسول، وأخبار معتمداً على روايات عروة.

وتختتم مدرسة المدينة بطبقة ثالثة فيها موسى بن عقبة ومعمّر بن راشد ومحمد بن إسحاق، وهؤلاء تلاميذ للزهري، وعند إسحاق والواقدي، ومن بعدهما بدأت مرحلة جديدة متميزة في التدوين التاريخي العربي.

وإذا كان القرآن الكريم هو المصدر الأول لدراسة التاريخ يليه الحديث، وكانت بدايات التأليف وثيقة الصلة بهذين المصدرين؛ فإنّ الحركة التاريخية التي نشأت في المدينة اعتمدت على الرواية الشفوية كرواة الحديث، والخبر التاريخي عمدته السماع من الموثوق بهم من الحفاظ، وهذه هي طريقة الإسناد، وكل جيل ينهل من الذي قبله.

(ب) مدرسة العراق التاريخية والإخباريون الأوائل: إذا كانت قد برزت مرحلة جديدة عند إسحاق والواقدي في التدوين التاريخي؛ فإن مدرسة العراق التاريخية قد تلت المدرسة الأولى في المدينة، وعرف الإخباريون الأوائل في

الكوفة والبصرة كأبي مخنف لوط بن يحيى وهو إخباري من أهل الكوفة وله تأليف عن مقتل الحسين، وأخذ الثأر، وتأليف في الردة والفتوح والجمل وصفين، وعوانة بن الحكم، وهو إخباري كوفي كان على دراية بأخبار الفتوح مع علم بالشعر والأنساب.

ومن إخباريي الكوفة أيضًا محمد بن السائب الكلبى والذي اهتم بدراسة الأنساب، وسيف بن عمر وهو عراقي أخذ عن شيوخ الكوفة، كما أفاد من روايات المدينة، وله كتاب عن الردة والفتوح.

ويأتي بعد الإخباريين الأوائل المؤرخون، وقد اهتم الطبري منهم بالإسناد وتسلسل الرواة شأن الإخباريين، ثم تحررت الكتابة التاريخية من هذه الطريقة إلى الكتابة المرسلة، وظهر هذا واضحًا جليًا عند يعقوبى والمسعودى اللذين اكتفيا بالإشارة إلى المصادر مع دراسة نقدية في بعض الأحيان، كما فعل المسعودى في «مروج الذهب».

### ظهور كبار المؤرخين:

مع نهاية القرن الثالث الهجرى، عرف التاريخ اسمه الحقيقي شكلاً ومضموناً، ورسمت معالمه التي لم تتغير فيما بعد إلا في شكلها الخارجى. وهذه المعالم ترسخت على أيدي مؤرخين كبار أبرزهم:

(أ) ابن قتيبة الدينورى (٢٧٠هـ): أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفى، وعرف بالدينورى نسبة إلى دينورى التي كان قاضيًا فيها، كان عالماً باللغة والنحو والقرآن ومعانيه، وتصل قائمة مؤلفاته إلى (٤٦ مؤلفاً)، لعل أبرزها هو: كتاب «عيون الأخبار»، وكتاب «المعارف» الذي يجمع فيه صاحبه بين فكرة التاريخ العلمى، وفكرة الوحدة الثقافية في تاريخ العرب.

وقد تميز ابن قتيبة بحس نقدي، جعله لا يقتصر على نقد المصادر فقط، بل يتعدى ذلك إلى المعلومات الواردة، مع إيراد الآراء السائدة في عصره.

(ب) البلاذرى (٢٧٩هـ): أبو جعفر بن يحيى بن جابر البلاذرى، وهو من رجال البلاط العباسى منذ عهد المتوكل حتى المعتز. كان أحد النقلة من اللسان



الفارسي إلى العربية، له عدة مؤلفات غير أن أشهرها هو كتاب: «فتوح البلدان»، وكتاب «أنساب الأشراف»، ويسمى أيضاً «الأخبار والأنساب».

وقد تميز البلاذري بكونه كان يورد للخبر الواحد أكثر من رواية واحدة، وعندما يصل إلى جمع مادته يعمل على تصنيفها وتنسيقها.

(ج) أبو حنيفة الدينوري (٢٨٢هـ): أحمد بن داود، فارسي الأصل أخذ علمه عن البصرة والكوفة، كان نحوياً ولغوياً وراويًا ثقة فيما يرويه ويحكيه. من أهم كتبه كتاب: «الأخبار الطوال» الذي درس فيه فترات من تاريخ العالم يمكن تحديدها كالتالي:

- القسم الأول: تناول فيه التاريخ منذ آدم شاملاً جميع الأنبياء.

- القسم الثاني: تناول فيه تاريخ الفرس الساسانيين والروم.

- القسم الثالث: تناول فيه حروب العرب والعجم.

ولعلَّ إيلاءه عناية خاصة بتاريخ الفرس يدخل في منزلة وباب التاريخ العام، والجدير بالذكر أيضًا هو أنَّ أبا حنيفة قد راعى التسلسل الزمني في كتاباته التاريخية، وفي الموضوعات التي اختارها لمؤلفاته، أمَّا منهجه في التأليف، فيقوم على إهمال الأسانيد الطويلة مؤثرًا السرد الروائي الذي يتخلله الكثير من الشعر.

(د) اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن واضح الإخباري العباسي، وهو مؤرخ وجغرافي كثير الأسفار من أهل بغداد له كتب متعددة منها: «تاريخ اليعقوبي»، وكتاب: «البلدان»، وقد تناول إلى جانب تاريخ الأنبياء والفرس والجاهلية، تواريخ الأمم الأخرى القديمة من آشورية وبابلية.. ولقد اهتم بهذه التواريخ بالجانب الحضاري أكثر من اهتمامه بالجانب السياسي.

أمَّا مصادره في تاريخه فتعكس تقدمه في فهم المنهج التاريخي وإدراكه، وخلال عرضه لمادته المنتقاة نراه يهمل الأسانيد، لكنَّه يذكر مصادره الأساسية في مطلع أبحاثه.

(هـ) الطبري (٣١٠هـ): محمد بن جرير بن يزيد، وهو علم معروف في التاريخ الإسلامي وفي التفسير، بلغ به التدوين التاريخي نهاية عمر التكوين والنشأة، ولد بمدينة آمل بطبرستان، وقد بدت عليه علامات الذكاء منذ صغره؛ إذ حفظ القرآن وهو ابن سبع سنوات، كما ألمَّ بعلوم القرآن والنحو والشعر واللغة والفقه، له عدة مؤلفات، غير أن أهم ما اشتهر به فهو كتاب: «التفسير»، وكتاب: «التاريخ الكبير»، المسمى: «تاريخ الرسل والملوك وأخبارهم»، وهو تاريخ عالمي اعتمد الطبري في تدوين ما يتعلّق منه بالتاريخ الإسلامي، «المنهج الحولي» أو التاريخ على السنين.

ومع أن الطبري يحرص على ضبط الأسانيد بنوع من الصرامة يتجاوز سطحيتها أو انتقائيتها كما عند ابن قتيبة والدينوري واليعقوبي؛ فإنه ميال إلى إيراد الروايات وتجميعها، حتى وإن كان لا يشفع لضعفها إلا تواتر نقلها.

- المسعودي (٣٤٦هـ): عرف أبو الحسن علي بن الحسين ابن علي بن عبد الله بن مسعود، بكثرة رحلاته وتنقلاته بين أطراف الدولة العربية الإسلامية، بل وتعداها إلى سيلان، ممّا أعطى لمعلوماته قيمة كبيرة باعتبارها حصيلة المشاهدة والمعينة التي توفرت للمسعودي . . ترك المسعودي عدة كتب، أشهرها: «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، وهو يبدؤه بالعرب، ثم يتكلم المسعودي عن حضارة أهل الهند، ويورد معلومات مهمة عن أديانهم وفلسفاتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وكذلك في حديثه عن حضارة أهل الصين والترك، الأمر الذي يوضح اهتمام المؤرخين المسلمين المبكر بالجوانب الحضارية للشعوب، أكثر من مجرد العناية بملوكها.

### \* ومن المؤرخين الذين ألفوا في التاريخ العام:

- حمزة الأصفهاني (٣٥٠هـ)، الذي ألف كتاب: «تاريخ سني ملوك الأرض، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام»، وقد قرن حمزة بين الملكية والنبوة في أنّ الحضارة لا بد أن تكون صنيعه إحداهما، وقد أظهر حمزة اهتمامًا بالجوانب الثقافية، كحرق الإسكندر لكتب الفرس، ونقله ما احتاج إليه من علوم الفرس إلى

اللغة اليونانية، وبداية ظهور عبادة الأصنام والأوثان، مما يضيف على الكتاب مسحته الحضارية.

- المقدسي، المطهر بن طاهر (٥٣٩٠هـ)، صاحب كتاب: «البدء والتاريخ»، حيث قسمه إلى فترتين، الفترة السابقة للإسلام والفترة الإسلامية.

- مسكويه (٤٢١هـ): وهو صاحب كتاب: «تجارب الأمم وتعاقب الهمم». . . كان مسكويه قد اشتغل بالكيمياء، ودرس الفلسفة، الأمر الذي ظهر واضحًا على دراساته للتاريخ، فقد أصبحت دراسة التاريخ في نظره تحوي فائدة مهمة، وهي فائدة العبرة والاتعاظ، وهذا ما سوغ تسمية مؤلفه بتجارب الأمم وتعاقب الهمم، بمعنى أن التاريخ صار يمثل تجربة أممية عالمية.

- أبو منصور الثعالبي (٤٢٩هـ): صاحب كتاب: «تاريخ غرر السير، المعروف بكتاب غرر أخبار ملوك الفرس»، ويبيد الثعالبي شيئًا من الأصالة في القسم المتعلق بملوك الفرس، أمّا في القسم الإسلامي من تاريخه فهو عالة على الطبري.

وهذا الكتاب يعتبر إيدانًا بتوقف تجربة التاريخ العام منذ بداية القرن الخامس الهجري ولمدة قرنين؛ إذ كان لضعف الخلافة العباسية، وتسلب القوى الأجنبية عليها، وانفصال بعض الولايات عنها، والاقتصار على الارتباط بها ارتباطًا واهيًا، أدّى إلى ظهور وازدهار ما يعرف بالتواريخ المحلية.

ومع أواخر القرن السادس يعود التصنيف في التاريخ العام مرة أخرى، ومن أبرز ما صنف في ذلك:

- «المنتظم»، لابن الجوزي (٥٩٧هـ): وهذا الكتاب لا يعطينا صورة دقيقة لمؤلف في التاريخ العام رغم ضخامته، وخاصة في نصفه الثاني المطبوع؛ إذ إنّه أعطى التراجم حجمًا أوسع من الأحداث، كما أنّه يفتقد الشمول فيمن تحدث عنهم، فلم يكد يتجاوز بغداد وأحداث رجال العراق الذين ترجم لهم.

- «الكامل في التاريخ»، لابن الأثير (٦٣٠هـ): وهذا الكتاب يعتبر أكثر انسجامًا مع الخط العام في التواريخ العالمية، وهو يسلك مسلك الطبري من

حيث تقسيم الكتاب إلى قسمين: ما قبل الإسلام، والقسم الإسلامي، غير أنه اختلف عن منهج الطبري، وذلك بتجاوزه للإسناد الذي اتبعه الطبري في تاريخه.

ولا يختلف «مرآة الزمان»، لسبط ابن الجوزي (٦٥٤هـ) عن «الكامل في التاريخ»، إلا في أنه يضع في نهاية حوادث كل عام -عندما يتحول الحديث إلى الفترة الإسلامية- أسماء من توفي من الأعيان والأعلام.

ثم نقف بعد ذلك مع الحافظ ابن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، وكتابه: «البدية والنهاية»، لا يختلف في منهجيته عن الذين سبقوه من المؤرخين المسلمين من حيث تقسيمه الكتاب إلى فترتين: ما قبل الإسلام، والفترة الإسلامية.

وقد امتازت كتب التاريخ العام التي ظهرت خلال الفترة المحصورة بين القرنين السابع والثامن عن سابقتها من عيون كتب التاريخ العام، كاليقوبي والطبري والمسعودي والمقدسي ومسكويه، بميزات منهجية فقط فقد أضافت مادة جديدة إلى موادها أخذتها من كتب التراجم، حتى ظهرت هذه وكأنها ذيل متمم لمادة القسم الإسلامي منها، كما وضعت في نهاية حوادث كل سنة باباً للوفيات، حيث دمج المؤرخون منذ أواخر القرن السادس تاريخ الرجال مع الأحداث فالتقى في مدوناتهم فرعاً التاريخ الأحداث، والتراجم.

### \* التواريخ المحلية والإقليمية:

تعد التواريخ المحلية أو تواريخ المدن، والتواريخ الإقليمية، إحدى أنماط التدوين التاريخي العربي الإسلامي، ومنذ عهد مبكر ظهرت تواريخ لبعض المدن الإسلامية (التواريخ المحلية)، كما ظهرت تواريخ إقليمية لبعض أقاليم ديار الإسلام، فقد ألف ابن زباله كتابه: «أخبار المدينة» في حدود سنة (١٩٩هـ)، كما ألف الأزرقى (٢٤٤هـ) كتابه: «أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار»، وألف بحشل (٢٩٢هـ) «تاريخ واسط»، وكتب أبو الشيخ الأنصاري (٣٦٩هـ) كتابه: «طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها»، وألف حمزة السهمي (٤٢٧هـ) كتابه: «تاريخ جرجان»، كذلك ألف أبو نعيم الأصبهاني (٤٣٠هـ) كتابه: «ذكر أخبار أصبهان»، كما ألف الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ): «تاريخ بغداد»، وألف

ابن عساكر (٥٥٧هـ) كتابه: «تاريخ دمشق»، وفي الأندلس ألف الوزير لسان الدين ابن الخطيب (٧٧٦هـ) كتابه: «الإحاطة في أخبار غرناطة»، كما ظهرت تأليف أخرى شملت إقليمًا بعينه، وهذا يعني أنّ الاهتمام تجاوز مدينة بعينها في ذلك الإقليم.

وفي هذا المجال فقد وصلنا لابن عبد الحكم (٢٥٧هـ) كتابه: «تاريخ فتوح مصر والمغرب والأندلس»، والهمداني (٣٣٤هـ) في كتابه: «الإكليل»، الذي وضعه في تاريخ اليمن، وابن حيان القرطبي (٤٦٩هـ) في كتابه: «المقتبس من أنباء أهل الأندلس»، وهناك غيرها كثير.

### \* التواريخ الإقليمية:

وهي تقع موقعًا وسطًا بين التواريخ المحلية أو تواريخ المدن وبين التواريخ العالمية، وأقدم التواريخ الإقليمية التي وصلتنا هي فتوح مصر وأخبارها، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد الحكم (٢٥٧هـ)، وأبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (٣٣٤هـ)، وكتابه: «الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير».

أمّا في الغرب؛ فإننا نجد أبو حيان القرطبي (٤٦٩هـ)، صاحب كتاب: «المقتبس من أنباء أهل الأندلس»، ويُعتبر القرطبي أشهر مؤرخي الأندلس على الإطلاق.

وهناك مؤرخ أندلسي آخر وهو ابن بسام (٥٥٤هـ)، صاحب كتاب: «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة»، والعنوان يدلُّ على تعصب ابن بسام للأندلس.

### ابن خلدون:

لقد تنبّه الكثير من الباحثين وخاصة في الغرب، إلى أنّ مقدمة ابن خلدون التي كتبت في القرن الثامن الهجري، والتي سبقت مؤلف فولتير آنف الذكر بأربعة قرون تقريبًا، قد تضمنت: «فلسفة للتاريخ»، وهذا برر إعلانهم عن أن ابن خلدون يعد المؤسس الحقيقي لفلسفة التاريخ، أو بعبارة أخرى هو رائد ومؤسس هذا النوع من الدراسة.

لقد حاول ابن خلدون أن يدرس تاريخ أوسع مساحة من العالم التي سنحت له فرص دراستها، فقد درس تاريخ شمال أفريقيا والأندلس، وتاريخ الدولة العربية الإسلامية في الشرق، إضافة إلى تواريخ الفرس والروم . . وقد حاول ابن خلدون أن يخرج بهذه الدراسة عن نظريات عامة عن العصبية والدولة والحضارة، والظواهر الاجتماعية، ممَّا يجعل من ابن خلدون رائدًا لدراسة التاريخ على أساس حضاري.

## ١١- المنطق<sup>(١)</sup>

### مقدمات مهمة لدارسي علم المنطق

---

(١) استفاد من تحقيق الدكتور مصطفى أبو زيد لكتاب: «مذكرة في المنطق».





## المقدمة الأولى نشأة المنطق<sup>(١)</sup>

اعلم وفقك الله أن العلم علمان:

- علمٌ نقلِيٌّ، وهو علم القرآن والسُّنَّة، وتتفرَّع منه عدة علوم كال تفسير، والحديث، والفقه.

- وعلمٌ عقليٌّ، وهو الي يمتاز به الإنسان عن بقية المخلوقات، وتتفرَّع منه عدة علوم أهمها: علم المنطق الذي يساعد على شحذ العقول البشرية، وصحة الإدراك والفهم.

وعلمُ المنطقِ الذي هو عبارة عن قواعد تعصم مراعاتها العقل عن الخطأ في الفكر موجود في عقل الإنسان بالغريزة والفطرة، لأن استعماله لهذه القواعد سابق على تدوينها.

وقد استعمله إبليس -عليه لعنة الله- في تأييد دعواه أنه خيرٌ من آدم، فقال فيما حكاه عنه القرآن الكريم: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>، ففاس نفسه وادم على النار والطين، يريد أن قوة النار على الطين دليلٌ على أن

---

(١) مادة هذه المقدمة من كتاب «تجديد علم المنطق» للشيخ عبد المتعال الصعيدي، وللتوسع يراجع ما كتبه الأستاذ الدكتور عوض الله حجازي، رئيس جامعة الأزهر الأسبق في كتابه «المرشد السليم» (٢٥: ٤٢)، والأستاذ الدكتور شامل الشاهين في كتابه «مدخل إلى علم المنطق» (٣٩: ٦٥).

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٢).

الأضعف حكمه أن يخضع للأقوى، فيكون آدم أولى بالسجود له، وقد أخطأ في قياسه، لأنه لا قياس مع النص، والأمر بالسجود إنما هو من الله تعالى.

وكذلك استعمل إبراهيم عليه السلام هذه القواعد في قوله تعالى حكاية عنه: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾<sup>(١)</sup>، فهو قياس أيضاً من الشكل الأول حذف مقدمته الأولى استغناء عنها بلازم الثانية ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾، وهو قياس صحيح يثبت دعواه أن هذا الكوكب ليس رباً له.

وقيل: إنه من الشكل الثاني، وتقديره: القمر آفل، وربى ليس بآفل، فالقمر ليس برى.

ولما كانت هذه القواعد موجودة في العقل بالغريزة، ووجد كثير من العقلاء لا يعرفون علم المنطق، ومع هذا كانت أفكارهم مستقيمة، ولم يُؤثّر فيهم شيئاً جهلهم بهذا العلم، لأنّ غرائزهم السليمة لم تفسدها مؤثرات الحياة، لكن الأعم الأغلب من البشر فسدت غرائزهم فكانوا في حاجة إلى تدوين قواعد هذا العلم، لتكون عوناً لهم في تحصيل ثمرة هذا العلم وهي: عصمة العقل عن الخطأ في الفكر.

وكان أرسطو الفيلسوف اليوناني أول من دَوّن قواعد المنطق في القرن الرابع قبل ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام، فهو الذي هدّب مباحثه، ورتّب مسائله وفصوله، وجعله أول العلوم الحكمية وفتحها، ووضع في ذلك كتابه المخصوص بالمنطق، وقد ضَعُفَ علم المنطق بعده، لضعف الاشتغال بالعلوم الحكمية، لا سيما بعد استيلاء الروم على بلاد اليونان.

ثم جاء فورفرقيوس الصوري في القرن الثالث بعد الميلاد، فوضع مقدمة المقولات سماها: «المدخل إلى كتاب المنطق»، وهي الكليات الخمس.

أما العرب فكانوا لا يعرفون شيئاً من علم المنطق، وإن كانت بعض قواعده قد وُجدت في أشعارهم وحكيمهم وأمثالهم، ولكن على غير رسومها المعروفة في

(١) سورة الأنعام، الآية (٧٦).

علم المنطق، ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى:

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفُ فُؤَادِهِ      فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالِدَمِّ  
فهو تعريف للإنسان بأنه ذو فكر ودو بيان، والأول فصل مقوم له، والثاني خاصة من خواصه، والتعريف المنطقي لا يجمع بين الفصل والخاصة، وإنما يجمع بين الجنس والفصل، أو بين الجنس والخاصة، ومن ذلك أيضًا قول امرئ القيس:

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة      كفاني ولم أطلب قليل من المال  
ولكننا أسعى لمجد مؤثّل      وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالي<sup>(١)</sup>  
فهو قياس استثنائي نظمه هكذا: لو كنت أسعى لأدنى معيشة لكفاني قليل من المال، لكنني لا أسعى لأدنى معيشة بل لمجد دائم، فلا يكفيني قليل من المال، ولكنه استثنى فيه نقيض المقدم، والقياس المنطقي يستثنى فيه عين المقدم لا نقيضه.

وفي أشعار العرب وحكمهم وأمثالهم كثير من نظائر هذين المثالين، وكلها يدخل في المنطق الغريزي في البشر كلهم.

ثم نقل علم المنطق فيما نقل من العلوم الحكمية إلى العربية في أوائل عصر الدولة العباسية، وقد نقل مختلطًا بمسائل الفلسفة اليونانية، ومتأثرًا بأسلوب اللغة اليونانية في طرق التعريف والقياس.

ولهذا اختلف المسلمون في شأنه اختلافًا كبيرًا - كما سيأتي مفصّلًا -، وهذا الخلاف في علم المنطق يرجع إلى الناحية الدينية، وقد اختلف فيه أيضًا من الناحية اللغوية، فنقل عن الإمام الشافعي رحمته الله أنه أنكر علم المنطق من جهة أنه يعتمد على أصول اللغة اليونانية<sup>(٢)</sup>، وهي تخالف العربية في كثير من الأصول، فلا يمكن أن يجري منطق اليونانية على أصول العربية، ولهذا جاء أسلوب

(١) المؤثّل: الدائم

(٢) قال رحمته الله - كما في «صون المنطق والكلام» (٤٨/١) -: «ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب، وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس».

التعريف والقياس في أشعار العرب وحكمهم وأمثلهم مخالفاً لأسلوبهما المنطقي .  
وكذلك أنكر ابن قتيبة الدِّيَنُوري علم المنطق في مقدمة كتابه «أدب الكتاب»<sup>(١)</sup> .

وأنكره ابن الأثير الجزري في كتاب «المثل السائر»<sup>(٢)</sup> فقال: «ثم مع هذا جميعه فإن معوّل القوم فيما يُذكر من الكلام الخطابي أنه يُورد على مقدمتين ونتيجة، وهذا مما لم يخطر لأبي علي ابن سينا فيما صاغه من شعر، أو كلام مسجوع، ولو أنه فكر أولاً في المقدمتين والنتيجة، ثم أتى بنظم أو نثر بعد ذلك لما أتى بشيء ينتفع به، ولطال الخطب عليه .

بل أقول شيئاً آخر: وهو أن اليونان أنفسهم لما نظموا ما نظموه من أشعار لم ينظموه في وقت نظمه، وعندهم فكرة في مقدمتين ولا نتيجة، وإنما هذه أوضاع توضع ويطوّل بها مصنّفات كتبهم في الخطابة والشعر، وهي كما يقال: قعاقع ليس لها طائل» .

والحقيقة أن علم المنطق يقوم على أصول يُقصد منها عصمة العقل من الخطأ في الفكر، وهي أصول عقلية لا تختلف في لغة من اللغات، لأنّ في كلّ لغة أسلوبين :

- ١- أسلوب أدبي يقصد في الشعر ونحوه من الكلام البليغ، وهذا الأسلوب في العربية وغيرها لا يجري على الأسلوب المنطقي .
- ٢- وأسلوب علمي يُقصد في تحقيق مسائل العلوم ونحوها، وهذا الأسلوب يجري على أسلوب المنطق في العربية وغيرها<sup>(٣)</sup> .

---

(١) حيث قال (ص ٩): «لو أن مؤلف حد المنطق بلغ زماننا هذا حتى يسمع دقائق الكلام في الدين والفقّه والفرائض والنحو لعدّ نفسه من البُكْم، أو يسمع كلام رسول الله ﷺ وصحابته لأيقن أن للعرب الحكمة وفُصّل الخطاب» .

(٢) (٣٠٢/١) .

(٣) أحمد: هذا الكلام شائع لكنه غير دقيق فكل كلام أدبي بليغ يحوي في تضاعيفه استدلالاً منطقيّاً وحججاً عقلية لكنها مطوية، ومن أعظم ذلك وأجله: الدلائل العقلية التي يتضمنها أعظم الكلام بياناً وبلاغة أعني كلام الله سبحانه، وانظر في ذلك: «الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد»، سعود العريفي، و«ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان»، ابن الوزير اليماني .

وقد مكث علم المنطق مختلطًا بمسائل الفلسفة إلى أن ظهر الإمام الغزالي في القرن الخامس الهجري فأخلاه من تلك المسائل، وجعله خالصًا لغايته من عصمة العقل عن الخطأ في الفكر، لا وسيلة للفلسفة وفتحة لها، ووضع فيه كتابه «معيار العلم» وغيره من كتبه في علم المنطق.

وكان الغزالي رحمته الله ينتصر لعلم المنطق انتصارًا عظيمًا حتى قال فيه: «من لا معرفة له بالمنطق لا يوثق بعلمه»<sup>(١)</sup>.

ثم جاء العلماء المتأخرون بعد الغزالي فغيروا في بعض ترتيب أقسام المنطق السابقة: فألحقوا بالنظر في الكليات الخمس ثمرته، وهي الكلام في الحدود والرسوم، فنقلوها إليها من قسم البرهان، وحذفوا قسم المقولات، لأنَّ نظر المنطقي فيه بالعرض لا بالذات، إذ هو من مباحث ما بعد الطبيعة، وألحقوا بقسم القضايا الكلام في العكس لأنه من توابعها، ثم تكلموا في القياس من جهة إنتاجه المطلوب على العموم، وحذفوا الكلام فيه من جهة مادته، وهي الأقسام الخمسة: البرهان، والجدل، والخطابة، والشعر، والسفسطة، وربما يلم بعضهم باليسير منها إمامًا مع أنها هي المهم في علم المنطق، ثم جعلوا في أول ذلك كله مقدمة الشروع، وقد تكلموا فيما وضعوه من هذا كلامًا مستبحرًا، ونظروا فيه من حيث إنه فنٌّ برأسه لا من حيث إنه آلة للعلوم، فطال الكلام فيه واتسع.

وكان أول من فعل ذلك الفخر الرازي في القرن السادس الهجري، ثم تبعه فيه أفضل الدين الخونجي في القرن السابع، ووضع في علم المنطق كتابه «كشف الأسرار» وغيره من الكتب، فتداولها طلاب المنطق مدة من الزمن، ثم تداولوا غيرها من الكتب التي جاءت بعدها وحذت في ذلك حذوها.

وكان من جملتها كتاب (إيساغوجي) لأثير الدين الأبهري الذي نظمته بعد ذلك العلامة الرباني عبد الرحمن الأخصري في «السلم المنورق»، وقد أقبِل العلماء على شرحه وتدريسه أيما إقبال، وقد اعتنى به السادة الأزهرية اعتناءً فائقًا.

(١) انظر «المستصفى» (١٠/١).

## المقدمة الثانية

### الحاجة إلى دراسة علم المنطق

يتساءل كثيرون من طلاب العلم قائلين: هل هناك حاجة إلى علم المنطق؟ وما هي الحاجة؟ وما الفائدة التي تعود علينا من دراسته؟

الواقع أن علم المنطق من العلوم المهمة في الدراسات العقلية، لأنه آلة لتحصيلها وفهمها، فقد خلق الله ﷻ الإنسان وأبرزه إلى الوجود لا يعي شيئاً، ولا يدرك مما حوله أي حقيقة، ولا يفهم عن حقائق الأشياء التي تحيط به أي شيء، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾<sup>(١)</sup>.

ولكنه جل شأنه رحمة منه بعباده وهبهم أسباب العلم ووسائل المعرفة، وهي الحواس الظاهرة، وهي خمس: السمع، والبصر، والذوق، والشم، واللمس، والحواس الباطنة، التي منها: الحس المشترك، والذاكرة، والحافظة، والعقل، وقال تعالى متمماً الآية السابقة: ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

لقد وهب الله تعالى عباده الحواس ليتعرفوا ما حولهم من الموجودات المحسوسة، ثمن ينتقلوا من هذه المدركات الحسية، والمعارف الجزئية إلى إدراك المعاني العقلية، والمدركات الكلية، فإنه يصل من مقارنة الجزئيات بعضها ببعض إلى المعنى الكلي العام المشترك بينها، الذي يقال على هذه الجزئيات جميعها،

(١) سورة النحل، الآية (٧٨).

ثم يصل إلى التعميم في الأحكام، ويتخذ من معارفه كلها أو بعضها وسيلة إلى معرفة الله ﷻ، والإيمان بوجوده تعالى.

ولكن الإنسان في خطواته هذه عرضة للخطأ والزلل، فهو معرض للخطأ في الإحساس، وذلك راجع لخلل في آلة الإدراك، أو لبعث الشيء المدرك، أو غير ذلك، ويترتب على هذا خطؤه في الحكم والاستنتاج.

ولما كان غرض الإنسان وغايته أن يصل إلى إدراك الأشياء على وجهها الصحيح، وأن يصل إلى العلم الحق والمعرفة الصحيحة فيما يصل إليه من معلومات، فإنه بحاجة إلى قانون عام، ومعيار سليم يقيس بهما صحيح الفكر من فاسده، وصوابه من خطئه، ذلك القانون هو ما أطلق عليه العلماء اسم: المنطق.

## تنبيه

تميز الصواب من الخطأ بواسطة المنطق، إنما هو: في العمل الإنساني، وفي تفكيره الخاص به، أما معرفة الحق من الباطل في الإلهيات، وفي الفضيلة، والعمل الصحيح المطلوب من الإنسان العاقل فمصدر ذلك هو: الوحي الإلهي من القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة<sup>(١)</sup>.

---

(١) «المرشد السليم» (ص ٦) وما بعدها باختصار.

## المقدمة الثالثة

### مبادئ علم المنطق<sup>(١)</sup>

إنَّ مبادئ أي علم من العلوم عشرة، هي: حدُّ العلم، وموضوعه، وفائدته، وأسمائه، ومسائله<sup>(٢)</sup>، وفضله، ونسبته إلى غيره من العلوم، واستمداده، وواضعه، وحكم تعلُّمه.

معنى كون هذه الأمور مبادئ: أنه ينبغي أن تُعلم في مبدأ الأمر قبل الاشتغال بالعلم، ليكون الشروع فيه على الوجه الأتم، ونظمها العلامة أبو العباس سيدي أحمد ابن زكري<sup>(٣)</sup> في أرجوزته المسماة: «محصل المقاصد»<sup>(٤)</sup> فقال:

فأولُّ الأبوابِ في المبادي	وتلك عَشْرَةٌ على مُرادِي
الحدُّ، والموضوعُ، ثم الواضِعُ	والاسمُ، الاستمدادُ، حكم الشارِعُ
تصورُ المسائلِ، الفضيلةُ	ونسبَةٌ، فائدةٌ جليلةُ

(١) مادة هذه المقدمة من «نتيجة المتهم» (ص ٩١ : ١١٧)، و«الشرح العلوي» (ص ١٢).

(٢) عد مسائل العلم من مبادئ العلم على سبيل التَّسْمِيح، لأن مسائل العلم هي حقيقة العلم، وإنما عدُّوها من المبادئ لشدة الارتباط. انظر «حاشية العطار على الخيضي» (ص ٤٢٩).

(٣) هو أحمد بن محمد بن زكري التلمساني، من كتبه: «بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب»، و«منظومة في علم الكلام، سماها: «محصل المقاصد مما به تعتبر العقائد»، و«شرح ورقات إمام الحرمين»، توفي سنة (٥٨٩٩هـ). ترجمته من: «نيل الابتهاج» (ص ١٢٩).

(٤) (٣ / أ)، وهي تزيد على ألف وخمسة مئة بيت.



حَقٌّ عَلَى طَالِبِ عِلْمٍ أَنْ يُحِيطَ      بِفَهْمِ ذِي الْعَشْرَةِ مَيِّزُهَا يَنْيِظُ<sup>(١)</sup>  
بَسْعِيهِ قَبْلَ الشَّرُوعِ فِي الطَّلَبِ      بِهَا يَصِيرُ مُبْصِرًا لِمَا طَلَبَ  
وهذه المبادئ العشرة قسمان:

- قسم تجب معرفته وجوبًا صناعيًا، وهو ثلاثة: الحد، والموضوع،  
والغاية.

- وقسم تندب معرفته ندبًا صناعيًا، وهو ما عدا هذه الثلاثة.  
ونظم ذلك بعضهم فقال:

حَدٌّ وَمَوْضُوعٌ وَعَايَةٌ تَجِبُ      لِشَارِعٍ وَوَاضِعٌ فَضْلٌ نَدِبُ  
كَذَاكَ حُكْمٌ نِسْبَةٌ مَسَائِلُ      وَاسْمٌ وَمَأْخَذٌ هِيَ الْوَسَائِلُ<sup>(٢)</sup>

وجه الحاجة إلى الوقوف على المبادئ العشرة:

- \* الحد، به يعرف طالب العلم ما هو ساع في طلبه، ويكون على بصيرة فيما يطلبه، فإنه إذا تصوّره بتعريفه فقد أحاط بجميعة إحاطة إجمالية.
- \* الموضوع، به يمتاز له ذلك العلم من غيره، لأن العلوم كلها جنس، وإنما تفترق بالموضوعات.
- \* الفائدة، بها يقوى الباعث على الطلب، وتزداد الرغبة فيه، ويتبين له مدى ما يجنيه من الثمرات من وراء ذلك الدرس والتحصيل.
- \* الأسماء، بها يتميز أيضًا عن غيره من العلوم، وتفضي بالطالب إلى كمال استبصاره في شأنه.
- \* المسائل، به يعرف تفصيلات موضوعاته.
- \* الفضل، به يعرف شرف هذا العلم وقدره ورتبته بين العلوم، فيزاد باعته على تحصيله.

(١) نَاطٌ يَنْيِظُ نَيْطًا: بَعْدَ. انظر «تاج العروس» (١٦٢/٢٠).

(٢) قاله الشيخ عليش في «الفتوحات الإلهية الوهبية على المنظومة المقرّية» (ص ٦٠).

\* النسبة إلى غيره من العلوم، بها يعرف موقع العلم المدروس بين العلوم،  
ويطلّع على أن العلم المطلوب ربما يُستمد من علم آخر فيكون الآخر أعلى،  
أو يستمد منه آخر فيكون الآخر أسفل .

\* الاستمداد، به يعرف مأخذ العلم، ومراتب العلوم، فيُقَدَّم ما حقه أن  
يُقَدَّم في الطلب وما حقه أن يؤخر، وأيضًا هذا له تعلق بالواضع باعتبار أنه جمع  
علم من سبقه، فيعلم الطالب أنه ليس مُنشئًا للعلم ومبتدعًا له، وإنما هو جامع  
ومُشَهَّرٌ لما اندثر أو غاب عن العقول.

\* الواضع، والمقصود بالواضع: المُدَوِّنُ، فبالواضع يعرف الطالب فضل  
هذا العالم الجامع لشتات مسائل العلم والمدوّن لها .

\* حكم الشارع فيه، به يعرف مقدار احتياجه لهذا العلم وجوبًا، وندبًا،  
وإباحة، وعدم احتياجه له إن كان في حيز الكراهة، والحرمة، لأن الطالب مع  
جهله بالحكم ربما يقع في ممنوع أو مكروه، فإذا علم الحكم أحجم إن كان في  
حيز الكراهة أو الحرمة، أو أقدم وازداد نشاطًا، ورغبة إن كان في حيز الندب  
والوجوب، وبهذا يكون آمنًا من المسؤولية الإلهية.



## (١) تعريف علم المنطق:

يطلق المنطق في اللغة على:

(١) الإدراك: وهو تحصيل الصور الخارجية.

(٢) القوة العاقلة: وهي التي بها الإدراك.

(٣) النطق: وهو الذي يظهر هذه المدركات ويوضحها ويوصلها للآخرين .

وكلمة منطق على المعنى الأول والثالث مصدر ميمي، وعلى المعنى الثاني

اسم مكان .

اصطلاحًا: هو آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر .

## شرح التعريف:

\* (الآلة): هي الوساطة بين الفاعل والمنفعل في وصول أثره إليه، حسية كانت أو معنوية.

\* (قانونية): نسبة إلى القانون، وهو أمر كليّ ينطبق على سائر جزئياته، لتعرف أحكامها منه، كقول المناطقة: كل ما لا يمنع نفس تصويره من وقوع الشركة فيه فهو: كليّ، وكل ما يمنع نفس تصويره من وقوع الشركة فيه فهو: جزئيّ.

\* (تعصم مراعاتها): تحفظ ملاحظتها وتطبيقها والعمل بها.

\* (الذهن): هو القوة التي بها اكتساب المعلومات التصويرية والتصديقية.

\* (عن الخطأ): هو البعد عن الصواب.

\* (في الفكر): هو ترتيب أمور معلومة يتوصل بها إلى مجهول تصوري، أو تصديقي، وذلك كترتيب حيوان وناطق (وهما معلومان تصوريان)، للتوصل إلى معرفة مجهول تصوري وهو: (إنسان)، وكرتيب العالم متغيّر، وكل متغير حادث (وهما معلومان تصديقيان)، للتوصل بهما إلى مجهول تصديقي، وهو: (العالم حادث).

## محترزات التعريف:

\* (آلة): جنس في التعريف، تشمل الحسية وغير الحسية، وخرج عنه: ما ليس بآلة، كمقاصد العلوم.

\* (قانونية): قيد أولّ، يخرج: الآلات الحسية، كالمشار والقدم.

\* (تعصم مراعاتها ذهن عن الخطأ في الفكر): قيد ثان، يخرج: العلوم القانونية التي لا تعصم مراعاتها عن الخطأ في الفكر بل في المقال، كالنحو.

وقيل في تعريفه أيضًا: هو علم يُبحث فيه عن المعلومات التصويرية والتصديقية، من حيث إنها توصل إلى مجهول تصوري أو تصديقي، أو يتوقف عليها التوصل إلى ذلك.

وقيل: هو علم تُعرف به كيفية الانتقال من أمور حاصلة في الذهن إلى أمور مستحصلة فيه.

وقيل: هو علم يُعرف به الفكر الصحيح من الفاسد.

وقيل: هو علم يُعرف به كيفية الانتقال من المعلوم إلى المجهول.

## (٢) موضوعه<sup>(١)</sup>:

المعلوم التصوري، كالحيوان والناطق، والمعلوم التصديقي، كقولنا: العالم متغيّر، وكل متغير حادث، من حيث إن ذلك المعلوم التصوري يوصل إلى مطلوب تصوري، كالإنسان مثلاً، فيسمى ذلك الموصل: معرفًا، وقولًا شارحًا.

أو من حيث إن ذلك المعلوم التصديقي يوصل إلى مطلوب تصديقي، كقولنا: العالم حادث مثلاً، فيسمى ذلك الموصل إلى المطلوب التصديقي: حُجّة ودليلاً، فانحصر المقصود الأصلي من هذا الفن في الموصل إلى التصور والتصديق، وذلك لأن مباحث المنطق قسمان: تصورات وتصديقات، ولكل منهما مقاصد، ومبادئ يتوقف عليها.

---

(١) موضوع كل علم: ما يبحث في هذا العلم عن عوارضه الذاتية، والمراد بالعوارض: ما ليس داخلاً في تكوين الماهية، والذاتية، أي: المستندة إلى ذات المعروض، والعوارض الذاتية ثلاثة: [١] ما يلحق الشيء لذاته، كالتعجب (أي: إدراك الأمور الغريبة الخفية السبب)، اللاحق للإنسان لذاته.

[٢] ما يلحق الشيء لجزئه، كالحركة بالإرادة، اللاحقة للإنسان بواسطة أنه حيوان.

[٣] ما يلحق الشيء لخارج عنه مساو له، كالضحك، اللاحق للإنسان بواسطة أنه متعجب، فإن المتعجب مساو للإنسان إذ لا يوجد فرد من أفراده لا يتعجب.

وهناك عوارض أخرى يقال لها: العوارض الغريبة، وهي ثلاثة أيضًا:

[١] ما يعرض للشيء لخارج عنه أعم منه مطلقًا، كالحركة، اللاحقة للأبيض بواسطة أنه جسم.

[٢] ما يعرض للشيء لخارج عنه أخص منه مطلقًا، كالضحك، العارض للحيوان بواسطة أنه إنسان.

[٣] ما يعرض للشيء لخارج عنه مابين له، كالحرارة، العارضة للماء بواسطة النار.

إذا عرفت هذا فاعلم أن المنطق يبحث عن العوارض الذاتية للتصورات والتصديقات، وهي صحة إيصالهما إلى المجهولات التصورية والتصديقية.

فمقصد التصورات هو: (القول الشارح)، ومبادئها: (الكليات الخمس)،  
ومثالها: الحيوان الناطق الموصل لمعرفة الإنسان، ومقصد التصديقات هو:  
(الحجة)، ومبادئها: (القضايا وأحكامها)، ومثالها: الرسول صادق، وكل  
صادق يجب اتباعه، فالرسول يجب اتباعه.

**فالمنطق:** يبحث عن المطلبين التصوري والتصديقي من حيث تركيبهما  
تركيباً صحيحاً صواباً يُؤدِّي إلى معرفة المجهول منهما.

### (٣) فائدته :

- بعد أن ظهرت حاجتنا إلى علم المنطق وأنه موصل إلى صحيح الفكر  
وصوابه، لابد لنا من بيان الفوائد الناتجة عن دراسته وتعلمه، وإليك بعضها:
- القدرة على إقامة الحجج والبراهين.
- الدفاع عن العقائد الحقّة، فيحصل فوز العباد بالسعادة الأبدية.
- تصحيح الفكر، وتخليته من التناقض، وسلامة نتائج الأبحاث عن  
الخطأ.
- تربية ملكة النقد الصحيح وتطويرها، ووزن البراهين والحكم عليها  
بالكمال أو النقص.
- أنه يجعل الباحث على دراية بالفرق بين الميل إلى الشيء تحت تأثير  
الوسائل السيكولوجية، مثل الجاذبية العاطفية، وضغوط الأغلبية، وبين الاقتناع  
العقلي بالدليل والتفكير المنطقيين، وهذا يجعله على حذر من الدعايات، كما  
يساعده على التقييم السليم<sup>(١)</sup>.

---

(١) «المرشد السليم» (ص ٢٢)، و«مدخل إلى المنطق الصوري» (ص ٢١).

## (٤) أسمائه :

### سمّي العلماء هذا العلم بعدّة أسماء منها:

(١) المنطق، ووجه تسميته به: أنه يُعِين القوة الناطقة (العقل) التي بها يتم تكوين فكر الإنسان، وألطف من هذا قول البُناني: «قال بعضهم: وجه تسمية هذا العلم بالمنطق: أن المنطق يطلق بالاشتراك: على التكلم، وعلى إدراك الكليات، وعلى قوتيهما، ولما كان هذا العلم يقوي الأول، ويعطي الثاني إصابة، والثالث كمالاً سمي بالمنطق»<sup>(١)</sup>.

(٢) معيار العلم، سمّاه به الغزالي، وسمّى كتابه الذي ألفه في المنطق بذلك.

(٣) علم الميزان، ووجه تسميته به: أنه يُعرف به الفكر الصحيح والفاقد، كما يُعلم بالميزان الحسي تمام الموزون ونقصه.

(٤) مفتاح العلوم العقلية، ووجه تسميته به: أن به تفتح العلوم العقلية أبوابها، ولذلك أوصى الغزالي على تعلمه بعد النحو، فقال: «اركب جواء النحو: ثم ليكن منك على المنطق الباب».

(٥) خادم العلوم، سماه به أبو علي الرئيس ابن سينا، قال في «كشف الظنون»<sup>(٢)</sup>: «لكونه آلة في تحصيل العلوم الحسيّة النظرية والعملية، لا مقصوداً بالذات».

(٦) رئيس العلوم، سماه به أبو نصر الفارابي، قال في «كشف الظنون»<sup>(٣)</sup>: «لكونه حاكمًا على جميع العلوم في الصحة والسقم والقوة والضعف».

---

(١) «شرح السلم» (ص ٢٠).

(٢) (١٨٦٢/٢).

(٣) (١٨٦٢/٢).

## (٥) فضله :

وعلم المنطق يفوق ويزيد على غيره من العلوم بكونه عام النفع فيها، إذ كل علم تصور أو تصديق، وهو يبحث فيهما، لكن بعض العلوم يفوقه من جهة أخرى.

فلهذا كان المنطق أساس العلوم جميعها، حيث إنه يبحث في قوانين الفكر بقصد معرفة صحيحها من فاسدها، والفكر أساس كل علم من العلوم، ولهذا كان المنطق أساس كل العلوم.

## (٦) نسبته إلى غيره من العلوم:

ذكر العلامة الأخصري رحمته الله نسبة علم المنطق إلى العقل لا إلى العلوم الأخرى بقوله: «فالمنطق للجنان نسبته كالنحو للسان»، وهي بهذه الحالة بمعنى الفائدة، وأما نسبة المنطق إلى غيره من العلوم التي هي من المبادئ العشرة فلم يذكرها الشيخ الأخصري، فليتنبه لهذا.

ونسبة هذا العلم إلى غيره من العلوم على جهتين:

الأولى: باعتبار مفهومه فهو مُباين لها، لأن مفهومه، أي: حقيقته تباين سائر حقائق العلوم.

والثانية: باعتبار موضوعه فهو كلي لها، لأن كل علم تصور أو تصديق، وموضوع هذا العلم التصورات والتصديقات.

## (٧) واضعه:

واضع هذا العلم هو إرسطو - بكسر الهمزة، وفتح الراء والسين، وضم الطاء-، وهو إرسطاطاليس، فاختصر الاسم الأول من الثاني، واشتهر بالمعلم الأول.

وأول من دَوَّن هذا العلم في الإسلام: هو الإمام أبو نصر الفارابي، محمد بن محمد بن طرخان التركي، الحكيم، المشهور بالمعلم الثاني.

(٨) استمداده :

مستمد من العقل .

(٩) حكم تعلمه :

سيأتي في كلام المؤلف .

(١٠) مسأله :

هي القضايا النظرية التي بان بها هيئة المعرفات والأقيسة وما يتعلق بذلك .



القسم الثاني

المبادئ العشرة للعلوم الإسلامية



## مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الذي أسس قواعد الأحكام على مصالح الأنام والصلاة والسلام على رسول الإسلام، سيدنا محمد وآله وأصحابه الكرام.  
أما بعد:

فقد أدركنا القسم الأول من هذا الكتاب على بيان مقدمة تعريفية بجملته من العلوم الإسلامية، وهذا النهج متبع من قديم إلا أن العلماء كانوا يسمونه: مبادئ العلوم، وإن كثيرًا من المتأخرين وضعوا كتبًا في موضوعات العلوم، ومبادئ الفنون، لعل من أجمعها وأشهرها كتاب: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، للشيخ أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده، وكذلك كتاب ترتيب العلوم للشيخ محمد بن أبي بكر المرعشي المعروف بساجقلي زاده، ومن أوجزها كتاب الشيخ علي رجب الصالحي: «تحقيق مبادئ العلوم»، وأوجز منه كتاب: «العقود الدرية في مبادئ العلوم الأزهرية»، للشيخ محمود الجرجاوي، وغير ذلك من المصنفات.

هذا وقد استقر عمل المصنفين على ذكر مبادئ عشرة لكل علم وفن، تمثل مدخلًا تعريفياً لطالب ذلك الفن، وهذه المبادئ العشر لتعلم العلوم هي: (الحد، والموضوع، والثمرة، والفضل، والواضع، والاسم، والحكم، والاستمداد، والنسبة، والمسائل)، ونظمها الإمام محمد بن علي الصبان رحمه الله تعالى (ت ١٢٠٦هـ)؛ إذ قال:

إن مبادئ كل فن عشرة  
وفضله ونسبة والواضع  
مسائل والبعض بالبعض اكتفى  
وجمعها غيره في قوله:

إن مبادئ أي علم كانا  
الحد والواضع ثم الاسم  
وغاية وفضله استمداد  
عشر تزيد من درى عرفانا  
والنسبة الموضوع ثم الحكم  
مسائل بها الهنا يزداد

وقد اخترتُ في هذا الكتاب أن أضع رسالة الشيخ زكريا الأنصاري:  
«اللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم»، ثم أن أضع رسالتين مختصرتين في  
مبادئ العلوم، الأولى كتبها الشيخ محمد نوي الجاوي من علماء إندونيسيا،  
والثانية معاصرة كتبها الشيخ خالد الجهني، ووضعت قبلهما مقالة في بيان مفهوم  
مبادئ العلوم كتبها الشيخ الدكتور إسماعيل عيد عباس، وكثير منها مستفاد من:  
«طريق الهداية» للدكتور محمد يسري، وبهاتين الرسالتين والتمهيد قبلهما يتم  
مقصود هذا الكتاب، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) حاشية الصبان على شرح السلم للملوي، ٣٥.

## تمهيد عن مفهوم المبادئ العشر

إن هذه المبادئ العشر اسم لمجموعة من المعاني، والمعارف يتوقف عليها شروع الطالب والباحث في طلب العلم وتحصيله، وبيانها على التفصيل الآتي<sup>(١)</sup>:  
أولاً: الحد: لغة هو: المنع، ومنه سمي البواب حداً؛ لأنه يمنع من دخول الدار، وسميت بعض العقوبات حدوداً؛ لأنها تمنع من العود إلى المعصية، ومنه إحداد المرأة في عدتها؛ لأنها تمنع من الطيب والزينة، وسمي التعريف حداً؛ لأنه يمنع غير أفراد المعرف من الدخول، ويمنع أفراد المعرف من الخروج<sup>(٢)</sup>.

الحد اصطلاحاً، هو: «الوصف المحيط بمعناه المميز له عن غيره»<sup>(٣)</sup>، أو هو: «اللفظ المفسر لمعناه على وجه يجمع ويمنع»<sup>(٤)</sup>، أو هو القول الدال على ماهية الشيء<sup>(٥)</sup>، وإنما يكون القول دالاً على ماهية الشيء إذا كان يجمع صفاته الذاتية واللازمة على وجه يتم به تحديده وتمييزه عن غيره، وتمييز الماهية يكون بأجزائها الذاتية؛ لأنها مترتبة عندهم من جنس وفصل<sup>(٦)</sup>.

(١) إن ما ذكره قد استفدته مما كتبه الدكتور محمد يسري، ينظر: طريق الهداية ١٠٢ وما بعدها.

(٢) ينظر: المصباح المنير للفيومي ١/١٢٤، ١٢٥، والقاموس المحيط للفيروزابادي ٣٥٢.

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ٢٢١.

(٤) المستصفى للغزالي ١٨.

(٥) ينظر: المهذب في علم أصول الفقه المقارن ١/٧٧، القياس ومكانته في المنطق اليوناني ٢٠.

(٦) ينظر: فن المنطق للشنقيطي ٣٤.

ويسمى عند بعضهم بالقول (الشارح) أو (التعريف)، فإذا قيل: حد علم الفقه، فإنه يراد به تعريف ذلك العلم الذي يحيط بمعناه ويجمع قضاياها، ويمنع من التباس غيرها بها، بعبارة ظاهرة بعيدة عن الألباس، من غير اشتراك لفظي أو مجاز<sup>(١)</sup> والأصل في الحد أن يورث التمييز بين المحدود وغيره، أما تصوير المحدود وتعريف حقيقته على وجه التمام، فهذا قد لا يتيسر في كل حد ولا يتحقق في كل محدود، قال شيخ الإسلام رحمته الله: «المحققون من النظائر يعلمون أن الحد فائدته التمييز بين المحدود وغيره، كالاسم»<sup>(٢)</sup>.

**ثانيًا: الموضوع:** وهو المجال المحدد الذي يبحث فيه العلم، والجهة التي تتوحد فيها مسأله إن موضوع أي علم هو ذلك المعنى العام الذي يشتمل على مسائله التي يتخذها دائرة لبحثه دون غيره من العلوم، وذكر موضوع العلم بعد تعريفه مما يزيده تحديداً وتمييزاً عن غيره، كما يشير إلى طبيعة منهج البحث فيه؛ لأن مناهج العلوم إنما توضع ملائمة لطبيعة موضوعاتها.

وفي تعريف موضوع العلم اصطلاحاً، قال ابن النجار الحنبلي رحمته الله: «هو ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية»<sup>(٣)</sup>، أي الأحوال التي منشؤها ذات الشيء محل البحث، فالمقصود الأحوال التي منشؤها ذات العلم؛ ولهذا قيل: إن موضوع علم الطب هو بدن الإنسان، فهو يبحث عما يعرض لهذا البدن من أحوال الصحة والمرض، وكذا قيل: إن موضوع علم الفقه هو أفعال المكلفين، فإنه يبحث عما يعرض لهذه الأفعال من الأحكام، كالوجوب، والحرمة، والندب، والكراهة، والإباحة، والصحة، والفساد.

**ثالثًا: الغاية أو الثمرة:** وهي الفائدة التي يحصلها دارس العلم ومتعلمه في الدارين يقول المرعشي: «الغرض والغاية والفائدة والثمرة من العلم بمعنى واحد، فكل ذلك اسم للمصلحة المترتبة على تعلم العلم، وإنما اختلفت العبارات

(١) ينظر: طريق الهداية ١٠٢.

(٢) الرد على المنطقيين ١٤.

(٣) شرح الكوكب المنير لابن النجار ١/٣٣.

لاختلاف الاعتبارات، فكل منفعة ترتبت على فعل ما تسمى فائدة وثمره، من حيث ترتبها عليه، وتسمى غاية من حيث إنها على طرف الفعل ونهايته، وغرضاً من حيث إن الفاعل فعل ذلك الفعل لأجل حصوله»<sup>(١)</sup>.

**رابعاً: الاستمداد:** ونعني به الروافد والمصادر والأسباب العلمية التي يستقي منها العلم مسائله ومطالبه، فكل علم من العلوم يتوقف في وضع قواعده، والحكم على مسائله وفهم حقيقة تلك المسائل على ما يستمد من غيره من العلوم والفنون، فهي بمثابة طرق ووسائل وأسباب ومصادر وروافد تفيد في بيان مسائله، وتوضيح مصطلحاته، وتقعيد قواعده، وتعين على طلبه ودراسته، ويتوقف عليها إدراكه وتصوره.

**خامساً: الفضل:** ويقصد به بيان ما للعلم أو الفن الذي كتب فيه من منزلة وشرف وأهمية بين العلوم، ويقصد بفضله علم الأصول مزيته وقدره الزائد على غيره من العلوم، وما ثبت في منزلته من فضيلة، وإذا كانت العلوم الشرعية كلها فاضلة لتعلقها بالوحي المطهر.

**سادساً: الواضع:** ويقصد منه أول من ابتدأ التدوين والتصنيف في العلم، ووضع أساسه وأرسى قواعده، ووصل مؤلفه وكتابه الينا، مثل: الشافعي بكتابه: «الرسالة» واضعاً لعلم أصول الفقه.

**سابعاً: الاسم:** والاسم هو ما دل على مسمي كزيد ومكة، وهو مشتق من السمة وهي العلامة، فهو علامة على مسماه، أو مشتق من السمو وهو العلو والارتفاع، إذ أنه يعلو مسماه<sup>(٢)</sup>. والمقصود منه الألقاب التي أطلقها أهل هذا العلم عليه لتمييزه عن غيره، حتى أصبحت أعلاماً عليه، سواء أكانت مركبة أم مفردة، والمسمى إذا كثرت أسماؤه دل ذلك على شرفه وفضله وأهميته غالباً.

(١) ترتيب العلوم للمرعشي ٨٦.

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور ٦/٣٨١، ٣٨٢، والمصباح المنير للفيومي ١/٢٩٠، ٢٩١.

ثامناً: الحكم: الحكم في اللغة: القضاء مطلقاً أو القضاء بالعدل خاصة، وأصله من المنع<sup>(١)</sup>.

واصطلاحاً: «إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه»<sup>(٢)</sup>.

ويقصد منه الحكم الشرعي؛ -خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالاعتناء أو التخيير أو الوضع-<sup>(٣)</sup> لتعلم هذا العلم من بين الأحكام التكليفية الخمسة، يقول المرعشي: «وينبغي أن يعلم أن حكم العلم كحكم معلومه، فإن كان المعلوم فرضاً أو سنة فعلمه كذلك، إذا توقف حصول المعلوم على تعلم ذلك العلم»<sup>(٤)</sup>.

تاسعاً: المسائل: المسائل لغة: جمع مسألة، وهي من السؤال، وهو الطلب. والمسألة اصطلاحاً: مطلوب خبري يبرهن عنه في العلم بدليل<sup>(٥)</sup>. وهي المطالب التي يبحثها، ويقررها العلم والتي تندرج تحت موضوعه. وقد يقال: «إن مسائل كل علم هي معرفة الأحوال العارضة لذات موضوع العلم»<sup>(٦)</sup>.

فإذا كان موضوع علم الفقه -مثلاً- أفعال المكلفين من حيث تعلق الأحكام الشرعية بها، فإن مسائله هي معرفة أحكام هذه الأفعال، وعلى هذا فموضوع علم الاصول ضبط مسائله من خلال إرجاعها إلى كلياتها فضلاً عن تقنين نتائجها فكل ما يمكن به ضبط علم أصول الفقه فهو داخل في موضوعه.

والفرق بين الموضوع والمسائل: أن الموضوع بيان كليات الفن على وجه الإجمال، والمسائل بيان المفردات والجزئيات على وجه التفصيل.

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور ٣/٢٧٠، والمصباح المنير لليومي ١/١٤٥، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ١٤١٥.

(٢) التمهيد للأسنوي ٤٨، شرح مختصر المنتهى للعقد ١/٢٢٢.

(٣) التمهيد للأسنوي ٤٨.

(٤) ترتيب العلوم للمرعشي ٩٠.

(٥) التعريفات للجرجاني ص ٢٥٥.

(٦) شرح الكوكب المنير لابن النجار الحنبلي ١/٣٣.



عاشراً: النسبة: وهي صلة العلم وعلاقته بغيره من العلوم، وليعلم أن كل معقولين لا بد أن تكون بينهما إحدى نسب أربع لا خامسة لها وهي: المساواة، والتباين، والعموم والخصوص المطلق، والعموم والخصوص الوجيه:

١- الترادف أو المساواة: فتطلق الأسماء المختلفة على مسمي واحد وعلم محدد، فتختلف الأسماء وتتفق المسميات، بمعنى أنهما لا يفترقان البتة فهما المتساويان كالإنسان والناطق، فإن كل ذات لها الإنسانية ثبتت لها الناطقية كعكسه، فالنسبة بين الإنسان، والناطق المساواة.

٢- التخالف أو التباين: فتتباين الأسماء والمسميات، بحيث لو نسب أحد العلمين إلى الآخر، لم يصدق على شيء مما صدق عليه الآخر بمعنى أنهما لا يجتمعان البتة فهما المتباينان كالإنسان والحجر، فإن كل ذات ثبتت لها الإنسانية انتفت عنها الحجرية كعكسه فالنسبة بين الإنسان والحجر التباين.

٣- التداخل: كأن يكون أحد العلمين أعم من الآخر فأحدهما داخل بتمامه في الآخر، وهو العموم والخصوص المطلق، بمعنى أن يكون أحدهما يفارق صاحبه والآخر لا يمكن أن يفارقه، فهما اللذان بينهما العموم والخصوص المطلق، والذي يفارق أعم مطلقاً والذي لا يفارق أخص مطلقاً كالحيوان والإنسان فإن الحيوان يفارق الإنسان لوجوده دونه في الفرس والبغل مثلاً، والإنسان لا يمكن أن يفارق الحيوان إذ لا إنسان إلا وهو حيوان، فلا يفارق الإنسان الحيوان بحال، فالحيوان أعم مطلقاً، والإنسان أخص مطلقاً، فالنسبة بينهما العموم والخصوص المطلق.

٤- التقاطع: وهو العموم والخصوص الوجيه أو النسبي، بأن يكون كل من العلمين أعم من جهة، وأخص من جهة أخرى، وإن كان كل منهما يفارق الآخر فهما اللذان بينهما العموم والخصوص من وجه كالإنسان الأبيض، فإنهما يجتمعان في الإنسان الأبيض كالعربي والرومي، وينفرد الأبيض عن الإنسان في الثلج والقطن مثلاً، وينفرد الإنسان عن الأبيض في الزنجي مثلاً فهو إنسان أسود<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر: فن المنطق للشنقيطي: ٢٢.

وعلى ما سبق يمكن القول بأن علم أصول الفقه (مثلاً) نسبته إلى سائر العلوم: التخالف والتباين، فهو فن مستقل بذاته، قائم بنفسه، له أصوله ومصادره، ومناهجه ومسائله، ولا يغني عنه غيره، لكنه يندرج في النسبة الكلية إلى الشريعة كون أصوله ومرتكزاته منها.

# اللؤلؤ النظيم

في روم التعلم والتعليم

شيخ الإسلام  
زكريا الأنصاري  
(ت: ٩٢٦هـ)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهو حسبي ونعم الوكيل

قال سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الإسلام، ملك العلماء الأعلام: أبو يحيى زكريا الأنصاري الشافعي متع الله بوجوده الأنام وحرسه بعينه التي لا تنام بجاه محمد خير الأنام وآله وصحبه البررة الكرام.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي شرف من وفقه بالعلم والعمل وزينه بالهداية المقدرة في الأزل والصلاة والسلام على أشرف من خلقه الله ﷺ وعلى آله وصحبه المنزهين عن السفاهة والزلل، وبعد:

فهذه رسالة شاملة على بيان شروط تعليم العلوم وتعلمها المسطرة، وعلى حصر أنواعها، وبيان حدودها، وفوائدها المشتهرة المحررة، وسميتها ب: (اللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم).

أما شروط تعليمها وتعلمها فاثنا عشرة:

أحدها: أن يقصد به ما وضع ذلك العلم له، فلا يقصد به غير ذلك، كاكْتِسَابِ مال، أو جاه، أو مغالبة خصم، أو مُكَاتَرَة.

ثانيها: أن يقصد العلم الذي تقبله طباعه، إذ ليس كل واحد يصلح لتعلم العلوم، ولا كل من يصلح لتعلمها يصلح لجمعها، بل كل ميسر لما خلق له.

وثالثها: أن يعلمَ غايةَ ذلك العلم؛ ليكون على ثقةٍ من أمره.  
رابعها: أن يستوعبَ ذلك العلم من أوله إلى آخره، تصورًا أو تصديقًا.  
خامسها: أن يقصد فيه الكتب الجيدة المستوعبة لجملة الفن.  
سادسها: أن يقرأ على شيخ مُرشد أمين ناصح، ولا يستبدُّ بنفسه وذكائه.  
سابعها: أن يُذكرَ به الأقرانَ والأنظارَ طلبًا للتحقيق لا للمغالبة،  
بل للمعاونة على الإفادة والاستفادة.

ثامنها: أنه إذا حصل ذلك العلم لا يُضَيِّعه بإهماله، ولا يمنعه مستحقُّه  
لخبر: (مَنْ عِلْمًا نافعًا وكتمه، ألجمه الله تعالى يوم القيامة بلجام من نار).  
ولا يؤتية غير مستحقه لما جاء في كلامِ النَّبِوة: «لا تُعَلِّقُوا الدُّرَّ فِي رِقَابِ  
الْخَنَازِيرِ»، أي لا تؤثروا العلومَ غير أهلها.

ويثبت ما استنبطه بفكره، مما لم يُسَبِّقَ إليه لِمَنْ أتى بعده، كما فعل مَنْ  
قبله، فمواهب الله تعالى لا تقف عند حدٍّ.

تاسعها: أن لا يعتقد في علمٍ أنه حصل منه مقدارًا لا يمكن الزيادة عليه،  
فذلك نقصٌ وحرمان.

عاشرها: أن يعلم أن لكل علمٍ حدًّا، فلا يتجاوزه ولا ينقص عنه.  
حادي عشرها: أن لا يُدْخِلَ علمًا في علمٍ آخر، لا في تعلُّمٍ، ولا في  
مناظرةٍ، لأن ذلك/ يشوش الفكر.

ثاني عشرها: أن يراعي كلَّ من المتعلم والمُعَلِّم الآخَرَ، خصوصًا الأول؛  
لأن مُعَلِّمَهُ كالأب بل أعظم؛ لأن أباه أخرجه إلى دار الفناء، ومُعَلِّمَهُ دلَّه على دار  
البقاء.

## آفات العلم

- واعلم أن للاشتغال بالعلم آفات كثيرةً عدتها في الحقيقة شروط له .
- فمنها: الوثوقُّ بالزمن المستقبل فيترك التعلم حالاً؛ إذ اليوم في التعليم، والتعليم أفضل من غده، وأفضل من أمسه، والإنسان كلما كَبُرَ كَثُرَتْ عوائقه .
- ومنها: الوثوق بالذكاء، فكثيرٌ من فاته العلمُ برُكونه إلى ذكائه، وتسويفه أيام الاشتغال .
- ومنها: التَّنُثُّلُ من علم قبل إتقانه إلى علم آخر، أو من شيخ إلى آخر قبل إتقان ما بدأ به عليه، فإنه هَدْمٌ لما قد بُني .
- ومنها: طلبُ الدنيا والتردُّدُ إلى أهلها والوقوف على أبوابهم .
- ومنها: ولايةُ المناصب فإنها شاغلة مانعة .
- كما أن ضيقَ الحال أيضاً مانعٌ .

### وأما حصر أنواع العلوم فهي:

- إما شرعية، وهي ثلاثة: الفقه، والتفسير، والحديث .
- وإما أدبية وهي أربعة عشر: علم اللغة، وعلم الاشتقاق، وعلم التصريف، وعلم النحو، وعلم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، وعلم العروض، وعلم القوافي، وعلم قرض الشعر، وعلم إنشاء النثر، وعلم الكتابة، وعلم القراءات، وعلم المحاضرات، ومنه التواريخ .

وإما رياضية: وهي عشرة: علم التصوف، وعلم الهندسة، وعلم الهيئة،  
والعلم التعليمي، وعلم الحساب، وعلم الجبر، وعلم الموسيقى، وعلم السياسة،  
وعلم الأخلاق، وعلم تديير المنزل.

وإما عقلية: وهي ما عدا ذلك كالمنطق، والجدل، وأصول الفقه، وأصول  
الدين، والعلم الإلهي، والعلم الطبيعي، والطب، وعلم الميقات، وعلم  
النواميس، والفلسفة، والكيمياء.

### وأما بيان حدودها وفوائدها:

#### فعلم الفقه

علم بحكم شرعي عملي مكتسب من دليلٍ تفصيلي.  
وفائدته: امتثال أوامر الله ونواهيه.

#### وعلم التفسير

علم يُعرف به معاني كلام الله تعالى كالأوامر والنواهي وغيرهما.  
وفائدته: الاطلاع على عجائب كلامه تعالى وامتثال أوامره واجتناب  
نواهيه.



## وعلم الحديث رواية

علم يشتمل على ما أُضيف إلى النبي ﷺ قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو صفةً.  
وفائدته: الاحتراز عن الخطأ في نقل ذلك.

## وعلم الحديث دراية

علم يُعرف به حال الراوي والمروي من حيث القبول والردّ.  
وفائدته: معرفة ما يُقبل وما يرد من ذلك.

## وعلم اللغة

علم يعرف به أبنية الكلم. ويقال: علم ينقل الألفاظ الدالة على المعاني  
المفردة.  
وفائدته: الإحاطة بها لمخاطبة أهل اللسان، وللتمكن من إنشاء الخطبِ  
والرّسائل.

## وعلم الاشتقاق

علم يُعرف به أصل الكلم وفرعه.  
وفائدته: التمييز للمشتق والمشتق منه.

## وعلم التصريف

علم بأصول يعرف به أبنية الكلم التي ليست بإعراب.  
وفائدته: الاحتراز عن الخطأ في اللسان والتمكن في الفصاحة والبلاغة.

## وعلم النحو

علم بأصول يعرف به أحوال أواخر الكلم إعرابًا وبناءً.  
وفائدته: الاحتراز عن الخطأ في اللسان.

## وعلم المعاني

علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال.  
وفائدته: فهم الخطاب وإنشاء الجواب بحسب المقاصد والأغراض جاريًا  
على قوانين اللغة في التركيب.

## وعلم البيان

علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه.  
وفائدته: التمكن من مخاطبة أهل اللسان بذلك.

## وعلم البديع

علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة.  
وفائدته: تُعرف أحوال الشعر وما يدخل فيه من المحسنات وغيرها.

## وعلم العروض

علم بأصول يُعرف به صحيح أوزان الشعر وفاسدها.  
وفائدته: لذي الطبع السليم أن يأمن اختلاط بعض البحور ببعض، وأن يعلم أنّ الشعر المأتمني به أجازته العرب أو لم تجزه العرب، ولغيره هدايته إلى الفرق بين الأوزان الصحيحة والفاسدة في النظم.

## وعلم القوافي

علم يعرف به أحوال آخر الأبيات الشعرية من حركة وسكون، ولزوم وجواز، وفصيح وقبيح، وغيرها.  
وفائدته: الاحتراز عن الخطأ في القافية.

## وعلم قرص الشعر

علم يُعرف به كيفية النظم وترتيبه .  
وفائدته : معرفة كيفية إنشاء الموزون السالم من العيوب .

## وعلم إنشاء النثر

علم يعرف به كيفية إنشائه .  
وفائدته : الاحتراز عن الخطأ في الإنشاء .

## وعلم الكتابة

علم يُعرف به أحوال الحروف في وضعها وكيفية تركيبها خطأ .  
وفائدته : الاحتراز عن الخطأ في الكتابة .

## وعلم القراءات

علم بأصول يعرف بها أحوال ألفاظ القرآن من حيث النطق بها .  
وفائدته : معرفة ما يقرأ به كل من أئمة القراءة .

## والقرآن

كلام الله تعالى المُنزَّل على نبيّه المكتوب بين دفتي المصحف .  
وفائدته : سعادة الدارين .

## وعلم التصوف

علم بأصول يعرف بها صلاح القلب وسائر الحواس .  
وفائدته : صلاح أحوال الإنسان .

## وعلم الهندسة

علم يعرف بها خواص المقادير وكمية مقادير الأشياء الخط والسطح  
والجسم التعليمي ولواحقها وأوضاعها .  
وفائدته : معرفة كيفية مقادير الأشياء .

## وعلم الهيئة

علم يعرف به الأجرام البسيطة من حيث كيانها وكمياتها وأوضاعها  
وحركاتها اللازمة لها .  
وفائدته : معرفة أعيان تلك الأجرام وكميتها وكمية كل مقدار منها وما يلحقها .

## والعلم التعليمي

ما يبحث فيه عن أشياء موجودة في مادة كالمقادير والأشكال والحركات .  
وفائدته: معرفة أعيان تلك الأشياء وكميتها وكمية كل مقدار منها وما  
يلحقها .

## وعلم الحساب

علم بأصول يتوصل بها إلى استخراج المجهولات العددية .  
وفائدته: صيرورة ذلك العدد من الحسبة المذكورة معلومًا باستعمال قوانينه .

## وعلم الجبر

علم بأصول يعرف بها استخراج كمية المجهول بمقدرات معلومة .  
وفائدته: صيرورة تلك المقادير المجهولة معلومة باستعمال قوانينها .

## وعلم الموسيقى

علم بأصول يعرف بها النغم وكيفية تأليف الألحان بعضها من بعض .  
وفائدته: بسط الأرواح وقبضها، ولهذا يستعمل في الأفراح والحروب  
وعلاج المرضى .

## وعلم السياسة

علم بأصول يُعرَف بها أنواع الرياسات والسيادات المدنية وأحوالها .  
وفائدته : معرفة السياسات المدنية الفاصلة بين الخصوم والإنصاف بينهم .

## وعلم الأخلاق

علم بأصول يعرف بها أنواع الفضائل وكيفية اكتسابها وأنواع الرذائل وكيفية اجتنابها .  
وفائدته : الاتِّصاف بأنواع الفضائل واجتناب أضرارها .

## علم تدبير المنزل

علم بأصول يعرف بها الأحوال المشتركة بين الرجل وزوجته وولده وخدمته .  
وفائدته : انتظام أحوال الإنسان في منزله ليتمكن من كسب السعادة العاجلة والآجلة .

## وعلم المنطق

علم بأصول تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر .  
وفائدته : الاحتراز عن الخطأ في الفكر .

## وعلم الجدل

علم بأصول يعرف بها كيفية تقرير الأدلة ورفع الشبهة عنها .  
وفائدته : معرفة تحرير المباحث الفقهية والأصولية وتشحيذ الفكر .

## وعلم أصول الفقه

أدلة الفقه الإجمالية وطرق استفادة جزئياتها وحال مستفيدها .  
وقيل : معرفتها .  
وفائدته : نصب الأدلة على مدلولها ومعرفة كيفية الاستنباط منها .

## وعلم أصول الدين:

علم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية .  
وفائدته : معرفة ما يطلب اعتقاده .

## والعلم الإلهي

علم بأصول تعرف بها أحوال الموجودات وما يعرض لها .  
وفائدته : ظهور المعتقدات الحققة والمعتقدات الباطلة .



## والعلم الطبيعي

علم يبحث فيه عن أحوال الجسم المحسوس من حيث إنه معرض للتغير.  
وفائدته: معرفة الأجسام الطبيعية البسيطة والمركبة وأحوالها.  
وفارق علم الكلام بأنه مبني على أصول الفلسفة من أن الواحد لا يصدر  
عنه إلا الواحد، وأن الواحد لا يكون قائلاً وفاعلاً معاً، وأن الإعادة ممتنعة،  
وأن الوحي ونزول المَلَك محالان، ونحو ذلك.

## وأما علم الكلام

فمبني على أصول الإسلام من كتاب الله تعالى وسنة رسوله والإجماع  
والمعقول الذي لا يخالفها.

## وعلم الطب

علم يعرف به أحوال بدن الإنسان من صحة ومرض ومزاج وأخلاق  
وغيرها، مع أسبابها من المآكل وغيرها.  
وفائدته: استعمال أسباب الصحة والإعلام بها.

## وعلم الميقات

علم يعرف به أزمته الأيام والليالي وأحوالها.  
وفائدته: معرفة أوقات العبادات وتوخي جهتها.

## وعلم النواميس

علم يعرف به حقيقة النبوة وأحوالها ووجه الحاجة إليها. والناموس: يقال للوحي وللملك النازل به، وللسنة.  
وفائدته: بيان وجوب النبوة، وحاجة الإنسان إليها في معاشه ومعاده.

## وعلم الفلسفة

ويُسَمَّى عند بعضهم علم الأخلاق وتدبير المنزل: علم بأصول تعرف بها حقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح.  
وفائدته: العمل بما اقتضاه العقل من حُسْنٍ وقُبْحٍ.

## وعلم الكيمياء

علم بأصول تعرف بها معدن الذهب والفضة.  
وفائدته: الانتفاع بما يستخرج منهما.  
ويتفرع على ذلك علوم آخر:  
كعلم الأرتماطريقي، وعلم المساحة، وعلم البيطرة، وعلم الفلاحة، وعلم السحر، وعلم الطلسمات، وعلم الفراسة، وعلم تعبير الرؤيا، وعلم أحكام النجوم.

## فعلم الأرتماطريقي

علم يعرف به أنواع العدد وأحوالها . وكيفية تولّد بعضها من بعض، أي من حيث إنه زوج أو فرد، أو زوج زوج، أو زوج فرد، أو نحوها .  
وفائدته: ارتياض الذهن بالنظر في المجردات عن المادة ولواحقها .

## وعلم المساحة

استخراج مقدار أرضٍ معلومة بنسبة ذراع أو غيره .  
وفائدته: العلم بمقدارها .

## وعلم البيطرة

علم بأصول تعرف بها أحوال الدوابّ من صحة أو مرض .  
وفائدته: استعمال ما يصلح لها .

## وعلم الفلاحة

معرفة أحوال النبات من حيث تنميته بالسقي والعلاج .  
وفائدته: معرفة حاله من نمو وغيره .

## وعلم السحر والطلّسمات

علم بكيفية استعدادات تقتدر بها النفوس البشرية على ظهور التأثير في عالم العناصر إما بلا معين أو بمعين سماوي، والأول: السحر، والثاني: الطلسمات. وفائدتهما: تغيير الشيء من حال إلى حال.

## وعلم الفراسة

معاينة المغيبات بالأنوار الربانية؛ بسبب تفرس آثار الصور. وفائدته: الإخبار بما ظهر بالتفرس.

## وعلم تعبیر الرؤيا

علم يعرف به الاستدلال من التخيلات الحلمية على ما شاهدهه النفوس حالة النوم من عالم الغيب، فخيّلته القوة المُخَيِّلَة بمثابة يدل عليه في عالم الشهادة. وفائدته: الإخبار بما ظهر بالاستدلال بما ذكر.

## وعلم أحكام النجوم

علم يعرف به الاستدلال بالتشكلات الفلكية على الحوادث السفلية. وفائدته: العمل بما ظهر بالاستدلال بما ذكر. واعلم أن بعض العلوم المذكورة قد تدخل في بعض منها ولا يُنافي؛ فإن علم الفرائض وإن كان داخلاً في علم الفقه، قد أفرد على حدته.

وكعلم الأرتماطريقي: فإنه وإن كان داخلاً في العلم التعليمي قد أفرد علماً  
على حدته.

والله أعلم بالصواب.

تم الكتاب المبارك بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وهو حسبي.



# رِسَالَةُ مَبَادِي الْعُلُومِ

تَأْلِيف

الشيخ محمد نوي بن عمر الإندونيسي





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أمر عباده بطلب العلم والسؤال، وقال: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [التحريم: ٤٣]، والصلاة والسلام على من اختاره على جميع خلقه سيدنا محمد ﷺ الذي اقتدى به في وقت الإسراء النبوي والمرسلون، وعلى آله الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فنعيم المطهرين، وصحبه الذين شبّههم النبي بنجوم السماء في الاهتداء وهم: الأنصار والمهاجرون.

وبعد؛ فإن العلم من أشرف الرتب وأجل ما يكتب، فقد روي عن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خير ما يخلف ابن آدم بعده ثلاث: ولدٌ صالح يدعو له، وصدقة تجري يبلغه أجرها، وعلم يُنتفع به».

قال أحمد بن محمد العزّي: «وذلك كتصنيف كتاب ينتفع به بعد موته بنحو إقراء أو إفتاء أو عالم يخلفه من طلبته فينفع الناس» انتهى.

وهذه رسالة تشتمل على مقدمة تذكّر مبادئ العلوم الأربعة التي هي: علم التوحيد والفقه والنحو والمنطق وخاتمة تحرّص الطالب على التكرار وخدمة العلماء.

## مُقَدِّمَةٌ

اعلم أنه ينبغي لمن داوَلَ وواظَبَ علماً -أي علم كان- أن يعرف مبادئه؛ أي: مظاهره؛ ليكون على بصيرة، أي: علم معرفة في ذلك الشأن، وإلا فشروعه عَبَثٌ، فمبادئ كل علم عَشْرَةٌ، جمعها العَلَامَةُ المَقْرِيُّ في نظم من بحر الرجز، بقوله:

مَن رَامَ فَنَّا فَلْيُقَدِّمِ أَوَّلَا	عِلْمًا بحدِّه وموضوع تَلا
وواضع ونِسْبَةٍ وما اسْتُمِدَّ	منه وفضله وحكم يُعْتَمَدُ
واسم وما أَفَادَ والمسائِلُ	فتلك عشرٌ لِلْمُنَى وسائِلُ
وبعضُهم فيها على البعض اقتصر	ومن يكنْ يدري جميعها انتصر

قال شيخنا يوسف السَّنْبِلَاوِينِيُّ: «المَقْرِيُّ بكسر الميم وفتح القاف مشددةٌ وهو: من علماء أهل الغرب» انتهى.

من رام فنًا . . . إلى آخره؛ أي: من طلب نوعًا من أنواع العلوم، فاعلم أولًا: حدّه، إلى آخر المبادئ، ف «رام» من باب «قال» كما في المصباح: «رمتُ الشيءَ أرومُهُ رومًا ومرامًا: طلبتُهُ، فهو مَرُومٌ» وقوله «تلا» من باب «غزى»؛ أي: يتبع ذلك الموضوع ما تقدم في الذكر، وهو الحد؛ أي واعلم ثانيًا: موضوعه إلى آخر المبادئ، وقوله «للمنى» بضم الميم؛ أي: للمقصود، وقوله: «وسائل» أي: مقاصد، هكذا فسره شيخنا: يوسف السَّنْبِلَاوِينِيُّ، وقوله: «وبعضهم فيها على البعض اقتصر»؛ أي: وبعض العلماء في هذه العشرة اكتفى ببعضها فقط،

ف «اقتصر» يتعدى ب «على»، وأما لفظ: «اكتفى» يتعدى ب «الباء» كما قال في المصباح: «واقترتُ على كذا: اكتفيتُ به» وقوله: «انتصر»؛ أي: حصل له نُصرة؛ أي: عونٌ وقوة، وذلك كما قال الفاكهي: اعلم أن من أراد الخوض في علم من العلوم على الوجه الأكمل ينبغي له أن يتصور أولاً حقيقته بحده، أو رسمه؛ ليكون على بصيرة في طلبه، فإن من ركب متنَ عمياءَ خَبَطَ خَبَطَ عَشْوَاءَ، وأن يعرف موضوعه وهو: ما يُبحث في ذلك العلم عن عوارضه الأصلية الذاتية له، وأن يعرف غايته، وهي: الثمرة التي لأجلها يُطلب؛ ليصون نفسه عن العبث. انتهى.

قوله: «بحده» أو رسمه؛ فالحد الحقيقي: ما أنبأ عن ذاتيات المحدود، كقولنا: الإنسان حيوان ناطق، والرسمي: ما أنبأ عن الشيء بلازم له، كقولنا: الحمرُ مائع يقذف بالزبد، ومعنى قوله: فإن من ركب متنَ عمياءَ خَبَطَ خَبَطَ عَشْوَاءَ؛ أي: فإن من طلب العلم ولم يعرف حده، كمن ركب ظهرَ امرأةٍ عمياءَ وهي فاقدة البصر بالكلية، فكان فسادُه وسقوطه كفساد امرأةٍ عَشْوَاءَ، وسقوطه، وهي من لم تُبصر بالليل، فقوله: خَبَطَ من باب: ضرب، ثم اعلم: أن فنون العلوم ثمانية عشر.

### علم التفسير

الأول: التفسير، وهو: علم يُبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز، من جهة نزوله وسنده وأدائه وألفاظه ومعانيه المتعلقة بالألفاظ، والمتعلقة بالأحكام، وغير ذلك، وهو علم نفيس، لم يوقف على تأليف فيه لأحد من المتقدمين، حتى جاء شيخ الإسلام جلال الدين البلقيني فدونّه، ونقّحه، وهذّبه، ورتبه في كتاب سماه: «مواقع العلوم من مواقع النجوم»، فأتى فيه بالعجب العجائب، وجعله خمسين نوعاً، على نمط أنواع علوم الحديث، ذكره أحمد بن محمد الغزّي في «الدّرر المنتخبة».

## علم الحديث

الثاني: الحديث، وهو: علم بقوانين يُعرَف بها أحوال السند والمتن، من صحة وحسن وضعف وعلو ونزول وكيفية التحمّل والأداء وصفات الرجال وغير ذلك. قال الطيبي في «خلاصة أحكام الحديث»: «العلمُ بحديث رسول الله ﷺ وروايته من أشرف العلوم وأفضلها؛ لأنه ثاني أدلة علوم الإسلام ومادّة علم الأصول والأحكام، لا يرغب في نشره إلا كلُّ صادق تقيٍّ، ولا يزهد في نصره إلا كل منافق شقيٍّ. ولهذا العلم أصول وأحكام واصطلاحات وأوضاع، يحتاج طالبه إلى معرفتها، ومدار هذه الأمور على المتون والأسانيد والسند وغيرها.

## علم أصول الفقه

الثالث: أصول الفقه، فالفقه: معرفة الأحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد.

## علم الفرائض

الرابع: علم الفرائض، وهو: علم يُبحث فيه عن الموارث وقسمتها.

## علم النحو

الخامس: النحو، وهو: علم يُبحث في عن أواخر الكَلِم إعرابًا وبناءً.

## علم التصريف

السادس: التصريف: وهو علم يُبحث فيه عن أبنية الكَلِم وأحوالها صحّة واعتلالاً.

## علم الخط

السابع: الخط، وهو: علم يبحث فيه عن كيفية كتابة الألفاظ.

## علم المعاني

الثامن: المعاني، وهو: علم يُعرف به أحوال اللفظ العربيّ التي بها يطابق اللفظُ مقتضى الحال.

## علم البيان

التاسع: البيان، وهو: علم يُعرَف به إيراد المعنى؛ أي: وصول اللفظ إلى المعنى بطريقٍ مختلفٍ في وُضوح الدلالة عليه، فدلالة اللفظ على ما وُضِعَ له وَضعيةً، وعلى جزئه، ولازمه عقليّان.

## علم البديع

العاشر: البديع، وهو علم يُعرَف به وجوهٌ تحسِين الكلام، بعد رِعاية المطابقةِ ووضوح الدلالة، وأنواعه: تزييد على الممتين.

## علم المنطق

الحادي عشر: المنطق، وحدّه: آلة قانونيّة يعصمُ مُراعاتها الذهنَ عن الخطأ في الفكر.

## علم التشريح

الثاني عشر: التشريح، وهو: علم يبحث فيه عن أعضاء الإنسان وكيفية تركيبها.

## علم الطب

الثالث عشر: الطّب، وهو: علمٌ يُعرَف به حفظُ الصحة وبرءُ المرَض.

## علم النجوم

الرابع عشر: النجوم، وموضوعه: الكواكب، ومبادئه: اختلاف الحركات والتثليث والتربيع وما كان عنهما. والمقصود منه: معرفة القبلة وأوقات الصلاة.

## علم اللغة

الخامس عشر: اللغة، وهي علمٌ يُبحث فيه عن المفردات من حيث السَّماع.

## علم العروض والقوافي

السادس عشر والسابع عشر: علم العَروض والقوافي، وهما: علمان ذو مادةٍ وصورة، فإن تعلّقت بمجرد الوزن فالعروض، وإلا فالقوافي.

## علم الأخلاق

الثامن عشر: السياسة والأخلاق، وهي: علم يُبحث فيه عن تهذيب النفس من حيث الكمالات.

### المبادئ العشرة للعلوم الأربعة

فاعلم: أن هذه المبادئ، هي: التي تسمى مقدمة العلم؛ لأنها اسم لمعانٍ يتوقّف عليها الشروع في المقصود، ونظّمها بعضهم فقال: [بحر الرجز].

إِنَّ مَبَادِيَّ كُلِّ فَنٍّ عَشْرَهُ      الْحَدُّ وَالْمَوْضُوعُ ثُمَّ الثَّمَرَهُ  
وَنَسَبَةٌ وَفَضْلُهُ وَالْوَاضِعُ      وَالِاسْمُ الْإِسْتِمْدَادُ حُكْمُ الشَّارِعِ  
مَسَائِلٌ وَالْبَعْضُ بِالْبَعْضِ اكْتَفَى      وَمَنْ دَرَى الْجَمِيعَ حَازَ الشَّرْفَا

قوله: «مبادي» بسكون الياء للوزن، وقوله: «الشارع» بضم العين؛ لأجل القافية، وقوله: «مسائل» بالتونين؛ لضرورة الوزن، وقوله «والبعض بالبعض اكتفى» أي: بعض العلماء استغنوا وفتح ببعض هذه المبادئ العشرة، وقوله: «ومن درى الجميع حاز الشرفا» أي: ومن علم جميع ذلك فقد جمع العلو.

## المبدأ الأول: في الحدّ

### «تعريف علم التوحيد»<sup>(١)</sup>

فحدّ التوحيد لغةً: العلم بأن الشيء واحد. وشرعاً: علم يُبحث فيه عن إثبات العقائد الدينية، المكتسب من أدلتها اليقينية. وهذا الفن المكتوب في الديوان، وأما معنى غيره فهو: أفراد المعبود مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفاتٍ وأفعالاً. وقيل هو إثبات ذات غير مُشبهة للذوات، ولا مُعظّلة عن الصفة.

### «تعريف علم الفقه»

وحدّ الفقه لغةً: الفهم، وشرعاً: العلم بالأحكام الشرعية العمليّة المكتسب من أدلتها التفصيلية.

### أقسام الحكم

والحكم إذا عُوقب تاركه فهو واجبٌ، أو فاعله فهو حرام، أو أُثيب فاعله فهو مندوب أو تاركه فهو مكروه، أو لا ولا فهو مباح، أو نُفدَ واعتدّ به فهو صحيح، وغيره باطلٌ.

---

(١) مقصود المؤلف بعلم التوحيد: علم الكلام على طريقة الأشاعرة والماتريدية، فليتنبه لهذا.

### «تعريف علم النحو»

وحدّ النحو لغة: القصد، لأن المتكلم ينحو به كلام العرب أفرادًا وتركيبًا، قاله الفيوميّ في «المصباح»، واصطلاحًا: العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي اتّلفت منها هكذا قاله: محمد الأشمونيّ وقال محمد ابن عثمان المرغني في «المنحة الإلهية»: «وحدّ علم النحو: علمٌ بأصولٍ يُعرَف بها أحوال أواخر الكَلِم إعرابًا وبناءً»، وقيل: آلة قانونيّة يعصم مُراعاتها الإنسان عن لحن اللسان. أفاده ابن جنيّ.

### «تعريف علم المنطق»

وحدّ المنطق: علم يُبحث فيه عن المعلومات التصوّريّة والتصديقيّة، من حيث إنها تُوصَل إلى أمر مجهول تصوّريّ أو تصديقيّ، أو من حيث ما يتوقّف عليه ذلك.



## المبدأ الثاني: في الموضوع

### «موضوع علم التوحيد»

فموضوع التوحيد: ذات الله وذات رُسُلِهِ؛ من حيثُ ما يجب، وما يستحيل، وما يجوز، والممكن من حيث يُستدلُّ به على وجودِ صانعه، والجنَّةُ، والنار، ونحوها.

### «موضوع علم الفقه»

وموضوع الفقه: العبادات، والمعاملات، والمناكحات، والجنائيات، والأقضية، والشهادات، وغيرها.

### «موضوع علم النحو»

وموضوع النحو: الكلمات العربيَّة؛ من حيثُ عُروض الأحوال لها، حال إفرادها، كالإعلال، والإدغام، والحذف، والإبدال، أو حال تركيبها، كحركات الإعراب والبناء. هكذا قال الصَّبَّان. وقال محمد المرغَنِي: «وموضوعه: الكلمات العربيَّة من حيث الإعراب والبناء».

ومعلومٌ أن العبارة الأولى عامٌّ للنحو والصرف، والعبارة الثانيةٌ خاصٌّ بالنحو.

## «موضوع علم المنطق»

وموضوع المنطق: المعلوماتُ التصوريَّةُ والتصديقيَّةُ؛ من حيثُ صحَّةُ  
إيصالها إلى أمر مجهول تصوُّريٍّ أو تصديقيٍّ.

## المبدأ الثالث: في الثمرة

والمراد بالثمرة الفائدة، وهي: كل مصلحة تثبت على فعل، ثم إن المصلحة من حيث إنها نتيجة وثمره له تُسمى: فائدة، ومن حيث إنها آخر له تسمى غاية، وذلك: كمن حفر لإخراج الماء فظهر له أثناء الحفر قبل خروج الماء «كنز» فإن أخذه وترك الحفر فالكنز المذكور يسمى: «فائدة وغاية»، وإن أخذه واستمر في الحفر إلى خروج الماء فالكنز يسمى: «فائدة» فقط لا غاية؛ لأنها ليست في آخر الفعل. قال أحمد بن محمد الغزي في الدرر المنتخبة: «وكل مطلوب له مادة، وصورة، وغاية، وفاعل، فالأول والثاني بحسب المطلوب ولكنه متفاوت في الفائدة، والثالث نفس المطلوب، والرابع الطالب» انتهى.

وذلك كما إذا أحضرت الأجبولة، والخشب، والمسمار، والنجار؛ لفعل السرير، فالمادة هي: الأجبولة ونحوها، والصورة ككون السرير مربعاً مثلاً، فغاياته الجلوس عليه، والفاعل هو: النجار، وكذا يقال في غير السرير من كل شيء مركب، فلا بد منه من علل أربع، فيقال في علم التصريف: الأصل الواحد هو المادة، والتحويل هي الصورة، وحصول المعاني المقصودة هي الغاية، والمحول هو الفاعل ويقال مثل ذلك في علم النحو، قال السيد أحمد المرزوقي في (الفوائد المرزوقية) ونظم في أربع أبيات من الرجز فقال:

كل مركّب له من العلل	أربعة واضحة لمن عقل
من فاعل ومادة وصورة	وغاية أربعة محصورة
مركّب الكلام فاعل بدا	والكلمات مادة لك الهدى
وهيئة التركيب صورة أتت	وغاية إفادة حكم ثبت

## «فائدة علم التوحيد»

فإذا علمت ذلك ففائدة التوحيد: معرفة صفات الله، وصفات رسله بالبراهين القطعية، والفوز بالسعادة الأبدية.

## «فائدة علم الفقه»

وفائدة الفقه: معرفة الحرام والحلال.

## «فائدة علم النحو»

وفائدة علم النحو: معرفة صواب الكلم من خطئه؛ ليحترز به عن الخطأ، أي: صون اللسان عن الخطأ في المقال. قال رجل لبنية: يا بني أصلحوا من ألسنتكم، فإن الرجل تنوبه النائبة يحب أن يتجمل فيها، فيستعير من أخيه دابته وثوبه ولا يجد من يعيره لسانه، ذكره المرغني.

## «فائدة علم المنطق»

وفائدة المنطق: قيل معرفة التأليفات الصحيحة والفاصلة، قال الباجوري نقلاً عن الملوي: إن فائدته تعصم الذهن عن الخطأ في الفكر، ومثله قول صاحب الدرر المنتخبة: وفائدته الاحتراز عن الخطأ في الفكر.

## «تتمة: تتعلق بالمبدأ الثالث»

وغاية التوحيد: الإيمان بالله وبما قال، وبالرسول وبما قال. وغاية الفقه: امتثال الأوامر واجتناب النواهي. وفي فتح المعين أن هذا هو الفائدة. وغاية النحو: الاستعانة على فهم كلام الله تعالى ورسوله الذي به يتوصل إلى خيري الدنيا والآخرة. وجعل الصبان الاحتراز عن الخطأ في الكلام من الغاية أيضاً، قال المرغني ففي الحديث: «رحم الله امرئاً أصلح من لسانه» وعن عمر رضي الله عنه أنه قال من بحر الكامل:

النحو يصلح من لسان الألكن      والمرء تكرمه إذا يلحن  
فإذا أردت من العلوم أجلها      فأجلها منها مقيم الألسن

ويرحم الله الآخر؛ حيث قال وأجاد في المقال:

النحو زينٌ للفتى      يُكرمه حيث أتى  
من لم يكن يعرفه      فحقه أن يسكتا  
ويرحم الله الآخر؛ حيث قال في ثلاث أبيات من بحر البسيط المرفل  
تشبيهاً بمجزؤ الكامل والرمل:

النحو للعلم زين      مثل الطراز لكم  
فاشدد يديك عليه      وصننه عن كل قدم  
وكن به ذا اعتناء      تدرك به كل علم

انتهى قول المرغني، و«الطراز» علم الثوب، و«الكم» بضم الكاف وهو:  
في القميص طرف يده، و«القدم» بفتح القاف وسكون الدال المهملة، معناه:  
الجهل، وقوله: «ذا اعتناء» أي: ذا اهتمام واحتياط.

وغاية المنطق: إثبات البراهين العقلية، قاله: صاحب الدرر المتتخبة.

## المبدأ الرابع: في الفضل

### «فضل علم التوحيد»

ففضل التوحيد: أنه أشرف العلوم، لكونه متعلقاً بذات الله تعالى، وما يتبع ذلك.

### «فضل علم الفقه»

وفضل الفقه: أنه أشرف من غيره من سائر العلوم بعد التوحيد؛ إذ به يُعرف صحيح الأعمال وفساد.

### «فضل علم النحو»

وفضل النحو: أنه يفوقه غيره من العلوم؛ لأن به يُعرف صحة كلام الله وكلام رسوله وهذا لا ينافي أن بعض العلوم يفوق عليه من حيثية أخرى.

### «فضل علم المنطق»

وفضل المنطق: فَوَقَّأَهُ عَلَىٰ غَيْرِهِ مِنَ الْعُلُومِ مِنْ حَيْثُ كَوْنِهِ عَامِ النِّفْعِ؛ لِأَنَّهُ يَبْحَثُ عَنْ كُلِّ عِلْمٍ تَصَوُّرِيٍّ وَتَصَدِيقِيٍّ وَهَذَا لَا يَنَافِي أَنْ بَعْضُ بَاقِي الْعُلُومِ يَفُوقُهُ مِنْ حَيْثِيَّةٍ أُخْرَىٰ، وَإِنَّمَا شَرَفَ الْعِلْمِ؛ لِكَوْنِهِ وَسِيلَةً إِلَىٰ تَقْوَىٰ التِّي بَهَا تَسْتَحَقُّ الْكِرَامَةَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَالسَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ قَالَهُ: مُحَمَّدُ الْكَاشِغَرِيُّ.

## المبدأ الخامس: في النسبة

### «نسبة علم التوحيد»

فنسبة التوحيد: أنه أصل العلوم الدينية، وما سواه فرع منه، وما أحسن قول القائل حيث قال من بحر الخفيف:

أيها المقتدي لتطلب علمًا      كل علم عبد لعلم الكلام  
تطلب الفقه كي تصحح حكمًا      ثم أغفلت منزل الأحكام  
«نسبة علم الفقه»

ونسبة الفقه: أنه من العلوم الشرعية الثقلية، وأن أحوال الخلق متعلقة به.

### «نسبة علم النحو»

ونسبة النحو: أنه من العلوم العربية، وأن العلوم كلها محتاجة إليه، قال العلامة الشنواني: «قد اتفق العلماء على أن النحو يحتاج إليه كل فن من فنون العلم» كما قال السيوطي في الفريدة من الرجز:

إذ ليس علم عنه حقًا يغتني

وقال العلامة عمر بن الوردي في تحفته الوردية:

وبعد فالجاهل بالنحو احتقر      إذ كل علم فإليه يفتقر

### «نسبة علم المنطق»

ونسبة المنطق: للعلوم مباينته.

## المبدأ السادس: في الواضع

### «واضع علم التوحيد»

فواضع التوحيد: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، ومتابعوه، وأبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، ومتابعوه، بمعنى أنهم دونوا كتبه، وردّوا الشُّبه التي أوردتها المعتزلة، وإلا فالتوحيد جاء به كل نبي من لدن آدم إلى يوم القيامة.

### «واضع علم الفقه»

وواضع الفقه: المجتهدون وهم الأئمة الأربعة الذين هم: نعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس، وأحمد بن حنبل، ومتابعوهم.

### «واضع علم النحو»

وواضع النحو: أبو الأسود فأخذه أولاً عن علي بن أبي طالب، وكان أبو الأسود كوفي الدار، بصري المنشأ، واسمه ظالم بن عمرو ابن سفيان، من أكابر التابعين.

### «واضع علم الصرف»

واتفقوا على أن أول من وضع التصريف: معاذ بن مسلم الهراء، بفتح الهاء وتشديد الراء، نسبة إلى بيع الثياب الهروية، والهرا اسم بلد بالشام، أو بالعجم.



## «واضع علم المنطق»

وواضع المنطق: إِرْسَطُ بكسر الهمزة، وفتح الراء والسين، وضم الطاء، وهو: أرسطاطاليس خلافاً لمن توهم أنهما شخصان.

## «فرع: يتعلق بمواضع علم النحو»

قال إسماعيل بن غنيم الجوهري في شرح الشيخ عبد الله الشبراوي، فقد ذكر الزجاجي في أماليه بسنده إلى أبي الأسود الدَّيْلِي أنه قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فرأيتُه مطرفاً مفكراً فقلت: فيمَ تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إني سمعتُ ببلدكم لحنًا فأردت أن أضع كتابًا في أصول العربية، فقلت: إن فعلتَ هذا يا أمير المؤمنين أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة، ثم أتيت بعد ثلاث فألقي إليَّ صحيفة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كله اسم وفعل وحرف وشيء من الإعراب. انتهى.

قال الصبان: أي: حيث قال: الأشياء ظاهر ومضمر وغيرهما، وهو الذي يتفاوت في معرفته. قوله: «الدَّيْلِي» ضَبَطَه بعضهم بكسر الدال وسكون التحيّة، وبعضهم بضمّ الدال وفتح الهمزة. انتهى.

وفي النبتيتي، قال «صاحب» الكشاف في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٤]، قرئ: يُتَوَفَّوْنَ بفتح الياء، أي: «يستوفون آجالهم»، وهي قراءة علي عليه السلام والذي يُحكى أن أبا الأسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة، فقال له رجل: من المتوفّي - بكسر الفاء، فقال الله تعالى. وكان أحد الأسباب الباعثة لعلي عليه السلام على أن أمره بأن يضع كتابًا في النحو تناقضه هذه القراءة. انتهى.

قال محمد الخضري: وواضعه أي: النحو أبو الأسود الدؤلي بأمر الإمام علي كرم الله وجهه وذلك أن العرب لفطرتهم على الفصاحة كان النطق بالإعراب سجية، أي: طبيعة فيهم من غير تطبع، أي: من غير اختلاط بدنس الكلام، كما قال من بحر الطويل:

ولستُ بنحوي يلوكُ لسانه      ولكن سُلَيْقِي أقول فأعرب

## فمعنى هذا البيت :

لستُ أنا من أهل النحو الذي يحرك لسانه به، وتكلم به، ولكنني أقول فأظهرُ الكلام، وأوضحه، وأحسنه بطبيعتي فلما كثر الإسلام وتألّفت القلوب، اختلط العجم والعرب بالمعاشرة، والمناكحة، فتولّد اللحن والإمالة في غير محلها، حتى كادت العربية أن تتلاشى، فكروا أن علي بن أبي طالب عليه السلام رسم لأبي الأسود منه أبواباً. منها باب إنَّ، والإضافة، والإمالة، وقال له: انح هذا النحو ثم سمع أبو الأسود رجلاً يقرأ: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التَّوْبَةِ: ٣]، قرأها بالجر، فوضع باب العطف والنعته. ثم إن ابنته قالت له يوماً: مَا أَحْسَنُ السَّمَاءِ عَلَى الاستفهام، فقال لها: أَي بُنْيَةٍ نَجُومُهَا، فقالت: إنما أتعجب من حسنها، فقال: قولي: مَا أَحْسَنَ السَّمَاءِ، وافتحي فاك. فوضع باب التعجب والاستفهام، وكان يراجع الإمام في ذلك إلى أن حصل له ما فيه الكفاية، ثم أخذه عن أبي الأسود نفرٌ منهم: ميمون الأقرن، وغيره ثم خلفهم جماعة منهم: أبو عمرو بن العلاء، ثم بعدهم الخليل، ثم سيبويه، والكسائي، ثم صار الناس فريقين بصري، وكوفي، وما زالوا يتداولونه ويُحكّمون تدوينه إلى الآن فجزاهم الجنة. انتهى.

## المبدأ السابع: في الاسم

### «اسم علم التوحيد»

فاسم التوحيد: علم التوحيد، وعلم الكلام، وعلم الأصول، وعلم القواعد، وسمي هذا العلم بعلم التوحيد؛ لأن بحث الوجدانية أشهر مباحثه، وسمي أيضاً بعلم الكلام؛ لأن المتقدمين كانوا يقولون في الترجمة عن مباحثه الكلام في كذا، والكلام في كذا؛ ولأنه قد كثر الاختلاف في مسألة الكلام.

### «اسم علم الفقه»

واسم الفقه: علم الفقه، وعلم الفروع، أي: فروع الدين.

### «اسم علم النحو»

واسم النحو: علم النحو، قال الأشموني: وسبب تسميته بذلك مما روي أن علياً رضي الله تعالى عنه لما أشار على أبي الأسود الدؤلي أن يضعه وعلمه الاسم والفعل والحرف وشيئاً من الإعراب، قال انح هذا النحو يا أبا الأسود. قال الصبان: رُوي أن مما ذكره أبو الأسود حكم إن وأن وكان وليت ولعل، ولم يذكر لكن، فأمره علي كرم الله وجهه أن يزيدها فزادها. انتهى.

## «اسم علم المنطق»

واسم المنطق: المنطق، ويُسمى أيضًا بالميزان وبمعيار العلوم، وإنما سُمي بالمنطق؛ لأن المنطق في الأصل يُطلق على الإدراك وعلى القوة العاقلة وعلى النطق الذي هو التلفظ، وهذا الفن به يكسر الإدراك ويصيب، وبه تتقوى القوة العاقلة وتكمل، وبه تكون القدرة على النطق، فلما كان له ارتباطًا بكل هذه المعاني الثلاثة سُمي بذلك.

## «فرع»

قال محمد بن عثمان المرغني: وسبب تسمية النحو بعلم النحو ما رُوي أن سيدنا عليًا رضي الله عنه لما وضع أصوله، فأشار إلى أبي الأسود الدؤلي، أن يزيد عليها ويفرعها، قال له: انح هذا النحو يا أبا الأسود، فسمي بذلك تبركًا وتيمناً بلفظ الواضع له.

رُوي عنه أنه قال: دخلت على أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب فرأيتَه مطرقًا مفكرًا فقلتُ: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إني سمعتُ ببلدكم هذا لحنًا فأردتُ أن أضع كتابًا في أصول العربية، فقلتُ: إن فعلتَ هذا يا أمير المؤمنين أحيتنا وبقيت فينا هذه اللغة، ثم أتيتَه بعد ثلاث فألقى إليَّ صحيفة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كله: اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل.

## مَبَادِيُ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ (١)

وَفِيهَا خَمْسَةُ عَشَرَ كِتَابًا :

الْكِتَابُ الْأَوَّلُ : مَبَادِيُ عِلْمِ الْعَقِيدَةِ .

الْكِتَابُ الثَّانِي : مَبَادِيُ عِلْمِ الْحَدِيثِ .

الْكِتَابُ الثَّلَاثُ : مَبَادِيُ عِلْمِ الْفِقْهِ .

الْكِتَابُ الرَّابِعُ : مَبَادِيُ عِلْمِ الْمَوَارِيثِ .

الْكِتَابُ الْخَامِسُ : مَبَادِيُ عِلْمِ أَصُولِ الْفِقْهِ .

الْكِتَابُ السَّادِسُ : مَبَادِيُ عِلْمِ الْقَوَاعِدِ الْفَقْهِيَّةِ .

الْكِتَابُ السَّابِعُ : مَبَادِيُ عِلْمِ مُصْطَلَحِ الْحَدِيثِ .

الْكِتَابُ الثَّامِنُ : مَبَادِيُ عِلْمِ السِّيَرَةِ .

الْكِتَابُ التَّاسِعُ : مَبَادِيُ عِلْمِ التَّجْوِيدِ .

الْكِتَابُ الْعَاشِرُ : مَبَادِيُ عِلْمِ التَّفْسِيرِ .

---

(١) مستفاد من رسالة: «البداية في مبادئ العلوم الشرعية»، للشيخ خالد محمود الجهني .

- الكتاب الحادي عشر: مبادئ علوم القرآن.
- الكتاب الثاني عشر: مبادئ علم القراءات.
- الكتاب الثالث عشر: مبادئ علم البلاغة.
- الكتاب الرابع عشر: مبادئ علم النحو.
- الكتاب الخامس عشر: مبادئ علم الصرف.

## الكتاب الأول مبادئ علم العقيدة

### الضابط الأول: حدّه:

العقيدة لغة: مأخوذة من العقد، وهو ربط الشيء بإحكام، يقال: عقدت الحبل، أي ربطته بإحكام.  
وإصطلاحاً: هي «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»<sup>(١)</sup>.

### الضابط الثاني: موضوعه:

رب العالمين، وصفوة خلق الله أجمعين من حيث ما يجب وما يجوز وما يمتنع في حقهم.

### الضابط الثالث: ثمرته:

من الثمرات المرجوة من تعلم علم العقيدة:

- ١- تصحيح الإيمان.
- ٢- تقويم الأركان والجنان.
- ٣- معرفة الرب بصفاته، وأسمائه وما لها من معان.
- ٤- تجنب البدع وأهل الخذلان.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨).

٥- إتباع من سلف من أهل الإيمان .

٦- السعادة في الدارين .

### الضَّابِطُ الرَّابِعُ : نَسْبُهُ :

علم العَقِيدَةِ أصل وما سواه فرع إذ هو الأساس لهذا الدين، ويدخل في جملة العلوم الشرعية .

### الضَّابِطُ الْخَامِسُ : فَضْلُهُ :

علم العَقِيدَةِ أجل العلوم، وأرفعاً شأنًا، وأفضَلُهَا مقامًا، ومن فَضْلُهُ :

١- أنه أول الواجبات .

٢- شرط لصحة العبادات .

٣- السبب في قبول الطاعات .

٤- أصل دعوة النبي والمرسلين .

٥- غاية خلق الجن والإنس أجمعين .

### الضَّابِطُ السَّادِسُ : وَاضِعُهُ :

علم العَقِيدَةِ تنزيل من رب العالمين نزل به الروح الأمين ﷺ، على النبي الأمين ﷺ ليلبغه للناس أجمعين، واستنبط تقسيماته الأئمة الفحول كالإمام مالك، والشافعي، وأحمد، وغيرهم .

### الضَّابِطُ السَّابِعُ : إِسْمُهُ :

الإيمان، والسنة والتوحيد، وأصول الدين، والشريعة، والفقه الأكبر، وهذه أسماء محمودة؛ والفلسفة، وعلم الكلام أسماء مذمومة .

### الضَّابِطُ الثَّامِنُ : إِسْتِمْدَادُهُ :

من الكتاب والسنة، إذ لا مجال للعقل في علم العَقِيدَةِ وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة فلا يزداد فيها ولا ينقص .



## الضَّابِطُ التَّاسِعُ: حُكْمُ الشَّارِعِ فِيهِ:

- ١- حكم تعلمه منه ما هو فرض عين ومنه ما هو فرض كفاية، فأما فرض العين فهو معرفة ما تصح به العَقِيدَةُ بالأدلة الإجمالية، وهو ما تسأل عنه جميع البرية؛ وأما فرض الكفاية فما زاد على ذلك من التفصيل، والتدليل والتعليل، والقدرة على إلزام المعاندين، وإفحام المخالفين.
- ٢- حكم تعليمه فرض كفاية.

## الضَّابِطُ العَاشِرُ: مَسَائِلُهُ:

مِنْهَا: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، والإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، والولاء والبراء، ونحوه.

## الكتاب الثاني مبادئ علم الحديث

### الضابط الأول: حدّه:

الحديث لغةً: ضد القديم.

واصطلاحًا: هو علم يعرف به أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وأحواله وتقريراته وصفاته.

### الضابط الثاني: موضوعه:

أحاديث الرسول ﷺ من حيث دلالتها على المعنى المفهوم أو المراد؛ كما يتناول أيضا العلوم العربية كلها، ومعرفة القصص والأخبار المتعلقة بالنبى ﷺ، ومعرفة الأصولين - الكتاب والسنة - والفقه وغير ذلك.

### الضابط الثالث: ثمرته:

- مِن الثَّمَرَاتِ الْمَرْجُوءَةِ مِنْ تَعَلُّمِ عِلْمِ الْحَدِيثِ:
- ١- العمل بالمأمور به والانتفاء عن المزجور عنه.
  - ٢- التخلي عما يكرهه الرسول ﷺ وينهى عنه.
  - ٣- التحلي بالآداب النبوية.
  - ٤- الفوز بسعادة الدارين.

**الضَّابِطُ الرَّابِعُ: نَسَبُهُ:**  
يُنْسَبُ إِلَى الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ.

**الضَّابِطُ الْخَامِسُ: فَضْلُهُ:**

لِعِلْمِ الْحَدِيثِ شَرَفٍ عَظِيمٍ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ تَعَرَّفَ بِهِ كَيْفِيَّةَ الْاِقْتِدَاءِ بِالنَّبِيِّ ﷺ،  
وَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِ الْحَدِيثِ بِنِضَارَةِ الْوَجْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَعَنْ زَيْدِ  
بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا  
فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلٍ فَفِيهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ وَرُبَّ حَامِلٍ فَفِيهِ لَيْسَ  
بِفَقِيهِ»<sup>(١)</sup>.

**الضَّابِطُ السَّادِسُ: وَأَضْعُهُ:**

أَصْحَابُ الرَّسُولِ ﷺ الَّذِينَ تَصَدَّوْا لَضَبِطِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَتَقْرِيرَاتِهِ  
وَصِفَاتِهِ ﷺ.

**الضَّابِطُ السَّابِعُ: إِسْمُهُ:**

عِلْمُ الْحَدِيثِ رَوَايَةً، وَعِلْمُ السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ.

**الضَّابِطُ الثَّامِنُ: إِسْتِمْدَادُهُ:**

مِنْ أَقْوَالِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَفْعَالِهِ وَتَقْرِيرِهِ وَهَمِّهِ وَأَوْصَافِهِ الْخُلُقِيَّةِ، وَأَخْلَاقِهِ  
الْمَرْضِيَّةِ.

**الضَّابِطُ التَّاسِعُ: حُكْمُ الشَّارِعِ فِيهِ:**

حُكْمٌ تَعَلَّمَهُ مِنْهُ مَا هُوَ فَرَضَ عَيْنٌ وَهُوَ مَا لَا تَصِحُّ الْعِبَادَةُ إِلَّا بِهِ، وَمِنْهُ مَا  
وَفَرَضَ كِفَايَةً وَهُوَ مَا يَحْتَاجُهُ الْمَفْتِي وَالْعَالِمُ فِي التَّرْجِيحِ بَيْنَ الْمَسْأَلِ.  
وَحُكْمٌ تَعَلَّمَهُ فَرَضَ كِفَايَةً.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٦٦٢)، والترمذي (٢٦٥٦)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٢٣٠)، وصححه الألباني.

## الضَّابِطُ الْعَاشِرُ: مَسَائِلُهُ:

هي قضاياها التي تذكر ضمناً، كقوله النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»<sup>(١)</sup>، فإنه متضمن لقضية النية، وكقوله ﷺ: «الْعَيْنُ حَقٌّ»<sup>(٢)</sup>، فإنه متضمن لقضية الحسد.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١)، ومسلم (٥٠٣٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٧٤٠)، ومسلم (٢١٨٧).

## الكتاب الثالث مبادئ علم الفقه

### الضابطُ الأوَّلُ: حَدُّهُ:

الفِقهُ لُغَةً: هو العلمُ بالشيءِ والفهمُ له، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ [هُود: ٩١]، ومنه: دعاء النبي ﷺ لابن العباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»<sup>(١)</sup>.

وَاضْطِلَاحًا: وهو العلمُ بالأحكامِ الشرعيةِ العمليةِ المكتسبِ من أدلتها التفصيلية.

### الضابطُ الثاني: مَوْضُوعُهُ:

أفعالُ المكلفين من حيث تكليفهم بتحصيلها، كالصلاة والصوم، أو تكليفهم بتركها كالزنا والقتل، أو تخييرهم فيها كالأكل والشرب.

### الضابطُ الثالثُ: ثَمَرَتُهُ:

امتنال أوامر الله واجتناب نواهيه، وهي حقيقة التقوى، وبها تحصل سعادة الدارين.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٤٣)، وأحمد (٢٣٩٧).

**الضَّابِطُ الرَّابِعُ: نَسَبُهُ:**  
يُنْسَبُ إِلَى الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ.

**الضَّابِطُ الْخَامِسُ: فَضْلُهُ:**

دلت النصوص الشرعية على أن علم الفقه أفضل العلوم بعد علم التوحيد إذ لا تصح العبادة إلا إذا كانت موافقة لهدي الرسول ﷺ.

**الضَّابِطُ السَّادِسُ: وَأَصْرُهُ:**

الأئمة المجتهدون، وأول من ألف فيه إماماً هو الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وأول من ألف فيه كتاباً تلميذه الإمام المجتهد أبو حنيفة النعمان رحمه الله تعالى.

**الضَّابِطُ السَّابِعُ: إِسْمُهُ:**

علم الفقه، وعلم الأحكام الشرعية، وعلم الحلال والحرام، والفقه الأصغر، وفروع الدين.

**الضَّابِطُ الثَّامِنُ: إِسْتِمْدَادُهُ:**

من الكتاب والسنة والإجماع والقياس.

**الضَّابِطُ التَّاسِعُ: حُكْمُ الشَّارِعِ فِيهِ:**

حكم تعلم علم الفقه على ثلاثة أقسام:

١- فرض عين: في القدر الذي تتوقف عليه صحة العبادة كالطهارة والصلاة والصيام، وصحة المعاملة كالبيع والنكاح.

٢- فرض كفاية: فيما زاد على ذلك إلى بلوغ مرتبة الفتوى.

٣- الاستحباب: فيما زاد على مرتبة الفتوى.

أما حكم تعليمه فهو فرض كفاية.

## الضَّابِطُ الْعَاشِرُ: مَسَائِلُهُ:

مِنْهَا: «الطهارة شرط للصلاة»، و«غسل اليدين فرض في الوضوء»، و«الولي شرط للنكاح»، ونحو ذلك.

## الكتابُ الرَّابِعُ مَبَادِيُ عِلْمِ المَوَارِيثِ

### الضَّابِطُ الأوَّلُ: حَدُّهُ:

الموارِيثُ لُغَةً: جمع ميراث، يقال: وَرِثَ فلانٌ أباه، إذا ماتَ فصار ميراثه له، والإرْثُ من الشيء البقية من أصله.  
وَاصْطِلَاحًا: هو علم يعرف به من يرث ومن لا يرث ومقدار كل وارث.

### الضَّابِطُ الثاني: مَوْضُوعُهُ:

التركات من حيث قسمتها وبيان نصيب كل وارث مِنْهَا.

### الضَّابِطُ الثالثُ: ثَمَرَتُهُ:

إيصال الحقوق إلى ذويها.

### الضَّابِطُ الرَّابِعُ: نَسْبُهُ:

يُنْسَبُ إلى العُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، إذ كان جزءًا من علم الفِقْهِ ثم أُفرد بمصنفات مستقلة.

### الضَّابِطُ الخامسُ: فَضْلُهُ:

علم الموارِيث من أجل العلوم وأشرفها لعدة أمور:



- ١- أن المواريث هدى وبيان.
- ٢- أن الله سمى هذه الفرائض حدوداً.
- ٣- أن الله قدر الفرائض بنفسه.
- ٤- أن الله توعد من أطاعه في المواريث بالجنة، وتوعد من عصاه فيها بالنار.

### الضَّابِطُ السَّادِسُ: وَأَضَعُهُ:

تنزيل من الله ﷻ.

### الضَّابِطُ السَّابِعُ: إِسْمُهُ:

علم المواريث، وعلم الفرائض.

### الضَّابِطُ الثَّامِنُ: إِسْتِمْدَادُهُ:

من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضي الله عنهم.

### الضَّابِطُ التَّاسِعُ: حُكْمُ الشَّارِعِ فِيهِ:

حُكْمٌ تَعَلَّمَهُ وَتَعَلَّمِيهِ فَرَضٌ كِفَايَةٌ.

### الضَّابِطُ العَاشِرُ: مَسَائِلُهُ:

مَنْهَا: ميراث أصحاب الفروض كالزوج والزوجة والأم، وأصحاب العصبات كالابن والأب والعم، والمحجوبون، ونحوه.

## الكتاب الخامس مبادئ علم أصول الفقه

### الضابط الأول: حدّه:

أصول الفقه لغةً: الأصول جمع أصل وهو ما يبنى عليه غيره، والفقه لغةً هو الفهم.

وَاصْطِلَاحًا: هو معرفة الأحكام الشرعية المكتسب من أدلتها التفصيلية.

### الضابط الثاني: موضوعه:

الأدلة الإجمالية الموصلة إلى الأحكام الشرعية العملية، وأقسامها واختلاف مراتبها، وكيفية أخذ الأحكام الشرعية منها على وجه كلي.

### الضابط الثالث: ثمرته:

مِنَ الثَّمَرَاتِ الْمَرْجُوعَةِ مِنْ تَعَلُّمِ عِلْمِ أَصُولِ الْفِقْهِ:

- 1- معرفة طرائق الفقهاء في استنباط الأحكام.
- 2- التمكن من فهم الأدلة الشرعية فهمًا صحيحًا.
- 3- معرفة الراجح من المرجوح من أقوال العلماء.
- 4- العارف به يستطيع أن يدعو إلى الله تعالى بأسلوب مقنع.
- 5- تفسير النصوص الشرعية، واستنباط الأحكام الفقهية على وجه صحيح.

الضَّابِطُ الرَّابِعُ: نَسَبُهُ:

يُنْسَبُ إِلَى الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ

الضَّابِطُ الْخَامِسُ: فَضْلُهُ:

فَضْلُهُ عَظِيمٌ لِأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ الْعِلْمَ بِأَحْكَامِ اللَّهِ ﷻ الْمَتَضَمِّنَ لِلْفَوْزِ بِسَعَادَةِ الدَّارِينَ.

الضَّابِطُ السَّادِسُ: وَأَصْبَعُهُ:

الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

الضَّابِطُ السَّابِعُ: إِسْمُهُ:

علم أصول الفقه.

الضَّابِطُ الثَّامِنُ: إِسْتِمْدَادُهُ:

من أصول الدين، وعلم اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، والأحكام الشرعية.

الضَّابِطُ التَّاسِعُ: حُكْمُ الشَّارِعِ فِيهِ:

حُكْمٌ تَعَلَّمِهِ وَتَعَلِيمِهِ فَرَضُ كِفَايَةٍ.

الضَّابِطُ الْعَاشِرُ: مَسَائِلُهُ:

هي قضاياها التي يلتزمها المجتهد، ويستفيد منه ويستنبط الأحكام الشرعية على ضوءها، كالأمر للوجوب، والنهي للتحريم، ونحوه.

## الكتاب السادس مبادئ علم القواعد الفقهية

### الضابطُ الأوَّلُ: حَدُّهُ:

القاعدة: لغة: هي الأساس، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٢٧].

واصطلاحًا: هي قضية كلية ينطبق عليها جزئيات كثيرة، تفهم أحكامها منها، وقيل: هي قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها.

والفقهية: لغة: نسبة إلى الفقه، وهو الفهم، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَسْعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١].

واصطلاحًا: هي العلم بالأحكام الشرعية المكتسب من أدلتها التفصيلية.

وعلم القواعد الفقهية اصطلاحًا: هو العلم الذي يبحث فيه عن القضايا الفقهية الكلية التي جزئياتها قضايا فقهية كلية من حيث معناها وما له صلة به، ومن حيث بيان أركانها، وشروطها، ومصدرها، وحجيتها، ونشأتها وتطورها، وما تنطبق عليه من الجزئيات، وما يستثنى منها.

### الضابطُ الثاني: مَوْضُوعُهُ:

القضايا الفقهية الكلية، من حيث دلالتها على حكم الفروع الفقهية المتشابهة المنضبطة بها، والفروع الداخلة في تلك القضايا، وما استثنى منها لأسباب خاصة.

## الضَّابِطُ الثَّالِثُ : ثَمَرَتُهُ :

مِنْ الثَّمَرَاتِ الْمَرْجُوءَةِ مِنْ تَعَلُّمِ عِلْمِ الْقَوَاعِدِ الْفَقْهِيَّةِ :

- ١- تنظيم منشور المسائل في سلك واحد.
- ٢- تقييد شوارد المسائل، وتقريب كل متباعد.
- ٣- تسهيل حفظ الفروع، ويغني العالم بالضوابط عن حفظ الجزئيات.
- ٤- تمكن القواعد الفقهية العالم من تخريج الفروع والمسائل المستجدة عليها بطريقة سليمة.

## الضَّابِطُ الرَّابِعُ : فَضْلُهُ :

من أشرف العلوم وأفضلها لتعلقه بالفقه الذي عليه مدار التكليف.

## الضَّابِطُ الْخَامِسُ : نَسَبُهُ :

هو أحد العلوم الشرعية المتعلقة بالفقه.

## الضَّابِطُ السَّادِسُ : اسْتِمْدَادُهُ :

من الكتاب والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، واللغة العربية.

## الضَّابِطُ السَّابِعُ : وَأَصْرُهُ :

الأئمة المجتهدون، كالإمام أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد.

## الضَّابِطُ الثَّامِنُ : اسْمُهُ :

علم القواعد الفقهية، أو علم الأصول الفقهية.

## الضَّابِطُ التَّاسِعُ : حُكْمُ الشَّارِعِ فِيهِ :

حكم تعلمه وتعليمه فرض كفاية.

## الضَّابِطُ العَاشِرُ: مَسَائِلُهُ:

هي الأحوال العارضة للقواعد، من حيث ضبطها للفروع الفقهية، وللفروع الفقهية من حيث دخولها تحت نطاق القاعدة، أو خروجها عنها.

## الكتاب السابع مُصْطَلِحُ الْحَدِيثِ

### الضَّابِطُ الْأَوَّلُ: حَدُّهُ:

مصطلح الحديث لُغَةً: المصطلح هو ما اصطَلَحَ عليه أئمةُ الحديث،  
والحديث: ضد القديم.

وَاصْطِلَاحًا: هو العلم بالقواعد التي يعرف بها أحوال السند والمتن من  
حيث القبول أو الرد.

### الضَّابِطُ الثَّانِي: مَوْضُوعُهُ:

البحث في السند والمتن من حيث القبول والرد.

### الضَّابِطُ الثَّالِثُ: ثَمَرَتُهُ:

معرفة المقبول فيعمل به، والمردود فيعرض عنه.

### الضَّابِطُ الرَّابِعُ: فَضْلُهُ:

يكفيه شرفاً وفضلاً أنه يميز قول النبي ﷺ من قول غيره، وقد دعا النبي ﷺ  
لأصحاب الحديث بنضارة الوجه في الدنيا والآخرة فَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:  
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «نَصَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبْلَغَهُ،  
فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهُهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهُهُ لَيْسَ بِفِقْهِهِ»<sup>(١)</sup>.

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٦٦٢)، والترمذي (٢٦٥٦)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٢٣٠)، وصححه الألباني.

الضَّابِطُ الْخَامِسُ: نَسْبُهُ:

يُنْسَبُ إِلَى الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ.

الضَّابِطُ السَّادِسُ: اسْتِمْدَادُهُ:

من كلام أئمة الحديث واصطلاحاتهم.

الضَّابِطُ السَّابِعُ: وَأَضِعُّهُ:

أول من كتب فيه كتاباً مستقلاً هو أبو محمد الحسن بن خلّاد الرامهرمزي القاضي المُنَوِّفِي سَنَةَ ٣٦٠ هـ وأسماه «المحدث الفاصل بين الراوي والواعي».

الضَّابِطُ الثَّامِنُ: اسْمُهُ:

علم مصطلح الحديث، وعلم علوم الحديث، وأصول الحديث، وعَلْمِ الْحَدِيثِ دراية.

الضَّابِطُ التَّاسِعُ: حُكْمُ الشَّارِعِ فِيهِ:

حكم الشارع في تعلمه وتعليمه أنه فرض كفاية.

الضَّابِطُ الْعَاشِرُ: مَسَائِلُهُ:

وهي كثيرة جداً، أوصلها بعض العلماء إلى خمسة وستين نوعاً، ومنها: الصحيح بأنواعه، والحسن بأنواعه، والضعيف بأنواعه.



## الكتاب الثامن مبادئ علم السيرة

### الضابطُ الأوَّلُ: حَدُّهُ:

السيرة لغةً: الطريقة، يقال: اتبعت سيرته، أي: طريقته.  
وَاصْطِلَاحًا: هو علم يعرف به أحوال الرسول ﷺ تفصيلًا منذ ولادته  
ونشأته إلى أن لحق بالرفيق الأعلى.

### الضابطُ الثاني: مَوْضُوعُهُ:

حياة النبي ﷺ، ومواقفه مع أصحابه رضي الله عنهم، وأعدائه.

### الضابطُ الثالثُ: ثَمَرَتُهُ:

الاطلاع على هدي الرسول ﷺ، والافتداء به في ذلك.

### الضابطُ الرابعُ: فَضْلُهُ:

من أجل العلوم وأفضلها لتعلقها بحياة المعصوم ﷺ.

### الضابطُ الخامسُ: نَسْبُهُ:

يُنْسَبُ إِلَى الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ.

### الضابطُ السادسُ: اسْتِمْدَادُهُ:

الكتاب والسنة والآثار المروية الصحابة رضي الله عنهم.

## الضَّابِطُ السَّابِعُ: وَأَضِعُهُ:

الصحابة رضي الله عنهم، والتابعون مثل أبان بن عثمان، وعروة بن الزبير.

## الضَّابِطُ الثَّامِنُ: إِسْمُهُ:

علم السيرة النبوية، وعلم القصص والأخبار النبوية.

## الضَّابِطُ التَّاسِعُ: حُكْمُ الشَّارِعِ فِيهِ:

حُكْمُ تَعْلِيمِهِ وَتَعْلِيمِهِ فَرَضُ كِفَايَةٍ.

## الضَّابِطُ العَاشِرُ: مَسَائِلُهُ:

مِنْهَا: ولادته صلى الله عليه وسلم، وبعثته، وهجرته، وغزواته، وأسفاره، ونحوه.

## الكتاب التاسع مبادئ علم التجويد

### الضابط الأول: حدّه:

التجويد لغة: التحسين والإتقان والإتيان بالجيد، ومنه هذا شيء جيد، أي: حسن، وفلان جود القرآن أي: حسن تلاوته.  
وإصطلاحاً هو العلم بكيفية إخراج كل حرف من مخرجه وإعطائه حقه ومستحقه.

### الضابط الثاني: موضوعه:

القرءان الكريم من حيث أحوال النطق به وكيفية أدائه بلحون العرب.

### الضابط الثالث: ثمرته:

- مِن الثَّمَرَاتِ الْمَرْجُوءَةِ مِنْ تَعَلُّمِ عِلْمِ التَّجْوِيدِ:
- 1- بلوغ النهاية في إتقان لفظ القرآن الكريم على ما تُلقِي من النبي ﷺ.
  - 2- صون اللسان عن الخطأ واللحن في كلام الله تعالى.
  - 3- الفوز بسعادة الدارين.

### الضابط الرابع: نسبه:

يُنْسَبُ إِلَى الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ.

## الضَّابِطُ الْخَامِسُ: فَضْلُهُ:

من أشرف العلوم وأجلها لتعلقه بأشرف الكتب وهو القرآن الكريم.

## الضَّابِطُ السَّادِسُ: وَأَضِعُّهُ:

من الناحية العملية هو الرسول ﷺ فهو أول من نطق به مجوداً من البشرية. ومن الناحية العلمية هم علماء القراءات، وأول من جعل علم التجويد علماً مستقلاً هو أبو عمر حفص بن عمر الدوري المُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٤٦هـ.

## الضَّابِطُ السَّابِعُ: أَسْمُهُ:

علم التجويد أو فن التجويد<sup>(١)</sup>، وعلم أو فن الأداء<sup>(٢)</sup>، وعلم أو فن القراءة، وعلم تلاوة القرآن الكريم، وعلم التلقين.

## الضَّابِطُ الثَّامِنُ: إِسْتِمْدَادُهُ:

من قراءة الرسول ﷺ، ثم الصحابة رضي الله عنهم من بعده، ثم التابعين من بعدهم إلى أن وصل إلينا بالتواتر.

## الضَّابِطُ التَّاسِعُ: حُكْمُ الشَّارِعِ فِيهِ:

علم التجويد منه ما هو واجب كتعلم ما لا تصح الصلاة إلا به وهو ما يميز الحروف بعضها عن بعض بتعلم مخارج الحروف وصفاتها، ومنه ما هو مستحب وهو ما زاد على ذلك كأحكام الغنة والإخفاء والإظهار والإدغام وغيرها.

## الضَّابِطُ الْعَاشِرُ: مَسَائِلُهُ:

هي القواعد التي يتوصل بها إلى إتقان قراءة القرآن قراءة مجودة مصونة ومحفوظة من الخطأ كمخارج الحروف وصفاتها وأحكام النون الساكنة والتنوين وأحكام الميم الساكنة وأحكام المدود وغيرها من الأحكام.

(١) الفرق بين الفن والعلم: أن الفن اسم لما يشتمل على جانب عملي، والعلم اسم لما يشتمل على جانب عملي وعلمي.

(٢) أي أداء القرآن الكريم.

## الكتابُ العاشرُ مَبَادِيُ عِلْمِ التَّفْسِيرِ

### الضَّابِطُ الْأَوَّلُ: حَدُّهُ:

التفسير لغةً: مشتق من فَسَّرَ، والفَسْرُ بمعنى البيان والكشف عن الشيء المغطى.

وَاضْطِلَاحًا: هو علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم، وعن مدلولاتها وعن أحكامها الإفرادية والتركيبية وعن معانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب وعن تتمات ذلك.

### الضَّابِطُ الثَّانِي: مَوْضُوعُهُ:

القرآن الكريم من حيث بيان كيفية النطق وبيان مدلولاته وعن أحكامه الإفرادية والتركيبية وعن معانيه التي تُحمل عليها حالة التركيب ونحو ذلك.

### الضَّابِطُ الثَّلَاثُ: ثَمَرَتُهُ:

عصمة المكلف عن الخطأ في فهم كلام الله تعالى.

### الضَّابِطُ الرَّابِعُ: نَسَبُهُ:

يُنْسَبُ إِلَى الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ.

## الضَّابِطُ الْخَامِسُ: فَضْلُهُ:

جزيل إذ به تُعرف أوامر القرآن ونواهيهِ فتمثل الأوامر، وتجتنب النواهي.

## الضَّابِطُ السَّادِسُ: وَاضِعُهُ:

بعض أصحاب رسول الله ﷺ، ومن جاء بعدهم من المجتهدين.

## الضَّابِطُ السَّابِعُ: إِسْمُهُ:

علم التفسير، وعلم تأويل القرآن.

## الضَّابِطُ الثَّامِنُ: إِسْتِمْدَادُهُ:

من السنة النبوية، ومن علوم العربية، وأصول الفقه.

## الضَّابِطُ التَّاسِعُ: حُكْمُ الشَّارِعِ فِيهِ:

حُكْمٌ تَعَلَّمَهُ وَتَعَلَّمِيهِ فَرَضُ كِفَايَةٍ.

## الضَّابِطُ الْعَاشِرُ: مَسَائِلُهُ:

آيات القرآن العظيم المراد تفسيرها.

## الكتاب الحادي عشر مبادئ علوم القرآن

### الضابطُ الأوَّلُ: حَدُّهُ:

علوم القرآن لُغَةً: علوم جمع علم، والعلم بمعنى الفهم والإدراك، ثم حُصِّصَ بالمسائل المضبوطة ضبطًا علميًا، والقرآن مصدر قرأ قراءة بمعنى تلا. وَاصْطِلَاحًا: هو العلم الذي يتناول المباحث التي تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ودفع الشبه عنه، ونحو ذلك.

### الضابطُ الثاني: مَوْضُوعُهُ:

القرآن العظيم من حيث معرفة أسباب النزول وجمع القرآن ترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، ونحوه مما له صلة بالقرآن.

### الضابطُ الثالثُ: ثَمَرَتُهُ:

مِنَ الثَّمَرَاتِ الْمَرْجُوعَةِ مِنْ تَعَلُّمِ عُلُومِ الْقُرْآنِ.

١- فهم القرآن الكريم فهمًا صحيحًا.

٢- التمييز بين الناسخ والمنسوخ.

- ٣- التمييز بين المحكم والمتشابه .
- ٤- التمييز بين الخاص والعام .
- ٥- التمييز بين المطلق والمقيد .
- ٦- معرفة أسباب النزول ، وأماكنه .

### الضَّابِطُ الرَّابِعُ : نَسَبُهُ :

يُنْسَبُ إِلَى الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ .

### الضَّابِطُ الْخَامِسُ : فَضْلُهُ :

من أشرف العلوم وأفضلها لتعلقه بأشرف الكتب وأجلها .

### الضَّابِطُ السَّادِسُ : وَأَصْرُهُ :

علي بن إبراهيم بن سعيد المشهور بالحوفي المَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٣٠ هـ .

### الضَّابِطُ السَّابِعُ : إِسْمُهُ :

علوم القرآن ، وأصول التفسير .

### الضَّابِطُ الثَّامِنُ : إِسْتِمْدَادُهُ :

من القرآن والسنة وعمل الصحابة رضي الله عنهم .

### الضَّابِطُ التَّاسِعُ : حُكْمُ الشَّارِعِ فِيهِ :

حُكْمٌ تَعَلَّمَهُ وَتَعَلَّمِيهِ فَرَضُ كِفَايَةٍ .

### الضَّابِطُ الْعَاشِرُ : مَسَائِلُهُ :

مِنْهَا مَعْرِفَةُ كَيْفِيَّةِ نَزُولِ الْقُرْآنِ ، وَكَيْفِيَّةِ جَمْعِهِ ، وَمَا هُوَ الْمَكِّيُّ وَالْمَدَنِيُّ

وَنَحْوَهُ .



## الكتاب الثاني عشر مبادئ علم القراءات

### الضابطُ الأوَّلُ: حَدُّهُ:

لُحْدَةٌ: مفرد قراءة، والقراءة معناها: الوجه المقروء به.  
وَاصْطِلَاحًا: هو علم يُعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطرق أدائها  
اتفاقًا واختلافًا مع عَزْوِ كل وجه لناقله.

### الضابطُ الثاني: مَوْضُوعُهُ:

الأوجه المأذون بقراءتها ضمن الأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها.

### الضابطُ الثالثُ: ثَمَرَتُهُ:

- مِنْ الثَّمَرَاتِ الْمَرْجُوعَةِ مِنْ تَعَلُّمِ عِلْمِ الْقِرَاءَاتِ:
- ١- العصمة من الخطأ في النطق بالكلمات القرآنية.
  - ٢- صيانة الكلمات القرآنية من التحريف والتغيير.
  - ٣- العلم بما يقرأ به كل إمام من أئمة القراءة.
  - ٤- فهم آيات القرآن الكريم إذ الآيات المختلفة في القراءة تفسر بعضها بعضًا.

الضَّابِطُ الرَّابِعُ: نَسَبُهُ:

يُنْسَبُ إِلَى الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ.

الضَّابِطُ الْخَامِسُ: فَضْلُهُ:

أَشْرَفَ الْعُلُومَ لِتَعَلُّقِهِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

الضَّابِطُ السَّادِسُ: وَأَصْرُهُ:

أَبُو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ.

الضَّابِطُ السَّابِعُ: إِسْمُهُ:

علم القراءات.

الضَّابِطُ الثَّامِنُ: إِسْتِمْدَادُهُ:

من قراءة النبي ﷺ المنقولة بالتواتر.

الضَّابِطُ التَّاسِعُ: حُكْمُ الشَّارِعِ فِيهِ:

حُكْمٌ تَعْلِيمِيٌّ وَتَعْلِيمِيٌّ فَرَضٌ كِفَايَةٌ.

الضَّابِطُ الْعَاشِرُ: مَسَائِلُهُ:

هي قواعده الكلية كقولهم: كل ألف منقلبة عن ياء يميلها حمزة والكسائي ويقللها ورش، وكل راء مفتوحة أو مضمومة وقعت بعد كسرة أصلية موصولة أو ياء ساكنة يرققها ورش، وهكذا.

## الكتابُ الثالثُ عشرُ مبادئُ علمِ البلاغةِ

### الضَّابِطُ الأوَّلُ: حَدُّهُ:

البلاغة لُغَةٌ: من بُلغ إذا بُلغ في بلوغه للغاية، فَبَلغَ بمعنَى وصل.  
وَاضْطِلَاحًا: هي ملكة يقتدر بها الفصيح على مخاطبة كل الناس على مستوى حالهم.

### الضَّابِطُ الثَّانِي: مَوْضُوعُهُ:

الأساليب العربية، فيعين المقام الذي ينبغي أن يؤتى فيه بالضمير، والمقام الذي ينبغي أن يؤتى فيه بالاسم ظاهر، والمقام الذي يؤتى فيه بالجملة الإسمية، والمقام الذي يؤتى فيه بالجملة الفعلية، ونحوه.

### الضَّابِطُ الثَّالِثُ: ثَمَرَتُهُ:

مِنَ الثَّمَرَاتِ المَرْجُوءَةِ مِنْ تَعَلُّمِ علمِ البلاغة:

١- معرفة المكان الذي ينبغي فيه التصريح، والمكان الذي ينبغي فيه الكناية، والمكان الذي ينبغي فيه التشبيه، ونحوه.

٢- معرفة الكلمات والأساليب التي ينبغي تحاشيها، ومستوى المخاطب،

وهذا يسمى بتحسين الذوق اللغوي.

الضَّابِطُ الرَّابِعُ: نَسْبُهُ:

يُنْسَبُ إِلَى الْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ.

الضَّابِطُ الْخَامِسُ: فَضْلُهُ:

من أجل العلوم وأرفعها قدرًا لأنه يوصل إلى إدراك إعجاز كتاب الله تعالى، بالإضافة إلى تقويم اللسان.

الضَّابِطُ السَّادِسُ: الْوَاضِعُ:

أول من اعتنى بجمعه هو عبد الحميد الكاتب، ثم اشتهر بعده عبد الله بن المقفع.

الضَّابِطُ السَّابِعُ: إِسْمُهُ:

علم البلاغة، وعلم البيان.

الضَّابِطُ الثَّامِنُ: إِسْتِمْدَادُهُ:

من الكتاب والسنة، وآثار الخلفاء الراشدين، والخطباء المشهورين، وأشعار العرب وآدابهم.

الضَّابِطُ التَّاسِعُ: حُكْمُ الشَّارِعِ فِيهِ:

حُكْمُ تَعَلُّمِهِ وَتَعْلِيمِهِ فَرَضُ كِفَايَةٍ.

الضَّابِطُ الْعَاشِرُ: مَسَائِلُهُ:

علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع.

## الكتابُ الرابعُ عَشَرَ مَبَادِيُ عِلْمِ النَّحْوِ

### الضَّابِطُ الْأَوَّلُ: حَدُّهُ:

النحو لُغَةً: يطلق على عدة معان: مِنْهَا الشبه والمثل، تقول مثلاً: زيد نحو عمرو، أي شَبِهه ومثله؛ وَمِنْهَا المقدار والكمية: تقول مثلاً: معي نحو طن، أي ما يساوي طن؛ وَمِنْهَا الجهة، تقول مثلاً: سافرت نحو مكة، أي جهة مكة، وَمِنْهَا القصد تقول مثلاً: نحوت نحوك، أي قصدت قصدك.

وَاصْطِلَاحًا: هو العلم بالقواعد التي يعرف بها أحوال أواخر الكلم إعرابًا وبناءً.

### الضَّابِطُ الثَّانِي: مَوْضُوعُهُ:

الكلمات العربية من حيث عروض الأحوال لها حال تركيبها كالإعراب والبناء.

### الضَّابِطُ الثَّالِثُ: ثَمَرَتُهُ:

مِنْ الثَّمَرَاتِ الْمَرْجُوعَةِ مِنْ تَعَلُّمِ عِلْمِ النَّحْوِ:

١- صيانة اللسان عن خطأ النطق، والبنان عن خطأ الخطِّ، والجنان عن خطأ الفهم، والأركان عن خطأ العمل.

٢- فهم القرآن الكريم والحديث النبوي فهمًا صحيحًا.

الضَّابِطُ الرَّابِعُ: نَسَبُهُ:

يُنْسَبُ إِلَى الْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ.

الضَّابِطُ الْخَامِسُ: فَضْلُهُ:

عظيم جدًا إذ به يميز الكلام الصحيح من سقيمه، وهو دعامة العربية وقانونها الأعلى، ويُفتضح فاقده بكثرة الزلل، ولا يصلح الحديث للحن.

الضَّابِطُ السَّادِسُ: وَأَصْعُهُ:

أبو الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو الكوفي

الضَّابِطُ السَّابِعُ: إِسْمُهُ:

علم النحو.

الضَّابِطُ الثَّامِنُ: إِسْتِمْدَادُهُ:

من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وفصيح كلام العرب.

الضَّابِطُ التَّاسِعُ: حُكْمُ الشَّارِعِ فِيهِ:

حُكْمُ تَعَلُّمِهِ وَتَعَلِيمِهِ فَرَضٌ كِفَايَةٌ.

الضَّابِطُ الْعَاشِرُ: مَسَائِلُهُ:

مِنْهَا: كون الفاعل مرفوع، والمضاف بحسب ما قبله، والمضاف إليه دائمًا يكون مجرورًا، الحال دائمًا منصوبة، التمييز تارة يكون منصوبًا وتارة يكون مجرورًا، ونحوه.

## الكتاب الخامس عشر مبادئ علم الصرف

### الضابط الأول: حده:

لغة: التغيير والتحويل والانتقال، ومنه صرفت الأجير أي: خلّيت سبيله،  
وصرفت المال أي: أنفقته، وصرفت الذهب بالدرهم أي: بعته، وصرفت الكلام  
أي: زيتته.

وَاصْطِلَاحًا: هو العلم بالقواعد التي يعرف بها أحوال أبنية الكلم التي  
ليست بإعراب ولا بناء.

### الضابط الثاني: موضوعه:

المفردات العربية<sup>(١)</sup> من حيث البحث عن كيفية صياغتها لإفادة المعاني،  
مثل: كيف صياغة الفعل المضارع من الفعل الماضي، ومن حيث البحث عن  
أحوالها العارضة لها من صحة وإعلال ونحوهما.

### الضابط الثالث: ثمرته:

مِنْ الثَّمَرَاتِ الْمَرْجُوءَةِ مِنْ تَعَلُّمِ عِلْمِ الصَّرْفِ:

---

(١) المراد بالمفردات العربية: الأسماء والأفعال والحروف، والصرف يدخل في اثنين منهما: الاسم  
المتمكن والفعل المتصرف.

ويخرج من ذلك ثلاثة أقسام: الاسم المبني «غير المتمكن»، والفعل الجامد، والحرف.

١- يجعل أداة البيان سليمة من الخطأ، بريئة من اللحن.

٢- تحقق القدرة على صياغة مفردات اللغة.

### الضَّابِطُ الرَّابِعُ: نَسْبُهُ.

يُنْسَبُ إِلَى الْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ، وَهُوَ قَسِيمٌ عِلْمِ النُّحُوِّ لَا قَسْمَ مِنْهُ.

### الضَّابِطُ الْخَامِسُ: فَضْلُهُ:

علم الصرف فَضْلُهُ عَظِيمٌ، وَمِنْ فَضَائِلِهِ:

١- يعطي دراسة منيحة في الكتاب الإلهي والسنة النبوية.

٢- يُعَيِّنُ عَلَى فَهْمِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَلَا يَتِمُّ فَهْمُهُ إِلَّا بِلُغَةِ الْعَرَبِ، وَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ.

٣- لَا يَصِلُ الْبَاحِثُ إِلَى مَعْرِفَةِ الْاِشْتِقَاقِ إِلَّا بِهِ.

### الضَّابِطُ السَّادِسُ: وَأَصْرُهُ:

أَبُو مَعَاذِ بْنِ مَسْلَمٍ الْهَرَاءِيُّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٨٧ هـ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَفْرَدَ مَسَائِلَ الصَّرْفِ بِالْبَحْثِ أَوْ التَّأْلِيفِ وَتَكَلَّمَ فِيهِ مُسْتَقْلًا عَنْ فُرُوعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

### الضَّابِطُ السَّابِعُ: إِسْمُهُ:

علم الصرف والتصريف.

### الضَّابِطُ الثَّامِنُ: إِسْتِمْدَادُهُ:

من القرآن العظيم، والسنة النبوية، الكلام العربي الفصيح.

### الضَّابِطُ التَّاسِعُ: حُكْمُ الشَّارِعِ فِيهِ:

حُكْمٌ تَعْلِيمِيٌّ وَتَعْلِيمِيٌّ فَرَضُ كِفَايَةٍ.

### الضَّابِطُ الْعَاشِرُ: مَسَائِلُهُ:

هي قضاياها الجزئية التي مِنْهَا: الصحة، الإعلال، الإبدال، القلب،



الحذف، الزيادة والنقصان، الاشتقاق، التثنية، الجمع، النسب، التصغير،  
الإمالة، الإدغام، التقاء الساكنين.

**الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات**